عدو يتغيبنا له وتحبيه
وكذلك تحبي
الموضي

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

الله الرحمن [illegible]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وصل بارك وسلم [illegible]

على النبي المصطفى [illegible]

وآله وصحبه [illegible]

[illegible]

[illegible]

الحمد [illegible]

لسو الرسع لسم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه و

هذه فوايد من فتاوى الشيخ الامام العالم المجتهد الجلال السيوطي الشافعي رضي الله عنه ونفعنا به من
جمع الشيخ المحدث شمس الدين الداودي المالكي تلميذ الحافظ

1

صلى الله على سيدنا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يس مكية وهي اثنان وثمانون آية وسبع مائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة
آلاف حرف عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلبا وقلب
القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وفي إسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اقرءوا على موتاكم يس أخرجه أبو داود بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز
وجل يس قال ابن عباس هو قسم وعنه أن معناه يا إنسان بلغة طيء يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن والقرآن الحكيم أي ذي الحكمة لأنه دليل ناطق
بالحكمة وهو قسم وجوابه إنك لمن المرسلين أقسم بالقرآن أن محمدا من المرسلين وهو
رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا على صراط مستقيم معناه وإنه على صراط مستقيم
وقيل معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة تنزيل العزيز الرحيم أي
القرآن تنزيل في ملكه الرحيم بخلقه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم يعني لم ينذر آباؤهم لأن قريشا
لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذا
ب فهم غافلون أي عما يراد بهم من الإيمان والرشد لقد حق القول أي وجب العذاب على أكثرهم
فهم لا يؤمنون فيه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون فيما سبق لهم
من العذاب بذلك قوله عز وجل إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا نزلت في أبي جهل وأصحابه المخزو
ميين وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه بالحجارة فأتاه وهو يصلي ومعه
حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع إلى أصحابه أخبرهم
بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر
فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت
قال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني
فأنزل الله تعالى إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا وقيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل
أراد منعناهم من الإيمان بموانع فجعل الأغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الإنفاق في سبيل
الله بموانع كالأغلال وقيل إنها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل إنها وصف على الحقيقة
وهو ما ينزل الله بهم في النار فهي يعني الأيدي إلى الأذقان جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لأن
الغل يجمع اليد إلى العنق فهم مقمحون أي رافعو رؤوسهم مع غض البصر وقيل أراد أن الأغلال
رفعت رؤوسهم فهم مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إياها وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن
خلفهم سدا معناه منعناهم عن الإيمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإ
يمان كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقوله فأغشيناهم أي فأعميناهم فهم لا يبصرون يعني سبيل الهدى و
سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون يعني من أضله الله لم ينفعه الإنذار إنما تنذر

من اتبع الذكر يعني انما ينفع انذارك من اتبع القرآن وعمل بما فيه وخشي الرحمن بالغيب اي
خافه في السر والعلانية فبشره بمغفرة اي لذنوبه واجر كريم يعني الجنة قوله تعالى انا نحن نحيي المو
تى اي للبعث ونكتب ما قدموا اي من الاعمال من خير وشر وآثارهم ونكتب ما سنوا من سنة
حسنة او سيئة م عن جابر بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم
شيئا ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان
ينقص من اوزارهم شيء. وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كا
نت بنو سلمة في ناحية المدينة فارادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيي المو
تى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب خ عن انس رضي الله عنه قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد فكره تكتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال يا بني سلمة الا تحتسبون آثاركم فاقاموا
قوله تعرى يعني تخلو فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شيء. م عن جابر قال
خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لهم بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يا رسول الله قد اردنا ذلك فقال قرب
يا بني سلمة دياركم دياركم تكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا انا تحولنا قوله بني سلمة اي يا بني سلمة
قوله دياركم اي الزموا دياركم وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم فابعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام ا
عظم اجرا من الذي يصلي ثم ينام وقوله تعالى وكل شيء احصيناه اي حفظناه وعددناه واثبتناه في امام مبين
يعني اللوح المحفوظ قوله عز وجل واضرب لهم مثلا اي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة اصحاب القرية
يعني انطاكية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام ذكر القصة قال العلماء باخبار الانبياء
بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى اهل انطاكية فلما قربا من المدينة رايا شيخا
يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما فقالا رسو
لا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما آية قالا نعم نشفي المرضى ونبرئ
الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فاتى
بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما
كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى
خبرهما اليه فدعا بهما وقال من انتما فقالا رسولا عيسى قال وفيما جئتما قالا ندعوك من عبادة
ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ألنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذي اوجدك وآلهتك
قال قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس فاخذوهما وقال وهب بعث عيسى هذين الرجلين
الى انطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله
فغضب الملك فامر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذب الرسولان وضربا
بعث

اللهم صل على سيدنا محمد 2

بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد
متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه وأنس به
وأكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين
دعواك إلى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك فإن
رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أر
سلكما إلى ها هنا قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأو
جزا فقالا إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى
جاءوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع
البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال
شمعون للملك إن سألت إلهك حتى يصنع لك مثل هذا فيكون لك الشرف ولإلهك فقال له الملك
ليس عنك سر مكتوم إن إلهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون
يدخل مع الملك على الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين إن قدر
إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك إن ها
هنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته فلم يدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاءوا
بالميت وقد تغير فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال إني
مت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما
أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب الجنة السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه
يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن هؤلاء الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده إلى صا
حبيه فتعجب الملك منه فلما رأى شمعون أن قوله أثر في الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك
وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا
وهو على باب المدينة فجاء يسعى إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين فذلك قوله
تعالى إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما قال وهب اسمهما يحيى ويونس وقال كعب صادق
ومصدوق فعززنا بثالث أي قوينا برسول ثالث وهو شمعون وهو قيل شلوم وإنما أضاف الإر
سال إليه لأن عيسى إنما بعثهم بأمر الله عز وجل فقالوا يعني الرسل جميعا لأهل أنطاكية إ
نا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء أي لم يرسل رسولا إن أنتم إلا
تكذبون أي فيما تزعمون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون أي وإن كذبتمونا وما علينا إلا البلاغ المبين
أي بالآية الدالة على صدقنا قالوا إنا تطيرنا بكم أي تشاءمنا بكم وذلك أن المطر حبس عليهم فقالوا
أصابنا هذا بشؤمكم لئن لم تنتهوا أي تسكتوا عنا لنرجمنكم أي لنقتلنكم بالحجارة وليمسنكم
منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم من الخير والشر أي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم
الشؤم من قبلكم قال ابن عباس حظكم من الخير والشر أئن ذكرتم معناه أتطيرتم لأن ذكرتم
ووعظتم بل أنتم قوم مسرفون أي في ضلالتكم وشرككم متمادون في غيكم كقوله عز وجل
وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما

الملك

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

فدا اسرع فيه الجذام عند اقصى باب المدينة وكان مومنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسى قسمه — وكان منزله
نصفين نصف لعياله ونصف يتصدق به فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم و قال يا قوم
اتبعوا المرسلين وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال اتسالون
على هذا اجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم
مهتدون لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك — في دينكم
قالوا له وانت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل وءامنت بالاههم فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني
واليه ترجعون قيل اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكانت عليه اظهر
والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم اليق وقيل معناه واي شيء لي اذا لم اعبد خالقي واليه تردون
عند البعث فيجزيكم باعمالكم ءاتخذ من دونه ءالهة اي لا اتخذ من دونه ءالهة ان يردن الرحمن
بضر اي بسوء ومكروه لا تغن عني اي لا تدفع عني شفاعتهم شيئا اي لا شفاعة لها فتغني عني
ولا ينقذون اي من ذلك المكروه وقيل من العذاب اني اذا لفي ضلال مبين اي خطإ ظاهر اني ءامنت بر
بكم فاسمعون اي فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل لقومه فلما قال ذلك وثبت
القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل
كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقبره بانطاكية فلما لقي الله قيل ا
دخل الجنة فلما افضى الى الجنة ونعيمها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين تمنى ان
هم ان يعلموا ان الله عز وجل غفر له واكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب النجار غضب الله عليهم
فعجل لهم العقوبة فامر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن اخرهم فذلك قو
له تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء يعني الملائكة وما كنا منزلين اي ما كنا نفعل
هذا بل الامر في اهلاكهم كان ايسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى ان كانت الا صيحة وا
حدة قال المفسرون واخذ جبريل بعضادتي باب المدينة فصاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون اي
ميتون يا حسرة على العباد يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة ان يركب الانسان من
شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على انفسهم لما عاينوا العذاب
حيث لم يومنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة اذ
لم يومنوا بالرسل ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون
قوله تعالى الم يروا اي الم يخبروا والخطاب لاهل مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون اي من الامم الخالية والقرون اهل
كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود انهم اليهم لا يرجعون اي لا يعودون الى الدنيا افلا يعتبرون
بهم وان كل لما جميع لدينا محضرون يعني ان جميع الامم يحضرون يوم القيامة وءاية لهم يعني يدلهم على
قدرتنا على احياء الموتى الارض الميتة احييناها اي بالمطر واخرجنا منها اي من الارض حبا يعني الحنطة و
الشعير وما اشبههما فمنه ياكلون اي من الحب وجعلنا فيها اي في الارض جنات اي بساتين من
نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره اي من الثمار الحاصل بالماء وما عملته ايديهم اي من
الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقرئ عملت بغير هاء وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله ايديهم وليس
من صنعهم بل وجدوها معمولة وقيل اراد العيون والانهار التي لم تعملها يد خلق مثل النيل وفي
والفرات ودجلة افلا يشكرون

افلا يشكرون اي نعمة الله سبحان الذي خلق الازواج كلها يعني الاصناف كلها مما تنبت الارض اي من الثمار والحبوب ومن
انفسهم اي من الذكر والانثى ومما لا يعلمون اي مما خلق الله من الاشياء في البر والبحر من الدواب قوله عز وجل وآية
لهم يعني تدلهم على قدرتنا الليل نسلخ اي ننزع منه ونكشف منه النهار فاذا هم مظلمون اي فيبقون بالظلمة
وفي ذلك ان الاصل هو الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فظهرت
الظلمة والشمس تجري لمستقر لها الى مستقرها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة ترجع
وقيل تسير في منازلها حتى تنتهي الى مستقرها التي لا تجاوزه ثم ترجع الى اول منازلها وهو انها تسير حتى
تنتهي الى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية
هبوطها في الشتاء وعن ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية ابدا اي
الى يوم القيامة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو ذر قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن
قوله والشمس تجري لمستقر قال مستقرها تحت العرش وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس الشمس
اتدري اين تذهب الشمس قال قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤ
ذن لها ويوشك ان تسجد ولا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها عنها
فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم اخرجه في الصحيحين قال الشيخ محيي الد
ين النواوي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل قال
يوم استقرت تحت العرش الى ان تطلع وقيل تجري الى وقت لها واحد لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء
سيرها عند انقضاء الدنيا واما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله اعلم ذلك
اي الذي ذكر من جري الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في
استنباطه تقدير العزيز اي الغالب بقدرته على كل مقدور العليم اي المحيط علمه بكل شيء قوله تعالى والقمر قدرناه
منازل اي قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه ولا يسير فيها من
من ليلة المستهل الى الثمانية والعشرين ثم يستسر ليلتين او ليلة اذا نقص فاذا كان في اخر منازله رق وتقوس
فذلك قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وهو العود الذي عليه شماريخ العذق فاذا يبس من النخل فهو القديم الذي
اتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فيشبه القمر به عند انتهائه الى اخر منازله لا
الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو
قوله تعالى ولا الليل سابق النهار اي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما
احدهما في سلطان الاخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك احدهما
صاحبه قامت القيامة وقيل ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا ينسلخ الليل الا يكون بينهما نهار معناه
وهو فاصل وكل في فلك يسبحون اي الشمس والقمر في فلك يسيرون قوله عز وجل وآية لهم انا حملنا ذريتهم يعني الا
باءهم في الفلك المشحون اي المملوء وخلقنا لهم من مثله اي من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر
وقيل اراد بالفلك سفينة نوح ومعنى الاية ان الله حمل اباء هؤلاء القوم في اصلاب الذين كانوا في السفينة المشحون
وكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق وانما ذكر ذر
يتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وابلغ في التعجب من قدرته في حمل هذا الخلق يكون قوله تعالى من
مثله اي من مثل ذلك الفلك ما يركبون اي من السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار وان نشأ نغرقهم

عو بك لكريم

فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون اي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم من عذابي الا رحمة منا
ومتاعا الى حين يعني الا ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء اجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قال
ابن عباس ما بين ايديكم يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ا
يديكم يعني وقائع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني الاخرة لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجاء الر
حمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى وما تاتيهم من اية
من ايات ربهم اي الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا
مما رزقكم الله اي مما اعطاكم الله نزلت في كفار قريش وذلك ان المومنين قالوا لكفار مكة انفقوا على
المساكين مما زعمتم انه لله من اموالكم وهو ما جعلوه لله من حرثهم وانعامهم قال الذ
ين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه اي رزقه وقيل كان العاص بن وائل السهمي اذا
ساله المسكين قال اذهب الى ربك فهو اولى مني بك ويقول قد منعه الله فاطعمه انا ومعنى الاية انهم قالوا لو ار
اد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقو
لون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمونه باطل لان الله اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من
الفقير لا بخلا واعطى الغني لا استحقاقا وامر الغني بالانفاق لا لحاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير
فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد على مشيئة الله تعالى وحكمته في خلقه والمومن يوافق امر
الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء ان انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمومنين
معناه ما انتم الا في خطإ بين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من الله للكفار لما ردوا جواب المومنين
ويقولون متى هذا الوعد يعني يوم القيامة والبعث ان كنتم صادقين قال الله تعالى ما ينظرون اي ينتظرون الا
صيحة واحدة قال ابن عباس يريد النفخة الاولى تاخذهم وهم يخصمون اي في امور الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون
في الاسواق والمجالس حتى تاتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح من حديث ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطو
يانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حو
ضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخاري من حديث ولمسلم من وهو يلوط
ثم حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فلا يسمعه
احد الا اصغى ليتا فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس الليتة بفتح اللام وكسرها النا
فة القريبة من العنق من التناج وقوله وهو يلوط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله و ا
صله من اللصوق وقوله اصغى ليتا الليت صفحة العنق يعني امال عنقه ليسمع وقوله تعالى فلا يستطيعون توصية
اي لا يقدرون على الايصاء اعجلوا عن الوصية فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون يعني لا يقدرون على الرجوع الى اهلهم
لان الساعة لا تمهلهم لشيء ونفخ في الصور هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين ار وقعد
بعون سنة ومما عن ابي هريرة رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون سنة
وعن ابي قيل اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل
من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب
ومنه يركب الخلق يوم القيامة فاذا هم من الاجداث اي القبور الى ربهم ينسلون اي يخرجون منها احياء قالوا يو

يلنا من بعثنا

من بعثنا من مرقدنا قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا
بعثوا بعد النفخة الثانية وعاينوا اهوال يوم القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكافر جهنم وانواع عذابها صار عذاب
القبر في جنبها كالنوم فلذلك قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون اقروا حين لا
ينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكافر من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمن هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة يعني النفخة الاخيرة فاذا هم جميع لدينا محضرون اي للحساب ثم
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون قوله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم في شغل قال ابن عباس
في افتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله عز وجل وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة من النعيم
عما فيه اهل النار من العذاب الاليم فاكهون قال ابن عباس فرحون ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه هم وازواجهم في
ظلال يعني اكنان القصور على الارائك يعني السرر في الحجال متكئون اي ذوو التكاء تحت تلك الظلال لهم فيها فاكهة اي في
الجنة ولهم ما يدعون يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى كل ما يدعو اهل الجنة يأتيهم سلام قولا من رب رحيم
يعني يسلم الله عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم وقال
السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى
شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركاته عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة
من ربهم وقيل تدخل الملائكة على اهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم التكا
السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي اعتزلوا وانفردوا وتميزوا من
المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر في النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابد الابدين
لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم من بعض قوله عز وجل الم اعهد اليكم يا بني آدم يعني الم
آمركم واوصيكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان يعني لا تطيعوه فيما يوسوس لكم ويزين من معصية الله انه
لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وان اعبدوني اي اطيعوني ووحدوني هذا صراط مستقيم اي لا صراط اقوم منه قو
له تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا افلم تكونوا تعقلون يعني ما اتيح من هلاك الامم الماضية بطا
عة ابليس ويقول لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون يعني بها في الدنيا اصلوها اي ادخلوها
اليوم بما كنتم تكفرون وقوله عز وجل اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
معنى الاية ان الكفار يجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويحلفون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم
وتنطق جوارحهم ليعلموا ان اعضاءهم التي كانت عونا لهم على المعاصي صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار
الجوارح ابلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد
مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل م عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال
هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في رؤية الشمس عند
الظهيرة ليست في سحاب قالوا لا قال والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما قال
فيلقى العبد ربه فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقو الم
ل بلى يا رب فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول اي فل الم

الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول افظننت انك ملاقي فيقول
لا فيقول اليوم انساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل
واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول افظننت انك ملاقي فيقول اي رب امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت
وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ها هنا اذا قال ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك ويتفكر في
نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك
ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه قوله اي فل اي يا فلان قوله واسودك اي اجعلك
سيدا قوله واذرك اي واتركك قوله ترأس اي تتقدم على القوم بان تصير انت رئيسهم قوله وتربع اي تا
خذ المرباع وهو ما ياخذ رأس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروي وترتع بتاء بدل الباء تتنعم وتنبسط
من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه اي ليقوم الحجة عليه بشهادة اعضائه عليه م عن انس
قلت رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله
اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شا
هدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقول
لاركانه انطقي فتنطق باعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا اي هلاكا فعنكن
كنت اناضل قوله لا اجيز اي لا اقبل شاهدا علي وقوله بعدا لكن وسحقا اي هلاكا قوله فعنكن كنت اناضل اي
اجادل واخاصم قوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن
والمعنى لو نشاء لاعمينا اعينهم الظاهرة كما اعمينا قلوبهم فاستبقوا الصراط اي فبادروا الى الطريق فانى
يبصرون اي فكيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم والمعنى لو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم يترددون فكيف
يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس معناه لو نشاء لفقأنا اعين ضلالتهم واعميناهم عن غيهم وحولنا
ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم ولو نشاء لمسخناهم على
مكانتهم يعني ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا ارواح فيها فما استطاعوا
مضيا اي لا يقدرون ان يبرحوا ولا يرجعون الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع ومن نعمره
ننكسه في الخلق اي نرده الى ارذل العمر شبه الصبي في اول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها وننقصها
بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان في ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله
يتزايد وينتقل من حال الى حال الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى الى الغا
ية واستكمل النهاية رجع ينتقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك ننكسه قوله في الخلق افلا يعقلون فيعتبروا
ويعلموا ان الذي قدر على احوال الانسان قادر على البعث قوله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له قيل ا
ن كفار مكة قالوا محمد شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له
اي ما يتسهل له ذلك ولا يصح منه بحيث لو اراد نظم شعر لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يكتب لتكون الحجة
اثبت والشبهة ادحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر واذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما
روي عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت ۞ كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا ۞
فقال ابو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر : كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا : اشهد انك رسول الله هذا
حديث مرسل وروي عن عائشة رضي الله عنها وقيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر

صلى الله على سيدنا محمد و

قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول ويأتيك بالاخبار من لم تزود. اخرجه الترمذي. وفي رواية لغيره
ان عائشة سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر
ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل الا ببيت اخي بني قيس طرفة. ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا.
ويأتيك بالاخبار من لم تزود. فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار. فقال ابو بكر ليس هكذا
يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي. فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله
قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فعثر فدميت اصبعه فقال هل انت
الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا عيش الا عيش الاخرة. فاكرم المهاجرين والانصار. وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا النبي لا كذب. انا ابن عبد المطلب. قلت ما هو الا من كلام
الذي يرمي به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق ذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق في كثير من
انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلاما موزونا لا يدخل في وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد
المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من وزن الشعر قال تعالى ان هو الا ذكر ما هو الا ذكر مما
لمه تعالى يوعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على اساليب العرب ولا يدخل في بحوره وقرآن مبين اي انه
كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه الحدود والاحكام وبيان
الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين وافواه الشعراء الكذابين لتنذر اي يا محمد
وقرئ بالياء اي القرآن من كان حيا يعني مومنا حي القلب لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر ويحق القول اي
وتجب كلمة العذاب على الكافرين قوله عز وجل اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا اي تولينا خلقه بابداعنا له من غير
اعانة احد في انشائه كقول القائل عملته هذا بيدي اذا انفرد بعمله لم يشاركه فيه احد وقيل معناه بقوتنا وقدرتنا و
انما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لا يقدر عليها الا هو انعاما اي نعم الانعام بالذكور والاناث. كلها من خلق
الله وايجاده لان النعم اكثر اموال العرب والنفع بها اعم فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها وهم
يتصرفون فيها تصرف المالك وقيل معناه فهم ضابطون قاهرون ومنه قال بعضهم اصبحت لا احمل السلاح و
لا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبط راس البعير والمعنى لم يخلق الانعام وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها
بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم اي الابل ومنها ياكلون اي الغنم
ولهم فيها منافع ومشارب من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها ومشارب اي من البانها
افلا يشكرون رب هذه النعم واتخذوا من دون الله الهة يعني الاصنام لعلهم ينصرون اي لتمنعهم من عذاب
الله ولا يكون ذلك قط وهم لهم جند محضرون اي الكفار جند للاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي
لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يوتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه
الذين عبدوه وكه في الدنيا كانهم جند محضرون في النار فلا يحزنك قولهم يعني قول كفار مكة في تكذيبك انا نعلم ما يسرون
اي في ضمايرهم من التكذيب وما يعلنون اي من عبادة الاصنام وقيل وما يعلنون بالسنتهم من الاذى قوله تعالى
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة اي من نطفة قذرة خسيسة فاذا هو خصيم مبين اي جدل بالباطل بين الخصومة
والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة اصله لان يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره
البعث وكيف لا يتفكر في بدء خلقه وانه من نطفة ودع الخصومة نزلت في ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي

في لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم

لم

لا يستطيعون نصرهم وهم

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

صلى الله عليه وسلم في انكار البعث واتاه بعظم قد رم وبلي ففتته بيده فقال اترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله هذه الاية وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
اي بدء امره قال من يحيي العظام وهي رميم اي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا اي في انكار البعث بالعظم البالي حين
فتته وتعجب ممن يقول ان الله يحييه ونسي اول خلقه وانه مخلوق من نطفة قل يحييها الذي انشاها اول
مرة اي خلقها اول وابتدا خلقها وهو بكل خلق عليم اي من الابتداء والاعادة عليم اي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه مرة
شيء من خلق المبدا والمعاد الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحد
هما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن اراد النار قطع منهما غصنين مثل السوا
كين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول
العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر ذلك لان هاتين الشجرتين من اكثر الشجر نارا وقال الحكماء في
كل الشجر نار الا العناب فاذا انتم منه توقدون اي تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو اعظم من خلق
الانسان فقال عز وجل اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى اي هو قادر على ذلك وهو الخلاق
العليم اي يخلق خلقا بعد خلق العليم اي بجميع ما خلق انما امره اذا اراد شيئا اي احداث شيء وتكوينه ان يقول له كن
اي ان يكونه من غير توقف فيكون اي فيحدث ويوجد لا محالة فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء اي وهو مالك كل غير
شيء والمتصرف فيه واليه ترجعون اي تردون بعد الموت والله اعلم بمراده سورة والصافات مكية وهي
وهي مائة واثنتان وثمانون اية وثماني مائة وستون كلمة وثلاثة الاف وستة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والصافات صفا قال ابن عباس الملائكة يصفون كصفوف الخلق في
الدنيا للصلاة م عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما
تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة وي
تراصون في الصف لفظ ابي داود وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها في الهواء واقفة حتى يامرها الله
بما يريد وقيل اراد بالصافات الطير لقوله صافات اجنحتها في الهواء فالزاجرات زجرا يعني الملائكة تزجر
السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القران تنهى وتزجر عن القبيح فالتاليات ذكرا يعني الملائكة
يتلون ذكر الله وقيل هم قراء القران وهذا كله قسم اقسم الله بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار
تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى ان الهكم لواحد وذلك ان كفار
مكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم الله بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال
مراتبها وان الهكم واحد ردا على عبدة الاصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما يعني انه على
المالك القدير المنزه العالم عن الشريك وقوله ورب المشارق قيل اراد المشارق والمغارب فاكتفى بذكر ا
حدهما قال السدي المشارق ثلاثمائة وستون مشرقا وكذا المغارب فان الشمس تطلع في كل
يوم في مشرق وتغرب في مغرب فان قلت قد قال في موضع اخر رب المشرقين ورب المغربين وقال
رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الايات قلت اراد بالمشرق والمغرب الجهة
التي تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغ
رب الصيف ومغرب الشتاء والمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت فيه
عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب

قوله تعالى

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

ولهم عذاب واصب أي دائم إلا من خطف الخطفة أي اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة

قوله تعالى إنا زينا السماء الدنيا يعني التي تلي الأرض وهي أدنى السموات إلى الأرض بزينة الكواكب قال ابن عباس
بضوء الكواكب لأن الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت
شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها أشكالها المتشابهة والمختلفة في الشكل كشكل
الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل إن الإنسان إذا نظر في الليلة المظلمة إلى السماء ورأى هذه الكواكب
الزواهر مشرقة متلألئة على سطح أزرق فهو غاية الزينة وحفظا من كل شيطان مارد أي وحفظنا
السماء من كل شيطان متمرد يرمون بالشهاب لا يسمعون إلى الملإ الأعلى يعني إلى الملائكة والكتبة لأنهم
سكان السماء وذلك أن الشياطين يصعدون إلى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به
أولياءهم من الإنس ويوهمون بذلك أنهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله و
يقذفون يعني يرمون بها من كل جانب من آفاق السماء دحورا أي يبعدونهم عن مجالس الملائكة فأتبعهم إلى
الجو شهاب ثاقب أي مضيء قوي لا يخطئه بل يقتله أو يحرقه أو يخبله وقيل سمي النجم الذي يرمى به الشياطين
ثاقبا لأنه يثقبهم فإن قلت كيف يمكن أن تذهب الشياطين إلى حيث يعلمون أن الشهب تحرقهم ولا يصلون
إلى مقصدهم ثم يعودون إلى مثل ذلك قلت إنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم أنهم لا يصلون إليه طمعا في
السلامة ووجدان المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة قوله عز وجل فاستفتهم يعني سل
أهل مكة أهم أشد خلقا أم من خلقنا يعني من السموات والأرض والجبال وهو استفهام تقرير أي هذه الأشياء
أشد خلقا وقيل أم من خلقنا يعني من الأمم الخالية والمعنى أن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الأمم
وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مم خلقوا فقال تعالى إنا خلقناهم من طين لازب
يعني آدم من طين جيد حر لاصق لازم يعلق باليد وقيل من طين منتن بل عجبت قرئ بالضم على إسناد العجب
لتعجب إلى الله وليس هو كالتعجب من الآدميين لأن العجب من الناس محمول على إنكار الشيء وتعظيمه و
العجب من الله محمول على تلك الحالة فإن كانت قبيحة يترتب عليها العقاب وإن كانت حسنة يترتب عليها
الثواب وقيل قد يكون بمعنى الإنكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما جاء في الحديث عجب ربكم
من شاب ليست له صبوة وفي حديث عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم فقوله من الإل أي
أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال إن الله لا يعجب من شيء
ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وإن تعجب فعجب قولهم أي هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على أنه خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم أي عجبت من تكذيبهم إياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله
عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن أن كل من
يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا وعظوا
لا يتعظون وإذا رأوا آية قال ابن عباس يعني انشقاق القمر يستسخرون أي يستهزئون وقيل
يستدعي بعضهم بعضا إلى أن يسخر وقالوا إن هذا إلا سحر مبين أي بين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعو
ثون أو آباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون أي صاغرون فإنما هي زجرة واحدة أي صيحة واحدة وهي نفخة البعث
فإذا هم ينظرون يعني أحياء وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين يعني يوم الحساب والجزاء هذا يوم الفصل أي القضاء
وقيل بين المحسن والمسيء الذي كنتم به تكذبون أي في الدنيا احشروا الذين ظلموا أي أشركوا وقيل

اي ازواجهم

فهو عام في كل كافر وازواجهم اي اشباههم وامثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل
الزنى مع اهل الزنى وقيل ازواجهم اي قرناؤهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل
وازواجهم المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله اي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس
وجنوده فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس دلوهم الى طريق النار وقفوهم اي احبسوهم انهم مسئولون
لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للحساب قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم وروي عنه عن
لا اله الا الله وروي عن ابي برزة الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيا
مة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه و
عن جسمه فيما ابلاه وفي رواية وعن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي وله عن انس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى شيء الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لا يفارقه
وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون اي يقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم توبيخا
ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى بل هم اليوم
مستسلمون قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم اذلاء منقادون لا حيلة لهم واقبل
بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع يتساءلون يعني يتخاصمون قالوا يعني الاتباع للرؤساء انكم كنتم
تأتوننا عن اليمين اي من قبل الدين فتضلوننا عنه وتروننا ان الدين ما تضلوننا به قيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان
الدين الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم كنتم تحلفون لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين
اي عن القوة والقدرة والقول الاول اصح وما كان لنا عليكم من سلطان اي من قوة وقدرة فنقهركم على
متابعتنا بل كنتم قوما طاغين اي ضالين فحق علينا اي وجب علينا جميعا قول ربنا يعني كلمة العذاب وهي
قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين انا لذائقون اي ان الضال والمضل في النار قال الله تعالى فانهم يومئذ في العذاب مشتر
كون يعني الرؤساء والاتباع انا كذلك نفعل بالمجرمين قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين الله تعالى
انهم انما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا
الله يستكبرون اي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى ردا عليهم بل جاء بالحق وصدق المرسلين يعني انه اتى بما اتى به
المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي في الدنيا
من الشرك والتكذيب الا اي لكن وهو استثناء منقطع عباد الله المخلصين اي الموحدين اولئك لهم رزق معلو
م يعني بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ورائحة ولذة و
حسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى فواكه جمع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وكل
طعام يؤكل للتلذذ لا للقوة وقيل ان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوا
ت لان اجسادهم خلقت للابد فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ ثم اخبر ان ذلك حاصل مع [illegible] الاكرام والتعظيم
فقال وهم مكرمون اي بثواب الله ثم وصف مساكنهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين يعني لا يرى بعضهم
قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال يطاف عليهم بكأس من معين كل اناء فيه شراب يسمى كأسا واذا لم يكن
فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر: وكأس شربت على لذة :: ومن معين اي من خمر
جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون بيضاء اي الخمر في الجنة اشد بياضا من اللبن لذة اي لذيذة للشاربين لا فيها غول

اي لا تغتال

وونسه

متابعتنا

يعني الضال والمضل جميعا في النار فاغويناكم اي فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه انا كنا غاوين اي ضالين

الغول
أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا إثم فيها وقيل ولا وجع بطن ولا صداع وقيل لا فساد يلحق في خمر الدنيا
من تحصل منها أنواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقيء والحما
النخار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة ولا هم عنها ينزفون أي لا تغلبهم على عقولهم ولا
يسكرون وقيل معناه لا ينفذ شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال وعندهم قاصرات الطرف أي حابسات الأعين
غاضات الأجفان قصرن أعينهن على أزواجهن ولا ينظرن إلى غيرهم عين أي حسان الأعين عظامها
كأنهن بيض مكنون أي مصون مستور شبههن ببيض النعام لأنها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها
أبيض في صفرة ويقال هذا من أحسن الألوان وهو أن تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه النساء ببيض
النعام وتسميهن بيضات الخدور قوله عز وجل فأقبل بعضهم على بعض يعني أهل الجنة في الجنة يتساءلون أي يسأل
بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا قال قائل منهم أي من أهل الجنة إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث وقيل كان قرينه
شيطانا وقيل كان من الإنس وقيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قرطوس والآخر مؤمن اسمه
يهوذا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين أئنك لمن المصدقين
أي بالبعث أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون أي مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار قال الله تعالى
لأهل الجنة هل أنتم مطلعون أي إلى النار وقيل يقول المؤمن لإخوانه من أهل الجنة فهل أنتم مطلعون لننظر
كيف منزلة أخي في النار فيقولون أهل الجنة أنت أعرف به منا فاطلع أي المؤمن قال ابن عباس إن في الجنة كوى ينظر
منها أهلها إلى النار فرآه في سواء الجحيم أي رأى قرينه في وسط النار سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب
منه قال تالله إن كدت لتردين أي والله لقد كدت أن تهلكني وقيل تغويني ومن أغوى إنسانا فقد أرداه
وأهلكه ولولا نعمة ربي أي رحمة ربي وإنعامه علي بالإسلام لكنت من المحضرين أي معك في النار أفما نحن بميتين
إلا موتتنا الأولى أي في الدنيا وما نحن بمعذبين قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة
لهم لا فيقولون إن هذا لهو الفوز العظيم وإنما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله في أنهم لا يموتون ولا يعذبون عليهم
حين يخلدوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لأنهم قد علموا أنهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعاد
الكلام ليزدادوا بتكراره سرورا وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى لمثل
هذا أي المنزل والنعيم الذي ذكره في قوله أولئك لهم رزق معلوم فواكه فليعمل العاملون هذا ترغيب في ثواب
الله تعالى وما عنده بطاعته قال الله تعالى أذلك أي الذي ذكر لأهل الجنة من النعيم خير نزلا أي رزقا أم شجرة
الزقوم أي التي هي نزل أهل النار والزقوم ثمرة شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناو
لها فهم يتزقمونها على أشد كراهة وقيل هي شجرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر إنا جعلناها فتنة
للظالمين أي للكافرين وذلك أنهم قالوا كيف تكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد
قريش إن محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة أهل اليمن فأدخلهم أ
بو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال أبو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد
فقال الله تعالى إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم أي في قعر النار وأغصانها ترتفع إلى دركاتها طلعها أي ثمرها
سمي طلعا لطلوعه كأنه رؤوس الشياطين قال ابن عباس هم الشياطين بأعيانهم شبهها بهم
لقبحهم عند الناس فإن قلت قد شبهها بشيء لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت إنه قد استقر في
النفوس قبح الشياطين وإن لم تشاهد فكأنه قيل إن أقبح الأشياء في الأوهام والخيال رؤوس الشياطين فهذا

الشجرة شبهها في قبح المنظر والعرب اذا ارادت منظرا قبيحا قالت كانه راس شيطان قال امرؤ القيس ايقتلني
والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة
واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤوس الشياطين فشبهها بها وقيل اراد بالشياطين الحيات والعرب
تسمي الحيات القبيحة المنظر شيطانا فانهم لآكلون منها اي من ثمرها فمالئون منها البطون وذلك انهم
يكرهون على اكلها حتى تمتلئ بطونهم ثم ان لهم عليها لشوبا اي خلطا ومزاجا من حميم اي من ماء شديد
الحرارة يقال انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار شوبا له ثم
ان مرجعهم لالى الجحيم وذلك انهم يردون الى الجحيم بعد شراب الحميم انهم الفوا اي وجدوا آباءهم ضالين فهم
على آثارهم يهرعون اي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين اي من الامم الخالية
ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي وارسلنا فيهم رسلا منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي الكافرين وكان
عاقبتهم العذاب الا عباد الله المخلصين اي الموحدين فنجوا من العذاب والمعنى انظر كيف اهلكنا المنذرين
الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل ولقد نادانا نوح اي دعا ربه على قومه وقيل دعا ان ينجيه من الغرق
فلنعم المجيبون اي نحن دعانا فاجبناه واهلكنا قومه ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغم الذي لحق قومه
وهو الغرق وجعلنا ذريته هم الباقين يعني الناس كلهم من ذرية نوح قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات
من كان معه من الرجال والنساء الا اولاده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه و
سلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال سام وحام ويافث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب وفي رواية اخرى سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم وقيل سام ابو العرب وفا
رس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر وياجوج وماجوج وما هنالك وتركنا عليه في الاخرين
اي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة سلام على نوح في العالمين
اي سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا في الاخرين اي يصلى عليه الى يوم القيامة انا كذلك نجزي المحسنين
اي جزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الاخرين يعني الكفار
قوله عز وجل وان من شيعته اي من شيعة نوح لابراهيم يعني انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته اذ جاء
ربه بقلب سليم اي مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه
اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون استفهام توبيخ ائفكا آلهة دون الله تريدون اي اتافكون افكا وهو اسوأ
الكذب وتعبدون آلهة سوى الله فما ظنكم برب العالمين يعني اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا
يتعاطون فيتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها
غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على اصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون
بين ايديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه فقالوا لابرا
هيم الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس اي مطعون وكانوا يفر
ون من الطاعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه ساسقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في
سورة الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فتو
لوا عنه مدبرين اي الى عيدهم فدخل ابراهيم على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى فراغ اي مال الى آلهتهم مقبلة

بالخفية فقال

في خفية فقال للاصنام استهزاء بهم الا تاكلون يعني الطعام الذي بين ايديكم ما لكم لا تنطقون فراغ اي
مال عليهم ضربا باليمين اي ضربهم بيده اليمنى لانها اقوى من الشمال في العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم
وقيل اراد باليمين القسم وقوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابرهيم يزفون اي يسرعون وذلك انهم اخبروا
بصنع ابرهيم بالهتهم فاسرعوا اليه لياخذوه قال لهم ابرهيم على وجه الحجاج اتعبدون ما تنحتون بايديكم
من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وما عملكم وقيل وخلق الذي تعملونه بايديكم من الاصنام وفي الاية دليل على
ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله
في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤوه من الحطب واوقدوا فيه النار وطرحوه فيه وهو قوله فارادوا
به كيدا اي شرا وهو ان يحرقوه فجعلناهم الاسفلين اي المقهورين حيث سلم الله ابرهيم ورد كيدهم وقال
يعني ابرهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين اي مهاجر الى ربي واهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار سيهدين
الى حيث امرني بالمصير اليه وهو ارض الشام فلما قدم الارض المقدسة سال ربه الولد فقال رب هب لي
من الصالحين اي هب لي ولدا صالحا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام في صغره حليم في كبره وفيه بشارة انه ابن
وانه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم قوله تعالى فلما بلغ معه السعي قال ابن عباس يعني المشي معه
الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم والمعنى انبلغ ان ينصرف معه ويعينه في عمله وقيل
السعي العمل لله وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين قال يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك قيل انه لم يره في منامه انه ذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل راى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا
الانبياء حق واذا امروا بشيء فعلوه واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي امر ابرهيم بذبحه على
قولين مع اتفاق اهل الكتابين على انه اسحاق واليه ذهب جماعة من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس
ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري
والسدي واختلفت الرواية عن ابن عباس فروي عنه انه اسحاق وروي عنه انه اسماعيل ومن ذهب الى انه اسحاق
قال كانت هذه القصة بالشام وروي عن سعيد بن جبير قال ان ابراهيم ذبح اسحاق في المنام وهو بالشام فسار به
مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر من منى فلما امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة
شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثاني انه اسماعيل واليه ذهب عبد الله بن
سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي و
الكلبي ورواية عطاء بن ابي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسماعيل وكلا القولين يروى
عن رسول الله صلى الله عليه واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحاق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه
السعي امر بذبح من بشر به وليس في القران انه بشر بولد سوى اسحاق كما قال تعالى في سورة هود فبشرناها
وقوله وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين عقب البشارة بعد قصة الذبح يدل على انه بشر بالنبوة
لما تحمل من الشدائد في قصة الذبح فثبت بما ذكرناه اول الاية واحتج ما يدل على ان اسحق
هو الذبيح وبما ذكر ايضا من كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل
الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسماعيل
بان الله ذكر البشارة باسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال الله تعالى وبشرناه باسحاق
نبيا من الصالحين دل على ان المذبوح غيره وايضا فان الله تعالى قال في سورة هود

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم الله

فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده بنافلة منه وهو يعقوب بعده ووصف إسماعيل
عليه السلام بالصبر دون إسحاق في قوله وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد
في قوله إنه كان صادق الوعد لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به قاله وقال القرطبي سأل رجل عمر بن
عبد العزيز رجلا من علماء اليهود كان أسلم وحسن إسلامه أي ابني إبراهيم أمره الله بذبحه فقال إسماعيل ثم قال
يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب أن يكون أباكم هو الذي أمر الله بذبحه
ويدعون أنه إسحاق أباهم ومن الدليل أيضا أن قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق
البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان أول الإ
سلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد وحش يعني يبس وقال الأصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن ال بمكة
ذبيح إسحاق كان أو إسماعيل فقال يا أصمعي أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة إنما كان إسماعيل وهو الذي بنى البيت
مع أبيه ذكر الإشارة إلى قصة الذبح قال العلماء بالسير وأخبار الماضين لما دعا إبراهيم ربه قال رب هب لي من الصالحين و
بشرته الملائكة قال إذا هو لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب في أمر الله أباه بالذبح وقال لإسحاق
انطلق نقرب لله قربانا فأخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا
بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر قال محمد بن إسحاق وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذا
زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى
إذا بلغ إسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجا ما كان يؤمل فيه من عبادة الله وتعظيم حرماته أمر في المنام بذبحه وذ
لك ليلة التروية كأن قائلا قال له إن الله يأمرك بذبح ولدك هذا فلما أصبح روى في نفسه أي فكر من الصباح إلى الرواح
أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانيا فلما أصبح
عرف أن ذلك من الله فسمي ذلك اليوم يوم عرفة قال مقاتل ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما تيقن ذلك عزم على نحره فسمي ذلك
اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى من الرأي على و
جه المشاورة فإن قلت لم شاوره في أمر قد علم أنه حتم من الله ما الحكمة في ذلك قلت لم يشاوره ليرجع إلى رأيه وإ
نما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزيمته على طاعته وليثبت قد
مه ويصبره إن جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد إلى
أمر الله قبل نزوله فإن قلت لم كان ذلك في المنام دون اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت إن هذا الأمر كان في نهاية المشقة
على الذابح والمذبوح فورد في المنام على التوطئة له ثم يتأكد حال النوم بأحوال اليقظة وإذا تظاهرت الحالتان كان ذ
لك أقوى في الحجة للأمر وباب الأنبياء حق يا أبت افعل ما تؤمر أي الغلام لأبيه افعل ما تؤمر به قال ابن إسحاق قال
إسحاق وغيره لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية فننطلق إلى هذا الشعب نحتطب فلما خلا إبراهيم بابنه
في الشعب أخبره بما أمر الله به فقال افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين إنما علق ذلك بمشيئة
الله تعالى على سبيل التبرك وأنه لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيقه
فلما أسلما أي انقادا وخضعا لأمر الله وذلك إبراهيم استسلم وأسلم الابن نفسه وتله للجبين أي صرعه على الأرض
قال ابن عباس أضجعه على جنبه على الأرض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني واستحد
ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص أجري وتراه أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين على حلقي
ليكون أهون علي فإن الموت شديد وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل

فإنه عسى

فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون انت يا بني على أمر
الله فجعل ابراهيم ما امر به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم انه
وضع السكين على حلقه فلم يحز شيئا قيل انه شحذها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك
لا يستطيع ان يقطع شيئا قيل ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه وقال الابن في الثالثة
وهو معنى الحديد على الالة قال يا ابت افعل الان عندي لك يا ابت حسنة لو جعلتني على جبيني
فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله وانا لا
انظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ذلك ابراهيم عليه السلام ثم وضع السكين على قفاه
فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروي عن كعب الاحبار وابن اسحاق عن رجاله
قالوا لما اري ابراهيم ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم افتن عند هذا آل ابراهيم لا افتن احدا منهم
ابدا فتمثل الشيطان في صورة رجل واتى ام الغلام فقال لها اتدرين اين يذهب ابراهيم بابنك
قالت ذهب به يحتطبان من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو
ارحم به واشد حبا له من ذلك قال انه يزعم ان الله امره بذلك قالت ان كان ربه امره بذلك فقد
احسن ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه فقال له يا غلام
هل تدري اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال والله ما يريد الا ان
يذبحك قال ولم قال ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع
الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله
اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه السلام
فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه ولم يصب من
ابراهيم وآله شيئا مما اراد وامتنعوا منه بعون الله عز وجل وروي عن ابن عباس ان ابراهيم
عليه السلام لما امر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه ابراهيم فسبقه
ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى
ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ثم عرض له عند الجمرة
الكبرى فرماه بسبع حصيات ثم مضى ابراهيم لامر الله عز وجل وهو قوله فلما اسلما
وتله للجبين وناديناه فنودي من الجبل ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا اي حصل المقصود
من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله وكذلك الولد فان قلت
كيف قال صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها لو حصل منه الذبح
قلت جعله مصدقا لانه قد بذل وسعه ومجهوده واتى بما امكنه وفعل ما يفعله
الذابح وقد حصل المطلوب وهو استسلامهما لامر الله تعالى انتهى كلامه الى ذلك وقيل
لك قال صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين يعني جزاهما الله احسن ما نجزي به عنه
العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين
في طاعتنا ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه وفديناه
بذبح عظيم قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش املح اقرن فقال هذا

اللهم صل على محمد وعلى آله وسلم تسليما

يده ابنك فاذبحه دونه فعبر ابرهيم وانزل به الفدى من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا
رعى في الجنة اربعين خريفا قال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابرهيم هو الذي قربه ابن آدم قيل حق له ان يكون عظيما
وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيما لانه من عند الله وقيل في الثواب وقيل في الجثة والسمنة وقال الحسن ما فدي
اسماعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير وتركنا عليه في الاخرين اي تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده سلام
على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله عز وجل وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين اي
بوجود اسحاق وهذا على قول من يقول ان الذبيح اسماعيل ومعناه انه بشره باسحاق بعد هذه القصة جزاء لها
اسحاق عنه وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحاق قال معنى الاول بشرناه بنبوته وكذا روي عن ابن عباس قال بشر به مرتين
حين ولد وحين نبئ وباركنا عليه اي على ابرهيم واولاده وعلى اسحاق اي بكون اكثر الانبياء من نسله ومن
ذريتهما محسن اي مومن وظالم لنفسه اي كافر مبين اي ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل
الاب فضيلة الابن قوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهارون اي انعمنا عليهما بالنبوءة والرسالة ونجيناهما
وقومهما يعني بني اسرائيل من الكرب العظيم يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق
ونصرناهم يعني موسى وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين اي على القبط وآتيناهما الكتاب يعني التوراة اي
المستبين اي المستنير وهديناهما الصراط المستقيم اي دللناهما على طريق الحق وتركنا عليهما في الاخرين اي الثناء
الحسن سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين قوله عز وجل وان
الياس لمن المرسلين روي عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه وقال اكثر المفسرين هو نبي
من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو عم اليسع وقال محمد بن اسحاق هو الياس بن بشير بن فنحاص بن عيزار بن هارون
ابن عمران ذكر اهل الاشارة الرفقة قال محمد بن اسحاق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي
عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون
الله فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء يبعثون من بعد موسى في بني اسرائيل بتجديد ما
نسوا من احكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمه
بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد اضل
قومه واجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه وكان اسمه
بعلا وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه وكان الشيطان يدخل في جوف
بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس يد
عوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يومنون به الا ما كان من امر الملك فانه امن به وصدقه
فكان الياس يقوم بامره ويامره ويسدده ويرشده وكان للملك امراة جبارة وكان يستخلفها على ملكه
اذا غاب فتغضب من رجل مومن كانت له جنينة يعيش منها وقتلته فبلغ ذلك فبعث الله تعالى الياس الى الملك وقومه
وامرهم ان يخبرهم ان الله قد غضب لوليه حين قتلوه ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنعهما ويردا
الجنينة على ورثة المقتول ان يهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقيين فيها ولا يتمتعان بها الا
قليلا فجاء الياس واخبر الملك بما اوحى الله في امره وامراته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه
عليه وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعو اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس
بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق هذا الجبل وكان ياوي الى

الى الشعاب

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

10

الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خايفا مستخفيا ياكل من نبات الارض وثمر الشجر وهم في
طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكن الكهوف في الجبال وطال عصيان
قومه وطال ذلك ضاق بذلك ذرعا فاوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خايف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي
انت فيه الست اميني على وحيي وحجتي في ارضي وصفوتي من خلقي فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم فا
ايارب تميتني وتلحقني بآبايي فاني قد مللت بني اسرايل وملوني فاوحى الله اليه يا الياس ما هذا باليوم ا
لذي اعري منه الارض واهلها وانما صلاحها وقوامها بكم واشباهكم وان كنتم قليلا ولكن سلني فاعطيك
قال الياس ان لم تمتني فاعطني ثاري من بني اسرايل قال الله عز وجل واي شي تريد ان اعطيك قال تملكني خزاين
السماء سبع سنين فلا تنشا عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي فانه لا يذلهم الا
ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فستة سنين قال انا ارحم بخلقي من
ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك ولاكني اعطيك ثارك ثلاثة سنين اجعل خزاين المطر بيدك
قال الياس فباي شي اعيش يا رب قال اسخر لك جيشا من الطير تنقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التي فال السحي لك
لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله تعالى عليهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد
الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك فقال
ابن عباس اصاب بنو اسرايل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها عندك طعام قالت نعم شي من دقيق
وزيت قليل فدعا بهما ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملا جرابها دقيقا وملا خوابيها زيتا فلما راوا ذلك عندها
قالوا لها من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبو
ه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت امراة من بني اسرايل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضر فاوته و
اخفت امره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس فامن به وصدقه ولزمه وذهب معه
حيث ما ذهب وكان الياس قد كبر واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من
الخلق ممن لم يعص من البهايم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يا رب دعني اكون
انا الذي ادعو لهم وانبيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعوا عما هم فيه ويتركوا عبادة غيرك فقيل
له نعم فجاء الياس الى بني اسرايل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهايم والدواب والطير والهوام
والشجر بخطاياكم وانكم على باطل وان كنتم ~~تعلمو ذلك~~ تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا اصنامكم فان
استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرج عنكم ما انتم
فيه من البلاء فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما هم فيه من البلاء فقالوا لالياس
انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم
ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الافاق ثم ارسل الله عليهم المطر فاغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله
عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما راى ذلك الياس
دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شي
فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي امر به اقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار
حتى وقف بين يديه الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تامرني فقذف اليه الياس
بكسايه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرايل وكان ذلك اخر العهد به

به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا ار
ضيا سماويا وسلط الله على اوجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم
وقتل اوجب وامرأته في الجنينة التي اغتصبها امرأته اهلكا من ذلك المومن ولم تزل جثتاهما ملقاتين جثتاهما اي زبيل
في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبا الله اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرائيل واوحى
الله اليه وايده فامنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم فيهم قائم بالصواب الى ان قبض اليسع وروى
السدي عن عبد العزيز بن ابي رواد ان الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان
الموسم في كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار وذلك قوله تعالى وان الياس لمن
المرسلين اتدعون بعلا يعني اتدعون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك
قيل البعل الرب بلغة اهل اليمن وتذرون اي تتركون عبادة احسن الخالقين فلا تعبدونه الله ربكم ورب اباءكم
الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون اي في النار الا عباد الله المخلصين اي من قومه الذين امنوا به فا
نهم نجوا من العذاب وتركنا عليه في الاخرين سلام على الياسين قرئ الياسين بالقطع قيل اراد الياس و
قيل ال القران لانه يسمون اهل القران وقيه بعد الياسين بالوصل فمعناه ومن تبعه الياس من المومنين
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله عز وجل وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله ا
جمعين الا عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب ثم دمرنا الاخرين وانكم اي يا اهل مكة لتمرون عليهم اي على اي اهلنا
اثارهم ومنازلهم مصبحين اي وقت الصباح وبالليل اي وفي الليل اي في اسفاركم افلا تعقلون اي فتعتبرون
بهم قوله عز وجل وان يونس لمن المرسلين اي من جملة رسل الله اذ ابق اي هرب الى الفلك المشحون اي
المملو قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر
فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ها هنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت على
يونس فاقترعوا ثلاثا فوقع على يونس فقال انا الابق وزج نفسه في الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه
امرأته وابنان له فجاء مركب واراد ان يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب
وذهب المركب وجاءت موجة اخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذيب فاخذ الابن الاصغر فبقي فريدا فجاء مركب
اخر فركبه فقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة في البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل
وقوف السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد
خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله فساهم اي فقارع فكان من المدحضين يعني
من المقترعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة يونس والانبياء فالتقمه الحوت اي ابتلعه وهو مليم
اي اتى بما يلام عليه فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه اي من الذاكرين لله قبل وكان كثير الذكر وقال ابن عبا
س من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وقيل
شكر الله له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذا
كرا الله فلما وقع في الشدة في بطن الحوت شكر الله له ذلك فقال الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في
بطنه الى يوم يبعثون وقيل انه يسبح في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون اي لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة قوله تعالى فنبذناه اي طرحناه
انما اضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان افعال العباد مخلوقة لله تعالى بالعراء اي بالارض الخالية

من الشجر

عن الشجر والنبات وقيل بالساحل وهو سقيم أي عليل كالفرخ الممعوط وقيل قد بلي لحمه ورق عظمه و
لم تبق له قوة قيل إنه لم يلبث في بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل التقمه
ضحى ولفظه عشيا وأنبتنا عليه شجرة من يقطين يعني القرع قيل كل نبات يمتد وينبسط على وجه الأر
ض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله ولم تكن قبل ذلك وكانت معرشة ليحصل له
الظل وفي شجر القرع فائدة وهي أن الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بالشجرة ولو
كانت منبسطة على وجه الأرض لم يمكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من
لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة
وأصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكي فأرسل الله جبريل وقال أتحزن على الشجرة ولا تحزن
على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا وأرسلناه إلى مائة ألف قيل أرسله إلى أهل نينوى من أرض
الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه إلى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر أن يرجع إليهم
ثانيا وقيل كان إرساله إليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون إرساله إلى قوم آخرين غير
القوم الأولين أو يزيدون قال ابن عباس ومعناه بل يزيدون وقيل أو بمعنى الواو والمعنى ويزيدون وفي
نفع بين الوايين إذ أنهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على قالتذ على تقدير المخلوقين والأصح هو قو
ل ابن عباس الأول وأما الزيادة فقال ابن عباس كانت عشرين ألفا يعضده ما روي عن أبي بن كعب
قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون
عشرين ألفا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا
فآمنوا يعني الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب فمتعناهم إلى حين إلى انقضاء آجالهم قوله
عز وجل فاستفتهم أي فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ ألربك البنات ولهم البنون وذلك أن جهينة
وبني سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنون وذلك باطل
لأن العرب كانوا يستنكفون من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كيف ينسبونه للخالق
أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون أي حاضرون خلقنا إياهم ألا إنهم من إفكهم أي من كذبهم ليقولون ولد الله
في زعمهم وإنهم لكاذبون أي فيما زعموا أصطفى البنات أي زعمكم على البنين وهو استفهام وتوبيخ ما لكم
كيف تحكمون أي بالبنات لله ولكم البنون أفلا تذكرون أي تتعظون أم لكم سلطان مبين أي برهان بين على
أن لله ولدا فأتوا بكتابكم أي الذي لكم فيه حجة إن كنتم صادقين أي في قولكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قيل
أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار وقال ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم
إبليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب أنهم أشركوا
وأنهم أشركوا الشيطان في عبادة الله وقيل هو قول الزنادقة الذين يقولون الخير من الله والشر من الشيطا
ن ولقد علمت الجنة إنهم يعني قائلي هذا القول إنهم لمحضرون أي في النار سبحان الله عما يصفون نزه نفسه
عما يقولون إلا عباد الله المخلصين هذا استثناء من المحضرين والمعنى أنهم لا يحضرون فإنكم يعني يا أهل مكة
وما تعبدون أي من الأصنام ما أنتم عليه أي على ما تعبدون بفاتنين أي بمضلين أحدا إلا من هو صال الجحيم
أي إلا من سبق له في علم الله الشقاوة أنه سيدخل النار قوله عز وجل وما منا إلا له مقام معلوم قال جبريل
قال النبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة ملك إلا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس

وعلة وهي العنز
ذلك
توبيخ
وقالوا
ان

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

قال

ما في السموات موضع شبر إلا وله ملك يصلي ويسبح وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أطت السماء
وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذي
وهو طرف من حديث قيل الأطيط أصوات الأقتاب وقيل أصوات الإبل وحنينها ومعنى الحديث ما في السماء
من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثم أطيط وقيل معنى إلا له مقام
أي في القربة يعني الملائكة يصفون أقدامهم في عبادة الله والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفات كا
لخوف والرجاء والمحبة والرضى وإنا لنحن الصافون يعني الملائكة يصفون أقدامهم في عبادة الله تعالى كصفوف
الناس في الصلاة في الأرض وإنا لنحن المسبحون أي المصلون لله تعالى وقيل المنزهون الله عن كل شيء يخبر جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار
قوله تعالى وجل وإن كانوا ليقولون يعني كفار مكة قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم لو أن عندنا ذكرا مثل قاب
من الأولين يعني كتابا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين أي لأخلصنا العبادة لله فكفروا به أي فلما
نبيهم الكفروا فسوف يعلمون فيه تهديد لهم قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الكتاب
يعني تقدم وعدنا للعباد المرسلين بنصرهم إنهم لهم المنصورون أي بالحجة البالغة وإن جندنا أي
حزبنا المؤمنين لهم الغالبون أي لهم النصرة في العاقبة فتول أي أعرض عنهم حتى حين قال ابن عباس يعني
الموت وقيل إلى يوم بدر وقيل حتى نأمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل إلى أن يأتيهم العذاب
وأبصرهم أي إذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون أي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل
أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل يعني العذاب بساحتهم أي بحضرتهم وقيل بفنائهم فساء صباح المنذرين
أي فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا بالعذاب عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها
ثلاث مرات ثم ذكر ما تقدم تأكيدا لوعد العذاب فقال تعالى وتول عنهم حتى حين وقيل المراد من الآية الأولى
أحوالهم في الدنيا وهذه ذكر أحوالهم في الآخرة فعلى هذا يزول التكرار وأبصر أي العذاب إذا نزل بهم فسوف
يبصرون ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحان ربك رب العزة أي الغلبة والقوة وفيه إشارة إلى كمال القدرة
وأنه القادر على جميع الحوادث عما يصفون أي من اتخاذ الشركاء والأولاد وسلام على المرسلين أي الذين
بلغوا عن الله تعالى التوحيد والشرائع لأن أعلى مراتب البشر أن يكون عالما والحمد لله رب العالمين أي على
هلاك الأعداء ونصر الأنبياء وقيل الغرض منه تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي
عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن
آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين والله أعلم بمراده وأسرار كتابه تفسير سورة ص ويقال لها سورة داود عليه
السلام وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبع مائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف قوله عز وجل
وسبع وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم ص قيل هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل مفتاح اسم الله
اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم
بل الذين كفروا ~~وقيل بل الذين كفروا في موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا~~
~~وقيل بل الذين كفروا~~ في عزة وشقاق والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه إن كل إلا كذب الرسل وقيل

جوابه والقرآن

والقرآن ذي الذكر قال ابن عباس ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل جوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص
أقسم الله بالقرآن أن محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف وتقديره والقرآن
ذي الذكر ما الأمر كما تقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله تعالى بل الذين كفروا وقيل بل الذين
كفروا في موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا في عزة وشقاق والقرآن ذي الذكر
وقيل جوابه إن كل إلا كذب الرسل وقيل جوابه إن هذا لرزقنا وقيل إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف
لأنه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز
الآية أن الله تعالى أقسم بص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة في عزة أي حمية وجاهلية
وتكبر عن الحق في شقاق أي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم كم أهلكنا من قبلهم من قرن يعني من الأمم
الماضية فنادوا أي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة ولات حين مناص أي ليس حين فرار وتأخير قال
ابن عباس كان كفار مكة إذا قاتلوا واضطربوا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم
فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فأنزل الله تعالى ولات حين مناص أي ليس حين هذا القول و
عجبوا يعني كفار مكة أن جاءهم منذر منهم يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم وقال الكافرون هذا ساحر
كذاب قوله عز وجل أجعل الآلهة إلها واحدا وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أسلم شق ذلك
على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملإ من قريش وهم الصناديد والأشراف وكانوا
خمسة وعشرين رجلا أكبرهم الوليد بن المغيرة امشوا إلى أبي طالب فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا
وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وإنا أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فأرسل إليه أبو طالب فدعاه فلما
أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها و
عشر أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا إله إلا الله فنفروا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا فكيف
يسع الخلق إله واحد إن هذا لشيء عجاب أي عجيب وانطلق الملأ منهم أي من مجلسهم الذي كانوا فيه
عند أبي طالب أن امشوا أي يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة
آلهتكم إن هذا لشيء يراد أي لأمر يراد بنا وذلك أن عمر لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا
هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد بأهل الأرض وقيل يراد محمد
صلى الله عليه وسلم أن يملك علينا ما سمعنا بهذا أي الذي يقول محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد
في الملة الآخرة قال ابن عباس يعنون النصرانية لأنها آخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة
وقيل يعنون ملة قريش ودينهم الذي هم عليه إن هذا إلا اختلاق أي كذب وافتعال أأنزل عليه الذكر
أي القرآن من بيننا أي يقول أهل مكة ليس هو بأكبرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى بل هم في شك من ذكري
أي وحيي وما أنزلت بل لما يذوقوا عذاب أي لو ذاقوا العذاب لما قالوا هذا القول أم عندهم خزائن رحمة ربك يعني مفاتيح
النبوة يعطونها من شاؤوا العزيز في ملكه الوهاب أي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم أم
لهم ملك السموات والأرض وما بينهما أي ليس لهم ذلك فليرتقوا في الأسباب يعني إن ادعوا شيئا من
تلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز جند ما هنالك أي هؤلاء الذين

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

يقولون بهذا القول جند ما هنالك مهزوم له مغلوب من الأحزاب يعني أن قريشا من جملة الأجناد الذين اجتمعوا
وتحزبوا على الأنبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنه سيهزم
جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك إشارة إلى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى
الله عليه وسلم كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل والملك
الشديد الثابت والعرب تقول هم في عز ثابت الأوتاد وأصل هذا أن بيوتهم تثبت بالأوتاد وقيل ذو القوة والبطش
وفي رواية عن ابن عباس ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني أنهم يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء
وسميت الأجناد أوتادا لكثرة المضارب التي يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وقيل الأوتاد جمع
وتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها وكان إذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف
منه على وتد ويتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وأرسان وملاعب
يلعب عليها بين يديه وثمود وقوم لوط وأصحاب ليكة أولئك الأحزاب الذين تحزبوا على الأنبياء فأعلم
الله تعالى أن مشركي قريش حزب من أولئك الأحزاب إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب يعني أولئك
الطوائف والأمم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين
إذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف لسامعيها وما ينظر أي ينتظر هؤلاء يعني كفار قريش إلا صيحة
واحدة ما لها من فواق أي رجوع والمعنى أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم لم ترد ولم تصرف وقالوا ربنا
عجل لنا قطنا أي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحارث استعجالا منه
بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي أحصت كل شيء قيل لما نزلت في الحاقة فأما من أوتي
كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب وقيل قطنا
أي حسابنا يقال للكتاب الحساب قط وقيل القط الكتاب بالجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم
اصبر على ما يقولون أي على ما يقول الكفار من تكذيبك واذكر عبدنا داوود ذا الأيد قال ابن عباس أي القوة
في العبادة وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحب الصيام إلى الله تعالى
صيام داوود وأحب الصلاة إلى الله صلاة داوود يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه وقيل معناه ذو القوة في الملك إنه أواب أي رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره و
قال ابن عباس مطيع لله وقيل مسبح بلغة الحبشة إنا سخرنا الجبال معه يسبحن أي بتسبيحه إذا سبح بالعشي
والإشراق أي غدوة وعشية والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى
روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والإشراق قال كنت أمر بهذه الآية لا أدري ما هي حتى
حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ
ثم صلى الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق قلت والذي في الصحيحين من حديث أم هانئ في صلاة
الضحى قالت أم هانئ ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب
فسلمت عليه فقال من هذه فقلت أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا بأم هانئ فلما فرغ من غسله قام
فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب قالت أم هانئ وذلك ضحى عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ما حدثنا أحد
أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل فصلى ثماني ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها
غير أنه يتم الركوع والسجود وقوله تعالى والطير أي وسخرنا له الطير محشورة أي مجموعة إليه تسبح معه كل

له أواب

له أواب أي رجاع إلى طاعته مطيع له بالتسبيح معه **وشددنا ملكه** أي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس
كان أشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وعن ابن عباس أن رجلا
من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود فقال إن هذا اغتصبني بقرا فسأله داود
فجحد فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل
الذي استعدي عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتثبت فأوحى إليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى إليه
الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل إليه داود أن الله أمرني أن أقتلك فقال الرجل أتقتلني بغير بينة فقال نعم
فقال لا تعجل حتى أخبرك والله ما أخذت بهذا ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك أخذت فأمر به داود فقتل
فاشتدت هيبته في بني إسرائيل عند ذلك لداود به ملكه فذلك وشددنا ملكه **وآتيناه الحكمة** يعني
النبوة والإصابة في الأمور **وفصل الخطاب** قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والبصر با
لقضاء وقال علي بن أبي طالب هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به
وقال أبي بن كعب الشهود والأيمان وقيل إن فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه أما
بعد إذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله داود عليه السلام قوله عز وجل **وهل أتيك** أي وقد أتيك
يا محمد **نبأ الخصم** أي خبر الخصم فاستمع له نقصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من
الأخبار العجيبة والتشويق إلى استماعه والخصم الخصماء يقع على الجمع والواحد **إذ تسوروا المحراب** أي
صعدوا إلى المحراب من سوره وهو أعلاه وفي الآية **قصة امتحان داود** عليه السلام واختلف العلماء
بأخبار الأنبياء في سبب ذلك ولنذكر ما قاله المفسرون ثم نتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه السلام
عما لا يليق بمنصبه لأن منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها ولا ينسب إليها إلا ما يليق بها فأما ما قاله
المفسرون أن داود عليه السلام تمنى يوما من الأيام منزلة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذلك أنه قد قسم
الدهر ثلاثة أيام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ويوم لنسائه وأشغاله وكان يجد
فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب **فقال** يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين
كانوا قبلي فأوحى الله إليه أنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلي إبراهيم بنمرود وذبح ابنه
وابتلي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف فقال رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم
صبرت أيضا فأوحى الله إليه أنك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذي وعد الله فيه
دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان فتصور له في صورة
حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها
فمد يده إليها ليأخذها ويريها ابنا له من بني إسرائيل لينظروا إلى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من
غير أن يؤيسه من نفسها فامتد داود إليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة
فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة في بستان على شط
بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت
منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك إعجابا بها فسأل عنها فقيل هي تشايع
بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود إلى أيوب
أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

على يديه او يستشهد فيقتل فيفتح له فيكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا فبعثه ففتح له
فكتب الى داود بذلك فبعث اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه باسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما
انقضت عدة المراة تزوجها داود فهي ام سليمان عليه السلام وقيل انما ذنب داود انه احب ان يقتل اوريا فيتزوج امراته فهذا
كان ذنبه. قال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امراته وقد اغناه الله عنها بما
اعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان داود عليه السلام انه قسم الدهر اجزاء يوم لنسائه ويوم للعبادة
ويوم يقضي فيه بين الناس يعني اسرائيل ويوم لبني اسرائيل يذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرائيل
ذكروا فقالوا هل ياتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك وقيل
انهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود في نفسه انه ان ابتلي بقي لك اعتصم فلما كان يوم عبادته اغلق عليه الابواب و
امر ان لا يدخل عليه احد واكب على قراءة الزبور فبينما هو يقرا اذ جاءت عليه حمامة وذكر نحو ما تقدم
فلما دخل بالمراة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله الملكين اليه وقيل ان داود حاز الجهد في العبادة
حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استانس بهم قال اخبروني باي شيء انتم
موكلون قالوا نكتب صالح عملك ونوفقك ونصرف عنك السوء فقال في نفسه ليت شعري كيف اكون لو خلوني
ونفسي. وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله الى الملكين ان يعتزلاه ليعلم انه
لا غنى به عن الله تعالى فلما فقدهما جد واجتهد في العبادة الى ان ظن انه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى
ان يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل قال داود لبني اسرائيل
لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي وقيل انه اعجبه عمله فابتلي فبعث الله اليه ملكين في صورة رجلين و
ذلك في يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فما شعر الا وهما
بين يديه جالسين وهو يصلي يقال كان جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل اتيك نبؤا الخصم اذ
تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم اي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه
فقال لهما ما ادخلكما علي قالوا لا تخف خصمان اي نحن خصمان بغى بعضنا على بعض اي تعدى وظلم
بعض على بعض وخرج على الحد جئناك لتقضي بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين كيف يتصور البغي منهما
والملائكة لا يبغي بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من احدهما
والمعنى رايت خصمان بغى احدهما على الاخر فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي ولا تجر في حكمك واهدنا الى سواء
الصراط اي ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما ان هذا اخي اي على ديني
وطريقتي لا من جهة النسب له تسع وتسعون نعجة يعني امراة ولي نعجة واحدة اي امراة واحدة والعرب تكني
بالنعجة عن المراة وهذا على سبيل التعريض والتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي فقال
اكفلنيها قال ابن عباس اعطنيها وقيل معناه انزل عنها وضمها الي واجعلني كافلها والمعنى
طلقها لاتزوجها وعزني في الخطاب يعني غلبني وقهرني في القول لانه افصح مني في الكلام وان حارب كان
ابطش مني لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له علي لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله
تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المراة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امراة ولاوريا
امراة واحدة فضمها داود الى نسائه قال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه اي ليضمها الى نعاجه فان
قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الاخر قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل

انما قال ذلك

صلى الله على سيدنا محمد وسلم وعلى آله

وقيل انما قال ذلك بعد ما اعترف صاحبه بما يقول وان كثيرا من الخلطاء اي الشركاء ليبغي بعضهم على بعض اي
ليظلم بعضهم بعضا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يظلمون احدا وقليل ما هم اي هم قليل وما صلة
والمعنى ان الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر احدهما الى صاحبه وضحك وصعد الى
السماء فعلم داود ان الله ابتلاه وكذلك قوله تعالى وظن داود اي ايقن وعلم انما فتناه اي ابتليناه و
امتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا في صورتهما وعرجا وهما
يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انما عني به وروى الثعلبي باسناده عن انس بن مالك رضي
الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي عليه السلام حين نظر الى المراة فاهم قطع على بني
اسرائيل واوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به
ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او يهزم الجيش فقتل زوج المراة ونزل الملكان يقصان عليه قصته
ففطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت العشب من دموعه على راسه واكلت الارض
من جبينه وهو يقول رب زل داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه
جعلت ذنبه حديثا في الخلوف من بعده فجاء جبريل عليه السلام من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله عز وجل
يقرئك السلام وقد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود الرب قادر على ان يغفر لي الهم الذي هممت به
وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سالته
ربك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله ثم نزل جبريل فقال سالت الله يا داود عن
الذي ارسلتني فيه فقال قل له يا داود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا
رب فيقول الله تعالى فان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا فهذا اقاويل السلف من اهل التفسير في
امتحان داود

فصل في تنزيه داود عليه السلام عما لا يليق به ولا ينسب اليه اعلم ان من خصه الله
بنبوته واكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه
لا يليق ان ينسب اليه ما لو نسب الى احد من الناس لاستنكف ان يتحدث به عنه فكيف يجوز ان ينسب الى بعض منه
اعلام الانبياء والصفوة الامناء على ذلك روى سعيد بن المسيب والحارث الاعور عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه انه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وقال
القاضي عياض لا يلتفت الى ما سطره الاخباريون من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين
ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي عليه من امر داود قال الامام فخر الدين حاصل القصة
راجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل ان
يظن بداود عليه السلام هذا وقال غيره ان الله تعالى اثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك
يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه
في مدح انسان لاستهجنه العقلاء ولقالوا انت في مدح شخص كيف تجري ذمه في اثناء مدحك والله تعالى منزه عن
مثل هذا في كلامه العزيز فان قلت في الاية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود انما فتناه و
قوله واستغفر ربه وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس في هذه الالفاظ شيء مما يدل على ذلك لان مقام النبوة اشرف
المقامات واعلاها فيطالبون باكمل الاخلاق والاوصاف واسناها فاذا انزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم
الله على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال

الابرار

الورع

في سجوده

[illegible]

ما معنى الامتحان في الاية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في هذه القصة الى ان داود عليه السلام
ما زاد ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا و
قيل ان داود عليه السلام تمنى ان تكون امرأته له فاتفق غزو اوريا وهلاكه في الحرب فلما بلغ داود قتله
لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنوده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك بان ذنوب الانبياء وان صغرت
فهي عظيمة عند الله وقيل ان اوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته
خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم اوريا لذلك فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الوا
حدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب فدل هذا على
ان الكلام كان بينهما في الخطبة لم يكن تقدم تزوج اوريا لها فعوتب داود بشيئين احدهما خطبته على
خطبة اخيه والثاني اظهار الحرص على التزويج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب
اوريا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الاخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين الاخ
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم لاحدهما قبل سماع الاخر كلام وقيل هو قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود با
لاستغفار والتوبة فثبت بهذا الوجه نزاهة داود صلى الله عليه وسلم مما نسب اليه والله اعلم قوله
عز وجل واستغفر ربه اي سأل ربه الغفران وخر راكعا واناب اي ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما
فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعدما كان راكعا فصل اختلف العلماء في سجدة ص هل هي من عزائم السجود فذ
هب الشافعي الى انها ليست من عزائم سجود التلاوة وقيل لانها توبة نبي فلا توجب سجود التلاوة وقال
ابو حنيفة هي من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الاية على ان الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلا
وة وعن احمد في سجدة التلاوة روايتان وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ عن ابن عباس قال سجدة
ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس اسجد
في ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى اتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن يقتدى به فسجدها داود
فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال
~~على المنبر فلما بلغ السجدة~~ سجدها داود توبة ونسجدها شكرا عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما
كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي توبة نبي
ولكني رأيتكم تشزنتم فنزل فسجد وسجدوا اخرجه ابو داود قوله تشزن يعني تأهبوا وتهيؤوا وقعد
واستعدوا للسجود عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رأيت الليلة وانا نائم
كأني اصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها عندك اجرا وضع عني بها
وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة اخرجه الترمذي قال اهل ثم
التفسير سجد داود اربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة او لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام
اربعين لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التو
بة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان

عدو

الحايل بين القلوب سبحان خالق النور خليتني بيني وبين ابليس فلم اقم لفتنته اذا نزل بي سبحان خالق النور الهي
انت خلقتني وكان في سابق علمك ما انا اليه صاير سبحان خالق النور الويل لداوود اذا كشف عنه الغطا فيقول هذا
داوود الخاطي سبحان خالق النور الهي باي عين انظر اليك يوم القيمة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان
خالق النور الهي باي قدم اقوم امامك يوم القيامة يوم تزل اقدام الخاطيين سبحان خالق النور الهي من ا
ين يطلب العبد المغفرة الا من سيده سبحان خالق النور الهي اني لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق حر جهنم
سبحان خالق النور الهي اني لا اطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي الويل لدا
وود من الذنب العظيم الذي اصاب سبحان خالق النور الهي كيف تستتر الخاطيون بخطاياهم دونك وانت شاهد
هم حيث كانوا سبحان خالق النور الهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل عذري سبحان خالق النور الهي اغفر لي ذنوبي
ولا تباعدني من رحمتك لهواي سبحان خالق النور الهي اعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني سبحان
خالق النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القوم الظالمين ولا تخزني يوم الدين سبحان
خالق النور قيل مكث داود اربعين يوما لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى راسه فنو
دي يا داود اجايع انت فتطعم اظمان انت فتسقى اعار انت فتكسى امظلوم انت فتنصر فاجيب في غير ما طلب ولم
يجب في ذكر خطيئته بشي فنحب نحبة هاج ما حوله من العشب واحترق من حر جوفه ثم انزل الله له التوبة وا
لمغفرة قال وهب ان داود اتاه نداء اني قد غفرت لك قال يا رب كيف وانت لا تظلم احدا قال اذهب الى قبر اوريا فنا
ده وانا اسمعه نداك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا اوريا فقال من
هذا الذي قطع علي لذتي وايقظني قال انا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال اسالك ان تجعلني في حل مما كان
مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني الى الجنة فانت في حل فاوحى الله يا داود الم تعلم
اني حكم عدل لا اقضي بالتعنت الا اعلمته انك قد تزوجت امراته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذي قطع
علي لذتي قال انا داود فقال يا نبي الله اليس قد عفوت عنك قال نعم وانما فعلته بك لذلك لمكان امراتك و
قد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة اخرى فلم يجبه ودعاه فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على
راسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود اذا نصبت الموازين بالقسط
سبحان خالق النور ثم الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يسحب على وجهه مع الخاطيين الى النار
سبحان خالق النور فاتاه نداء من السما يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وا
قلت عثرتك قال يا رب وكيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود اعطيه يوم القيمة من الثواب ما لم تر عيناه ولم
تسمع اذناه فاقول له رضي عبدي فيقول يا رب من اين لي هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستو
هبك منه فيهبك لي فيقول الان قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله فاستغفر ربه وخر ر
اكعا واناب فغفرنا له ذلك اي الذنب وان له عندنا اي يوم القيمة بعد المغفرة لزلفى لقربى ومكانة وحسن مآب
اي حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلثين سنة لا
يرقا دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على
اربعة ايام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم يسيح في الجبال والفيافي والسواحل ويوم يخلو في داره فيها اربعة ويوم لنسائه
الاف محراب فيجمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى
الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي فتبكي معه الجبال والحجارة والطيور والدواب حتى يسيل من بكائهم الا

الاودية دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الجبل ويرفع صوته ويبكي فتبكي معه الجبال والحجارة والطيور وا
الدواب حتى يسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل فيبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء فاذا
امسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه على نفسه
فليحضر من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها فرش من مسوح حشوها الليف
فيجلس عليها ويجيء اربعة الاف راهب عليهم البرانس وفي ايديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب
ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش
بدموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله وياخذ داود من تلك الدموع بكفيه فيمسح بها وجهه
ويقول يارب اغفر ما ترى فلو عدل بكاء داود ببكاء اهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه
وسلم ان مثل عيني داود كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخد الماء في الارض قال
وهب بن منبه لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لي فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها وللخا
طئين الى يوم القيامة قال فرسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا راها
وما قام خطيبا في الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته وكان اذا بدا بالدعاء استغ
استغفر للخاطئين قبل نفسه وعن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجلس الا مع الخاطئين يقول تعالوا الى
داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي
عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فياكل ويقول هذا اكل الخاطئين قال وكان داود
قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله
وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت اوصاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت
وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته وقيل انها
قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اي لتدبر امر الناس
بامرنا فانفذ الحكم فيهم فاحكم بين الناس بالحق اي بالعدل ولا تتبع الهوى اي لا تمل مع ما تشتهي اذا خالف امر الله فيضلك
عن سبيل الله اي عن دين الله وطريقه ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي
بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل تركهم العمل لذلك اليوم وقيل بتركهم العدل في القضاء قوله وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه ما خلقناهما للعبث عبثا لا لشيء ذلك
ظن الذين كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انهم خلقوا لغير شيء وانه لا بعث ولا حساب فويل للذين كفروا
من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض قيل ان كفار قريش قالوا للمومنين انا نعطى
في الاخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الاية ام نجعل المتقين الذين اتقوا الشرك وهم اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم كالفجار يعني الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء في الاخرة كتاب اي هذا كتاب يعني القرآن انزلناه اليك
مبارك اي كثير خيره ونفعه ليدبروا اياته اي ليتدبروا ويتفكروا في اسرارها العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر اياته
اتباعه في اوامره ونواهيه وليتذكر اي وليتعظ اولوا الالباب اي ذوو العقول والبصائر قوله عز وجل ووهبنا لدا
وود سليمان نعم العبد انه اواب اي رجاع اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل ان سليمان غزا اهل دمشق ونصيبين
فاصاب منهم الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا في البحر لها اجنحة فصلى سليمان الصلاة
الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه

لصلاة

صلى الله عليه وسلم بعد ذا ...

16

لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم ذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي فاقبل يضرب
سوقها واعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك
مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها مائة فرس فالذي في ايدي الناس من الخيل يقال انها من نسل
تلك المائة فلما عقرها لله ابدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف يشاء وقوله تعالى
اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم واقامة الرابعة على طرف الحا
فر من يد او رجل وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث من احب ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ
مقعده من النار اي قياما الجياد الخيار السراع في الجري واحدها جواد قال ابن عباس يريد الخيل السابق وقوله
اني احببت حب الخير اي اثرت حب الخير والمراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود في نواصيها الخير الاجر و
الغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه عن ذكر ربي يعني صلاة العصر حتى توارت
اي استترت الشمس بالحجاب اي ما يحجبها من الابصار ويقال الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب
الشمس من ورائه ردوها علي اي ردوا الخيل علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق جمع ساق اي جعل يضرب
سوقها واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وكان ذلك مباحا لان نبي الله سليمان
لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن يتوب من ذنب وهو ترك الصلاة بذنب اخر وهو عقر الخيل وقال محمد
بن اسحاق لم يعنفه الله على عقر الخيل اذ كان ذلك اسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل انه ذبحها وتصدق
بلحومها وقيل معناه انه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها واعناقها بسمة الصدقة وحكي عن
علي انه قال معنى قوله ردها علي يقول بامر الله الملائكة الموكلين بالشمس ردها علي فردوها عليه
فصلى العصر في وقتها قال الامام فخر الدين من التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان نقول ان رباط الخيل
كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كان في ديننا ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى غزو فجلس وامر باحضار الخيل
وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد
من قوله تعالى عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم
امر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها علي فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من
ذلك المسح امور الاول تشريفا لها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو والثاني اراد ان يظهر انه في ضبط
السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها و
عيوبها من غيره فكان يمتحنها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المر
ض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمحذورات
والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قلت فالجمهور فسروا الاية بتلك الوجوه فما
قولك فيه قلنا لنا ههنا مقامات المقام الاول ان ندعي ان لفظ الاية لا يدل على شيء من تلك الوجوه
التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرناه ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني ان يقول هب
ان لفظ الاية يدل عليه الا انه كلام ذكره الناس والدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل
على صحة هذه الحكايات قوله عز وجل ولقد فتنا سليمان اي اختبرناه وابتليناه بسبب ملكه وكان سبب ذلك
ما حكي عن ابن منبه قال سمع بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشان ولم يكن للنا
س اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد اتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه في بر ولا بحر انما يركب

اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على متن الما حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى
ما فيها واصاب فيما اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه
ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت على منز
لها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقا دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب
والدمع الذي لا يرقا فقالت ان ابي اذكره واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان فقد ابدلك الله منه
ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا اعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك فقالت ان
ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا صورته في داري التي انا
فيها اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك عني حزني وان يسلي عني بعض ما اجد في نفسي فامر سليما
ن الشياطين فقال مثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت الى
ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبس ثم كانت
اذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه ولائدها فتسجد له ويسجدون له كما كانت تصنع به في
ملكه وتروح في كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك آصف
ابن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن ابواب سليمان اي ساعة اراد دخول شيء من بيوته دخل حاضرا سليما
ن او غائبا فاتاه فقال يا نبي الله كبرت سني ورق عظمي ونفد عمري وقد دنا مني الذهاب وقد احببت
ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله واثني على كل نبي بما فيه واذكر ما فضله الله فيه
تعالى به واعلم بعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذ
كر من مضى من انبياء الله تعالى واثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان
فقال ما كان احلمك في صغرك واورعك في صغرك وافضلك في صغرك واحكم امرك في صغرك وابعدك من كل ما
يكره الله في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملأه غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه
فقال يا آصف ذكرت من مضى من انبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من امرهم
فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيرا في صغري وسكت عما سواه من امري في كبري فما الذي احدثت في آخر
امري فقال آصف ان غير الله ليعبد في دارك منذ اربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري فقال في
دارك قال انا لله وانا اليه راجعون قد عرفت ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر
ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم امر بالطهيرة فاوتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا
ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار ولم تمسسها امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى
فلاة من الارض وحده وامر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك
فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى
امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل الخلاء او اراد اصابة امرأة من نسا
ئه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها
يوما ثم دخل مذهبه واتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال خاتمي
يا امينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس في سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش
والجن والانس وخرج سليمان فاتى الامينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا

امينة

صلى الله عليه وسلم

17

يا امينة خاتمي فالتمسه انت فان سليمان بن داود فقالت كذبت فقد جاء سليمان واخذ خاتمه وهو جا
لس على سرير ملكه فعلم سليمان ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدور من دور بني اسرائيل
فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون اي شيء
يقول يزعم انه سليمان فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر وكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الى السوق
فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فياكلها فمكث على
ذلك اربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم عدو الله
الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رايتم من اختلاف حكم سليمان ما رايت قالوا
نعم قال امهلوني حتى ادخل على نسائه هل انكرن في خاصة امره ما انكرنا في عامة الناس وعلانيته فدخل على نسائه
فقال ويحكن هل انكرتن من ابن داود ما انكرنا فقلن اشده ما يدع امراة في دمها ولا يغتسل من الجنا
بة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله ليسلط الشيطان على نساء نبيه عليه ا
لسلام قال وهب ثم ان آصف خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة اشد مما في العامة فلما مضى اربعون
صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد
عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى اعطاه سمكتيه فباع سليمان احديهما بارغفة وبقر بطن الاخرى
ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه فجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطيور و
الجن واقبل الناس عليه وعرف الذي قد كان دخل عليه لما كان احدث في داره فرجع الى ملكه واظهر ا
لتوبة من ذنبه وامر الشياطين ان ياتوا بصخر فطلبوه حتى اخذوه واتي به فادخله في صخرة في جوف وسد عليه
بالاخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف في البحر وقيل في سبب فتنة سليمان ان جرادة كانت
اكثر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان اخي بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي
له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده وا
عاده الى يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فاتاه آصف فقال لسليمان انك مفتون بذلك فلا
الخاتم والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فاني اقوم مقامك واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ففر
سليمان الى الله هاربا واعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فاقام آصف في ملك سليمان بسيرته اربعة عشر
ون يوما الى ان رد الله على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده
فثبت فهو الجسد الذي القي على كرسيه وروي عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس
ثلاثة ايام فاوحى الله اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله عز وجل وذكر نحو
ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخبار
يون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا
وقد عصم الله الانبياء من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما اخرجاه في الصحيحين
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين
امراة كلهن تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا
فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في
سبيل الله فرسانا اجمعون وفي رواية لاطوفن بمائة امراة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه جعل من خر عليه وهي عقوبة ومحنة لانه لم يستثن لما استخرفه من
الحرس وغيب عليه من التهمة وقيل نسي ان يستثني لما جاء في الحديث لينفذ امر الله ومراده فيه وقيل ان المراد با
لجسد الذي القي على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك
من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده ونخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب بحمله وكان يربيه في السحاب خوفا
من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ القي ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله فانسيه
فذلك قوله عز وجل **والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب** اي رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل اناب الى الاستغفار
وهو قوله **قال رب اغفر لي** اي سال ربه المغفرة **وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي** اي لا يكون لاحد من بعدي وقيل
لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري **انك انت الوهاب** فان قلت قول سليمان
لا ينبغي لاحد من بعدي يشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا حسدا فيما اولا
كن كان قصده في ذلك ان لا يسلط عليه الشيطان مرة اخرى وهذا قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل
سال ذلك ليكون علما واية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودليلا على قبول توبته حيث اجاب الله دعاءه ورد ملكه و
زاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه اراد ان يخص بخصلة كما خص داود بالالانة وعيسى باحيا الموتى وابراهيم
الاكمه والابرص فسال شيئا يختص به هو وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي فرددته خاسئا قوله تعالى **فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء** اي لينة اي ليست بعاصفة **حيث
اصاب** اي حيث اراد **والشياطين** اي وسخرنا له الشياطين **كل بناء** اي يبنون له ما يشاء **وغواص** يعني يستخرجون
له اللآلي من البحر وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر **وآخرين** وسخرنا له آخرين وهم مردة الشيا
طين **مقرنين في الاصفاد** اي مشدودين في القيود سخروا له حتى قرنهم في الاصفاد **هذا عطاؤنا** اي وقلنا له هذا
هذا عطاؤنا **فامنن** اي احسن الى من شئت منهم فخل عنه **او امسك** اي عن من شئت **بغير حساب** اي لا حرج عليك
فيما اعطيت وفيما امسكت قال الحسن **ما انعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة** الا سليمان فانه ان اعطى اجر
جر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة وقيل هذا في امر الشياطين يعني عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه
وامسك اي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تباعة عليك فيما تتعاطاه **وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب** لما ذكر الله ما انعم به عليه في الدنيا اتبعه بما انعم عليه في الاخرة قوله عز وجل **واذكر
عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب** اي بمشقة **وعذاب** اي ضر في المال والجسد وقد تقدمت قصة ايوب
اركض يعني انه لما انقضت مدة بلائه قيل له اركض اي اضرب **برجلك** يعني الارض ففعل فنبعت عين ما **هذا مغتسل
بارد** فامره الله تعالى ان يغتسل منه ففعل فذهب كل دا كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فركض
برجله الارض مرة اخرى فنبعت عين ماء عذب فشرب منه فذهب كل دا كان بباطنه فذلك قوله عز وجل **ووهبنا
له اهله ومثلهم معهم رحمة منا** اي انما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على سبيل اللزوم
وذكرى لاولي الالباب يعني سلطنا البلاء عليه فصبر ثم ازلنا عنه البلاء وكشفنا ضره بشكره فهو موعظة لذوي
العقول والبصائر **وخذ بيدك ضغثا** اي ملء كفك من حشيش او عيدان او ريحان **فاضرب به ولا تحنث** وكان قد
حلف ان يضرب امراته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها وافتاه الله في ضربها وسهل له الامر

[illegible]

ودلالة

يعني هولا الشياطين كلهم

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

18

بان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربه بها ضربة واحدة ففعل ذلك ولم يحنث في يمينه وهل ذلك لا
يكون مخاصة أم لا فيه قولان أحدهما أنه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والثاني والصحيح أنه خاص بأيوب
قاله مجاهد واختلف العلماء فيمن حلف أن يضرب عبده مائة فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن
سعد لا يبر وقال أبو حنيفة والشافعي إذا ضربه ضربة واحدة فأصابه كل سوط على حدته فقد بر واحتجوا بعموم
هذه الآية إنا وجدناه صابرا أي على البلاء الذي ابتليناه به قوله عز وجل واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أي اذكر
صبرهم فإبراهيم ألقي في النار فصبر وإسحاق ذهب بصره وأضجع للذبح في قول فصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده و
ذهاب بصره فصبر أولي الأيدي قال ابن عباس أولي القوة في طاعة الله تعالى والأبصار أي في المعرفة بالله وقيل المراد بالأيد
أكثر الأعمال والبصر (أصوب) الإدراكات ويعبر عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر وللإنسان قوتان عالمية وعاملية
فأشرف ما يصدر عن القوى العالمية معرفة الله تعالى وأشرف ما يصدر عن القوى العاملية طاعته وعبادته فعبر
عن هاتين القوتين بالأيدي والأبصار إنا أخلصناهم أي اصطفيناهم لنا خالصين بخالصة ذكرى الدار قيل معناه أخلصناهم
بذكرى الآخرة فليس لهم ذكر غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها
وقيل كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله تعالى وقيل أخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم في القلب وقيل أ
خلصناهم بأفضل ما في الآخرة وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار يعني من الذين اختارهم الله واتخذهم صفوة
وصفاهم من الأدناس والأكدار واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل أي اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقتهم
وكل من الأخيار قوله عز وجل هذا ذكر أي الذي يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به وإن للمتقين
لحسن مآب أي أحسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون إليه في الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى جنات عدن
مفتحة لهم الأبواب قيل يفتح أبوابها لهم بغير فتح لهم بيد بل بالأمر فقال لها انفتحي انغلقي متكئين فيها يد
عون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب أي مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات
ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن هذا ما توعدون ليوم الحساب
أي قل للمؤمنين هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعد به المتقون إن هذا لرزقنا ما له من نفاد أي دائم ما له من نفاد
وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شيء عاد مثله في مكانه قوله عز وجل هذا أي الأمر الذي ذكرناه وإن للطاغين يعني
الكافرين لشر مآب يعني لشر مرجع يرجعون إليه ثم بينه فقال تعالى جهنم يصلونها أي يدخلونها فبئس المهاد
أي الفراش هذا فليذوقوه حميم وغساق معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير
يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وآخر
من شكله أي مثل الحميم والغساق أزواج أي أصناف أي أخر من العذاب هذا فوج مقتحم معكم قال ابن عباس هو القادة إ
ذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني جماعة الأتباع مقتحم معكم
النار أي داخلوها كما دخلتموها أنتم قيل معناه أنهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا
من تلك المقامع قالت القادة لا مرحبا بهم أي بالأتباع إنهم صالوا النار أي داخلوها كما صليناها نحن قالوا أي قال
الأتباع للقادة بل أنتم لا مرحبا بكم أي لا رحبت بكم الأرض والعرب تقول مرحبا وأهلا وسهلا أي أتيت رحبا وسعة
أنتم قدمتموه لنا يعني يقول الأتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم
لنا هذا العذاب بدعائكم إيانا إلى الكفر فبئس القرار أي فبئس دار القرار جهنم قالوا يعني الأتباع ربنا من قدم
لنا هذا أي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا في النار أي ضعف عليه العذاب في النار قال ابن مسعود حيات وأفاعي وقالو

نعم العبد انه اواب اي رجاع الى الله تعالى

بجعلنهم

ابليس

وبروج الزمهرير وقيل الغساق عين في جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق وجليد و...

صلى الله على سيدنا محمد وسلم

يعني فجار قريش وصناديدها واشرافها وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا في النار كنا نعدهم في الدنيا من الاشرار
يعنون بذلك فقراء المومنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم اشرارا لانهم كانوا
على خلاف دينهم اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار يعني ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا الذين
كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا نرى هولاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها
فزاغت عنهم ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه ام هم في النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا
وقيل معناه ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا ان ذلك لحق
اي الذي ذكرت لحق ثم بين ذلك فقال تعالى تخاصم اهل النار اي في النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للا
تباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة قوله عز وجل قل يا محمد لمشر
كي مكة انما انا منذر اي مخوف وما من اله الا الله الواحد يعني الذي لا شريك له القهار اي الغالب وفيه
اشعار بالترهيب والتخويف ثم اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما
العزيز الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه يغفر الذنوب
وان عظمت ويرحم قل هو نبا عظيم يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة انتم عنه معرضون يعني لا
تتفكرون فيه فتعلمون صدقي في نبوتي وانما جئت به لم اعلمه الا بوحي من الله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى يعني
الملائكة اذ يختصمون يعني في شان ادم حين قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء. فالمخاصمة مع الله جاءت قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب
قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا تمكن قلت لا شك
انه جرى هناك سوال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهل علمتم جواز المجاز فلهذا السبب
حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه ان يوحى الي الا انما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى الي الا انما
انا نذير مبين يعني الا انما انا نبي انذركم وابين لكم ما تاتون وما تتقون عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاني ربي في احسن صورة قال احسبه في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا قال قلت لا
فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي او قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الارض قال يا محمد
هل تدري فيم يختصم الملا الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات
والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات
بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني اسالك فعل الخيرات وترك
المنكرات وحب المساكين واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء
السلام واطعام الطعام والقيام بالليل والناس نيام وفي رواية قلت لبيك وسعديك في الموضعين وفيها فعلمت
ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فصل في الكلام على معنى هذا الحديث وما
للعلماء في هذا الحديث وامثاله من احاديث الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب السلف امرارها كما جاءت من
غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان بها من غير تاويل لها والسكوت عن معناها مع الاعتقاد
بان الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير المذهب الثاني هو تاويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث
نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد بن
جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عايش عن بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الملا الاعلى

ورواه

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

19

ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن عبد الله بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عايش
الحضرمي عن مالك بن جابر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف ا
لعمي عن يحيى بن زيد عن جده ممطور وهو أبو سلام عن الحضرمي عن مالك بن جابر وقيل غير ذلك ورواه
أيوب بن يحيى أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس قال البخاري وروى عبد الرحمن بن عايش الحضرمي له
حديث واحد أنهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من أوجه كلها ضعاف وفي ثبوته
نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الرحمن الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما
يدل على أن ذلك كان في المنام فلا تأويل له فإن الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز أن يكون ا
لباري تبارك وتعالى مصورا ولا أن يكون صورة لأن الصور مختلفة والهيئات متضادة ويجوز إضافة ذلك إليه له
فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله أتاني ربي في أحسن صورة يحتمل وجهين أحدهما
وأنا في أحسن صورة فإنه رأى كمال الوجه وحسنا بحضور رؤيته وفائدة ذلك أن الله تعالى زين خلقته وحسن
صورته عند رؤيته لو بهوانها التغيير وفتح شدة الوجه وثقله الوجه الثاني أن الصورة بمعنى الصفة ويرجع بعد
ذلك إلى الله تعالى والمعنى أنه رآه في أحسن صفاته من الإنعام عليه والإفضال والامتنان البيان لقاءه بالإ
كرام والإعظام والإجلال وقد يقال في صفات الله تعالى الجميل ومعناه مجمل في أفعاله وذلك نوع من أنه
الإحسان والإكرام فذلك حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع إلى صفاته العالية
المتناهية في العظمة والكبرياء والعلو والعزة الرفيعة حتى لا منتهى ولا غاية ورواه ومعنى الحديث
ويكون معنى الحديث على هذا التقرير فعلا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤيته ربه عز و
جل وأخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها فتأويله أن المر بين ثديي
اد باليد النعمة والصفة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذه الأخبار بإكرام الله إياه وإنعامه عليه
بأن شرح نور قلبه وعرفه ما لم يعرفه حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره
فعلم ما في السماوات وما في الأرض بإعلام الله إياه فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون لا يجوز
على الله تعالى ولا على صفاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو اللائق بتنزيهه وحمل الحديث عليه
وإذا حملنا الحديث على المنام وأن ذلك كان في المنام فقد زال الإشكال وحصل الغرض ولا حاجة إلى التأويل
لأن رؤية الباري جل وعز في المنام على الصفة الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائي وقوله ا
ختصم الملأ الأعلى وهم الملائكة يعني في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث أيها أفضل وسميت
هذه الخصال كفارات لأنه تكفر الذنوب عن فاعلها فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه وإنما سماه ا
ختصاما لأنه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فبهذا السبب حسن إطلاق
لفظ المخاصمة عليه والله أعلم قوله عز وجل إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين يعني آدم فإذا سو
يته أي أتممت خلقه ونفخت فيه من روحي أضاف الروح إلى نفسه إضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله
وناقة الله ولأن الروح جوهر شريف فتسري في بدن الإنسان سريان الضوء في الفضا وكسريان النار
في الفحم فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر أي تعظم وكان من الكافرين قال يا إبليس
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي توليت خلقه أستكبرت أي تعظمت بنفسك على السجود له أم كنت من العالين

ام من القوم الذين يتكبروا

اي من القوم الذين يتكبرون ويتكبرون عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله قال انا خير منه يعني لو كنت
مساويا له في الشرف لكان ينبغي ان اسجد له فكيف وانا خير ثم بين كونه خيرا منه فقال خلقتني من نار وخلقته من
طين والنار اشرف من الطين وافضل منه واخطا ابليس في القياس لان مآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع والطين
اصل كل ما هو نام ثابت كالانس والشجر المثمر ومعلوم ان الانس والشجر والرماد المثمر خير من الرما
د وافضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وافضل بخواص وذلك مثل رجل شريف
النسب لا فضيلة له عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بشريف النسب ولكنه في
كل عالم فيكون افضل من ذلك النسيب بدرجات قال فاخرج منها اي من الجنة وقيل من السماء وقيل من ال
خلقة التي كان فيها وكان وذلك ان ابليس تغير وابتعد في الخلقة فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته فانك
رجيم وطريد اي مطرود وان عليك لعنتي الى يوم الدين فان قلت اذا كان الرجيم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة
لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة والسماء ويحمل اللعنة على الطرد من
الرحمة فيكون الفرق بليغا وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى
يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجي يوم القيامة قلت معناه ان اللعنة باقية عليه في الدنيا
فاذا كان يوم القيمة زيد له مع اللعنة انواع من العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه قال رب
فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني النفخة الاولى قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول اي انا اقول الحق وقيل الاول قسم اي فالحق وهو الله اقسم
بنفسه لاملان جهنم منك اي بنفسك وذريتك وممن تبعك منهم اجمعين يعني من بني آدم قل ما اسالكم عليه اي
على تبليغ الرسالة من اجر اي جعل وما انا من المتكلفين اي من المتقولين القرآن من تلقاء نفسي وكل من
قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف له وعن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا ايها الناس من
علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم شيئا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم قال الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين رواه البخاري ان هو يعني القرآن
الا ذكر اي موعظة للعالمين اي للخلق اجمعين ولتعلمن يعني انتم يا اهل مكة نباه اي خبره صدقه قال
ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيمة وقيل من بقي علم اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت
قال الحسن ابن آدم عند الموت ياتيك الخبر اليقين والله اعلم بمراده واسرار كتابه سورة الزمر نزلت
بمكة الا قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث وقيل يا عبا
دي الذين امنوا اتقوا ربكم عوض قوله عز وجل الله نزل احسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيا
ت من قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى قوله لا تشعرون وهي اثنان وسبعون وقيل
خمس وسبعون آية والف ومائة واثنان وسبعون كلمة واربعة آلاف وتسع مائة وثمانية احرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تنزيل الكتاب اي هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل من الله العزيز
الحكيم لا من غيره انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي لم ننزله باطلا بغير حق فاعبد الله مخلصا له الدين اي الطاعة
الا لله الدين الخالص اي شهادة ان لا اله الا الله وقيل الا يستحق الدين الخالص الا الله تعالى وقيل الخالص من الشر
ك وما سواه الخالص ليس بدين الله الذي امر به لان راس العبادات الاخلاص في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب
النواهي والذين اتخذوا من دونه اي من دون الله اولياء يعني الاصنام ما نعبدهم اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا

فكيف وانا احسن

الى الله

الى الله زلفى اي قربى وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فيقال
لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فيقولوا ليقربونا الى الله وتشفع لنا عنده ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون اي
من امر الدين ان الله لا يهدي لا يرشد لدينه من هو كاذب اي قال ان الالهة تشفع له كفار اي ما اتخذ الالهة دون
الله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى اي اختار مما يخلق ما يشاء يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحانه اي تنزيها
له عن ذلك وعما لا يليق بجلاله قدسه هو الله الواحد اي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد القهار اي الغالب الكامل
القدرة قوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يعني يغشى هذا
بهذا وقيل يدخل احدهما على الاخر وقيل ينقص من احدهما ويزيد في الاخر فما نقص من الليل زاد في النهار وما
نقص من النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمسة عشر ساعات و
قيل الليل [والنهار] عسكران عظيمان يكر احدهما على الاخر وذلك بتقدير قادر عليهما قاهر لهما وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى يعني الى يوم القيامة الا هو العزيز الغفار معناه ان خالق هذه الاشياء العظيمة
وان دلت على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة فانه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان خلقكم
من نفس واحدة يعني آدم ثم جعل منها زوجها يعني حواء ولما ذكر الله تعالى آية قدرته في خلق السموات
والارض وتكوير الليل على النهار اتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر الحيوان فقال تعالى وانزل لكم من الا
نعام ثمانية ازواج يعني الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكور والاناث من هذه
الاصناف وفي تفسير الانزال اوجه وقيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل انه الحيوان لا يعيش الا
بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير انزل الماء الذي يعيش به الا
الانعام وقيل ان اصل هذه الاصناف خلقت في الجنة ثم نزلت الى الارض يخلقكم في بطون امهاتكم لما ذكر
الله تعالى اصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر الحالة المشتركة بين الانسان والحيوان وهي خلقه
في بطون الامهات وانما قال في بطون امهاتكم لتغليب من يعقل ولتشريف الانسان خلقا
بعد الخلق خلقا من بعد خلق يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة في ظلمات ثلاث قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة
المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن ذلكم الله ربكم اي خالق هذه الاشياء ربكم
له الملك اي الملك لا اله الا هو اي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله فانى تصرفون اي عن طريق الحق
بعد هذا البيان قوله عز وجل ان تكفروا فان الله غني عنكم يعني انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر اليه
نفسه نفعا او يدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غني على الاطلاق فيستحيل في حقه جر المنفعة و
دفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ناقصا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا ان جميع العا
لمين لو كفروا واصروا عليه فان الله غني عنهم ثم قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر يعني انه تعالى وان كان لا ينفعه
ايمانهم ولا يضره كفرهم الا انه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المومنين بالكفر وهم الذين قال
الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وعلى هذا يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد
الله يريد بعض عباد الله واجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الاية لا يرضى لعباده ان
يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله وان كان بارادته لان الرضى عبارة عن مدح الشيء والثنا
ء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه الا ما اراد وقد لا يرضى عنه به ولا يمدح عليه
فقد بان الفرق بين الارادة والرضى وان تشكروا اي تومنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم فيثيبكم عليه ولا تزر وازرة

حالة مشتركة

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

وزر اخرى تقدم بيانه ثم الى ربكم مرجعكم اي في الاخرة فينبئكم بما كنتم تعملون اي في الدنيا انه عليم بذات الصدور اي بما
في القلوب قوله تعالى واذا مس الانسان الضر اي شدة وبلاء دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مستغيثا به ثم اذا خوله
اي اعطاه نعمة منه نسي اي ترك ما كان يدعوا اليه من قبل ومعنى نسي الضر الذي كان يدعوا الله الى كشفه وجعل لله
اندادا يعني الاصنام ليضل عن سبيله اي ليزيغ عن دين الله قل اي لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا اي في الدنيا الى انقضاء
اجلك انك من اصحاب النار قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في ابي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر امن هو قانت قيل فيه حذف
مجازه كمن هو قانت وقيل مجازه الذي جعل لله اندادا خير امن هو قانت وقيل معنى الاية تمتع بكفرك قليلا انك من
اصحاب النار ويا من هو قانت انك من اصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت في ابي بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان
وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الاية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت
قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه اناء الليل اي ساعات الليل اوله ووسطه واخره
ساجدا وقائما اي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه افضل وذلك لان الليل استر فيكون ابعد عن الر
ياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخا
رجية رجع الى المطلوب الاصلي وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة
فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب فيه اكثر يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه
فائدة وهي انه قال في مقام الخوف يحذر الاخرة فلم يضف الحذر الى نفسه وقال في مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على
ان الرجاء اكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روي عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك فقال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وامنه مما يخاف اخرجه الترمذي قل هل يستوي الذين
يعلمون اي ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون اي ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لا يعلمون
ابو حذيفة المخزومي وقيل افتتح الاية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكا
شفات وهو النهايات فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله انما يتذكر اولوا الالباب قوله عز وجل قل يا عباد
ي الذين امنوا اتقوا ربكم اي بطاعته واجتناب معاصيه للذين احسنوا في هذه الدنيا يعني للذين امنوا واحسنوا
العمل حسنة يعني الجنة وقيل يعني الصحة والعافية في هذه الدنيا وارض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه
حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من امر بالمعاصي في بلد فليهرب منه وقيل نزلت في مهاجري
الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم من البلاء وصبروا وهاجروا انما يوفى الصا
برون اجرهم بغير حساب قال علي بن ابي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانهم يحثى لهم حثيا
وروي انه يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل
العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قوله عز وجل قل اني امرت ان
اعبد الله مخلصا له الدين اي مخلصا له التوحيد اي لا اشرك به شيئا وامرت لان اكون اول المسلمين اي من هذه الامة
وقيل امرني الله اولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امره ثانيا بعمل الجوارح ولان شرائع الله لا تستفاد الا من الرسول صلى
الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان اول الناس شروعا فيه وانما خص الله رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه
على ان غيره احرى بذلك فهو كالترغيب لغيره قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وذلك ان كفار قريش قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي اتيتنا به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وقومك فتاخذ بها فانزل الله تعالى هذه الاية

ومعنى الاية

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

21

ومعنى الاية زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا خاف فاين
غيره من العصاة بقبيح اولى بذلك قل الله اعبد مخلصا له ديني فان قلت ما معنى التكرار في قوله قل اني امرت ان
اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني قلت ليس هذا تكرارا لان الاول اخبار لانه مامور من جهة
الله بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثاني انه اخبار بانه يخص الله وحده بالعبادة ولا يعبد احدا غيره مخلصا له دينه لان
قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله قل الله اعبد يفيد الحصر والمعنى الله اعبد ولا اعبد احدا سواه ثم اتبعه
بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه ليس امرا بل المراد به الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله قل ان
الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يعني ازواجهم وخدمهم يوم القيامة قال ابن عباس وذلك ان الله
جعل لكل انسان منزلا واهلا في الجنة فمن عمل بطاعته كان له ذلك المنزل والاهل ومن عمل بمعصية الله دخل النار
وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله وخسر نفسه واهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار و
خسران الاهل ان يفرق بينه وبين اهله الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار اي اطباق وسرادق
من نار ومن تحتهم ظلل اي فرش ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت الظلة ما
فوق الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر
الثاني ان الذي تحته من النار يكون ظلة لمن تحته من النار لانها دركات الثالث ان الظلة التحتانية اذا كانت مشابهة
للظلة الفوقانية في الاذية والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة ذلك يخوف الله به عباده اي المؤ
منين لانهم اذا سمعوا حال الكفار خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة له وهو قوله تعالى يا عباد فاتقون اي خافون
قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت يعني الاوثان ان يعبدوها وانابوا الى الله اي رجعوا الى عبادة الله تعالى با
لكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره لهم البشرى في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح اعمالهم
وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر واما في الاخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط
وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان
فبشر عباد الذين يستمعون القول يعني القرآن فيتبعون احسنه اي احسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر الانتصار
من الظالم وذكر العفو عنه والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم
وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لان كله احسن قال ابن عباس لما اسلم ابو بكر الصد
يق جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايما
نه فامنوا ونزلت فيهم فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل نزلت هذه الاية في ثلاثة نفر كانوا
في الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو بن نفيل وابو ذر وسلمان الفارسي اولئك الذين هداهم الله الى عبادته
وتوحيده واولئك هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب قال ابن عباس سبق علم الله انه في النار وقيل
كلمة العذاب قوله لاملان جهنم وقيل قوله هؤلاء الى النار ولا ابالي افانت تنقذ من في النار اي لا تقدر عليه قال ابن
عباس يريد ابا لهب وولده لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية اي منازل في الجنة رفيعة وفوقها
منازل ارفع منها تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد اي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا
يخلفه وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون الغرف من فوقهم
كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك
منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر اي الباقي

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

الباقي في الآفاق في ناحية المشرق والمغرب وقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه أي أدخل ذلك الماء ينابيع
في الأرض أي عيونا وركايا ومسالك ومجاري في الأرض كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ماء في الأرض فمن السماء نزل
ثم يخرج به أي بالماء زرعا مختلفا ألوانه أي أصفر وأحمر وأخضر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وساير أنواع
الحبوب ثم يهيج أي ييبس فتراه مصفرا أي بعد خضرته ونضرته مصفرا ثم يجعله حطاما أي فتاتا متكسرا إن في
ذلك لذكرى لأولي الألباب قوله عز وجل أفمن شرح الله صدره للإسلام وقبول الحق كمن طبع الله على قلبه لا يهتدي أي وسعه
فهو على نور من ربه أي على يقين وبيان وهداية روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فقلنا يا رسول الله كيف انشراح قال
صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله القسوة جمود وصلابة تحصل في القلب فإن
قلت كيف يقسو القلب من ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت إنه كلما تتلى عليهم ذكر الله يكذبون به الجوهري
فقست قلوبهم عن الإيمان به وقيل إن النفس إذا كانت خبيثة كدرة الجوهر بعيدة عن قبول الحق فإن سماعها
لذكر الله لا يزيدها إلا قسوة كحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح وكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه
ولا يزيد الكافرين إلا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم
إلا نزع منهم الرحمة أولئك في ضلال مبين قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وفي أبي بن خلف وقيل في علي وحمزة وفي
أبي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل قوله عز وجل الله نزل أحسن الحديث يعني القرآن
وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى أما الأول فكان القرآن من أفصح الكلام
وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع مخالف للكل في أسلوبه و
أما الوجه الثاني وهو كون القرآن من أحسن الحديث من جهة المعنى فإنه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل
على أخبار الماضين وقصص الأولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار كتابا متشابها يشبه
بعضه بعضا مثاني أي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والأمر والنهي والأخبار والأحكام تقشعر أي تضطرب وتشمئز منه ويصدق بعضه
جلود الذين يخشون ربهم والمعنى تأخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث في جلد الإنسان عند ذكر الوعد والوعيد والوجل بعضا متناسقا
والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أي لذكر الله تعالى
قيل إذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين وإذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت
قلوبهم وقيل حقيقة المعنى أن جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روي عن العباس بن عبد المطلب رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما
تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار قال بعض العارفين السايرون في بيداء جلال الله إذا نظروا
إلى عالم الجلال طاشوا وإن لاح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا قال قتادة هذا نعت أولياء الله تعالى نعتهم الله بأن
تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو من
الشيطان روى عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر الصديق كيف كان أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها
إن ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي أن ابن عمر مر
برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا إنه إذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط قال ابن عمر إنا لنخشى

الله ولا نسقط

اللهم صل على سيدنا محمد

22

الله ولا تسقط قال ابن عباس ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم و
ذكر عند ابن سيرين الذين يسقطون اذا قرئ عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت با
سط رجليه ثم يقرا عليه القران من اوله الى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا
في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا في الرجا قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب
من ذكر ايات الوعيد اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء وبالقشع في قلوبهم
يرة لينا في جلودهم وقيل ان المكاشفة في مقام الرجا اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف
ليس بمطلوب بالذات اذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجا اطمان اليه القلب ولان الجلد ذلك اي القران الذي
هو احسن الحديث هدى الله يهدي به من يشاء اي هو الذي شرح الله صدره لقبول الهداية ومن يضلل الله اي يجعل
قلبه قاسيا مظلما بليد القبول الهداية فما له من هاد اي يهديه قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي شدته
يوم القيامة قيل يجر على وجهه في النار وقيل يرمى به في النار منكوسا فاول شيء تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر
يرمى به في النار مغلولة يده الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي
في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي كانت في يده وعنقه ومعنى الاية افمن يتقي بو
جهه سوء العذاب كمن هو امن من العذاب وقيل للظالمين اي تقول لهم الخزنة ذوقوا اي وبال ما كنتم تكسبون
في الدنيا من المعاصي كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
يعني وهم غافلون امنون من العذاب فاذاقهم الله الخزي اي العذاب والهوان في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا
يعلمون قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون اي يتعظون قرانا عربيا اي
جميعا اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته غير ذي عوج اي منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف و
قيل غير ذي لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن انس بن مالك وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من
التابعين ان القران ليس بخالق ولا مخلوق لعلهم يتقون اي الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة في تقديم التذكير
في الاية الاولى على التقوى في هذه الاية قلت سبب تقدم التذكر ان الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشيء
واختلف بمعناه واتقاه واحترز منه قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون اي متنازعون
مختلفون سيئة اخلاقهم والشكس السيء الخلق المخالف للناس الذي لا يرضى بالانصاف ورجلا سلما لرجل
اي خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك قد اشترك
فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي انه عبده وهم يتجاذبونه في مهن شتى واذا عنت حاجة يدافعونه
فهو متحير في امره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجته وفي رجل اخر مملوك قد سلم لمالك واحد
يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه في حاجته فاي هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا
وهذا مثل ضربه الله للكافر الذي يعبد الالهة شتى والمومن الذي يعبد الله وحده فكان حال المومن الذي يعبد
الها واحدا احسن واصلح من حال الكافر الذي يعبد الالهة شتى وهو قوله هل يستويان مثلا وهذا استفهام
انكار لا يستويان في الحال والصفة وقال تعالى الحمد لله اي لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت
انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله اي على حصول هذه البينات
وظهور هذه الدلالة بل اكثرهم لا يعلمون اي المستحق للعبادة هو الله وحده لا غيره قوله تعالى انك ميت
اي ستموت وانهم ميتون اي سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم

اللهم صل على سيدنا محمد

احيى

موته فأخبر الله تعالى أن الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وقيل نعى إلى نبيه نفسه وإليكم أنفسكم
والمعنى أنك وإياهم ميتون وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال ابن عباس
يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير لما نزلت ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
قال الزبير يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم قال إن الأمر إذا لشديد أخرجه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتا
بين ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا
يضرب وجوه بعض بالسيوف فعرفت أنه فينا نزلت وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا
واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن
إبراهيم قال لما نزلت ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن إخوان فلما قتل عثمان
قالوا هذه خصومتنا خ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لأخيه
من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن
له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه م عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة
وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من
حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قوله عز
وجل فمن أظلم ممن كذب على الله أي بزعمه أن له ولدا أو شريكا وكذب بالصدق إذ جاءه أي بالقرآن وقيل بالرسالة
أليس في جهنم مثوى أي منزل ومقام للكافرين قوله عز وجل والذي جاء بالصدق وصدق به والذي جاء
به قال ابن عباس الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا إله إلا الله وصدق به هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم أيضا بلغه إلى الخلق وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل عليه السلام جاء بالقرآن
وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق
رضي الله عنه قيل وصدق به المؤمنون وقيل جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع وقيل الذي جاء بالصدق أهل
القرآن وهو الصدق يجيئون به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به أولئك هم المتقون أي الذين اتقوا
الشرك لهم ما يشاءون عند ربهم أي من الجزاء والكرامة ذلك جزاء المحسنين أي في أقوالهم وأفعالهم ليكفر
الله عنهم أسوأ الذي عملوا أي يسترها عليهم بالمغفرة ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أي يجزيهم
بمحاسن أعمالهم ولا يجزيهم بمساويهم قوله عز وجل أليس الله بكاف عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وقرئ عباده يعني الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم شر من عاداهم ويخوفونك
بالذين من دونه وذلك أنهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معرة الأوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو
ليصيبنك منهم خبل وجنون ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز أي
منيع في ملكه ذي انتقام أي منتقم من أعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله يعني أن
هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العليم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق وأن
فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فإن من تأمل عجائب السموات والأرض وما فيهما من أنواع الموجودات
علم بذلك أنها من ابتداع قادر حكيم ثم أمر الله أن يحتج عليهم بأن ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على

جلب خير

صلى الله على النبي الكريم

23

تجلب خيرا ودفع ضر وهو قوله تعالى قل افرأيتم ما تدعون من دون الله يعني الاصنام ان ارادني الله بضر اي بشدة
وبلاء هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة اي بنعمة وخير وبركة هل هن ممسكات رحمته فسألهم
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله اي
هو ثقتي وعليه اعتمادي عليه يتوكل المتوكلون اي عليه يثق الواثقون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اي اجتهدوا
مكركم في انواع وهو امر تهديد وتقريع اني عامل اي فيما امرني به من اقامة الدين فسوف تعلمون من
ياتيه عذاب يخزيه اي انا او انتم ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم وهو تهديد وتخويف انا انزلنا عليك الكتاب يعني
القرآن للناس بالحق اي ليهتدي به كافة الخلق فمن اهتدى فلنفسه اي فيرجع ما بدا نفع اتباعه عليه ومن ضل
فانما يضل عليها اي يرجع وبال ضلالته عليه وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم ولم تؤاخذ بهم وقيل هذا
منسوخ بآية القتال قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها اي فيقبضها عند فناء آجالها وانقضاء
اي الارواح — آجالها وهو موت الاجساد والتي لم تمت في منامها والنفس التي يتوفاها عند النوم هي التي تكون بها العقل
والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هي التي تكون بها الحيوة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحيوة
والنفس الاخرى هي التي يكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها النفس
فيمسك التي قضى عليها الموت اي فلا يردها الى جسدها ويرسل الاخرى اي يرد النفس التي لم يقض عليها
الموت الى جسدها الى اجل مسمى اي الى ان ياتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم
تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد
فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان ارواح الاحياء والا
موات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله ارواح الاجساد
موات عنده وارسل ارواح الاحياء الى اجسادها الى حين انقضاء مدة اجلها وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فا
نه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها و
ان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتو
فى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وبين قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت
توفته رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله ولملك الموت
اعوان وجنود من الملائكة ينزعون الروح من ساير البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ان في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون وذلك ان توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل ان
في ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم تغلط في امساك ما نمسك من الارواح وارسال ما نرسل منها قوله تعالى
ام اتخذوا من دون الله شفعاء يعني الاصنام قل يا محمد اولو كانوا يعني الالهة لا يملكون شيئا اي شيئا من
الشفاعة ولا يعقلون اي انكم تعبدونهم وتسمونهم وانتم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة قل لله الشفاعة جميعا
اي لا يشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع على الحقيقة وهو ياذن بالشفاعة لمن
يشاء من عباده له ملك السموات والارض اي لا ملك لاحد فيهما سواه ثم اليه ترجعون اي في الآخرة قوله تعالى واذا
ذكر الله وحده اشمأزت اي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة قيل الا — وقيل استكبرت
شمئزاز ان يمتلئ القلب من غم وغيظه انقباض الروح الى داخله فيظهر على الوجه ذلك مثل الغبرة والظلمة

اللهم صل على النبي الكريم

وإذا ذكر الذين من دونه يعني الأصنام إذا هم يستبشرون أي يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على
الوجه فيتهلل قوله عز وجل قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة وحده نعبده بكمال القدرة
وكمال العلم أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أي من أمر الدين وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال
سألت عائشة بأي شيء كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل قالت إذا قام من الليل افتتح
صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم قوله عز وجل
ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون أي ظهر حين بعثوا ما لم يحتسبوا أنه نازل بهم في الآخرة وقيل ظنوا أنهم حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى
أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وروي أن
محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك قال أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب وبدا لهم سيئات ما كسبوا
أي مساوئ أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى وحاق أي نزل بهم ما كانوا به يستهزئون فإذا مس الإنسان ضر
أي شدة دعانا ثم إذا خولناه أي أعطيناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم أي من الله تعالى أني له أهل وقيل على خير
علمه الله عندي بل هي فتنة يعني تلك النعمة فتنة أي استدراج من الله وامتحان وبلوى ولكن أكثرهم لا يعلمون
يعني أنه استدراج من الله تعالى قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون فإنه قال إنما أوتيته على علم عندي فما أغنى عنهم
ما كانوا يكسبون أي فما أغنى الكفر من العذاب شيئا فأصابهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين أي بفائتين
لأن مرجعهم إلى الله عز وجل أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء أي يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر أي يقتر ويضيق
على من يشاء إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قوله عز وجل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله روي عن ابن عباس رضي الله عنه في سبب نزول هذه الآية أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا
فأكثروا وانتهكوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد إن الذي تقول وتدعو إليه
لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات قال يبدل الله شركهم إيمانا وزناهم إحصانا ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله أخرجه النسائي وعن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام
فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل
الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به فقال وحشي أراني بعد في شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا فأنزل الله تعالى قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال نعم هذا إذا فأسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت
هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا
فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فأنزل الله تعالى هذه
الآية فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا
جميعا وهاجروا وعن ابن عمر قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شيء من حسناتنا
إلا وهي مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي
يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا إذا رأينا أحدا أصاب شيئا من ذلك قلنا عليه وإن لم يصب منها شيئا رجونا
له وقوله أسرفوا على أنفسهم أي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم فيما هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش ولا
تقنطوا

والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا

[illegible]

[illegible]

تقنطوا من رحمة الله أي لا تيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله من الكبائر إن
الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم فإن قلت حمل هذه الآية على ظاهرها إغراء بالمعاصي وإطلاق
في الإقدام عليها وذلك لا يليق قلت المراد منه التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن العاصي أنه لا مخلص له من
العذاب فإن من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله إذ لا أحد من العصاة إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل
المغفرة والرحمة فمعنى قوله إن الله يغفر الذنوب جميعا أي بالتوبة إذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن
مات قبل أن يتوب فهو موكول إلى مشيئة الله فيه فإن شاء عفا عنه وغفر له وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يد
خله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب قائم فلعل الله يغفر مطلقا ولعله يعذ
ب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم (فصل في ذكر أحاديث تتعلق بالآية) روي عن ابن مسعود رضي الله عنه دخل المسجد
فإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال فقام على رأسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرأ قل يا عبادي الذين أ
سرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني
إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال ألي توبة فقال لا فقتله وجعل يسأل
فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فنأى بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر
له لفظ البخاري ولمسلم بمعناه وفيه فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة
فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم
ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى
أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأ
تاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه
أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان رجل يسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه إذا
أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا فلما مات
فعل به ذلك فأوحى الله تعالى إلى الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت
قال خشيتك أو قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني
إسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر في العبادة مجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له أقصر فوجده يوما
على ذنب فقال له أقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك أو قال لا يدخلك الجنة فقبض الله
أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الله تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فا
دخل الجنة وقال للآخر اذهبوا به إلى النار قال أبو هريرة تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود
وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني
ورجوتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرا
بها مغفرة أخرجه الترمذي قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الأرض بضم القاف

يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك

وقال

حجة بن حسن اهل

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم
اللهم صل على النبي الكريم

هو ما يقارب هلاكها قوله عز وجل وأنيبوا إلى ربكم أي ارجعوا بالتوبة والطاعة وأسلموا له أي أخلصوا له التوحيد
من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون أي لا تمنعون عنه واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم يعني القرآن لأن كله
حسن ومعنى الآية ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته وانه أنزل في القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر
الأدون لئلا ترغب فيه وذكر الأحسن لتأثره وتأخذ به وقيل الأحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ من
قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون يعني غافلين عنه أن تقول نفس أي لئلا تقول نفس وقيل معناه بادروا
واحذروا أن تقول وقيل خوفا أن تقول وقيل أن تصيبوا الوبال أن تقول يا حسرتى أي يا ندما ويا حزنا والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات
على ما فرطت في جنب الله أي على ما قصرت في طاعة الله وقيل في أمر الله وقيل في حق الله وقيل على ما ضيعت في ذات الله و
قيل معناه على ما قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله تعالى وإن كنت لمن الساخرين أي من المستهزئين بدين الله و
بكتابه وبرسوله والمؤمنين قيل لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها أو تقول حين ترى العذاب أي عيانا
لو أن لي كرة أي رجعة إلى الدنيا فأكون من المحسنين أي من الموحدين ثم أجاب الله هذا القائل بأن الأعذار قد قطعت
والتعلل باطل وهو قوله تعالى بلى قد جاءتك آياتي يعني القرآن فكذبت بها أي فقلت ليست من الله واستكبرت أي
تكبرت عن الإيمان بها وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله أي زعموا أن له ولدا وشريكا و
قيل هم الذين يقولون إن الأشياء إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل وجوههم مسودة قيل هو سواد [illegible]
بل يلبسها بأنواع السواد أليس في جهنم مثوى للمتكبرين أي عن الإيمان قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا أي
الشرك بمفازتهم أي بالطريق الذي تؤديهم إلى الفوز والنجاة وقيل بما فازوا أي ينجيهم بفوزهم بالأعمال الحسنة
من النار لا يمسهم السوء أي لا يصيبهم المكروه ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء أي مما هو كائن ويكون في الدنيا و
الآخرة وهو على كل شيء وكيل أي الأشياء كلها موكلة إليه فهو القائم بحفظها له مقاليد السماوات والأرض أي مفاتيح
خزائن السماوات والأرض واحدها مقليد مثل مفتاح وقيل إقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الراجز
لم يؤذها الديك بصوت تغريد ولم يعالج غلقا بإقليد والمعنى الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من
باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها وقيل مقاليد السماوات خزائن الرحمة
والرزق والمطر ومقاليد الأرض النبات والذين كفروا بآيات الله الظاهرة الباهرة أولئك هم الخاسرون قوله
أي جحدوا
عز وجل قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون وذلك أن كفار قريش دعوا إلى دين آبائه ولذلك وصفهم
بالجهل لأن الدليل القاطع قد قام بأنه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو أجهل الجاهلين ولقد أوحي إليك وإلى
الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك أي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع النبي صلى الله عليه
وسلم والمراد به غيره لأن الله عصم نبيه من الشرك وفيه تهديد لغيره ولتكونن من الخاسرين بل الله فا
عبد وكن من الشاكرين أي لإنعامه عليك قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه حق عظمته حيث
أشركوا به غيره ثم أخبر تعالى عن عظمته فقال والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه
وتعالى عما يشركون وعن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله يضع
السماء على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع
ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق قدره وفي رواية والماء والثرى
على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه
تعجبا وتصديقا له ثم قال وما قدروا الله حق قدره الآية وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم

لو أن الله هداني أي أرشدني إلى دينه وطاعته لكنت من المتقين أي من الشرك [illegible]

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين
المتكبرون ثم يطوي الأرض بشماله ثم يقول فيقول أين الجبارون أين المتكبرون وفي رواية يقول أنا الله ويقبض
أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفله منه حتى إني أقول أساقط هو برسول الله صلى
الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخاري إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا
الملك خ م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الأرض ويطوي
السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض قال أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل
من صفة اليد شمال لأن الشمال محل النقص والضعف وقد روي كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة إنما
هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأ
خبار المأثورة الصحيحة وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به
نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قوله عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض ماتوا من الفزع
لما نزل من الفزع وهو النفخة الأولى إلا من شاء الله تقدم في سورة النمل معنى الاستثناء وقال الحسن إلا من شاء
الله يعني الله وحده ثم نفخ فيه أخرى أي في الصور مرة أخرى وهي النفخة الثانية فإذا هم قيام
أي من قبورهم ينظرون أي ينتظرون أمر الله فيهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبو هريرة أبيت قالوا
أربعون سنة قال أبو هريرة أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس شيء من الإنسان
إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة قوله عز وجل وأشرقت الأرض بنور ربها
وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو
في اليوم وقيل يعني أرضها وأراد بأرض عرصات القيامة ووضع الكتاب أي كتاب الأعمال وقيل اللوح المحفوظ لأن فيه أعمال
الخلق من المبدأ إلى المنتهى وجيء بالنبيين يعني ليكونوا شهداء على أممهم والشهداء قال ابن عباس
يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة وقضي بينهم
بالحق أي بالعدل وهم لا يظلمون أي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ووفيت كل نفس ما عملت أي ثواب
ما عملت وهو أعلم بما يفعلون يعني سبحانه وتعالى عالم بأفعالهم لا يحتاج ولا إلى شاهد قوله عز وجل وسيق إلى كتاب
الذين كفروا إلى جهنم يعني سوقا عنيفا زمرا أي أفواجا بعضهم على إثر بعض كل أمة على حدة وقيل جماعات في تفر
قة واحدها زمرة حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة وقال لهم خزنتها يعني توبيخا
وتقريعا ألم يأتكم رسل منكم أي من أنفسكم ومن جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب أي وجبت على الكافرين وهي قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قوله عز وجل وسيق الذين اتقوا ربهم إلى
الجنة زمرا فإن قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم
إلى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير إذا سيق إلى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق
مراكبهم لأنهم لا يذهبون إليها إلا راكبين والمراد بذلك السوق إسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين
السوقين حتى إذا جاءوها وفتحت فإن قلت قال في أهل النار فتحت بغير واو وهنا وفتحت بزيادة
الواو فما الفرق قلت فيه وجوه أحدها أنها زائدة والثاني أنها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فأدخل الواو

لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو في الآية الاولى لبيان ان ابواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم
اليها ووجه الحكمة في ذلك ان اهل الجنة اذا جاءوها وجدوا ابوابها مفتحة حصل لهم السرور بذلك واهل النار
اذا راوها مغلقة كان في ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو وهنا لبيان ان ابواب الجنة ثمانية ونقصت
عنها للنار ابواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو على ما فوق السبعة والثمانية فان قلت حتى اذا جاءوها
شرط فاين جوابه قلت فيه وجوه احدها انه محذوف والمقصود من الحذف ان يدل على انه بلغ في الكمال الى
حيث لا يمكن ذكره الثاني ان الجواب وقال لهم خزنتها سلام عليكم بزيادة الواو الثالث تقديره وادخلوها فادخلوها
خالدين ادخلوها فحذف لان في خلوها الدلالة الكلام عليه وقال لهم خزنتها سلام عليكم اي ابشروا بالسلامة
من الآفات طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل انهم اذا قطعوا الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار
فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا ونقوا ذهبوا وطيبوا دخول الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها
شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المومنون من احدهما فيطهر ظاهرهم ويشربون من الاخرى فيطهر باطنهم وتتلقا
هم الملائكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
اي بالجنة واورثنا الارض اي ارض الجنة نتصرف فيها كيف نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى
نتبوا اي ننزل من الجنة اي في الجنة حيث نشاء فان قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوا احدهم مكان غيره قلت
يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوا من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره
وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاءوا ثم تنزل الامم بعدهم فيما
فضل عنها قال الله عز وجل فنعم اجر العاملين اي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى وترى الملائكة حافين من حول العرش
اي محدقين محيطين بالعرش مصطفين بحافتيه وجوانبه يسبحون بحمد ربهم وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لانه لا
تكليف يزول في ذلك اليوم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد اي قضي بين اهل الجنة واهل النار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين
اي يقوله اهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدا الله تعالى ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والا
رض وختم بالحمد في اخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية كل امر وخاتمته والله اعلم سو

سورة رة المومنين وتسمى غافر حم وهي مكية قيل غير اثنتين وهما قوله الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان
والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية والف ومائة وتسع وتسعون كلمة واربعة آلاف وتسع مائة وستون حرفا
عن ابن مسعود قال ان مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر باثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه
اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا اعجب واعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم
القرآن وان مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن وعن ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحو
اميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات اتانق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كان الحم يسمين العرا
يس بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم قال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف
الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح اسمائه حليم وحميد وحي وحنان والميم افتتاح اسمائه ملك
ومجيد ومنان وقيل حم بضم الحاء قضي ما هو كائن تنزيل الكتاب من الله العزيز اي الغالب القادر وقيل الذي لا مثل له
العليم اي بكل المعلومات غافر الذنب اي ساتر الذنب وقابل التوب اي التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا
الله وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا اله الا الله ذي الطول اي ذي السعة والغنى وقيل

ذو الفضل

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

ع والفضل والنعم واصل الطول الانعام الذي يطول مدته على صاحبه لا اله الا هو اي هو الموصوف بصفة الوحدانية التي
لا يوصف بها غيره اليه المصير اي مصير عباده الى الله في الآخرة قوله تعالى ما يجادل في آيات الله في دفع آيات الله بالتكذيب والا
نكار الا الذين كفروا قال ابو العالية آيتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله تعالى ما يجادل في آ
يات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في القرآن كفر اخرجه ابو داود وقال المراء في القرآن كفر وعن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضر
بوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما نزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقو
لوه وما جهلتم فكلوه الى عالمه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال هجرت الى النبي صلى
الله عليه وسلم يوما فسمع اصوات رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في
في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب فلا يغررك تقلبهم في البلاد للتجارة وسلامتهم
فيها مع كفرهم فان عاقبة امرهم العذاب كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الكفار الذين تحزبوا
على انبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه و
قيل ليأسروه وجادلوا اي خاصموا بالباطل ليدحضوا اي ليبطلوا به الحق الذي جاءت به الرسل فأخذتهم فكيف كان عقاب
اي نزلت بهم النقمة كما هموا هم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا
وكذلك حقت اي وجبت كلمة العذاب ربك اي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت على الذين كفروا
من قومك انهم اي بانهم اصحاب النار قوله عز وجل الذين يحملون العرش قيل هم حملة العرش الاربعة فاذا كان
يوم القيامة مدهم الله باربعة اخرى كما قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم من اشراف الملائكة وافضلهم لقر
بهم من الله تعالى على صور الاوعال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل
واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى الوجه فيصعق وجناحان يخفقوا
في الهواء ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء
الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدمه مسيرة خمسمائة عام
ويروى ان اقدامهم في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم يقولون سبحان ذي العرش والجبروت سبحا
ن ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ارجلهم في الارض السفلى
ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء
السابعة اشد خوفا من التي تليها والتي تليها اشد خوفا من التي تليها وعن جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبع
مائة عام اخرجه ابو داود وواصفة العرش وقيل انه جوهرة خضراء وهو من اعظم المخلوقات خلقا وروي عن جعفر
بن محمد عن ابيه عن جده انه قال ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين
الف عام ويكسى العرش كل يوم الف لون لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلقة
في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب
نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض قوله عز وجل ومن حوله يعني
الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه سبعون الف صف من الملائكة

لا ينصروهم

بعضا

من خلفهم يطوفون حول العرش يقال هؤلاء بين يدي هؤلاء فإذا استقبل بعضهم هلل هؤلاء وكبر تكبيرا وليهم وتهليلهم
رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا إله غيرك أنت الأكبر والخلق كلهم راجعون إليك
ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا يسبح بتحميد لا يسبحه
الآخر ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلاثمائة عام وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة أربعمائة عام وا
حتجب الله من الملائكة الذين يحملون العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا
من نور وسبعين حجابا من ظلمة در الأبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أ
خضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه إلا الله عز وجل قوله تعالى
يسبحون بحمد ربهم أي ينزهون الله عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بأنه هو المنعم على الإطلاق ويؤمنون به
أي يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فإن قلت الذين يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ولا يكون
التسبيح إلا بعد الإيمان فما فائدة قوله ويؤمنون به قلت فائدة التنبيه على شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه وإن
كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجاب جلاله وجماله وكماله ووصفهم بالإيمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش
ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك وعلمك وأربعة منهم يقولون سبحا
نك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم يرون ذنوب بني آدم ويستغفرون للذين آمنوا
أي يسألون الله طلب (المغفرة) لهم قيل الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الد
ماء فلما ظهر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وكان ذلك التنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم
في أحد بشيء يكرهه أن يستغفر له ربنا أي يقولون ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما أي وسعت رحمتك وعلمك
كل شيء وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله بما هو أهله قبل الطلب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله
عز وجل قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك أي دينك وقهم عذاب الجحيم قال مطرف أنصح عباد الله للمؤ
منين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين الشياطين ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم (أي آمن)
وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم قيل إذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجتي فيقال إنهم لم
يعملوا عملك فيقول إني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فإذا اجتمع بأهله في الجنة كان أكمل للسرور واللذة
وقهم السيئات أي عقوبات السيئات بأن تمنعهم عن الأعمال الفاسدة التي توجب العذاب ومن تق السيئات يو
مئذ أي تقه في الدنيا فقد رحمته أي في القيامة وذلك هو الفوز العظيم أي النعيم المقيم الذي لا ينقطع في جوار ملك لا
تصل العقول إلى كنه عظمته وجلاله قوله تعالى إن الذين كفروا ينادون أي يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم
حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله إياكم في الدنيا أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم
عند حلول العذاب بكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال ابن عباس كا
نوا أمواتا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا ثم أماتهم الله الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة
فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في القبر للسؤال ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا للبعث في الآخرة
وذلك أنهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة الموتة الأولى ثم الحيوة في القبر ثم الموتة الثانية فيها ثم الحيوة
للبعث وأما الحياة الأولى وهي في الدنيا فلم يعدوها لأنها ليست من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتان وهي حياة
الدنيا وحياة القيامة وموتتان وهي الموتة الأولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال
لقصر مدتها فاعترفنا بذنوبنا يعني إنكار البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم

ثم سألوا

هم

ثم سألوا الرجعة بقولهم فهل إلى خروج أي من النار من سبيل والمعنى فهل من رجوع إلى الدنيا من سبيل
فنعمل أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه الإياس والقنوط من الخروج وإنما قالوا ذلك
تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل إليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى ذلكم بأنه إذا دعي
الله وحده كفرتم معناه فأجيبوا أن لا سبيل إلى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعي الله وحده
كفرتم يعني إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم ذلك وإن يشرك به أي غيره تومنوا أي تصدقوا ذلك الشرك فالحكم لله العلي
لا أعلى منه الكبير أي لا أكبر منه وقوله عز وجل هو الذي يريكم آياته أي عجائب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته و
ينزل لكم من السماء رزقا يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق وما يتذكر إلا من ينيب أي ما يتعظ بهذه الآية إلا من ينيب
أي يرجع إليه في جميع أموره فادعوا الله مخلصين له الدين أي الطاعة والعبادة ولو كره الكافرون قوله تعالى رفيع
الدرجات أي رافع درجات الأنبياء والأولياء والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع أي سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته
في صفة جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء إليه ذو العرش أي خالقه ومالكه والفا
يدة في تخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم الأجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان
أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى يلقي الروح أي ينزل الوحي سماه روحا لأن به تحيى الأرواح كما تحيى الأبدان
بالأرواح من أمره قال ابن عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله على من يشاء من عباده يعني الأنبياء
لينذر يوم التلاق يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة والمعنى يلتقي
يلتقي أهل السموات وأهل الأرض وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء مع
عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم يوم هم بارزون أي خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء لا يخفى
على الله منهم شيء أي من أعمالهم وأحوالهم فإن قلت إن الله لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام فما وجه تخصيص
ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعما
لهم وهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيه مثل ما كانوا يتوهمون في الدنيا
لمن الملك اليوم أي يقول الله عز وجل في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى
فيقول لله الواحد القهار أي الذي قهر الخلق بالموت وقيل إذا حضر الأولون والآخرون في يوم القيامة نادى مناد يا
لمن الملك اليوم فيجيبه جميع الخلق في يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا إذ كانوا
يقولونه في الدنيا ونالوا بالمنزلة الرابعة في العقبى والكافر يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم
يقولونه في الدنيا اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يعني يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته لا ظلم اليوم
أي إن الخلق آمنون في ذلك اليوم من الظلم لأن الله ليس بظلام للعبيد إن الله سريع الحساب أي إن الله تعالى لا يشغله
حساب عن حساب يحاسب الخلق كله في وقت واحد قوله عز وجل وأنذرهم يوم الآزفة يعني يوم القيامة سميت
آزفة لقربها وكل آت قريب إذ القلوب لدى الحناجر وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر
فلا هي تعود إلى أماكنها ولا هي تخرج من أفواههم فيموتون ويستريحون كاظمين أي مكروبين ممتلئين خوفا
وحزنا والكظم تضيق القلب عنه ما للظالمين من حميم أي من قريب ينفعهم ولا شفيع أي يشفع لهم يطاع أي فيتبع يعلم
خائنة الأعين أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل وقيل هو نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه وما تخفي ال
صدور أي يعلم مضمرات القلوب والله يقضي بالحق أي يحكم بالعدل والذين يدعون من دونه يعني الأصنام لا يقضون
بشيء لأنها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء إن الله هو السميع البصير أي بأفعالهم أولم يسيروا في الأرض

ما هو

ربكم
ب
أي لأقوال الخلق

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وءاثارا في الارض اي المعنى ان العاقل
من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء وفي تتبعهم فوقهم لله فاخذهم الله
بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق اي يدفع عنهم العذاب ذلك اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم
كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى
بءاياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا
يعني فرعون وقومه اقتلوا ابناء الذين ءامنوا معه قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن
قتل الولدان فلما بعث موسى اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم القتل واستحيوا نساءهم اي استحيوا
النساء يعني ليصدوهم عن متابعة موسى ومظاهرته وما كيد الكافرين اي وما مكر فرعون وقومه واتيانهم
الا في ضلال اي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى وقال فرعون اي لملئه ذروني اقتل موسى انما
قال فرعون هذا لانه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعه من قتله لانه كان فيهم من
يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته
قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وليدع ربه اي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه ارسله
الينا ويمنعه منا اني اخاف ان يبدل دينكم يعني يقول فرعون يغير دينكم الذي انتم عليه وان يظهر في الارض الفساد
يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره وقال موسى يعني لما توعده فرعون بالقتل اني عذت بربي وربكم يعني
ان موسى عليه السلام لم يات في دفع شر الاعداء الا ان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم صانه الله من كل بلية من كل
متكبر اي متعظم عن الايمان لا يؤمن بيوم الحساب قوله عز وجل وقال رجل مؤمن من ءال فرعون يكتم ايمانه قيل كان
كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني اسراءيل وعلى هذا يكون معنى الاية وقال رجل مؤمن يكتم
ايمانه من ءال فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزقيل عند ابن عباس واكثر المفسرين وقال ابن عباس كان اسمه جبريل
وقيل حبيب اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم با ‎ اي لان يقول
لبينات من ربكم فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه وان يك كاذبا فعليه
كذبه اي لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه وان يك صادقا فكذبتموه يصبكم بعض الذي يعدكم قيل معناه
يصيبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على اصله ومعناه كانه قال على طريق الاحتجاج اقل
ما في صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم وذكر البعض ليوجب الكل ان الله لا يهدي اي الى دينه
من هو مسرف كذاب على الله تعالى عن عروة بن الزبير قال سالت عبد الله بن عمرو بن العاص عن اشد
ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ
اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا
فاقبل ابو بكر واخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد
جاءكم بالبينات من ربكم قوله عز وجل يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي غالبين في الارض اي ارض مصر
فمن ينصرنا اي يمنعنا من باس الله ان جاءنا والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا
مانع من عذاب الله ان حل بكم قال فرعون ما اريكم من الراي والنصيحة الا ما ارى لنفسي وما اهديكم الا سبيل
الرشاد اي ما ادعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى انه مومن ءال فرعون رد على فرعون هذا الكلام
وخوفه ان يحل به ما حل بالامم قبله بقوله وقال الذي ءامن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل

اللهم صل على النبي الكريم

28

في قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم أي مثل عادتهم في الإقامة في التكذيب حتى أتاهم العذاب
وما الله يريد ظلما للعباد أي لا يهلكهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التنا
د يعني يوم القيامة سمي يوم التناد لأنه يدعى فيه كل أناس بإمامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة
أصحاب النار وأصحاب النار أصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا
يشقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلو
د فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقيل ينادي المومن بقوله اقرؤوا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم أوت
كتابيه وقيل يوم التناد يعني يوم التنافر من ند البعير إذا نفر وهرب وكذلك أنهم إذا سمعوا زفير النار ندوا
هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه
يوم تولون مدبرين أي منصرفين عن موقف الحساب إلى النار ما لكم من الله من عاصم أي يصيبكم من عذابه
ومن يضلل الله فما له من هاد أي يهديه ولقد جاءكم يوسف يعني يوسف بن يعقوب من قبل أي من قبل
موسى بالبينات يعني قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وقيل مكث يوسف فيهم عشرين سنة
وقيل إن فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر فما زلتم في شك مما جاءكم به قال ابن عباس من
عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى أنهم بقوا شاكين في نبوته لم ينتفعوا بتلك البينة التي جاءهم بها حتى
إذا هلك يعني مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا أي أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة
وإنما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا في تكذيب الأ
نبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها
وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموما إلى التكذيب برسالته كذلك يضل الله من هو مسرف أي في شركه وعصيا
نه مرتاب أي في دينه الذين يجادلون في آيات الله قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في إبطال آيات الله
والتكذيب بها بغير سلطان أي بغير حجة وبرهان أتاهم من الله كبر أي ذلك الجدال مقتا عند الله وعند الذين
آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار قوله عز وجل وقال فرعون يعني لوزيره يا هامان ابن لي صرحا أي بناء
ظاهرا لا يخفى على الناظر وإن بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات أي
طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه يعني موسى كاذبا أي فيما يدعي ويقول إن له
ربا غيري وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل قال ابن عباس صده الله عن سبيل الهدى وقرئ وصد
بالفتح وصد فرعون الناس عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب أي وما كيده في إبطال آيات موسى إلا في خسار وهلاك
قوله عز وجل وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد أي طريق الهدى يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع
أي منفعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع وإن الآخرة هي دار القرار أي التي لا تزول والمعنى أن الدنيا منقوصة ولا
منفعة فيها وإن الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض العلماء لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة
خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الأولى فكيف والدنيا خزف والآخرة ذهب باق من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها
قيل من عمل بالشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصي فجزاؤه العقوبة بقدرها ومن عمل صالحا من
ذكر أو أنثى وهو مومن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب أي لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من
الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار معناه أنا أدعوكم
إلى الإيمان الذي يوجب النجاة من النار وأنتم تدعونني إلى الشرك الذي يوجب ثم فسر ذلك فقال تدعونني

النار

اللهم صل على النبي الامي

لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم اي لا اعلم ان هذا الذي تدعوني اليه بالله وما ليس لي باله فيه يقول جعله
شريكا لله الخ ولما ذكر انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله وانا ادعوكم الى
العزيز اي في انتقامه ممن كفر الغفار اي لذنوب اهل التوحيد لاجرم يعني حقا انما تدعونني اليه يعني الصنم ليس له
دعوة في الدنيا ولا في الاخرة يعني ليس له استجابة دعوة لاحد في الدنيا ولا في الاخرة وقيل ليس له دعوة الى عبادة الدنيا
لان الاصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الاخرة تتبرا من عابديها وان مردنا الى الله اي مرجعنا الى
الله فيجازي كلا بما يستحقه وان المسرفين يعني المشركين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم اي اذا
عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر وافوض امري الى الله اي ارد امري الى الله وذلك انهم توعدوه بقوله ان
الله بصير بالعباد يعني يعلم المحق من المبطل ثم خرج المومن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله
تعالى فوقيه الله سيئات ما مكروا اي ما ارادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى عليه وكان قبطيا وحاق اي نزل
بال فرعون سوء العذاب يعني الغرق في الدنيا والنار في الاخرة وذلك قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا يعني
صباحا ومساء قال ابن مسعود ارواح ال فرعون في اجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح
الى النار ويقال يا ال فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل واحد منهم على النار بكرة وعشيا
ما دامت الدنيا ويستدل بظاهر الاية على اثبات عذاب القبر اعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه وعن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات اذا عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقول هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه
يوم القيامة ثم اخبر الله عز وجل عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون
يعني يقال لهم ادخلوا يا ال فرعون اشد العذاب قال ابن عباس الوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ غرقوا قوله
تعالى واذ يتحاجون اي اذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعني اهل النار في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم
تبعا اي في الدنيا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا يعني الرؤساء والقادة انا كل فيها يعني نحن
وانتم ان الله قد حكم بين العباد اي قضى علينا وعليكم وقال الذين في النار لخزنة جهنم يعني حين اشتد عليهم العذاب
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا يعني الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات يعني لا عذر لكم بعد مجيئهم
قالوا بلى اي اعترفوا بذلك قالوا فادعوا يعني انتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا انهم لا يخفف عنهم العذاب قال الله
تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال يعني يبطل ويضل ولا ينفعهم قوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين امنوا في
الحيوة قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام بالاعداء في الدنيا والاخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم
منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم بالقهر على من ناواهم واهلك اعداءهم بالانتقام منهم كما
نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل منهم سبعين الفا ويوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون
للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم اي ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم و
لهم اللعنة اي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار يعني جهنم ∴ ولقد اتينا موسى الهدى يعني النبوة وقيل التورية
واورثنا بني اسرائيل الكتاب يعني التورية وقيل سائر الكتب المنزلة على انبيائهم هدى وذكرى لاولي الالباب قوله تعالى
فاصبر اي يا محمد على اذاهم ان وعد الله حق اي في اظهار دينك واهلاك اعدائك قال الكلبي نسخت اية القتال
اية الصبر واستغفر لذنبك اي الصغاير وهذا على قول من يجوزها على الانبياء وقيل يعني ترك الاولى والافضل و
قيل على ما كان قد صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغاير على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى للنبي

صلى الله عليه

اللهم صل على سيدنا محمد

29

عليه وسلم ليزيده بها درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان جميع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما
لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثاني الاشتغال بالطاعة وسبح بحمد ربك اي نزه
ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك بالعشي والابكار يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس
ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم يعني بغير حجة ان في صدورهم اي ما في صدورهم الا كبر قال ابن عباس ما يحملهم
على تكذيبك الا ما في صدورهم من الكبر والعظمة ما هم ببالغيه يعني ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه
ان في صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل نزلت في اليهود وذلك
انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ
سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى فاستعذ بالله اي من فتنة الدجال انه هو السميع اي لاقوالهم
البصير اي لافعالهم قوله عز وجل لخلق السموات والارض اي مع عظمهما اكبر من خلق الناس اي من اعادتهم
بعد الموت والمعنى انهم مقرون ان الله خالق السموات والارض فكذلك اعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون
بالبعث بعد الموت ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني الكفار لا يعلمون حين لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها
وقال قوم معناه اكبر من خلق الناس اي اعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين
يخاصمون في امر الدجال فصل في ذكر الدجال عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق اكبر من خلق الدجال معناه اكبر فتنة واعظم شوكة ق عن ابن عمر رضي الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية ولابي داود والترمذي
عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني لانذركموه وما من نبي
الا وقد انذر قومه لقد انذر نوح قومه ولكني ساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس
باعور م عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر قومه الاعور الكذاب
الا انه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية لمسلم مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها
ك ف ر يقرأه كل مسلم عن اسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال
ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء
ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها فلا يبقى ذات ظلف ولا
ذات ضرس من البهائم الا هلكت ومن اشد فتنته انه يأتي الاعرابي فيقول له ارايت ان احييت لك ابلك الست
تعلم اني ربك قال فيقول له بلى فيمثل له نحو ابله كاحسن ما يكون ضروعا واعظم اسنمة ويأتي الرجل قد مات اخوه
ومات ابوه فيقول له ارايت ان احييت لك اخاك واباك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل له الشيطان نحو ابيه
ونحو اخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قالت فاخذ بلحمتي
الباب فقال مهيم اسماء قلت يا رسول الله لقد خلعت افئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي فانا حجيجه والا فان ربي خليفتي
على كل مؤمن قالت اسماء فقلت يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ
قال يجزيهم ما يجزي اهل السماء من التسبيح والتقديس وفي رواية عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم
يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة
كاضطرام السعفة في النار هذا حديث اخرجه البغوي بسنده والذي والذي قبله في صحيح مسلم قلنا يا رسول الله
ما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وساير ايامه كايامكم قلنا يا رسول

فقلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة يكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في
الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفي رواية ابي داود عنه قال فمن ادركه منكم سورة الكهف فليقرا عليه
فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه
عند باب لد فيقتله وعن حذيفة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع
الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما الذي يرى الناس انه نار فماء بارد واما الذي يرى الناس انه ماء فنار تحرق فمن ادرك ذلك
منكم فليقع في الذي يرى انه نار فانه ماء عذب بارد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجيء بمثل الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة
هي النار واني انذركم كما انذر به نوح قومه وعن المغيرة بن شعبة قال ما سال احد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الدجال اكثر مما سالته وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله من
ذلك وعن عمران بن حصين رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع بالدجال فلينا عنه فوالله ان الرجل
لياتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات او قال لما يبعث به من الشبهات اخرجه
ابو داود وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة وا
لمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات
فيخرج اليه كل كافر ومنافق وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياتي المسيح من
قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك وعن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج من ارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه اقوام كان
وجوههم المجان المطرقة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة وعن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الشيخ
محيي الدين النواوي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب اهل الحق في صحة وجوده
وانه شخص بعينه ابتلى الله به عباده واقدره على اشياء من المقدورات من احياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة
الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وامره السماء ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فتنبت و
يقع كل ذلك بقدرة الله ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويقتله عيسى ابن
مريم عليه السلام ويثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلا
فا لمن انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا لبعض المعتزلة ومن وافقهم من الجهمية و
غيرهم في انه صحيح الوجود ولكن الذي به مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا انه لو كانت حقا لم توثق
بمعجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعي الربوبية و
هو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور
الذي في عينيه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الا رعاع من الناس لشدة
الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق او تقية وخوفا من اذاه لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذر
منه الانبياء من فتنته فاما اهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم ولهذا يقول للذي يقتله
ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله قلنا يا رسول الله انهم يقولون معه جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على

الله من

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

30

الله من ذلك معناه هذا اهون على الله من ان يحيي ما خلقه الله عز وجل من جديد مثل المو
تى وما شك القلوب بهم بل انما جعله الله ليزداد الذين امنوا ايمانا وتثبيتا وحجة على الكافرين
والمنافقين وليس معناه انه مثله شيء من ذلك لانه ثبت في الحديث انه معه ماء ونار فماؤه نار وناره ماء
بارد والله اعلم قوله عز وجل وما يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم والذين امنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء اي لا يستوون قليلا ما يتذكرون ان الساعة يعني القيامة لآتية لا ريب فيها اي لا شك في قيامها
ومجيئها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي لا يصدقون بالبعث بعد الموت قوله عز وجل وقال ربكم ادعوني
استجب لكم اي اعبدوني دون غيري اجبكم واثيبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الا
ثابة عن النعمان بن بشير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم
قرا وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اخرجه
ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه من لم يسال الله يغضب عليه اخرجه الترمذي وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ليس شيء اكرم على الله من الدعاء اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن انس بن مالك رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وقال حديث غريب فان قلت كيف قال
ادعوني استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص
في الدعاء وان لا يدعو وقلبه مشغول بغير الدعاء وان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وان لا
يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما ان يعجلها له واما ان يؤ الدعا فيه
خرها له ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
رجل يدعو الله بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يؤخر له في الاخرة واما ان يكفر عنه به ذنوبه
بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول الله
دعوت ربي فما استجاب لي اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال وقوله
ان الذين يستكبرون عن عبادتي اي عن توحيدي وقيل عن دعائي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغر
ين ذليلين قوله عز وجل الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم 19
والسكون والنهار مبصرا اي يجعل لكم فيه امكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم ان الله لذو فضل على
الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم اي ذلكم المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد
هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء
وانه لا شريك له في ذلك فانى تؤفكون اي فانى تصرفون عن الحق كذلك اي كما افكتم عن الحق مع قيام الدلا
يل كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا اي فراشا لتستقروا عليها
وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت والسماء بناء اي سقفا مرفوعا كالقبة وصوركم فاحسن صوركم
اي خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن ادم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن ادم يتناول
بفيه ورزقكم من الطيبات قيل هو ما خلق الله لعباده من الماكول والمشروب من غير رزق الدواب
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي يعني الحي الذي لا حي الا الله فوجب ان يحمل ذلك على الذي
يمتنع ان يموت امتناعا ثابتا وهو الله تعالى الذي لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحي هو

الهم بحمد الله الكريم

المذكر الافعال وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة اللازمة ولما نبه على هذه الصفة نبه على كمال الوحدانية بقوله لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين : فاعبدوه واحمدوه قال ابن عباس

من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من

دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين وذلك حين دعي الى الكفر امره تعالى ان يقول ذلك قوله

تعالى هو الذي خلقكم من تراب يعني آدم اصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من

نطفة وهي من الاغذية والاغذية من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشد

كم ثم لتكونوا شيوخا يعني ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث مراتب الطفولية

وهي النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهو الشيخوخة ومنكم من يتو

فى من قبل اي من قبل ان يصير شيخا ولتبلغوا اجلا مسمى اي وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني اجل الحياة الى

الموت ولعلكم تعقلون اي ما في هذه الاحوال العجيبة من القدرة الدالة الباهرة على توحيده وقد

رته هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب نقب

وذلك من كمال قدرته من الاشياء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اهون شيئا واسرعه قوله

تعالى الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله يعني القرآن انى يصرفون اي عن دين الحق وقيل نزلت في القدرية الذين كذبوا

بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون وعيد وتهديد ثم وصف ما وعدهم به فقال اذ الاغلال في اعناقهم

والسلاسل يسحبون اي يجرون بتلك السلاسل في الحميم ثم في النار يسجرون اي توقد بهم النار ثم قيل لهم اين ما كنتم

تشركون من دون الله يعني الاصنام قالوا ضلوا عنا اي فقدناهم فلا نراهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا قيل انهم

انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعوا شيئا ينفع ولا يضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا لم نكن ندعوا من

قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين اي كما اضل هؤلاء ذلكم اي العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون اي تبطرون

وتاسرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون اي تختالون وتفرحون ادخلوا ابواب جهنم يعني السبعة

خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قوله عز وجل فاصبر ان وعد الله حق

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ينصرك على الاعداء فاما نرينك بعض الذي

نعدهم اي من العذاب في حياتك او نتوفينك اي قبل ان يحل ذلك بهم فالينا يرجعون

ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك عن خبره وحاله في القرآن ومنهم

من لم نقصص عليك اي ولم نذكر لك حال الباقين وليس منهم احد الا اعطاه الله آيات

ومعجزات الا وقد ذله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك

فصبروا وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله

اي بامر الله وارادته فاذا جاء امر الله اي قضاؤه من الانبياء والامم قضي بالحق اي

بالعدل وخسر هنالك المبطلون اي الذين يجادلون في آيات الله بغير حق وفيه وعيد

وتهديد لهم قوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون

ولكم فيها منافع اي في اصوافها واوبارها واشعارها والبانها ولتبلغوا

عليها حاجة في صدوركم اي تحمل اثقالكم من بلد الى بلد في اسفاركم وحاجاتكم وعليها

وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر ويريكم آياته اي دلايل قدرته

اي من قبل

تحلو

فأي آيات الله تنكرون يعني أن هذه الآيات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس بشيء منها
يمكن إنكاره قوله تعالى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض يعني مصانعهم وقصورهم
والمعنى لو سافروا هؤلاء في أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة المتكبرين المتمردين الهلاك
والبوار مع أنهم كانوا أكثر عددا وأموالا من هؤلاء فما أغنى عنهم أي لم ينفعهم ما كانوا
يكسبون أي أي شيء أغنى عنهم كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا
أي رضوا بما عندهم من العلم قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم بأحوال
الدنيا سمي علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل وحاق بهم ما كانوا
به يستهزئون فلما رأوا بأسنا أي عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
أي تبرأنا مما كنا نعدل بالله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله
التي قد خلت في عباده يعني أن سنة الله التي جرت في الأمم الخالية بعدم قبول الإيمان
عند معاينة الناس وهو العذاب يعني بتلك السنة أنهم إذا رأوا العذاب آمنوا
ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب وخسر هنالك الكافرون أي ذهاب
الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه إذا رأوا العذاب
والله سبحانه وتعالى أعلم تفسير سورة حم السجدة وتسمى
فصلت وسورة المصابيح وهي مكية وهي أربع
وخمسون آية وسبع مائة وست وتسعون كلمة
وثلاث مائة ألف وثمان مائة وخمسون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
آياته أي بينت بمميزات وجعلت معان مختلفة من أحكام وأمثال وموا
عظ ووعد ووعيد قرآنا عربيا أي باللسان العربي لقوم يعلمون
أي إنما أنزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم
ما فهموه بشيرا ونذيرا نعتان للقرآن أي بشيرا لأولياء الله بالثواب ونذيرا
لأعدائه بالعقاب فأعرض أكثرهم أي عنه فهم لا يسمعون أي لا يصغون إليه تكبرا
وقالوا يعني مشركي مكة قلوبنا في أكنة أي أغطية مما تدعونا إليه
أي فلا نفقه ما تقول وفي آذاننا وقر أي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى إنا في ترك
القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب أي خلاف
في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على ما تقول فاعمل أي أنت على دينك
إننا عاملون أي على ديننا قل يا محمد إنما أنا بشر مثلكم أي كواحد منكم يوحى
إلي أي لولا الوحي ما دعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع
أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه أي توجهوا إليه بالطاعة ولا تميلوا عن
سبيله واستغفروه أي من ذنوبكم وشرككم وويل للمشركين

الذين لا يؤتون الزكوة قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها زكوة النفس والمعنى انهم لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بالزكوة المفروضة ولا يرون ايتاءها واجبا وكان يقال الزكوة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون في طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون اعمالهم وهم بالاخرة هم كفرون اي جاحدون بالبعث بعد الموت ان الذين امنوا وعملوا الصلحت لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الاية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه خ عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين ولا مرات يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض او سفر كتب له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم قوله عز وجل قل اينكم استفهام بمعنى الانكار وذكر منهم شيئين منكرين احدهما الكفر بالله وهو قوله تعالى لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وثانيهما وتجعلون له اندادا اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين يعني الاحد والاثنين ذلك رب العلمين اي هو رب العلمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الانداد المنحوتة والحجارة وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت من فوقها اي من فوق الارض وبارك فيها اي في الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه وقدر فيها اقواتها اي قسم في الارض ارزاق العباد والبهايم وقيل قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك ساير الاقوات وقيل ان الزراعة اكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات في الارض قال الله تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام مع اليومين الاولين فخلق الارض في يومين وقدر الاقوات في يومين وهما يوم الثلاثاء والاربعاء فصارت اربعة ايام رد الاخر على الاول في الذكر سواء للسايلين معناه سواء لمن سال عن ذلك فهكذا الامر كذلك سواء لا زيادة ولا نقصان جواب لمن سال في كم خلقت الارض والاقوات ثم استوى الى السماء اي عمد الى خلق السماء وهي دخان [illegible] ان ذلك الدخان كان بخار الماء وقيل كان العرش قبل خلق السموت والارض على الماء فلما اراد الله ان يخلق السموت والارض امر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم ايبس الماء فخلقه ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الاية مشعرة بان خلق الارض كان قبل السماء وقوله والارض بعد ذلك دحيها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور ان الله خلق الارض اولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحى الارض ومدها وجواب اخر وهو ان يقال ان خلق السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الاية خلق الارض في يومين ليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين بل هو عبارة عن التقدير ايضا فيكون المعنى قضى ان يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء وعلى هذا يزول الاشكال والله اعلم فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها اي ايتيا ما امر كما اي

اي افعلاه وقيل اعطيا ما امرتكما طوعا والا الجاتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا
بالطوع قالتا اتينا طائعين معناه اتينا بما فينا فلما وصفهما بالقبول اجراهما
مجرى من يعقل قيل قال الله لهما اخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح
العباد اما انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك اما انت يا ارض فشقي انهارك واخرجي
ثمارك ونباتك وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات اي اتمهن وفرغ من خلقهن
في يومين وهما الخميس والجمعة واوحى في كل سماء امرها قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقا
من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله او الى كل سماء ما اراد من
الامر والنهي وزينا السماء الدنيا اي التي تلي الارض بمصابيح اي بكواكب تشرق بالمصابيح وحفظا
اي وجعلناها يعني الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع ذلك
الذي ذكر من صنعه وخلقه تقدير العزيز اي في ملكه العليم اي بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة
والعلم قوله عز وجل فان اعرضوا يعني هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا
البيان فقل انذرتكم اي خوفتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي هلاكا مثل هلاكهم
والصاعقة المهلكة من كل شيء اذ جاءتهم الرسل يعني الى عاد وثمود من بين ايديهم يعني الرسل
الذين ارسلوا اليهم الى ابائهم ومن خلفهم يعني ومن بعد الرسل الذين ارسلوا الى ابائهم وهم
الرسل الذين ارسلوا اليهم وهم هود وصالح وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا
يمرون على بلادهم الا اي بان لا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة يعني لو شاء ربنا دعوة
الخلق لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل فانا بما ارسلتم به كافرون روى البغوي باسناد
الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملا من قريش وابو جهل قد التبس علينا
امر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه
ثم اتانا ببيان امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعنا الشعر والكهانة والسحر وعلمت
من ذلك علما وما يخفى علي ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال انت يا محمد خير ام هاشم
انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان كنت انما بك
الرياسة عقدنا الكرة لك فكنت راسنا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجتك عشر نسوة
تختار من اي بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني انت وعقبك من بعدك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته فقرا حتى بلغ الى قوله فقل انذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع الى اهله
ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد
صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال
ابو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة
جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا ابدا فقال والله لقد
علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله
ما هو بشعر

الدنيا

اللهم صل على النبي الكريم

والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فـ
أمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وقال محمد
بن كعب القرظي حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه و
سلم جالس وحده في المسجد فقال يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منها
منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب محمد يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا أبا الوليد فقم
إليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة في
العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم
وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال رسول الله قل يا أبا الوليد فقال يا ابن أخي إن
كنت إنما تريد بما جئت به من الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا
وإن كان هذا الذي بك رئيا تراه طلبنا لك الطب ولعل هذا شعر جاش به صدرك فإنكم لعمري بني عبد المطلب
تقدرون على ذلك ما لا يقدر عليه أحد حتى إذا فرغ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم
قال فاسمع مني قال أفعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا ثم مضى الرحيم
فيها يقرؤها فلما سمعها أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى إذا انتهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد ثم قال سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف
بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي قد سمعت قولا والله
ما سمعت بمثله قط ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة يا معشر قريش أطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما
هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على
العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد
بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من
أشد منا قوة وذلك أن هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي
أجسام طوال قال الله ردا عليهم أولم يروا أي أولم يعلموا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا
بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا أي عاصفا شديدة الصوت وقيل هي الريح الباردة وقيل إن الرياح ثمانية
أربع منها عذاب وهي الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات
والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح قدر الخاتم فأهلكوا جميعا في أيام نحسات أي نكدات مشؤومات ذات نحوس وقيل ذات
غبار أو تراب ثائر لا يكاد يبصر فيه ويتصرف فيه وقيل أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت عليهم الريح من غير
مطر لنذيقهم عذاب الخزي أي عذاب الذل والهوان وهذا مقابل لقوله فاستكبروا في الأرض بغير الحق في الحياة الدنيا أي
ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى أي أشد إهانة وهم لا ينصرون أي لا يمنعون من
من العذاب وأما ثمود فهديناهم قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الشر والخير فاستحبوا
العمى على الهدى أي اختاروا الكفر على الإيمان فأخذتهم صاعقة العذاب الهون أي الهوان بما كانوا يكسبون أي
من الشرك ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون أي يتقون الشرك والأعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من
قومه قوله عز وجل ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون أي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى
يلحق آخرهم حتى إذا ما جاءوها يعني النار شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم أي بشراتهم وقيل فروجهم

بما كانوا

بما كانوا يعملون معناه ان الجوارح مما تنطق الالسنة من عملهم م عن انس رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول
يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول اني لا اجيز اليوم على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم
عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقول لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم
يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل قالوا يعني الكفار الذين يحشرون الى النار لجلودهم
لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء معناه ان القادر الذي خلقكم اول مرة في الدنيا وانطقكم ثم اعا
دكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل تم الكلام
عند قوله انطق كل شيء ثم ابتدا بقوله وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود وما كنتم
تستترون اي تستخفون وقيل معناه تظنون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم والمعنى انكم لا تقد
رون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
قال ابن عباس كان الكافر يقولون ان الله لا يعلم ما في انفسنا ولكنه يعلم ما يظهر وعن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون
الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الاخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا ا
خفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا
يعلم كثيرا مما تعملون وقيل الثقفي هو عبد يا ليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن امية قوله تعالى وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارديكم اي ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ارديكم اي اهلككم وقال ابن عباس طرحكم في النار
فاصبحتم من الخاسرين ثم اخبر عن حالهم بقوله فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي مسكن وان يستعتبوا اي
يسترضوا ويطلبوا والعتب هو الذي قبل عتابه واجيب الى ما سال فما هم من المعتبين اي المرضيين. وقيضنا
لهم اي قيضنا لهم ووكلنا وقيل هيانا وسببنا لهم قرناء اي نصراء من الشياطين فزينوا لهم ما بين ايديهم اي من امر
الدنيا حتى اثروه على الاخرة وما خلفهم اي دعوهم الى التكذيب بالاخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم اعمالهم
القبيحة الماضية والمستقبلة وحق عليهم القول اي وجب في امم اي مع امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا
خاسرين قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي قريش لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه قال ابن عباس الغوا فيه
يعني والقطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصي الى بعض اذا رايتم محمدا يقرا فعارضوه بالرجز و
الشعر وقيل اكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل الغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا في وجهه لعلكم
تغلبون يعني محمدا على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون اي في الدنيا
وهو الشرك ذلك اي الذي ذكر من العذاب جزاء اعداء الله ثم بين ذلك الجزاء فقال النار لهم فيها دار الخلد اي دار الاقامة لا
تنقلهم عنها جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا اي في النار ربنا اي يقولون ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن
والانس يعنون ابليس وقابيل بن ادم الذي قتل اخاه لانهما سنا المعصية نجعلهما تحت اقدامنا اي في النار ليكونا من الاسفلين
اي في الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
قال اهل التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وراس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة
بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وراس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مايل الى
طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في امور الدنيا والتوحيد وتكون في الاعمال الصالحة سئل ابو بكر الصديق

ربع

عن

رضي الله عنه الاستقامة وقال ان تستقيم فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال ابن الخطاب رضي الله عنه الاستقا
مة على الامور والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه استقاموا واخلصوا في العمل
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ادوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على امر الله عز وجل فعملوا اى
بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه
الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا
من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث الا تخافوا اي من الموت وقيل
الا تخافوا قدوما على ما تقدمون عليه من امر الاخرة ولا تحزنوا اي على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك
كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا نغفرها لكم وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم اي
تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن اولياؤكم اي انصاركم واحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا
معكم في الحياة الدنيا ونحن اولياؤكم في الاخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ولكم فيها اي في الجنة ما تشتهي انفسكم
من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون اي تتمنون نزلا والنزل رزق النزيل وهو الضيف من غفور رحيم
قال اهل المعاني هذه الاشياء المذكورة في هذه الاية جارية مجرى المنزل والتكريم اذا اعطى هذا المنزل
فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اي الى طاعة الله تعالى
قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو المؤمن اجاب الله تعالى فيما
دعاه الله ودعا الناس الى ما اجاب اليه وعمل صالحا اي في اجابته وقالت عائشة ارى هذه الاية نزلت في المؤذنين
وقيل ان كل من دعا الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في الاية وللدعوة الى الله تعالى مراتب الاولى دعوة
الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج وبالبراهين وبالسيف وهذه المر
تبة لم تتفق ولم تحصل لغير الانبياء المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء
لعلماء اقسام عالم بالله عالم بالله تعالى وعالم بصفات الله وعالم باحكام الله جل جلاله المرتبة الثالثة دعوة
المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الى الله تعالى والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين
قسم يكون من اعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو ساير الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى
ركعتين بين الاذان والاقامة وعن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة
قال في الثانية لمن شاء عن انس بن مالك رضي الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد اخرجه ابو داود و
الترمذي وقال هذا حديث حسن وقال انني من المسلمين قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اعتقاد القلب
فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به قوله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا السيئة يعني الصبر والغضب
والحلم والجهل والعفو والاساءة ادفع بالتي هي احسن قال ابن عباس امر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبا الحلم
لعفو عند الاساءة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي الصديق القريب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب
وذلك لانه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فصار
وليا بالاسلام حميما بالقرابة وما يلقاها اي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة الا الذين
صبروا اي على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اي من الخير و
الثواب وقيل الحظ العظيم الجنة اي ما يلقاها الا من وجبت له الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ شبه النخس وا يعني
لشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه اي يبعثه على ما لا ينبغي ومعنى الاية وان صرفك الشيطان عما وصيت به

من الدفع

بيان علماء

المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله

اصل

اللهم صل على محمد وسلم ...

34

من الانتقام بالتي هي احسن فاستعذ بالله اي من شره انه هو السميع اي لاستعاذتك العليم اي
باحوالك قوله عز وجل ومن آياته اي ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته الليل والنهار والشمس
والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر اي انهما عبدان مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود
عبارة عن نهاية التعظيم واسجدوا لله الذي خلقهن اي المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل
والنهار والشمس والقمر ان كنتم اياه تعبدون يعني ان اناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون
ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسائط وامروا بالسجود
لله الذي خلق هذه الاشياء كلها فان استكبروا اي عن السجود لله فالذين عند ربك يعني الملائكة يسبحون
له بالليل والنهار وهم لا يسأمون اي لا يفترون ولا يملون فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفي
موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعي احدهما عند قوله ان كنتم اياه تعبدون و
هو قول ابن مسعود والحسن وحكي النووي عن ابي حنيفة واحمد لان ذكر السجدة قبله والثاني وهو الاصح
عند اصحاب الشافعي وبه قال ابو حنيفة انه عند قوله وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن
المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن ابي حنيفة لان عنده يتم الكلام قوله عز وجل ومن آياته انك ترى
الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير قوله تعالى
ان الذين يلحدون اي يميلون عن الحق في آياتنا اي في ادلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو والغلط وقيل يكذبون
بآياتنا ويعاندون ويشاقون لا يخفون علينا فيه تهديد ووعيد وقيل نزلت في ابي جهل افمن يلقى في النار وهو ابو
جهل خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة المعنى الذين يلحدون في آياتنا يلقون في النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون
يوم القيامة هو حمزة وقيل هو عثمان وقيل عمار بن ياسر اعملوا ما شئتم امر تهديد ووعيد انه بما تعملون
بصير اي انه عالم باعمالكم فيجازيكم بها ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم يعني القرآن وفي جواب ان وجهان احدهما
انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثاني جوابه اولئك ينادون
من مكان بعيد ثم اخذ في وصفه فقال تعالى وانه لكتاب عزيز قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز
العديم النظير وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل عزيز اي الله يمعني
منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه
فيأتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى
الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء
بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا
من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا يأتيه الباطل التي يأتيه كما انه يبطل [illegible]
من الزمان ولا يبطل تأخر تنزيل من حكيم اي في جميع افعاله حميد اي الى جميع
خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على
تكذيب قومه اياه فقال عز وجل ما يقال لك اي من الاذى والتكذيب الا ما قد
قيل للرسل من قبلك يعني انه قد قيل للانبياء قبلك كما يقال لك وكذبوا كما
كذبت وان ربك لذو مغفرة اي لمن تاب وآمن بك وذو عقاب اليم اي لمن صبر على

التكذيب قوله عز وجل ولو جعلناه اي هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس قرآنا اعجميا
اي بغير لغة العرب لقالوا لولا فصلت آياته اي هلا بينت آياته بالعربية حتى نفقهها أأعجمي
وعربي اي كتاب اعجمي ورسول عربي والمنزل اعجمي وقيل معنى الآية انا لو انزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان
لهم ان يقولوا كيف انزل الكلام العجمي الى القوم العرب ولصح قولهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي آذاننا وقر انا
لا نفهمه ولا نحيط بمعناه اما لو انزلنا هذا القرآن بلغة العرب للعرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقو
لوا قلوبنا في اكنة وفي آذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي
وكان يهوديا اعجميا يكنى ابو فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم
محمدا فقال هو الله يعلمني فانزل الله هذه قل يا محمد هو يعني القرآن للذين آمنوا هدى اي من الضلالة و
شفاء اي لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام والذين لا يومنون في آذانهم
وقر وهو عليهم عمى اي صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به اولئك ينادون من مكان
بعيد كأن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم
فهم ينادون من مكان بعيد حيث لا يسمعون ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه اي فمصدق به ومكذب
ومكذب به كما اختلف قومك في كتابك ولولا كلمة سبقت من ربك اي في تاخير العذاب عن المكذبين بالقرآن
لقضي بينهم اي لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم وانهم لفي شك منه مريب اي من كتابك وصدقك من عمل
صالحا فلنفسه اي يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه ومن اساء فعليها اي ضرر اساءته ووزره يعود على
نفسه وما ربك بظلام للعبيد يعني فيعذب غير المسيء قوله عز وجل اليه يرد علم الساعة يعني اذا سأل
عنها سائل قيل لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك وما تخرج من ثمرات من
اكمامها اي من اوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل ان تنشق وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي يعلم ايام عدد
الحمل وساعته ومتى يكون الحمل ذكرا هو او انثى ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة وكذلك يرد اليه علم
ما يحدث من شيء كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل من اصحاب الكشوف فلا يصيب فيه
فيه قلت اما اصحاب الكشف اذا قالوا فلا يكون الا بالهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه
الذي يرد اليه واما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وانما غايتهم
ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذي لا يشاركه فيه احد ويوم يناديهم
بهم اي ينادي الله المشركين فيقول اين شركائي اي الذين كنتم تزعمون انها آلهة قالوا يعني المشركون
آذناك اي اعلمناك ما منا من شهيد اي يشهد ان لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرأوا من الاصنام وضل
عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي يعبدون في الدنيا وظنوا ما لهم من محيص اي لا مهرب لا يسأم الانسان من
اي لا يمل الكافر من دعاء الخير يعني لا يزال يسأل ربه الخير وهو المال والصحة والغنى وان مسه الشر اي الشدة
ثم والفقر فيؤوس اي من روح الله تعالى قنوط اي من رحمته ولئن اذقناه رحمة منا اي آتيناه خيرا وعافية
وغنى من بعد ضراء مسته اي من بعد شدة وبلاء اصابه ليقولن هذا لي اي استحقه بعلمي وما اظن الساعة
قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي الجنة والمعنى كما اعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة فلننبئن الذين كفروا
بما عملوا قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوئ اعمالهم ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على
الانسان اعرض ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم واذا مسه الشر اي الشدة والفقر فذو
دعاء

يسار
سقلام

الكفرى

وكذلك الكهان والمنجمون

اي لا يمل

اي ولئن رجعت على تقدير صحة البعث ولئن رجعت الى ربي في قول هذا الكافر فإن كان الامر على ذلك ورجعت الى ربي

اللهم صل على محمد النبي الكريم

بذو دعاء عريض اي كثير قل يا محمد لكفار مكة أرأيتم ان كان من عند الله يعني هذا القرآن ثم كفرتم به اي جحد
تموه من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى لا احد اضل منكم سنريهم آياتنا في الآفاق
قال ابن عباس منازل الامم الماضية وفي انفسهم اي البلاء والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الآفاق ما يفتح
من القرى والبلاد على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفي انفسهم هو فتح مكة حتى يتبين لهم انه الحق
يعني دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل الآ
فاق يعني اقطار السماء والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفي انفسهم يعني من لطيف الحكمة
وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الذي لا يقدر على خلق هذه الا الله تعالى أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد يعني يشهد
ان القرآن من عند الله وقيل اولم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي اوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عليه شيء.
الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك عظيم من البعث والقيامة الا انه بكل شيء محيط اي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها احاط
به بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه. تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى
وهي مكية في قول ابن عباس والجمهور وحكي عن ابن عباس الا اربع آيات نزلت في المدينة اولها قل لا اسالكم عليه اجرا وقيل فيها من ذلك
الذي يبشر الله عباده الى قوله بذات الصدور وقوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الى من سبيل وهي ثلاث وخمسون آية
وثمانمائة وست وستون كلمة وثلاثة الاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم عسق
سئل الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع المر والمص فقال لانها سور اوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان
حم مبتدا وعسق خبره لان حم عسق آيتين وعدت اخواتها التي لم تقطع آية واحدة وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا في كهيعص
واخواتها انها حروف التهجي واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها اي حم الامر اي قضي وبقي
عسق على اصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناؤه ق قدرته اقسم الله عز وجل بها وقيل ان القاف من القدير والسين
من القدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب في قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم
س سنين كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه وقيل هذا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه والميم ملكه الممدود والعين
عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المعبود قال ابن عباس ليس من نبي صاحب
كتاب الا وقد اوحي الله اليه حم عسق ولذلك قال تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك وقيل معناه كذلك يوحي اليك اخبار الغيب
كما اوحينا الى الذين من قبلك الله العزيز في ملكه الحكيم في صنعه والمعنى كانه قيل من يوحي فقيل العزيز الحكيم ثم وصف نفسه ملكه فقال
تعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن اي من فوق الارضين وقيل يتفطرن كل واحدة
فوق التي تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا والملائكة يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما
لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم ويستغفرون لمن في الارض اي من المومنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملا
ئكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من في الارض اما الكفار فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعا
جلهم بالعقاب واما في حق المومنين فالتجاوز عن سيئاتهم وقيل يستغفرون لمن في الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المومن
والكافر الا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه تعالى يعطي المغفرة التي سالوها وكرامة الرحمة التامة الشاملة قوله تعالى والذين
اتخذوا من دونه اولياء اي جعلوا له شركاء وانداد الله حفيظ عليهم اي رقيب على احوالهم واعمالهم وما انت عليهم بوكيل اي لم نو
كلك بهم حتى تؤخذ بهم انما انت نذير وكذلك اي ومثل ما ذكرنا اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى يعني مكة والمراد اهلها ومن
حولها يعني قرى الارض كلها وتنذر يوم الجمع اي وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين واهل السموات
واهل الارض لا ريب فيه اي لا شك في الجمع انه كائن ثم بعد ذلك يتفرقون وهو قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير عن عبد الله

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابض على كفيه ومعه كتابان قال
اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يمينه هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وعشائرهم
وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم
ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيمة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء
آبائهم وعشائرهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم
ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيمة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا فقال اعملوا وسددوا وقاربوا فان
صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل فريق في الجنة وفريق في الجنة
في السعير عدل من الله تعالى اخرجه احمد بن حنبل في مسنده قوله تعالى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة قال ابن عباس على دين واحد
وقيل على ملة الاسلام ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي في دين الاسلام والظالمون اي الكافرون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب
ولا نصير اي يمنعهم من العذاب ام اتخذوا يعني الكفار من دونه اولياء فالله هو الولي قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من
تبعك وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير يعني من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس
وما اختلفتم فيه من شيء اي من امر الدين فحكمه الى الله اي يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه الى الله
وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته ذلكم الله
اي الذي يحكم بين المختلفين ربي عليه توكلت اي في جميع اموري واليه انيب اي واليه ارجع في جميع كل المهمات فاطر السموات والا
رض جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا اي حلائل وقيل انها قال من انفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم ومن الا
نعام ازواجا يذرؤكم فيه اي اصنافا ذكورا واناثا يذرؤكم اي يخلقكم وقيل في البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسل
بعد نسل من الناس والانعام وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين من الناس والانعام
الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل في بمعنى الباء اي يذرؤكم فيه بالتزويج ليس كمثله شيء المثل
صلة اي ليس كهو شيء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شيء قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت هذه الآية دالة على
نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض يقتضي اثبات المثل فما الفرق قلت المثل هو الذي يكون مساويا
في بعض الصفات الخارجة عن الماهية وقوله ليس كمثله شيء فمعناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس ويكون معناه ليس لانه
سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى فمعناه وله الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد وقد ظهر بهذا
التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما وهو السميع اي لسائر المسموعات البصير اي لسائر المبصرات له مقاليد السموات
والارض اي مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الارض النبات يدل عليه قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني انه يوسع على
من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده انه بكل شيء عليم اي من البسط والتضييق قوله تعالى شرع لكم من الدين ربع
اي بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين اي دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله ما وصى به نوحا يعني انه اول الانبياء اصحاب
الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا والذي اوحينا اليك اي من القرآن وشرائع الاسلام وما وصينا به ابراهيم
وموسى وعيسى انما ذكر هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع العظيمة والاتباع الكثيرة واولو
العزم ثم بين المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه يعني اقامة
الدين وهو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله في اوامره ونواهيه وسائر ما يكون به
الرجل مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال تعالى لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل اراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع
على تحريمها

اللهم صل على النبي الكريم

36

مجمع على تحريمها وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقامة الصلوة وايتاء الزكوة والاقرار لله بالوحدانية والطاعة
وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من التو
حيد ورفض الاوثان الله يجتبي اليه من يشاء اي يصطفي لدينه من يشاء من عباده ويهدي اليه من ينيب اي يقبل الى طاعته وما
تفرقوا يعني اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعني اهل الكتب الا من بعد ما جاءهم العلم اي بان الفرقة ضلالة بغيا بينهم
ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم اي بين من آمن ومن كفر يعني انزل العذاب
بالمكذبين في الدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى يعني الى يوم القيامة لقضي بينهم
اي بين من آمن ومن كفر يعني انزل العذاب بالمكذبين في الدنيا وان الذين اورثوا الكتاب يعني اليهود والنصارى من بعدهم
اي من بعد انبيائهم وقيل هم الامم الخالية لفي شك منه اي من امر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يومنون به مريب يعني
مرتابين مشككين فيه فلذلك اي فالى ذلك فادع اي الى ما وصى الله الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ما حدث من الاختلاف
الكثير في الدين فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم كما امرت اي اثبت على الدين امرت به ولا تتبع اهوا
ءهم اي المختلفة الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اي آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين آ
منوا ببعض الكتب وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم قال ابن عباس امرت ان لا احيف عليكم باكثر مما افترض
الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم الي ا
لله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان الله لكل واحد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت عملنا فكل يجزى بعمله
لا حجة اي لا خصومة بيننا وبينكم وهذه الآية منسوخة بآية القتال اذ لم يومر بالقتال وامر بالدعوة فلم يكن بينه وبين
من لا يجيب خصومة الله يجمع بيننا اي في المعاد لفصل القضاء واليه المصير قوله تعالى والذين يحاجون في الله اي يخاصمون
في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من بعد ما
استجيب له اي من بعد ما استجاب الناس لدين الله واسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزات نبيه صلى الله عليه وسلم حجتهم
داحضة اي خصومتهم باطلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اي في الآخرة الله الذي انزل الكتاب بالحق اي الكتب ا
لمشتملة على انواع الدلائل والوبال ويبين عن البخس وما يدريك لعل الساعة قريب اي وقت اتيانها قريب وذلك لان ا
لنبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا متى تكون الساعة فانزل الله تعالى
يستعجل بها الذين لا يومنون بها اي ظنا منهم انها غير آتية والذين آمنوا مشفقون منها اي خائفون منها ويعلمو
ن انها الحق اي انها آتية لا شك فيها الا ان الذين يمارون في الساعة وقيل يشكون فيها لفي ضلال بعيد قوله عز وجل
الله لطيف بعباده اي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق بهم وقيل لطيف بالبار والفاجر حيث
لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى يرزق من يشاء يعني ان الاحسان والبر والانعام في حق
كل العباد هو اعطاء ما لا بد منه فكل من رزقه الله مومن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله ان يرزقه وقيل اللطيف
في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة وهو القوي اي القادر على
على ما يشاء العزيز اي الذي لا يغالب ولا يدافع من كان يريد حرث الآخرة اي كسب الآخرة والحرث في كلام من يريد بعمله الا
خرة نزد له في حرثه اي بالتضعيف بالواحد عشرة الى ما يشاء الله من الزيادة وقيل انه يريد في توفيقه واعانته وتسهيل
سبيل الخيرات والطاعات عليه ومن كان يريد حرث الدنيا يعني يريد بعمله الدنيا موثرا لها على الآخرة نوته منها
اي ما قدر وقسم له منها وما له في الآخرة من نصيب يعني لانه لم يعمل لها عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في

لم يكن له في الاخرة من نصيب في جمع الاصول ولم يعزه الى احد الكتب الستة واخرجه البغوي باسناده قوله تعالى ام لهم يعني
كفار مكة شركاء يعني الاصنام وقيل الشياطين شرعوا لهم من الدين قال ابن عباس شرعوا لهم دينا
غير دين الاسلام ما لم ياذن به الله يعني ان تلك الشرائع باسرها على خلاف دين الله وذلك الذي امر به وذلك
انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها ولولا كلمة الفصل يعني ان الله
حكم بين الخلق بتاخير العذاب عنهم الى يوم القيمة لقضي بينهم اي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في
الدنيا وان الظالمين يعني المشركين ~~عنهم الى يوم القيمة لقضي بينهم~~ لهم عذاب اليم اي في الاخرة ترى الظالمين
يعني يوم القيامة مشفقين اي وجلين خائفين مما كسبوا من الشرك والاعمال الخبيثة وهو واقع بهم
اي جزاء كسبهم واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لان روضة الجنة اطيب بقعة
في الجنة ولذلك خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على ان في الجنة منازل غير الروضات وهي
لمن دون هؤلاء الذين امنوا وعملوا الصالحات من اهل الجنة لهم ما يشاءون عند ربهم اي من الكرامة ذلك
هو الفضل الكبير اي الذي ذكر من نعيم الجنة ذلك يعني الذي ذكر من نعيم الجنة الذي يبشر الله عباده الذين
امنوا وعملوا الصالحات قوله عز وجل قل لا اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة اجرا اي جزاء الا المودة في القربى
خ عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل
محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس عجلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة
فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعن ابن عباس ايضا في قوله الا المودة في القربى يعني ان تحفظوا
قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي والضحاك خ عن ابن عمر رضي ومقاتل
الله عنهما ان ابا بكر قال ارقبوا محمدا في اهل بيته واختلفوا في اهل بيته وقرابته فقيل علي وفاطمة والحسن رضي
الله عنهم وقيل اهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين
لم يفترقوا في جاهلية ولا اسلام م عن زيد بن ارقم رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم
ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال
واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي فقال له حصين ومن اهل بيته يا زيد اليس نساؤه من اهل
بيته قال نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم الصدقة قال ومنهم قال آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل
فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة لا يجوز لقوله في قصة نوح وغيره من الانبياء ما اسألكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين قلت لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقي الجواب عن قوله الا المودة في
القربى والجواب عنه من وجهين الاول معناه لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو
مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين امر واجب واذا كان كذلك في حق جميع المسلمين كان في اهل بيت النبي صلى
الله عليه وسلم اولى واحرى فقوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ليس اجرا في الحقيقة لان قرابة
قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لا اجر البتة والوجه الثاني ان هذا الاستثناء منقطع وتم
الكلام عند قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ثم ابتدأ فقال الا المودة في القربى اي لكن اذكركم المودة في القربى واذكركم
قرابتي منكم في الاباء هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الاية منسوخة وذلك انها منسوخة نزلت
بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية فامرهم فيها بمودة رسول

صلى الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه ولما هاجر الى المدينة واوته الانصار ونصروه احب الله تعالى ان يلحقه
باخوانه من النبيين فانزل الله تعالى قل ما اسالكم عليه من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فصارت هذه الاية
ناسخة لقوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل القول بنسخ
هذه الاية غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه من فرائض الدين وهو
قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الاية وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في معنى الاية قول اخر قال ان تودوا
الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح قوله
تعالى ومن يقترف حسنة اي يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا اي بالتضعيف ان الله غفور للذنوب شكور اي القليل من
الاعمال حتى يضاعفها ام يقولون اي بل يقولون كفار مكة افترى على الله كذبا فيه توبيخ لهم معناه ايقع في قلوبهم ويجري على
السنتهم ان ينسب مثله الى الكذب وهو افترى على الله كذبا وهو اقبح انواع الكذب فان يشإ الله يختم على قلبك
اي يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفترى وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القران
وما اتاك وأخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما اخبر في هذه الاية ويمح الله الباطل اخبر الله تعالى ان ما يقولونه باطل
يمحوه الله عز وجل ويحق الحق بكلماته اي يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله ذلك فمحى باطلهم
واعلى كلمة الاسلام انه عليم بذات الصدور قال ابن عباس لما نزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع
في قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه وانزل هذه الاية
فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فانزل الله تعالى قوله عز وجل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
قال ابن عباس يريد اولياءه واهل طاعته فصل في ذكر حكم التوبة وذكر حكمها قال العلماء التوبة
واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق ادمي فلها ثلاثة شروط احدها
ان يقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم ان لا يعود اليها ابدا فاذا حصلت هذه الشروط
صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق ادمي فشروطها اربعة هذه
الثلاثة والشرط الرابع ان يبرا من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة ترك المعصية نية وفعلا والاقبال
على الطاعة نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة
في خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه
في اليوم اكثر من سبعين مرة م عن الاغر مزينة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الله افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها
طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش
او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا
راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المومن من هذا براحلته والدوية الفلاة والمفازة
ق عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على
بعيره وقد اضله في ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اشد فرحا بتوبة عبده
حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها
فاتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة
الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله

[illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]

اللهم صل على النبي الكريم

صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من
قبله وذلك قوله يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن
ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب م عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من
مغربها قوله تعالى ويعفوا عن السيئات اي يمحوها اذا تابوا ويعلم ما يفعلون يعني من خير او شر فيجازيهم
ربهم عليه ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني يجيب المؤمنين الله تعالى فيما دعاهم لطاعته
وقيل معناه ويجيب الذين امنوا اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين امنوا ويزيدهم من فضله اي سوى
ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان
اخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد قوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده قال خباب بن الارت فينا نزلت
هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فانزل الله تعالى ولو بسط
الله الرزق لعباده اي وسع الله الرزق لعباده لبغوا اي لطغوا وعتوا في الارض قال ابن عباس بغيهم طلبهم
منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد
الغنى والقدرة رجع الى مقتضى خلقته وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر ورجع الى الطاعة
والتواضع وقيل ان البغي مع القبض والفقر اقل ومع البسط والغنى اكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها
اذا كانت فاقدة الالة كان الشر اقل واذا كانت واجدة كان الشر اكثر لان وجدان المال يوجب ال
طغيان ولكن ينزل بقدر ما يشاء يعني الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله انه بعباده خبير بصير والمعنى
والمعنى ان الله تعالى عالم باحوال عباده وبطبائعهم وعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم امورهم
يدل على ذلك ما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه
السلام عن الله عز وجل تبارك وتعالى قال يقول الله عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني
واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الي عبدي المؤمن بمثل اداء ما افترضت عليه و
ما يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان
دعاني اجبته وان سالني اعطيته وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي يكره الموت
واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يسالني الباب من العبادات فاكفه عنه ان
لا يدخله العجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده
ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي
المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن
لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني
عليم خبير اخرجه البغوي باسناده قوله عز وجل وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي يئس
الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر على اهل مكة سبع سنين
حتى قنطوا ثم انزل الله المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة اتم وينشر
رحمته بركات الغيث ومنافعه وما يحصل من الخصب وهو الولي لاهل طاعته الحميد

يبسط

اي المحمود

اللهم صل على سيدنا محمد

أي المحمود على ما يوصل إلى الخلق من أقسام رحمته ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث أي أوجد
فيهما أي في السموات والأرض من دابة فإن قلت كيف يجوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب في اللغة 38
المشي الخفيف على الأرض فيحتمل أن يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف
به الإنسان وقيل يحتمل أن الله تعالى خلق في السموات أنواعا من الحيوان يدبون فيها دبيب الإنس وهو على
جمعهم إذا يشاء قدير يعني يوم القيامة قوله عز وجل وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم
يعني بهذه المصائب الأحوال المكروهة نحو الأوجاع والأسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق
وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصي ويعفو عن كثير قال لما نزلت هذه
الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق
إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي سخيلة قال قال علي
بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ولعا وسأفسرها لكم يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة
أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنـ
ـيا فهو أحلم من يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ويعفو
ليغفره له إلا بها عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن
شوكة فما فوقها أو فما فوقها إلا رفع الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة وما أنتم بمعجزين أي بفا
ئتين في الأرض هربا يعني لا تعجزونني حيث ما كنتم وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير قوله عز وجل
ومن آياته الجوار يعني السفن وهي السيارة في البحر كالأعلام أي كالقصور وكل شيء مرتفع عند
العرب فهو علم ظهر البحر لا تجري إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور وهذه صفة المؤمن لأنه يصبر في
الشدة ويشكر في الرخاء أو يوبقهن أي يغرقهن ويهلكهن بما كسبوا أي بما كسبت ركابها من
الذنوب ويعف عن كثير أي من ذنوبهم ولا يعاقب عليها ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص يعني
يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله تعالى ما لهم من مهرب من عذابه فما أوتيتم من شيء أي
من زينة الدنيا فمتاع الحياة الدنيا أي ليس هو من زاد المعاد وما عند الله أي من الثواب خير وأبقى للذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والمعنى أن المؤمن والكافر يستويان في متاع الدنيا فإذا صارا إلى الله
كان ما عند الله من الثواب خير للمؤمن والذين يجتنبون كبائر الإثم يعني كل ذنب يعظم عقوبته كالقتل والزنا
وشبه ذلك والفواحش يعني ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال وإذا ما غضبوا هم يغفرون يعني يكظمون الغيظ
ويحلمون والذين استجابوا لربهم أي أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته وأقاموا الصلاة يعني المفرو
ضة وأمرهم شورى بينهم يعني يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأي ما لم
يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم
البغي يعني الظلم والعدوان هم ينتصرون يعني ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله
المؤمنين صنفين صنف يعفون عن من ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله وإذا ما غضبوا هم يغفرون
وقسم ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية وقال إبراهيم النخعي كانوا يكرهون أن
يذلوا أنفسهم وإذا قدروا عفوا وقيل إن العفو إغراء السفيه قال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم

ثم مكنهم الله في الأرض حتى ينتصروا من ظلمهم ثم بين الله تعالى أن شرعة الانتصار مشروعة بشرط رعاية المماثلة وجزاء تعالى
سيئة سيئة مثلها سمي الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل إن الجزاء يسوء من ينزل به و
قيل هو جواب القبيح إذا قال أخزاك الله يقال له أخزاك الله ولا تزد وإذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتدوا وقيل هو في
في القصاص والجراحات والحدود والدماء يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل إن الله لم يرغب في الانتصار بل بين أنه مشروع ثم بين
العفو أولى بقوله فمن عفا أي عمن ظلمه وأصلح بالعفو بينه وبين الظالم فأجره على الله قال الحسن إذا كان يوم القيامة
نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا ثم قرأ هذه الآية إنه لا يحب الظالمين قال ابن عباس الذين يبدؤون
بالظلم ولمن انتصر بعد ظلمه أي بعد ظلم الظالم إياه فأولئك يعني المنتصرين فأولئك ما عليهم من سبيل أي بعقوبة ومؤاخذة إنما
السبيل على الذين يظلمون الناس أي يبتدئون بالظلم ويبغون في الأرض بغير الحق أي يعملون فيها بالمعاصي أولئك لهم عذاب أليم ولمن
صبر أي امتنع فلم ينتصر وغفر أي تجاوز عن ظالمه إن ذلك أي الصبر والتجاوز لمن عزم الأمور أي ترك الانتصار لمن عزم الأمور أي
محمودة التي أمر الله بها وقيل إن الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزم ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
يعني ما له من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذابه وترى الظالمين لما رأوا العذاب يعني يوم القيامة يقولون هل
إلى مرد من سبيل يعني أنهم يسألون الرجعة إلى الدنيا وتراهم يعرضون عليها أي على النار خاشعين من الذل أي خاضعين
متواضعين ينظرون من طرف خفي يعني يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة في أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفي
أي ضعيف من الذل وقيل ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين
الذين خسروا أنفسهم يعني بأن صاروا إلى النار وأهليهم يوم القيامة يعني وخسروا أهليهم يوم القيامة بأن صاروا لغيرهم في الجنة ألا إن
الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل أي وصول إلى الحق في الدنيا وإلى
الجنة في العقبى فقد استدت عليه طرق الخير استجيبوا لربكم أي أجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له
من الله أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت ما لكم من ملجأ يومئذ أي ما لكم مخلص من العذاب وقيل
من الموت وما لكم من نكير أي من ينكر حالكم وقيل النكير الإنكار يعني لا تقدرون أن تنكروا من أعمالكم شيئا فإن أعرضوا أي عن
الإجابة فما أرسلناك عليهم حفيظا أي تحفظ أعمالهم إن عليك إلا البلاغ أي ليس عليك إلا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة يعني قال ابن عباس يعني الغنى والصحة فرح بها وإن تصبهم سيئة أي قحط بما قدمت أيد
يهم أي من الأعمال الخبيثة فإن الإنسان كفور أي بما تقدم من نعم الله تعالى عليه قوله عز وجل لله ملك السموات والأرض يعني له التصرف
فيهما بما يريد يخلق ما يشاء أي لا يقدر أحد أن يعترض عليه في ملكه وإرادته يهب لمن يشاء إناثا أي فلا يولد له ذكر ويهب لمن
يشاء الذكور أي فلا يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا أي يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث ويجعل من يشاء عقيما
أي فلا يولد له ولد ولا قيل هذا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء إناثا يعني لوطا لم يولد
له ذكر إنما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما السلام
لم يولد لهما ولد وهذا على وجه التمثيل والحكم عام في جميع الناس إنه عليم بما يخلق قدير أي على ما
يريد أن يخلق قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله قيل سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه فقال لم ينظر مو
سى إليه تعالى وأنزل الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا

بسم الله الرحمن الرحيم — وصلى الله على سيدنا محمد

29

ان يكلمه الله الا وحيا اي يوحي اليه في المنام او في الالهام كما راى ابراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما
الهم ام موسى ان تقذفه في اليم **او من وراء حجاب** اي يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى **او يرسل**
رسولا يعني من الملايكة اما جبريل او غيره **فيوحي باذنه ما يشاء** يعني يوحي ذلك الرسول الى المرسل
اليه باذن الله ما يشاء. وهذه الاية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء الحجاب في الدنيا ويأتي **انه علي** اي عن
صفات المخلوقين **حكيم** اي في جميع افعاله قوله عز وجل **وكذلك اوحينا اليك** اي وكذلك اوحينا الى ساير
رسلنا **روحا من امرنا** قال ابن عباس نبوة وقيل قرءانا لانه به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل **ما كنت**
تدري اي قبل الوحي **ما الكتب** يعني القرءان **ولا الايمن** اختلف العلماء في هذه الاية مع اتفاقهم على ان الانبياء
قبل النبوة كانوا مومنين فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي شرايع الايمن ومعالمه قال محمد بن اسحاق
بن خزيمة الايمان في هذا الموضع الصلوة لقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلواتكم ولم يرد به الايمن الذي هو
الاقرار بالله تعلى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعلى ويحج ويعتمر ويبغض اللات
والعزى ولا ياكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابرهيم عليه السلام ولم يتبين له شرايع دينه الا بعد
الوحي اليه **ولكن جعلنه نورا** قال ابن عباس يعني الايمن وقيل القرءان لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعلى
نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي اي لتدعوا **الى صرط مستقيم** يعني دين الاسلام **صرط الله** يعني الذي
شرعه للعباد **الذي له ما في السموت وما في الارض الا الى الله تصير الامور** تفسير سورة الزخرف مكية
وهي تسع وثمانون اية وثمان ماية وثلاث وثمانون كلمة وثلاثة الاف واربع ماية حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل **حم والكتب المبين** اقسم بالكتب وهو القرءان الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة
وابان ما يحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم **انا جعلنه** اي صيرنا قراءة
هذا الكتب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه **قرءانا عربيا لعلكم تعقلون**
يعني معانيه واحكامه **وانه** يعني القرءان **في ام الكتب** اي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ما خلق الله
تعلى في اللوح المحفوظ عز وجل القلم وامره ان يكتب بما يريد ان يخلق في الكتب عنده ثم قرا وانه في ام الكتب
لدينا في القرءان مثبت عند الله تعلى في اللوح المحفوظ **لعلي حكيم** اخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى
ان كذبتم يا هل مكة بالقرءان فانه عندنا لعلي حكيم اي رفيع شريف وقيل علي على جميع الكتب حكيم
اي محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان **افنضرب عنكم الذكر صفحا** معناه افنترك عنكم الوحي
ونمسك عن انزال القرءان فلا نامركم ولا ننهيكم من اجل انكم اسرفتم في كفركم وتركتم الايمان وهو
قوله تعلى **ان كنتم قوما مسرفين** والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرءان رفع حين
رده اوايل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عز وجل بما يريده ورحمته فطرره عليهم عشرين سنة او
ما شاء الله وقيل معناه افنضرب عنكم بذكرنا اياكم صفحا اي معرضين عنكم وقيل معناه افنضرب عنكم
الذكر طيا لا توعظون ولا تومرون وقيل معناه افنترككم فلا نعاقبكم على كفركم **وكم ارسلنا من نبي**
في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون يعني كاستهزاء قومك وفيه تسلية للنبي صلى الله
الله عليه وسلم **فاهلكنا اشد منهم بطشا** اي اقوى من قومك قوة **ومضى مثل الاولين** اي صفتهم
ومعناه ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم ما نزل بالاولين من
الخزي والعقوبة قوله تعلى **ولين سالتهم** اي سالت يا محمد قومك **من خلق السموت والارض ليقولن**

علم الصحابة [illegible] والله سبحانه وتعالى اعلم [illegible]
والاسرار كتابه
ءاحل

خلقهن العزيز العليم يعني انهم اقروا بان الله تعالى خلقها واقروا بقدرته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا
غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم .. ثم ابتدا تعالى الاخبار عن نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي
جعل لكم الارض مهدا معناه وافقة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي فكذلك
لك جعل الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا لعلكم تهتدون اي الى
مقاصدكم في اسفاركم والذي نزل من السماء ماء بقدر اي بقدر حاجتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح اغرقهم
فانشرنا به اي بالمطر بلدة ميتا اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك تخرجون اي من قبوركم — اي كل
احياء. والذي خلق الازواج كلها اي الاصناف والانواع كلها قيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد
المنزه من الاضداد والانداد والزوجية وجعل لكم من الفلك والانعام يعني في البر والبحر ما تركبون لتستووا
على ظهوره اي على ظهور الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر
لنا هذا اي ذلل لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين وقيل ضابطين وانا الى ربنا لمنقلبون اي لمنصرفون في
المعالم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على
بعير خارجا الى سفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا — تري
له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسئلك البر والتقوى ومن العمل ما ترضى — في سفرنا هذا
اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني
اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال والولد واذا رجع
قالهن وزاد فيهن ايبون تايبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعني تعبه وشدته
ومشقته وكآبة المنظر الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يرجع من سفره حزينا
ويصادف ما يحزنه في اهل ومال عن علي ابن ربيعة قال شهدت علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وقد اتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على
ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال
الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا
يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير المومنين مما ضحكت قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم — عبده
فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من اي شيء ضحكت قال ان ربك يعجب من خلقه اذا قال اغفر لي
ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى وجعلوا له
من عباده جزءا يعني ولدا وهو قولهم الملايكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا
حكموا واثبتوا ان الانسان لكفور مبين اي لجحود لنعم الله تعالى عليه ام اتخذ مما يخلق بنات هنا ام
استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفاكم اي اخلصكم بالبنين واذا بشر احد
هم بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي جعلوه للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد
والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حال احدهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وبقي بوجهه
غيظا واسفا وهو قوله تعالى ظل وجهه اي صار وجهه مسودا وهو كظيم من الحزن والغيظ
قيل ان بعض العرب ولدت له انثى فهجر بيت امراته التي ولدت فيه الانثى فقالت المراة ما لابي حمزة لا
ياتينا * يظل في البيت الذي يلينا * غضبان ان لا نلد البنينا * ليس لنا من امرنا ما شينا * وانما ناخذ ما اعطينا *

قوله تعالى

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

40

قوله عز وجل أَوَمَن يُنَشَّأُ يعني أو من يتربّا في الحلية يعني في الزينة والنعمة والمعنى أيجعل للرحمن ولدا من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين حال نقصان حالها بوصف اخر وهو قوله وهو في الخصام اي المخاصمة غير مبين للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة في هذه الآية قل ما تتكلم امراة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وجعلوا اي وحكموا واثبتوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن وقرئ عند الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم اي احضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار اي لم يشهدوا ذلك ستكتب شهادتهم اي على الملائكة انهم بنات الله ويسئلون اي عنها قيل لما قالوا هذا القول سالهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها في الآخرة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم يعني الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى ردا عليهم ما لهم بذلك من علم اي فيما يقولون ان هم الا يخرصون يعني ما هم الا كاذبون في قولهم ان الله رضي منا بعبادتها وقيل يكذبون في قولهم الملائكة اناث وانهم بنات الله أم آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله فهم به مستمسكون اي ياخذون بما فيه بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة اي على دين وملة وإنا على آثارهم مهتدون يعني انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم اخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها اي اغنياؤها ورؤساؤها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون اي بهم قال أولو جئتكم بأهدى اي بدين هو اصوب مما وجدتم عليه آباءكم فابوا ان يقبلوا قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قوله عز وجل وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء اي بريء مما تعبدون إلا الذي فطرني معناه انا ابرأ مما تعبدون الا من الله الذي خلقني فإنه سيهدين اي يرشدني الى دينه وجعلها اي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا الله كلمة باقية في عقبه اي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم يرجعون لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم بل متعت هؤلاء يعني كفار مكة وآباءهم في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم اعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق يعني القرآن وقيل الاسلام ورسول وهو محمد صلى الله على سيدنا عليه وسلم مبين اي يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة واوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى ولما جاءهم الحق يعني القرآن قالوا هذا سحر وإنا به كافرون قوله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق الا برجل عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين مكة والطائف واختلفوا فيه فقيل عتبة ابن ربيعة من مكة وكنانة ابن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم أهم يقسمون رحمة ربك معناه ابايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعراضهم

[illegible]

ونفضلهم وان يكون بواهم المخبرين لامر النبوءة ثم ضرب لهذا فقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا اي نحن اوقعنا هذا التفاوت لهذا بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا ملكا
وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن
قضاينا فاذا عجزوا على الاعتراض على حكمنا في احوال الدنيا مع قلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على
حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوءة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض
كما شئنا كذلك اصطفينا للرسالة من شئنا ثم قال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يعني لو انا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم احد احدا ولم
يصر احد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكن فعلنا
ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض
سبب المعاش هذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك ورحمة
ربك يعني الجنة خير للمومنين مما يجمعون اي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقرا
ض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الاباد قوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يصيروا
كلهم كفارا فيجمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا راوا الكفار في سعة من الخير والرزق لاعطينا الكفار
اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
يعني مصاعد من فضة ودرجا من فضة عليها يظهرون وزخرفا اي ولجعلنا من ذلك زخرفا وهو
وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شيء وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا يعني الانسان يستمتع
بذلك قليلا ثم ينقضي لان الدنيا سريعة من الزوال والذهاب والاخرة عند ربك للمتقين يعني الجنة خا
صة للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله وسلم
لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء اخرجه الترمذي وقال حد
يث حسن غريب عن المستورد بن شداد احد بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون هذه هانت على
اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها يا رسول الله قال فان الدنيا اهون على الله من هذه على
اهلها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا حماه
من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر قوله تعالى
ومن يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن اي فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه وقيل يولي ظهره على القران نقيض
له شيطانا اي نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه فهو له قرين يعني لا يفارقه يزين
له العمى ويخيل له انه على الهدى وانهم يعني الشياطين ليصدونهم عن السبيل يعني يمنعونهم
عن الهدى ويحسبون انهم مهتدون يعني ويحسب كفار بني ادم انهم على الهدى حتى اذا جاءنا
يعني الكافر وحده وقرئ جاءانا على التثنية الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة قال الكافر
لقرينه الشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يعني بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما
على الاخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابي بكر وعمر العمران وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف

ومشرق الشتا

ومشرق الشتاء والقول الأول فبئس القرين يعني الشيطان قال أبو سعيد الخدري إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير به إلى النار ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم يعني أشركتم أنكم في العذاب مشتركون أي لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا لأن لكل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الأوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم وأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لا يؤمنون قوله عز وجل فإما نذهبن بك يعني إن نمتك قبل أن نعذبهم فإنا منهم منتقمون أي بالقتل بعدك أو نرينك أي في حياتك الذي وعدناهم أي من العذاب فإنا عليهم مقتدرون أي قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم وأراد بهم مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد الانتقام له منهم إما حال حياته أو بعد وفاته وهذا قول أكثر المفسرين وقيل عني به ما يكون في أمته وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في أمته ولكن أكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره في أمته إلا الذي تقر به عينه وأبقى النقمة بعده وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أري ما يصيب أمته بعده فما رئي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى فاستمسك بالذي أوحي إليك يعني القرآن إنك على صراط مستقيم أي على دين مستقيم لا يميل عنه إلا ضال وإنه يعني القرآن لذكر لك أي لشرف لك ولقومك وسوف تسألون يعني عن حقه وأداء شكره وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك فلم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك إذا سئل قال لقريش وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف إذ أنزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب ثم يكون الأكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك أي وذلك شرف لك بما أعطاك من النبوءة والحكمة ولقومك يعني المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسألون يعني عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه وقوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون اختلف في هؤلاء المسؤولين فروي عن ابن عباس في رواية عنه لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين فأذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع الله الرسل ليلة أسري به وأمر أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال أكثر المفسرين معناه سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسين والمقاتلين ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل قوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون أي استهزاء وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها أي من قرينتها

اسرى

التي قبلها وأخذناهم بالعذاب أي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت
هذه الآيات دلالات لموسى وعذابا لهم وكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها لعلهم يرجعون
أي عن كفرهم وقالوا يعني لموسى لما عاينوا العذاب يا أيها الساحر أي العالم الكامل الحاذق وإنما قالوا
ذلك له تعظيما وتوقيرا له لأن السحر كان عندهم علما عظيما وصفة ممدوحة وقيل معناه يا أيها
الذي غلبنا بسحره ادع لنا ربك بما عهد عندك أي بما أخبرتنا عن عهده إليك أنا إن آمنا كشف
عنا العذاب فسله أن يكشف عنا إننا لمهتدون أي إننا لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم
يؤمنوا فذلك قوله تعالى فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون أي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم
ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي يعني أنهار النيل الكبار وكانت تجري
تحت قصره وقيل معناه تجري بين يدي في جناني وبساتيني وقيل تجري بأمري أفلا تبصرون عظمتي وشدة ملكي أم أنا أي بل
أنا خير وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه إضمار مجازه أفلا تبصرون أم لا تبصرون ثم ابتدأ
فقال أنا خير من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد يبين يفصح بكلامه للعقدة
التي كانت في لسانه وإنما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه
فيما يدعي ولم يرد به أنه لا قدرة له على الكلام فلولا ألقي عليه إن كان صادقا أساورة من ذهب قيل
إنهم كانوا إذا صوروا رجلا سوروه سوارا من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته
فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أساورة من ذهب إن كان سيدا تجب طاعته أو جاء معه الملائكة مقترنين
أي متتابعين يقارن بعضهم بعضا ليشهدوا له بصدقه ويعينونه على أمره قال الله تعالى فاستخف
يعني فرعون قومه يعني القبط أي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل فأطاعوه أي على تكذيب
موسى إنهم كانوا قوما فاسقين يعني حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به فلما آسفونا أي أغضبونا وهو
في حق الله إرادة العقاب وهو قوله تعالى انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين
يعني جعلنا المتقدمين من الماضين عبرة وموعظة لمن يجيء بعدهم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا قال ابن
عباس نزلت هذه الآية في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى ابن مريم عليه
السلام وذلك لما نزل قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة الأنبياء و
معنى الآية ولما ضرب عبد الله ابن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل النبي صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه (الزبعرى)
إذا قومك يعني قريشا منه أي من المثل يصدون أي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ما يريد
محمد منا إلا أن نعبده ونتخذه إلها كما عبدت النصارى عيسى وقالوا أآلهتنا خير أم هو يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معناه آلهتنا خير يعني عيسى قالوا يزعم محمد أن كل ما عبد
من دون الله في النار فنحن قد رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى ما ضربوه
يعني هذا المثل لك إلا جدلا أي خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله وما تعبدون من دون الله أوثانا
حصب جهنم الأصنام بل هم قوم خصمون أي بالباطل عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ما ضربوه
لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى إن هو أي عيسى
إلا عبد أنعمنا عليه أي بالنبوة وجعلناه مثلا أي آية وعبرة لبني إسرائيل يعرفون به قدرة الله تعالى على ما

يشاء حيث

اللهم صل على سيدنا محمد

42

مايشاء حيث خلقه من غير اب ولو نشاء لجعلنا منكم الخطاب لاهل مكة ملائكة معناه لو نشاء لاهلكناكم وجعلنا
بدلا منكم ملائكة في الارض يخلفون اي يكونون خلفاء منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونه وقيل يخلف
بعضهم بعضا وانه يعني عيسى لعلم للساعة يعني نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما
عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وفي رواية ابي داود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي. وانه نازل فيكم فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع يميل
الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر ولم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب
ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الامم كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الارض اربعين سنة
ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم وامامكم
منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذيب فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
ويروى انه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر
فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به وقيل في معنى الاية وانه اي وان القران لعلم للساعة اي يعلمكم قيامها
ويخبركم باحوالها واهوالها فلا تمترن بها اي لا تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون اي على
التوحيد هذا اي الذي انا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم اي يصرفنكم الشيطان عن دين الله الذي امر به انه
يعني الشيطان لكم عدو مبين (ق) ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة اي بالنبوة ولابين لكم ربع
بعض الذي تختلفون فيه اي من احكام التوراة وقيل اختلف الذين تحزبوا في امر عيسى وقيل الذي جاء به عيسى
الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه فاتقوا الله واطيعون فيما
امركم به ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم اي اختلفوا الفرق
المتحزبة بعد عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون اي ينتظرون الا الساعة ان تاتيهم
بغتة اي فجاة والمعنى انها تاتيهم لا محالة وهم لا يشعرون الاخلاء اي على الكفر والمعصية في الدنيا يومئذ
يعني يوم القيمة بعضهم لبعض عدو اي ان الخلة اذا كانت في ذلك صارت عداوة يوم القيمة الا المتقين اي الا المو
حدين المتحابين في الله عز وجل المجتمعين على طاعته وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في الاية قال خليلان
مومنان و~~خليلان مومنان~~ وخليلان كافران مات احد المومنين فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك
وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما
هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المومن جمع بينهما فيقول ليثن كل واحد منكما على صاحبه
فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول رب ان فلانا كان ينهاني عن
عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني باني غير ملاقيك فيقول ليثن
كل واحد منكما على صاحبه بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب قوله عز وجل يا عبادي لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون قيل ان الناس حين يبعثون ليس احد منهم الا فزع فينادي مناد يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فييأس
الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون اي تسرون وتكرمون يطاف عليهم

الواحدة

الرحمن

بصحاف من ذهب جمع صحفة وهي القصعة الواسعة وأكواب جمع كوب وهو إناء مستدير بلا عروة وفيها
أي في الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين عن عبد الله بن سابط قال قال يا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل في الجنة خيل فإني أحب الخيل فقال إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير
بك في أي الجنة شئت إلا فعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من إبل فإني أحب الإبل قال فلم يقل له
ما قال لصاحبه فقال إن يدخلك الله الجنة يكون لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذي وأنتم
فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ورد
في الحديث أنه لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها ثمرة إلا نبتت له مكانها مثلاها قوله تعالى إن المجرمين يعني المشركين
في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم أي لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون أي آيسون من رحمة الله تعالى وما
ظلمناهم أي وما عذبناهم بغير ذنب ولكن كانوا هم الظالمين أي لأنفسهم بما جنوا عليها ونادوا يا مالك
أي يدعون يا مالك وهو خازن النار يستغيثون به فيقولون ليقض علينا ربك ليمتنا ربك فنستريح والمعنى
أنهم توسلوا به فيسأل الله لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة روي
عن ابن عباس عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم
قال إنكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب
لقد جئناكم بالحق يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون
أم أبرموا أمرا أي أحكموا أمرا في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنا مبرمون أي محكمون أمرا
في مجازاتهم إن كادوا شرا أخذناهم ثم نبطله أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم أي ما يسرونه من غير
هم ويتناجون به بينهم بلى نسمع ذلك كله ونعلمه ورسلنا يعني الحفظة من الملائكة لديهم
يكتبون قوله عز وجل قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين معناه إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم
فأنا أول العابدين من عبد الرحمن فإنه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس إن كان أي ما كان للرحمن ولد
وأنا أول العابدين أي الشاهدين بأن له ذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له
وقيل العابدين بمعنى الآنفين أي أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد وقال الزمخشري
في معنى الآية إن كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من
يعظم ذلك الولد وأسبقهم إلى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام ورد على سبيل
الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه مع الترحم على نفسه بثبات القدم
في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ثم نزه
نفسه عن الولد فقال تعالى سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون أي عما يقولون يوم القيامة وهو
الذي في السماء إله وفي الأرض إله أي هو الإله الذي يعبد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو وهو الحكيم أي في تدبير
خلقه العليم أي بمصالحهم وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه
ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة قيل سبب نزولها أن النضر بن الحارث ونفرا معه قالوا
إن كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة وهم أحق بالشفاعة من محمد فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون
من دون الله آلهتهم ثم استثنى عيسى والعزير والملائكة بقوله إلا من شهد بالحق أي أنهم عبدوا من دون
الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى والعزير والملائكة فإن تعالى لا يملك لأحد من

هؤلاء الشفاعة

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

43

من هؤلاء . الشفاعة الا من شهد بالحق وهو كلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا
له وهو قوله **وهم يعلمون** اي يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون ان الله خلق عيسى وعزير
والملائكة ويعلمون انهم عباده **ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله** يعني انهم اذا اقروا بان الله خالق العالم
باسره فكيف اقدموا على عبادة غيره **فانى يؤفكون** اي يصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره **وقيله يا رب** يعني
قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يا رب **ان هؤلاء قوم لا يؤمنون** قال ابن عباس شكى نبيكم الى الله تخلف
قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه **فاصفح عنهم** اي اعرض عنهم وفي ضمنه منعهم من
ان يدعوا عليهم بالعذاب **وقل سلام** معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم **فسوف تعلمون** اي
عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق وقال مقاتل نسختها اية السيف والله اعلم

**تفسير سورة الدخان مكية وهي سبع وقيل تسع وخمسون اية وثلاث مائة وست
واربعون كلمة والف واربعمائة** واحد وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

حم والكتاب المبين اي المبين ما يحتاج الناس اليه من حرام وحلال وغير ذلك من الاحكام **انا انزلناه في ليلة مباركة**
قيل هي ليلة القدر انزل الله فيها القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما
على حسب الوقائع في عشرين سنة وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من
عدد شعر غنم بني كلب اخرجه الترمذي **انا كنا منذرين** اي مخوفين عقابنا **فيها** اي في تلك الليلة المباركة
يفرق اي يفصل **كل امر حكيم** اي محكم قال ابن عباس يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير و
الشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة
وينسخ الاموات من الاحياء . وروى البغوي بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى
ان الرجل لينكح ويولد له وقد اخرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله يقضي الاقضية في ليلة
النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر **امرا** اي انزلناه امرا **من عندنا انا كنا مرسلين** يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء . **رحمة من ربك** قال ابن عباس رافة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل
وقيل انزلناه في ليلة مباركة رحمة من ربك **انه هو السميع** لاقوالهم **العليم** اي باحوالهم **رب السموات والارض وما بينهما ان
كنتم موقنين** اي ان الله رب السموات والارض وما بينهما **لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب اباءكم الاولين** قوله تعالى
بل هم في شك اي من هذا القرآن **يلعبون** اي يهزءون به لاهون عنه **فارتقب** اي يا محمد **يوم تاتي السماء بدخان
مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم** م عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو
مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان قاصا عند ابواب كندة يقص ويزعم ان اية الدخان تجيء فتاخذ
فتاخذ بانفاس الكفار وياخذ المؤمنين كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا ايها الناس اتقوا
الله من علم منكم شيئا فليقل به ومن لم يعلم شيئا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم فان الله عز وجل قال
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى من
الناس ادبارا قال اللهم سبع كسبع يوسف **وفي رواية** لما دعا قريشا واستعصوا وكذبوا عليه قال اللهم اعني
عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شيء . حتى اكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر احدهم
الى السماء فيرى كهيئة الدخان فاتاه ابو سفيان فقال يا محمد انك جئت تامرنا بطاعة الله وبصلة الرحم وان

قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين الى قوله انكم عائدون قال عبد
الله أفيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون والبطشة يوم بدر وفي رواية للبخاري
قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا
فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون
قوله حصّت كل شيء بالحاء والصاد المهملتين اي حلقت واهلكت واستاصلت كل شيء. وعن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال قد مضين اللزام الروم والبطشة والقمر والدخان وقيل اصابهم الجهد من الجوع
كالظلمة في ابصارهم وسبب ذلك في سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار
ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يات بعد فيدخل في اسماع
الكفار والمنافقين حتى يكون راسه كالراس الحنيذ يعني المشوي ويعتري المومن منه كهيئة الزكام وتكون
الارض كلها كبيت اوقد فيه النار وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي
عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر
عدن تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم
تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون يملا ما بين المشرق والمغرب
ويمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر فمنزلة السكران يخرج من منخريه
واذنيه ودبره انى لهم الذكرى اي كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين معناه
وقد جاءهم ما هو اعظم واكثر واكد في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم من المعجزات الظاهرات والبينات الباهرات ثم تولوا عنه اعرضوا عنه وقالوا معلم اي يعلمه بشر مجنون
اي يلبسون اليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي انا كاشفوا العذاب اي الجوع قليلا اي زمنا يسيرا قيل
الى يوم بدر انكم عائدون اي الى كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى هو يوم بدر انا منتقمون اي منكم في ذلك
اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلماء وفي رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة قوله تعالى ولقد فتنا
قبلهم اي قبل هولاء قوم فرعون وجاءهم رسول كريم اي على الله وهو موسى بن عمران ان ادوا الي عباد الله
ان اطلقوا الي بني اسرائيل ولا تعذبوهم اني لكم رسول امين اي على الوحي وان لا تعلوا على الله اي لا تتجبروا
عليه بترك طاعته اني آتيكم بسلطان مبين اي ببرهان بين على صدق قولي واني عذت بربي وربكم
ان ترجمون اي تقتلون وان لم تومنوا لي فاعتزلون اي فاتركون لا معي ولا علي فدعا ربه ان هولاء قوم مجر
مون فقال مسر اي مشركون فاسر بعبادي ليلا اي اجاب الله دعاءه وامره ان يسري ببني اسرائيل بالليل انكم متبعون
اي يتبعكم فرعون وقومه. واترك البحر اذا قطعتموه انت واصحابك رهوا اي ساكنا والمعنى لا تامره ان يرجع بل
اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر كما هو
انهم جند مغرقون يعني اخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه في ترك البحر كما هو. كم تركوا يعني الغرق من
جنات وعيون وزروع ومقام كريم اي من مجلس شريف حسن ونعمة اي وعيش لين رغيد كانوا فيها فاكهين
اي ناعمين اي سايرين في طريق كذلك اي فعل بهم ما فعل واورثناها قوما آخرين يعني بني اسرائيل فما بكت عليهم
السماء والارض وذلك ان المومن اذا مات تبكي عليه السماء والارض اربعين صباحا وهولاء لم يصعد لهم عمل صالح
فتبكي السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكي الارض عليه عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما من

ربع

وقال ابن عباس ... واما ...

وقال ابن عباس ...

قال ما من مؤمن إلا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه فذلك قوله فما بكت عليهم
السماء والأرض وما كانوا منظرين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه قيل بكاء
السماء حمرة أطرافها قال مجاهد ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا فقيل له أتبكي قال وما للأرض
لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل وقيل
المراد أهل السماء وأهل الأرض وما كانوا منظرين أي لم يمهلوا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل ولقد
نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل من فرعون إنه كان عاليا أي جبارا
من المسرفين ولقد اخترناهم على علم أي علمه الله تعالى فيهم على العالمين أي على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات ما
فيه بلاء مبين أي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى إن هؤلاء يعني مشركي مكة ليقولون
إن هي إلا موتتنا الأولى أي لا موتة لنا إلا هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله تعالى وما نحن بمنشرين
أي بمبعوثين بعد موتتنا هذه فأتوا بآبائنا الذين ماتوا قبل إن كنتم صادقين أي إنا نبعث أحياء بعد الموت قيل طلبوا من
النبي صلى الله عليه وسلم أن يحيي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم عذاب الأمم الخالية فقال تعالى أهم خير أم قوم تبع أي
ليسوا خيرا من قوم تبع يعني في القوة والشدة والكثرة قيل هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة
أتباعه وقيل كل واحد من اليمن يسمى تبعا لأنه يتبع أصحابه والذي قبله كما يسمى في الإسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد
النار فأسلم ودعا قومه وهم حمير إلى الإسلام فكذبوه عن ابن سهل قوله تعالى والذين من قبلهم أي من الأمم
الكافرة أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق أي
بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعذاب على المعصية ولكن أكثرهم لا يعلمون قوله عز وجل إن يوم الفصل أي
الذي يفصل الله فيه بين العباد ميقاتهم أجمعين أي يوافي يوم القيامة الأولون والآخرون يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا
يوم لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا ولا هم ينصرون أي لا يمنعون من عذاب الله إلا من رحم الله
يعني المؤمنين فإنهم يشفع بعضهم لبعض إنه هو العزيز في انتقامه من أعدائه الرحيم أي بأوليائه المؤمنين
قوله تعالى إن شجرة الزقوم طعام الأثيم أي ذي الإثم وهو أبو جهل كالمهل أي كدردي الزيت أسود تغلي في البطون
أي بطون الكفار كغلي الحميم يعني الماء الحار إذا اشتد غليانه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله كالمهل كعكر الزيت فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه أخرجه الترمذي وقال لا نعرفه إلا من
حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية
اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت
في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن يكون طعامه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
قوله تعالى خذوه أي يقال للزبانية خذوه يعني الأثيم فاعتلوه أي ادفعوه وسوقوه بالعنف إلى سواء الجحيم أي إلى
وسط النار ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم قيل إن خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه عن دماغه ثم يصب
فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له ذق أي هذا العذاب إنك أنت العزيز الكريم أي عند قومك بزعمك وذلك
أن أبا جهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل هذا الوادي وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ
إن هذا ما كنتم به تمترون أي تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى إن المتقين في مقام أمين
أي مجلس أمنوا فيه من الغير في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق قيل السندس ما رق من الديباج
والإستبرق ما غلظ منه وهو معرب استبرك فإن قلت كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي

والنعم التي أنعمنا بها عليهم وقيل ابتليناهم بالرخاء والشدة صح

بقي نحو الورقة

لا من فتنة التعريب فلما اذا اعرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على وجوه الاعراب متقابلين يقابل بعضهم بعضا كذلك اي كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنة والعيون واللباس كذلك اكرمناهم بان زوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن ليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن كما تجعل الاثنين اثنين والحور من النساء الصافية البياض وقيل التي يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدة بياض العينين يدعون فيها بكل فاكهة يعني ارادوها واشتهوها امنين من نفادها ومن مضرتها وقيل امنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى يعني انهم لا يموتون في الجنة الموت سوى الموتة التي قد ذاقوها في الدنيا وقيل الا انما استثنى الموتة من موتة في الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كانهم في الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك يعني كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وعن ذلك بهم تفضلا منه ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك اي سهلنا القرآن على لسانك وكناية عن غير مذكور لعلهم يتذكرون اي يتعظون فارتقب اي فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب انهم مرتقبون اي منتظرون فهلاك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الاية منسوخة باية السيف عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمر ابن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة الجمعة غفر له اخرجه الترمذي وقال هشام والمقدام احد رواته ضعيف والله اعلم

تفسير سورة الجاثية وتسمى الشريعة وهي مكية وهي سبع وثلاثون اية واربعة مائة وثمانية وثمانون كلمة والفان ومائة واحدى وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات اي في خلق السموات والارض لايات وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة الخالق المختار وهو قوله تعالى للمومنين وفي خلقكم اي في خلق انفسكم من تراب ثم من نطفة الى ان تصير انسانا ذا عقل وتمييز وما يبث من دابة اي وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات على اختلاف اجناسها في الخلق والشكل والصورة ءايات اي [illegible] لاية تدل على وحدانية من خالقها فانه الاله القادر المختار لقوم يوقنون يعني انه لا اله غيره واختلاف الليل والنهار يعني من الظلمة والضياء والطول والقصر وما انزل الله من السماء من رزق يعني المطر الذي هو سبب ارزاق العباد فاحيا به اي بالمطر الارض بعد موتها اي بعد يبسها وتصريف الرياح اي في هبوبها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك ءايات لقوم يعقلون تلك ءايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله اي بعد كتاب الله وءاياته يومنون قوله عز وجل ويل لكل افاك اثيم اي كذاب صاحب اثم يسمع ءايات الله يعني ءاية القرآن تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من ءاياتنا شيئا يعني ءاية القرآن اتخذها هزؤا يعني يسخر منها اولئك اشارة من هذه صفته لهم عذاب مهين ثم وصفه فقال تعالى من ورائهم جهنم يعني امامهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا من الاموال ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي لا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الالهة ولهم عذاب عظيم هذا هدى يعني القرآن هدى اي هو

فان قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله الايات للمومنين ولقوم يوقنون ولقوم يعقلون [illegible]

هدى من الضلالة

هدى اي هو هدى من الضلالة والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه
بامره ولتبتغوا من فضله يعني اي بسبب التجارة واستخراج منافعه ولعلكم تشكرون نعمته على ذلك وسخر لكم
ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى خلقها ومنافعها فهي مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها جميعا منه قال
ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك رحمة وقيل تفضل منه واحسان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
قوله عز وجل قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس
نزلت في عمر ابن الخطاب وذلك ان رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله هذه الاية وامره ان
يعفو عنه وقيل نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في اذى شديد من
المشركين قبل ان يومروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه فانزل الله هذه الاية ثم نسخها باية
القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها ثم الى ربكم ترجعون قوله عز وجل ولقد اتينا بني اسراءيل الكتب يعني التورية والحكم يعني معرفة
احكام الله والنبوة ورزقناهم من الطيبت يعني الحلالات وهو ما وسع عليهم في الدنيا واورثهم اموال
قوم فرعون وديارهم وانزل عليهم المن والسلوى وفضلناهم على العلمين اي على عالمي زمانهم قال ابن عباس
لم يكن احد من العلمين في زمانهم اكرم على الله ولا احب اليه منهم واتيناهم بينت من الامر اي بيان الحلال والحرام
وقيل العلم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وبين لهم من امره فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا
صار مجيء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك لانه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصود
مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا واظهروا النزاع والحسد
والاختلاف ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك
يا محمد على شريعة من الامر اي على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى من الامر يعني الدين فاتبعها
اي اتبع شرعك الثابتة ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يعني مراد الكفرين وذلك انهم كانوا
يقولون له ارجع الى دين ابائك فانهم كانوا افضل منك فقال تعالى انهم لن يغنوا عنك
من الله شيئا اي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعت اهواءهم وان الظلمين بعضهم
بعضهم اولياء بعض يعني ان الظلمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الاخرة والله
ولي المتقين اي هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الاخرة هذا يعني القرءان بصائر للناس
اي معالم للناس في الحدود والاحكام يبصرون به وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين
اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصلحت نزلت في نفر من مشركي مكة

قالوا للمومنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضل عليكم في الاخرة كما فضلنا في الدنيا سواء محياهم ومما
تهم ساء معناه احسبوا ان حياتهم الكافرين ومماتهم كحيوة المومنين وموتهم سواء كلا
والمعنى ان المومن مومن في حياته ومماته في الدنيا والاخرة والكافر كافر في حياته ومماته في الدنيا
والاخرة وشتان ما بين الحالين في الحال والمال ساء ما يحكمون اي بيس ما يقضون قال
مسروق قال لي رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الداري ولقد رايته قام ذات
ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله يركع بها ويسجد
ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية وخلق الله السموت والارض
بالحق اي بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ومعنى الاية ان
المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في القيمة
ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدركات قوله عز وجل
افريت من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا
يهوى شيئا الا ركبه لانه لا يومن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل
معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة
والذهب والفضة فاذا وجدوا شيئا احسن من الاول رموا بالاول
وكسروه وعبدوا الاخر قيل انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار
واضله الله على علم اي علمه منه بعاقبة امره وقيل على ما سبق
في علم الله انه ضال قبل ان يخلقه وختم على سمعه وقلبه اي فلم يسمع
الهدى ولم يعقله بقلبه وجعل على بصره غشاوة اي ظلمة
فلم يبصر الهدى فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ان اضله
الله افلا تذكرون قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الاية عذر
ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياهم عن الهدى حين اخبر انه
ختم على سمعه وقلبه وبصره وقالوا يعني منكري البعث
ما هي الا حياتنا الدنيا اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيا اي يموت الاباء ويحيى الابناء وقيل تقديره
نحيى ونموت وما هي الا حياتنا الدنيا يهلكنا
الا الدهر اي ما يفنينا الا مر الزمان واختلاف
الليل والنهار وما لهم بذلك من علم اي لم يقولوه عن
علم علموه ان هم الا يظنون

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

46

ان هم الا يظنون في عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي
الخير وفي رواية بيدي الامر اقلب الليل والنهار وفي رواية يؤذيني ابن ادم ويقول يا خيبة الدهر فلا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر
اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفي رواية يسب ابن ادم الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى هذا الحديث ان العرب كان من شانها ذم
الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر واباد هم
الدهر اخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبهم بهلكنا
الى الله تعالى اذ هو في الحقيقة الفاعل للامور التي يضيفونها الى الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف
فيه يقع منه التاثيرات كما يقع بكم والله اعلم قوله تعالى واذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بءابائنا ان كنتم
صادقين معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فاتوا بابائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم
ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون يعني في ذلك اليوم يظهر خسران اصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيروا الى النار وترى كل امة جاثية اي باركة على الركب وهي
جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة
على الركب حتى ابراهيم ينادي ربه لا اسئلك الا نفسي كل امة تدعى الى كتابها الذي فيه اعمالها ويقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون
اي من خير وشر هذا كتابنا ينطق في وان الحفظة فان قلت كيف اضاف الكتاب اليهم اولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق قلت لا منافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب اعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو امر الحفظة
بكتبه ينطق عليكم بالحق اي يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون اي نامر الملايكة بنسخ اعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اي ناخذ نسخته وذلك ان الملكين
يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ
من اللوح المحفوظ تنسخ الملايكة كل عام ما يكون من اعمال بني ادم والاستنساخ لا يكون الا من اصل فينسخ كتاب من كتاب فاما
الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي جنته ذلك هو الفوز المبين اي الظفر الظاهر واما الذين كفروا اي
الايمان بها وكنتم قوما مجرمين فيقال لهم افلم تكن ءاياتي تتلى عليكم يعني ايات القران فاستكبرتم اي عن الايمان بها وكنتم قوما
مجرمين يعني كافرين متكبرين قوله عز وجل واذا قيل ان وعد الله حق اي البعث كاين والساعة لا ريب فيها اي لا شك في انها كاينة
قلتم ما ندري ما الساعة اي انكرتموها فقلتم ان نظن الا ظنا اي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما وما نحن بمستيقنين اي انها كاينة
وبدا لهم اي في الاخرة سيئات ما عملوا اي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيئاتهم وحاق اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون
وقيل اليوم ننسيكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا اي تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم وماويكم النار وما لكم من ناصرين
اي ما لكم من مانعين يمنعونكم من العذاب ذلكم اي هذا الجزاء بانكم اتخذتم ءايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا يعني حتى
قلتم لا بعث ولا حساب فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله والايمان
به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب
كل شيء من السموات والارض والعالمين وان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل احد وله الكبرياء اي وكبروه فان له
الكبرياء والعظمة في السموات والارض وحق لمثله ان يعظم ويكبر وهو العزيز الحكيم م عن ابي سعيد وابي هريرة رضي الله عنهما
قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم واخرجه البرقاني وابن
مسعود عنهما يقول الله عز وجل العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيئا منهما ولابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول قال الله
تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار شرح الحديث قيل هذا الكلام خرج على نحو

العرب في بديع الكلام استعارتهم وذلك انهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثوب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى
فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا له في انفراده بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كساير الصفات التي يتصف
بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء
الانسان ولانه لا يشاركه في ازاره وردائه احد فكذلك الله تعالى لا ينبغي ان يشاركه فيهما احد لانهما من صفاته
اللازمة له المختصة به التي لا تليق لغيره والله اعلم تفسير سورة الاحقاف وهي مكية قيل
غير قوله قل ارايتم قيل وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة
وهي اربع وقيل خمس وثلاثون اية ومائة واربع واربعون كلمة والفان وخمسمائة وتسعون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق اي بالعدل واجل مسمى يعني يوم القيمة وهو الاجل الذي ينتهي اليه فناء السموات والارض والذين كفروا
عما انذروا اي خوفوا به في القران من البعث والحساب معرضون اي لا يومنون به قل ارايتم ما تدعون من دون الله
يعني الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب اي بكتاب جاءكم من الله
من قبل هذا القران فيه بيان ما تقولون او اثارة من علم اي بقية من علم يوثر عن الاولين ويسند اليهم ويوثر عنهم
وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض وهو العيافة
ان كنتم صادقين اي ان لله شريكا ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له يعني الاصنام
لا تستجيب عابديها الى شيء يسالونها الى يوم القيمة يعني لا تجيبا ابدا ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم
غافلون يعني لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم
كافرين اي جاحدين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين سموا
القران سحرا ام يقولون افتراه اي اختلقه اي ان محمدا قاله من قبل نفسه فقال الله عز وجل قل يا محمد ان افتريته
فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه ان عذبني على افترائي فكيف افتري على الله من اجلكم هو
اعلم اي الله اعلم بما تفيضون فيه اي تخوضون فيه من التكذيب بالقران والقول فيه انه سحر كفى به شهيدا
بيني وبينكم اي انه الحق ان جاء من عنده وهو الغفور الرحيم اي في تاخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم
الى التوبة ومعناه انه غفور رحيم لمن تاب منكم رحيم به قوله تعالى قل يا محمد ما كنت بدعا اي بديعا
من الرسل اي لست باول مرسل فقد بعث قبلي كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا
بكم اختلف العلماء في معنى هذه الاية فقيل معناه ما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيمة فلما نزلت هذه
الاية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية
وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من عند نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبي الله قد علمنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا
فانزل الله عز وجل ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار الاية وانزل وبشر المومنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا
انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه انما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك وعن خا
رجة بن زيد ابن ثابت ان ام العلاء امراة من الانصار وكانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم اخ
خبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه في ابياتنا فوجع

وصلى الله على

وجعه الذي

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

41

فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وكفن وغسل في أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السا
ئب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك أن الله أكرمه فقلت بأبي أنت يا رسول الله فمن
يكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي قالت
فوالله لا أزكي بعده أحدا يا رسول الله قالت ورأيت لعثمان في النوم عينا تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت
ذلك له فقال ذلك عمله وفي رواية غير البخاري قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الأنصار على سكناهم فطار لنا عثمان بن
مظعون وفيه والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما أدري
ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا أما في الآخرة فقد علم أنه في الجنة وأن من كذبه في النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس كذبه
لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل
رفعت له يهاجر إليها فقال له أصحابه متى تهاجر إلى الأرض التي أريت فسكت فأنزل الله هذه الآية وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك الى
في مكاني أم أخرج أنا وإياكم إلى الأرض التي رفعت لي وقيل لا أدري إلى ماذا يصير أمري وأمركم في الدنيا أما أنا فلا أدري أأخرج كما أخرجت
الأنبياء من قبلي أم أقتل كما قتل بعض الأنبياء من قبلي وأما أنتم أيها المصدقون فلا أدري أتخرجون معي أم تتركون أم ماذا يفعل بكم
ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أي شيء يفعل بكم مما فعل بالأمم المكذبة ثم
أخبر الله عز وجل أنه يظهر دينه على الأديان كلها فقال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال
في أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فأعلمه ما يصنع به وبأمته وقيل معناه لا أدري إلى ما
يصير أمري وأمركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره أنه يظهر دينه على الأديان وأمته على سائر الأمم وقوله إن أتبع إلا ما يوحى إلي
معناه ما أتبع غير القرآن الذي يوحى إلي ولا أبتدع من عندي شيئا وما أنا إلا نذير مبين أي أنذركم العذاب وأبين لكم الشرائع قل أرأيتم أي
أخبروني ماذا تقولون إن كان من عند الله يعني القرآن وكفرتم به أي أيها المشركون وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أي أنه
من عند الله فآمن ~~مستكبرتم~~ يعني الشاهد واستكبرتم أي عن الإيمان به والمعنى إن كان الأمر كذلك أليس قد ظلمتم وتعديتم إن الله
لا يهدي القوم الظالمين اختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته
واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه ما روي عن أنس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو
في أرض يخترف النخل فأتاه وقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكل أهل الجنة ومن
أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني بهن آنفا جبريل فقال عبد
الله ذلك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الشبه
في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبقت كان الشبه لها قال أشهد أنك رسول الله ثم قال
يا رسول الله إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله
البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك زاد في رواية فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك
قال فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد في رواية
فقال يعني ابن سلام هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله أخرجه البخاري في صحيحه ق عن سعد بن أبي وقاص قال ما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد
شاهد من بني إسرائيل على مثله قال الراوي لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام

قال مسروق في هذه الاية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان الحم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت
الاية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القران التورية فشهد موسى على التورية ومحمد على القران وكل
يصدق الاخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوبة التي هي مثل القران انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القران انه
كلام الله فامن من امن بموسى والتورية واستكبرتم انتم يا معشر العرب ان تومنوا بمحمد والقران ان الله لا يهدي القوم الظلمين قيل
انه تهديد وهو قايم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين
بل تكونوا ظالمين قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني من اليهود للذين امنوا لو كان خيرا يعني دين محمد صلى الله عليه وسلم ما سبقونا
اليه يعني عبد الله بن سلام واصحابه وقيل نزلت في مشركي مكة وقالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقتنا اليه فلان وفلان
وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين امنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقونا اليه رعاء البهم
قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به اي بالقران كما اهتدى به اهل الايمان فسيقولون هذا افك قديم اي كذب متقدم ومن قبله اي من
قبل القران كتاب موسى يعني التورية اماما اي جعلناه اماما يقتدى به ورحمة اي من الله لمن امن به وهذا كتاب يعني القران مصدق
للكتب التي قبله لسانا عربيا لتنذر الذين ظلموا يعني مشركي مكة وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اوليك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون تقدم تفسيره قوله عز وجل ووصينا
الانسان بوالديه حسنا اي يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة حملته امه كرها يعني حين ثقلت وثقل عليها الولد ووضعته
كرها يريد شدة الطلق حمله وفصاله ثلاثون شهرا يعني ومدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا واقل
مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعة اشهر وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المراة تسعة اشهر ارضعت احدى وعشرين شهرا
واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا حتى اذا بلغ اشده اي نهاية قوته وغاية شبابه واستوايه وهو ما بين ثماني عشرة سنة
الى اربعين سنة وهو قوله وبلغ اربعين سنة قيل نزلت هذه الاية في سعد بن ابي وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والا
صح انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك انه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه
وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب
هناك يسله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله
نبي وما استظل تحتها بعد عيسى احد الا هذا وهو نبي اخر الزمان فوقع في قلب ابي بكر اليقين والتصديق وكان لا يفترق
النبي صلى الله عليه في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة اكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته
امن به ابو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل فقال رب اوزعني الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت
علي وعلى والدي اي بالايمان والهداية وقال علي بن ابي طالب في قوله في ابي بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ابواه غيره
اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجابه الله تعالى فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله منهم
بلال فلم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال تعالى واصلح لي في ذريتي فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فلم
يجتمع لابي بكر اسلام ابويه ابوه ابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابن ابي بكر عبد الرحمان وابن عبد الرحمان
ابو عتيق محمد وهولاء اربعة ابو بكر وابويه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم
يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابي بكر وقوله اني تبت اليك اي رجعت اليك والى كل ما تحب واني من المسلمين اي واسلمت بقلبي
ولساني اوليك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن
فيثيبهم عليها ويتجاوز عن سيئاتهم اي فلا يواخذهم بها في اصحاب الجنة اي مع اصحاب الجنة وعد الصدق الذي في الدنيا على لسان
الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والذي قال لوالديه يعني اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت اف لكما وهي كلمة

كراهية اتعدانني

[illegible]

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

كراهية أتعدانني أن أخرج أي من قبري حيا وقد خلت القرون من قبلي أي فلم يبعث منهم أحد وهما يستغيثان الله أي يستغيثان بالله ويقولان له ويلك آمن إن وعد الله حق أي بالبعث فيقول ما هذا أي الذي تدعوانني إليه إلا أساطير الأولين قال ابن عباس نزلت عليه

في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه وكان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى ويقول أحيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب

ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وأنكرت عائشة أن يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر خ عن يوسف بن ماهك

قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا فقال على الحجاز

خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة من وراء

الحجاب ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا ما أنزل الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح أنه ليس المراد من الآية شخص

معين بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث فأبى وأنكر وقيل نزلت

في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه يبطله قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم

القول أعلم الله أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب أولئك هم وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت

عليه كلمة العذاب أولئك الذين حق عليهم القول أي وجب عليهم العذاب في أمم أي مع أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإ

والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا قال ابن عباس يريد من سبق إلى الإسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة

وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم

عليها وقيل درج الجنة تذهب إلى علو ودرج النار تذهب إلى أسفل وليوفيهم أعمالهم أي جزاء أعمالهم وهم لا يظلمون

قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار أي يجازيهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وا

واستمتعتم بها يعني أن كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد أفنيتموها وتمتعتم بها فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء فا

فاليوم تجزون عذاب الهون أي العذاب الذي فيه ذل وخزي بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون علل هذا العذاب بأمرين

أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الإيمان والثاني الفسق وهو المعاصي والأول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح

فصل لما وبخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون

بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة ق عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو متكئ على

رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت أستأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر

إلا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفي شك

أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله ق عن عائشة قالت ما شبع

آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عنها قالت كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا

إنما هو التمر والماء إلا أن نؤتى باللحيم وفي رواية أخرى قالت إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة

في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الأسودان التمر

والماء إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم من ألبانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء

وكان أكثر خبزهم الشعير أخرجه الترمذي وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله ما لم يخف أحد ولقد

أوذيت في الله ما لم يؤذ أحد ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام إلا شيء يواريه إبط بلال خ عن أبي هريرة قال

رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف السا

قين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته خ عن إبراهيم بن عبد الرحمن أن عبد الرحمن بن عوف أتي

اني يطعم وكان صايما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطا راسه بدت رجلاه وان غطا رجلاه بدا را
سه قال واراه قال وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت ان تكون
عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر ~~قلت اشتهيت لحما فاشتريته~~ بن عبد
الله راى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر او كلما اشتهيت يا جابر
اشتريت اما تخاف هذه الاية اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قوله تعالى ۞ واذكر اخا عاد يعني هود عليه السلام اذ انذر ربع
قومه بالاحقاف قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة
وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا احيا باليمن وكانوا
اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة
الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل وقد خلت النذر اي الرسل من بين يديه اي من قبل هود ومن خلفه اي
بعده الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى ان هودا قد انذرهم بذلك واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله
والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره قالوا اجئتنا لتافكنا اي لتصرفنا عن الهتنا اي عن عبادتها فاتنا بما تعدنا
اي من العذاب ان كنت من الصدقين فيه يعني هو يعلم متى ياتيكم العذاب قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به يعني من الوحي
الذي انزله الله علي وامرني بتبليغه اليكم ولكني اريكم قوما تجهلون قدر العذاب الذي ينزل بكم فلما راوه يعني راوا ما يوعدون
به من العذاب ثم بينه فقال تعالى عارضا يعني راوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء مستقبل
اوديتهم وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما راوا
تلك السحابة استبشروا بها ثم قالوا هذا عارض ممطرنا قال الله ردا عليهم بل هو ما استعجلتم به يعني من العذاب ثم ريح فيها عذاب اليم
بين ما هية ذلك العذاب فقال تعالى تدمر كل شيء بامر ربها يعني تهلك كل شيء مرت به من رجال عاد واموالهم يقال ان تلك
الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة فلما راوا ذلك دخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح
فقلعت الابواب وصرعتهم وامر الله الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمال واحتملتهم فرمتهم في البحر وقيل هودا عليه
السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المومنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه
شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى امر خازن الريح ان يرسل عليهم مثل
مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة ق عن عايشة قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا راى غيما او ريحا عرف في وجهه قالت عايشة يا رسول
الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر واراك اذا رايت غيما عرف في وجهك الكراهية فقال يا عايشة وما
يومنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا راى مخيلة في السماء اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السماء سري عنه فعرفته عايشة
ذلك فقالت وما ادري لعله كما قال قوم فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الاية وفي رواية اخرى قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها
وشر ما فيها وشر ما ارسلت به فاذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا ~~تخيلت السماء~~ امطرت السماء سري
عنه فعرفت ذلك عايشة فسالته فقال لعله يا عايشة كما قال قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا
عارض ممطرنا ~~بل هو ما استعجلتم به~~ المخيلة السحاب الذي يظن فيه مطر تخيلت السماء اذا تغيمت وقولها سري عنه اي كشف
وازيل عنه ما خالطه من الغم والحزن وقوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قرئ بالتاء المفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

48

والمعنى

عطلة

عليه وسلم ما ترى بها مجمع الا مساكنهم خاوية من السكان ليس فيها احد وقرئ يرى بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا اثار مساكنهم
لان الريح لم تبق منها الا اثارا والمساكن معطلة كذلك نجزي القوم المجرمين يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولقد مكناهم فيما ان
مكناكم فيه الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وجعلنا لهم سمعا
وابصارا وافئدة يعني انا اعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في امر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها
فلا جرم فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء يعني انه لما نزل بهم العذاب ما اغنى ذلك عنهم شيئا اذ
كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء
ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الخطاب لاهل مكة يعني اهلكنا قرى قوم ديار ثمود وهي الحجر وسدوم وهي قرى لوط بالشام قوم
وقرى قوم عاد باليمن يخوف اهل مكة بذلك وصرفنا الايات يعني وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد لعلهم يرجعون يعني عن
[illegible]هم فلم فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر فلولا يعني فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة يعني انهم
اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى بل ضلوا يعني بل ضلت الالهة عنهم فلم تنفعهم
عند نزول العذاب بهم وذلك افكهم يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم عنده وما كانوا يفترون
يعني يكذبون بقولهم انها تشفع لهم قوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية ذكر القصة قال المفسرون
لما مات ابو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة له من قومه فروى محمد بن اسحاق
عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف واشرافهم
وهم يومئذ سادات ثقيف وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير وعند احدهم امرأة من قريش
من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاء له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط
ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الآخر ما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول
لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد
يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه ما فعلتم
فيزيدهم ذلك قومه فيزيدهم ذلك تجريهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون
به حتى اجتمع اليه الناس والجؤوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى
ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة
التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي
وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته
امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر
الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فلما رآه ابنا ربيعة ما لقي تحركت
لهما رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك
الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما وضع رسول
على اسم الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال
بلاد اسمه له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اخي كان نبيا وانا

وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل راسه ويديه وقدميه قال وقال احد ابني ربيعة اما غلامك فقد افسده
عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض خير من هذا
الرجل اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي فقالا ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انصرف من الطايف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا
قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم
منذرين وقد امنوا به واجابوا لما سمعوا القران فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن وفي الاية قول ثان
وسياتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين في حديث ابن عباس وروي ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر
فكان اول بعث بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال ابو حمزة الثمالي بلغنا انهم من بني
الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرانا عجبا وقال جماعة بل
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرا عليهم القران فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم من اهل
نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني امرت ان اقرا على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم
فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه احد غيري قال فانطلقنا حتى اذا
كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه
حتى اعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القران فجعلت ارى امثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي
الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب
ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فاتى فقال لي انمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد هممت مرارا ان
استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم امن عليك ان يتخطفك بعضهم ثم قال هل
رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل
وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول
الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله
عليه وسلم واتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معي اداوة وفيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضا
وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود قدم الكوفة راى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين راهم
ثم قال اظهروا فقيل ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت
حديث الوضوء بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده واجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت
لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم احد قال ما صحبه منا احد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
ليلة ففقدناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء
فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات
عليهم القران قال فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما
يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم
الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة اخرجه مسلم في صحيحه واما تفسير الاية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا
من الجن اي اميلناهم للنبي صلى الله عليه وسلم واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد اولئك النفر فقال ابن عباس
كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال اخرون كانوا تسعة وروي ان الجن

عن زر بن حبيش

اللهم صل على سيدنا محمد

49

عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروي ان الجن ثلاثة اصناف صنف منهم لهم اجنحة يطيرون بها في
الهواء وصنف على صورة الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهود فاسلموا قالوا وفي
الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة اصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر
وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع والصحيح انهم مكلفون من العلماء على ان الجن مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال
نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يستمعون القرآن فلما حضروه الضمير يعود الى القرآن يعني فلما حضروا الاستماع للقرآن وقيل يحتمل يعود
انه على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن قالوا انصتوا يعني
قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فانصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم
على بعض من شدة حرصهم على الاستماع فلما قضي اي فرغ من قراءته ولوا اي رجعوا الى قومهم منذرين يعني داعين لهم الى الايمان فرغ
مخوفين لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق به الا بعد
ايمانهم به وتصديقهم له قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا قال عطاء كانوا يهودا فلذلك قالوا
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت
مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل
على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فلذلك هو مصدق لما بين يديه من الكتب يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يعني يهدي
الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة يا قومنا اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انه لا يوصف
بهذا غيره وفي الاية دليل على انه كان مبعوثا الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله وآمنوا به
فان قلت ــــ قوله تعالى اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم اعاد ذكره بلفظ التعيين
قلت ــــ انما اعاده لان الايمان اهم اقسام المأمور به واشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم عطف عليه
اشرف انواعه فقال يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم قال بعضهم من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل
هي على اصلها وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا اسلموا جرت عليهم احكام الاسلام فمن اتى بذنب اخذ به
ما لم يتب عنه او يبقى تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء اخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم
ثواب الا نجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكي عن الليث قال ثوابهم
ان يجاروا من النار ثم يقال كونوا ترابا مثل البهائم وعن ابي الزناد قال اذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا
وقال آخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب
مالك وابن ابي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة وياكلون ويشربون وقيل لا وطاه بن لهمذ رسالت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب
قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الكعبة في ربض ورحاب الجنة
وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض يعني لا يعجز الله فيفوته وليس له من دونه اولياء
يعني انصارا يمنعونه من الله اولئك يعني الذين لم يجيبوا داعي الله في ضلال مبين قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض
ولم يعي بخلقهن يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم فلم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه بقادر على ان يحيي الموتى يعني اعادة
ذلك المخلوق احياء بعد الموت اهون عليه من ابداعه وخلقه فالذي قدر على ابداع المخلوق اعادته بعد الموت وهو قوله
بلى انه على كل شيء قدير يعني من اماتة المخلوق واحيائهم لانه قادر على كل شيء ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيه اضمار تقديره
فيقال لهم اليس هذا بالحق يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق قالوا بلى وربنا هذا اعتراف منهم على
انفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم وبعد ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله عز وجل

[illegible]

فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى بالاقتداء باولي العزم من الرسل في الصبر والتحمل
على اذى قومه قال ابن عباس ذووا العزم قال الضحاك ذووا الجد والصبر واختلفوا في اولي العزم من هم من الرسل فقال ابن زيد كل الرسل
كانوا اولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم وراي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي
قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك
على اذى قومهم ووصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم اولو العزم الا يونس لعجلة
لعجلة كانت فيه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولو العزم منهم نجباء الله
المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعدهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد والظهر والمكاشفة لاعداء الله وقيل ستة نوح وهود وصالح وشعيب وموسى
وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر
على النار واسحاق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وايوب صبر على
الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى — واذ اخذنا
وعيسى ابن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية روى البغوي بسنده عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله — ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة
عليه وسلم يا عائشة ان الله لم يرض من اولي العزم الا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا ان يكلفني ما كلفهم وقال فا
صبر كما صبر اولوا العزم من الرسل لابد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله ولا تستعجل لهم يعني — واني والله
اصبر على اذيتهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم وانه نازل بهم لا محالة كانه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر واحب ان ينزل العذاب
بمن ابى منهم فامره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر بقرب العذاب فقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون يعني من العذاب في الآخرة لم
يلبثوا يعني في الدنيا الا ساعة من نهار يعني انهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه قدر ساعة من نهار لان ما مضى
وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو ابد الآبدين بلا انقطاع ولا فناء ثم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ
فقال تعالى بلاغ اي هذا القرآن وما فيه من البيان والهدى بلاغ من الله الحكيم والبلاغ بمعنى التبليغ فهل يهلك يعني بالعذاب اذا نزل الا القوم — من رحمة الله وبطله
الفاسقون يعني الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لا يهلك الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله
آية اقوى من هذه الآية والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها ولم يتقبلها منهم
والمراد بالاعمال ما كانوا يفعلونه من اعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال — يعملون
بعضهم اول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قائلا قال كيف يهلك الفاسقون ولهم اعمال صالحة كاطعام
الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بان الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها لم تكن لله ولا بامره انما فعلوها من عند انفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب ابطلها الله تعالى
وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم
الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤساء كفار قريش منهم ابو جهل والحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم
وقيل هم جميع كفار قريش عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الاسلام ومنعوا انفسهم من الدخول في الا
سلام اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والذين آمنوا
وعملوا الصالحات قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل هو عام في حق

كل مؤمن

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

80

كل مومن امن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المومنين والذين امنوا بما نزل على محمد يعني القران الذي انزله الله على محمد وانما خص
بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما لشانه القران الكريم وتنبيها على
انه لا ينفع الايمان الا به واكد ذلك بقوله وهو الحق من ربهم وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ لجميع الاديان
ولا يرد عليه ناسخ وقال سفيان الثوري في قوله والذين امنوا بما نزل على محمد يعني لم يخالفوه في شيء كفر عنهم سيئاتهم يعني ستر بايمانهم
وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم واصلح بالهم يعني حالهم وشانهم
وامرهم بالتوفيق في امور الدين والتسليط على امور الدنيا بما اعطاهم من النصر على اعدائهم ~~يعني ان هذا الاصلاح يعود~~
الى اصلاح الدنيا وقيل اصلح بالهم يعني قلوبهم لان القلب اذا اصلح صلح ساير الجسد وقال ابن عباس عصمهم ايام حياتهم يعني ان هذا
الاصلاح يعود الى اصلاح اعمالهم حتى لا يعصوا ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يعني الشيطان وان الذين امنوا اتبعوا الحق من
ربهم يعني القران ومعنى الاية ذلك الامر وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيئات المومنين كاين بسبب اتباع الكفار الباطل
واتباع المومنين الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم الضمير في امثالهم راجع الى الناس على انه تعالى يضرب للناس
امثال انفسهم وانه راجع الى الفريقين على معنى انه تعالى يضرب امثال الفريقين للناس ليعتبروا بهم قال الزجاج كذلك يبين
~~الله للناس امثالهم~~ الله امثال حسنات المومنين واضلال اعمال الكافرين للناس قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو
الحرب فضرب الرقاب يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان المراد ضرب الرقاب فقط دون ساير الاعضاء وانما
خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان اشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر في الامر بالقتل ولان الراس اشرف اعضاء البدن
فاذا ابين عن بدنه كان اسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء حتى اذا اثخنتموهم يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم ماخوذ
من الشيء الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة فشدوا الوثاق يعني في الاسر
والمعنى فاسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به اي يشد به فاما منا بعد واما فداء يعني بعد الاسر اما
ان تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء. **فصل في حكم الاية** اختلف العلماء
في حكم هذه الاية فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي واصحاب الراي قالوا لا يجوز المن على من وقع في
الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل او الاسترقاق وايهما راى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما
هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يكون المراد بالمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا
من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور
عنه انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين وذهب اكثر العلماء الى ان الاية محكمة والامام بالخيار في الرجال
البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال او باسارى
المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطا واكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحاق قال
ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح لانه
به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ق عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني
حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال
عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط
منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد

اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله عبده ورسوله والله ما كان على الارض ابغض الي من وجهك احب الوجوه الي والله ما كان
من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد كلها الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم
وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل اصبوت قال لا ولكن اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة
حبة حنطة حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال اسر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما ثقيف اخرجه الشافعي في مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من
هذا وقوله حتى تضع الحرب اوزارها يعني اثقالها واحمالها واراد اهل الحرب يعني حتى يضعوا اسلحتهم ويمسكوا عن القتال واصل
الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الاثام ومعناه حتى
تضع المحاربون اوزارهم بان يتوبوا من كفرهم فيومنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم اوزارا وقيل اثقالكم
بان يسلموا ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون
بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني
الله الى ان يقاتل اخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي معناه حتى يسلموا او يسالموا وقال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم
او مسالم ذلك يعني الذي ذكر وبين من حكم الكفار ولو يشاء الله لانتصر منهم يعني ولو يشاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم
امرهم ولكن يعني امركم بالقتال ليبلوا بعضكم ببعض يعني فيصير من قتل من المومنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين
الى العذاب والذين قتلوا في سبيل الله يعني الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله فلن يضل اعمالهم يعني فلن يبطلها
بل يوفيهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات
والقتل سيهديهم يعني ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الدرجات العلى ويصلح بالهم يعني يرضي اعمالهم ويقبلها
ويدخلهم الجنة عرفها لهم بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها كانهم
سكانها منذ خلقوا فيكون المومن اهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله واهله في الدنيا هذا قول اكثر
المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف اي مطيب قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا ان تنصروا الله يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اولياء الله وحزبه ينصركم يعني على عدوكم ويثبت
اقدامكم يعني عن القتال او على الصراط والذين كفروا فتعسا لهم قال ابن عباس يعني بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم
وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي في النار ويقال للعاثر تعسا اذا دعوا
عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وارادوا قيامه وفي هذه اشارة جليلة وهي انه تعالى لما قال في حق المومنين
ويثبت اقدامكم يعني في الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر ايضا يصبر ويثبت قدمه في الحرب والقتال
فاخبر الله تعالى ان لكم الثواب ايها المومنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال في حق المومنين بصيغة الوعد لان الله تعالى
لا يجب عليه شيء وقال في حق الكافر بصيغة الدعاء عليهم واضل اعمالهم يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة
الشيطان ذلك يعني التعس والاضلال بانهم كرهوا ما انزل الله يعني القران الذي فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف
الشاقة على النفس لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فيشق عليهم ترك ذلك والاخذ
بالحق والاجتهاد في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم يعني فابطل اعمالهم التي عملوها في غير ربع
طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الغابرة دمر الله عليهم يقال دمره الله يعني اهلكه اي اهلك ما يختص به والمعنى

اهلك الله عليهم

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

81

اهلك الله عليهم ما يختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم وللكافرين يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم امثالها يعني ان لم يؤمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون في الاخرة ذلك يعني الاهلاك والهوان بان اي بسبب ان
الله مولى الذين امنوا يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولي امورهم وان الكافرين لا مولى لهم يعني لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا
الاصنام وهي جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والجمع بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا
الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل احد من الناس ومالكهم فحصل
فبان الجمع بين الايتين ولما ذكر الله تعالى حال المومنين والكافرين في الدنيا ذكر حالهم في الاخرة فقال تعالى ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يعني هذا لهم في الاخرة والذين كفروا يتمتعون يعني [illegible] في الدنيا بشهوا
تهم ولذاتها ويأكلون كما تأكل الانعام يعني ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم في غد ولهذا
شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما لا يضره ولا ينفعه
قيل المومن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لانها جنته وهي سجن المومن
بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة والثواب من النعيم العظيم الدائم والنار مثوى لهم يعني مقام الكفار في الاخرة والثواء المقام
في المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى للكافر ومستقر لهم قوله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك يعني
اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس يريد من رجال هي اشد قوة من اهل مكة اهلكهم الله يدل عليهم قوله
اهلكناهم ولم يقل اهلكناها فلا ناصر لهم يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذي يحل بهم قال ابن عباس لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله واحب بلاد الله الي ولولا ان المشركين
لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الاية افمن كان على بينة من ربه يعني على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم
والمومنون معه كمن زين له سوء عمله وهو الكافر ابو جهل ومن معه من المشركين واتبعوا اهواءهم يعني في عبادة الاوثان
قوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون لما بين الله عز وجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بين في هذه الاية ما اعد لكل وا
حد من الفريقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف ومعناه وصف الجنة
وذلك لا يقتضي مشبها به وقيل المثل به محذوف وفيه غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشيء
عظيم وقيل المثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد في النار فيها يعني في الجنة التي وعد المتقون انهار من ماء غير اسن يعني غير
متغير ولا منتن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانهار من لبن لم يتغير طعمه يعني كما تتغير البان الدنيا فلا يعود حا
مضا ولا قارصا ولا يكره من المطعوم وانهار من خمر لذة للشاربين يعني غير متغير ولا منتن ليس فيها حموضة ولا عفوصة
ولا مرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لذة
فقط وانهار من عسل مصفى يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه نحله بل هو
خالص من شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن
وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح م عن ابي هريرة قال قال رسول الله سيحان وجيحان
والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون واما سيحان و
جيحان المذكوران في الحديث اللذان بين انهما من انهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر اذنه وجيحان نهر المصيصة وهما نهران
عظيمان جدا اكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال واما كون هذه الانهار من ماء الجنة
ففيه تاويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا
مذهب اهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم

حيث قال

صلى الله عليه وسلم

جدا

وهذه الانهار اربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي عنه قوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات في ذكر الثمرات بعد المشروب
اشارة الى ان ماكول اهل الجنة للذة لا للحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة ومغفرة من ربهم
فان قلت المومن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم مغفرة فيها قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة من
فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما ياكلون ويشربون
بخلاف الدنيا فان ماكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب فيه عليه ولا عقاب فيه وقوله تعالى كمن هو خالد
في النار يعني من هو في هذا النعيم المقيم كمن هو خالد في النار يتجرع من حميمها وهو قوله وسقوا ماء حميما يعني شديد الحر قد
اسعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فاذا شربوه فقطع امعاءهم يعني فخرجت
من ادبارهم والامعاء جمع معا وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال
افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد
كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال
يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره قال الله تعالى وسقوا
ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله
تعالى ومنهم يعني ومن هولاء الكفار من يستمع وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به
وتغافلا عنه حتى اذا خرجوا من عندك يعني ان هولاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك قالوا
للذين اوتوا العلم يعني من الصحابة ماذا قال انفا يعني ما الذي قال الان وهو من قولك استانف الامر اذا ابتدأه قال
مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سالوا عبد الله بن مسعود استهزاء
ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل اولئك يعني المنافقين الذين طبع الله على قلوبهم
يعني فلم يومنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا اهواءهم يعني في الكفر
والنفاق والمعنى انهم تركوا اتباع الحق فامات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل وعند ذلك اتبعوا اهواءهم في الباطل والذين
اهتدوا يعني المومنين لما بين الله تعالى ان المنافق من يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المومن المهتدي الذي
ينتفع بما يسمع فقال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى يعني بعد هداية الله اياهم الى الايمان زادهم هدى يعني انهم كلما
سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل امنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع
هدايتهم وايمانا مع ايمانهم واتاهم تقواهم يعني وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير اتاهم ثواب
تقواهم وقيل اتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة يعني
ان الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يومنوا فالساعة اتيتهم بغتة فجاة وهم على كفرهم ونفاقهم فيه وعيد
وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة اتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا هل تنتظرون الا فقرا منسيا او غنى مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا
او موتا مجهزا او الدجال فشر غائب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى وامر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله تعالى
فقد جاء اشراطها اي اماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة امرا مستبعدا في النفوس وقد قال الله تعالى
فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فكان قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء اشراطها قال المفسرون
من اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن سهل بن سعد قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال باصبعه

قال باصبعه هكذا الوسطى والتي تلي الابهام وقال بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما وعن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة
فسبقتها بفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث اشارة الى قرب ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شيء يسير كما بين الاصبعين
في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة وعن انس قال عنه لاحدثنكم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يحدثكم احد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة او قال من اشراط الساعة ان يرفع العلم و
يظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الربا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امراة قيم وفي رواية ويظهر الزنا ويقل
الرجال ويكثر النساء وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يتقارب الزمان وينقص العلم
وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل وقال ويظهر الجهل
خ عن ابي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل
عن الساعة قال ها انا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله
وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يعني فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف
يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت فاعلم انه لا اله
الا الله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فائدة هذا الامر واجيب
عنه بان معناه دم على ما انت عليه من العلم وهو كقول القائل للجالس اجلس اي دم على ما انت عليه من الجلوس او يكون معناه ازدد
علما الى علمك وقيل هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من امته قال ابو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما
قبله معناه فاذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا ملجا ولا منجا ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل
معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله الذي لا اله الا هو واستغفر لذنبك
امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن به امته وليقتدوا به في ذلك م عن الاغر المزني
الاغر مزنية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى استغفر في اليوم مائة مرة وفي رواية قال
توبوا الى الله ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية اكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية
والستر اي يلبس على قلبي ويغطى وسبب ذلك ما اطلعه الله عليه من احوال امته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم
وقيل انه لما كان يشغله النظر في امور المسلمين واحوالهم ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من اعظم
طاعة واشرف عبادة عن اعلى مقام مما هو فيه وهو التجرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شيء
فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيئات المقربين وقيل الغين هو ما يغشى من الغيم وهو
الغيم الرقيق الذي يغشى السماء وكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه غيره فكان يستغفر
الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره لها اظهار العبودية
والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين عن القاضي عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان
شانه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر وغفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره
وقال الحارث المحاسبي خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا امنين عذاب الله تعالى وقيل يحتمل
ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال افلا اكون عبدا شكورا وفي معنى الاية استغفر

لذنبك اي لذنوب اهل بيتك وللمومنين والمومنات يعني من غير اهل بيته وقيل هذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم والله يعلم متقلبكم ومثويكم قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني
منصرفكم ومنتشركم في اعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة او الى النار وقيل متقلبكم في اشغالكم بالنهار ومثويكم
بالليل الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى انه
تعالى عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وان دق وخفي قوله تعالى ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة وذلك ان المومنين
كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله وقالوا هلا انزلت سورة تامرنا بالجهاد لكنا نجاهد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها
القتال قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القرءان على المنافقين رايت الذين في قلوبهم مرض يعني نفاقا
وهم المنافقون ينظرون اليك يعني كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت (معاينة) فاولى لهم فيه وعيد وتهديد وتم الكلام عند هذا ثم
ابتدا بقوله طاعة وقول معروف وعلى هذا هو مبتدا محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل لهم واولى بهم والمعنى
لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا كان امثل واحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة
الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو اطاعوا لكانت الطاعة والاجابة اولى بهم وهذا
معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه فاذا عزم الامر فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على اصله ومجازه كقولنا
جاء الامر ودنا الوقت وهذا امر متوقع ومعنى الاية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به فلو صدقوا الله
لكان خيرا لهم يعني وقيل معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان خيرا لهم فهل عسيتم اي فلعلكم
ان توليتم يعني اعرضتم عن سماع القرءان وفارقتم احكامه ان تفسدوا في الارض يعني تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من
من الافساد في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدماء وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام وتقطعوا ارحا
مكم قال قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن ق عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت
هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فا
صمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرءان ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو معقد
الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ
كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد
صلتها والعائذ اللاجي المستجير قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبر انما هي معنى من المعاني وليست بجسم
وانما هي قرابة ونسب يجمعه رحم والدة فيتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما والمعاني لا يتاتى منها القيام
ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم
شانها وفضيلة واصليها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمي العقوق قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز
ان يكون المراد قيام ملك من الملائكة وتعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله عز وجل هذا كلام القاضي
عياض في معنى هذا الحديث والله اعلم وقيل في الاية قوله ان توليتم هو من الولاية يعني فهل عسيتم ان وليتم امر الناس من ان
تفسدوا في الارض يعني بالظلم وتقطعوا ارحامكم ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع
منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال وانه تعالى عالم بكل شيء فما معناه قلت

قال بعضهم

قال بعضهم معناه نجعل بكم فعل المترجي المثلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشري
معناه انه لما عهد منهم حقا بان يقول لهم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم
ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا اولئك اشارة
الى من اخذ ان تولوا فسد في الارض وقطع الارحام الذين لعنهم الله يعني ابعدهم الله من رحمته وطردهم عن جنته فاصمهم يعني عن سماع
الحق واعمى ابصارهم يعني عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القران لم يفهموه ولم يومنوا به وابصروا طريق الهدى لم يسلكوه
ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمي وان كان لهم اسماعا وابصارا في الظاهر افلا يتدبرون القران حتى يتفكرون فيه في مواعظه و
زواجره واصل التدبر النظر في عاقبة الشيء وما يؤول اليه امره وتدبر القران يكون لا مع حضور القلب وجمع الفهم وقت تلاوة القران
ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال وخلوص النية ام على قلوب اقفالها يعني بل على قلوب اقفالها وجعل الاقفال مثلا لكل مانع للانسان
من تعاطي فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى انه ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد اصمهم واعمى ابصارهم واقفل على قلوبهم
وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القران مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق جايز عندنا لان الله امر بالايمان
لمن سبق في علمه انه لا يومن وكذلك هذا والله يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون القران المراد به الناس
وقيل ان هذه الاية محققة للاية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فكان
قوله افلا يتدبرون القران كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسبب اللعنة او كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر
والله اعلم بمراده روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القران ام على قلوب
اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به قال الحديث مرسل عن عروة بن
الزبير تابعي من كبار التابعين واجلتهم لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنين وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل
ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي رجعوا القهقرى كفارا من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة
هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس و
الضحاك والسدي هم المنافقون فعلوا ذلك بانهم امنوا اولا ثم كفروا ثانيا الشيطان سول لهم يعني زين لهم القبيح
حتى راوه حسنا واملى لهم قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله يعني امهلوا ومد لهم في الامل وقرئ واملى
لهم بفتح الالف واللام بمعنى الشيطان بان مد لهم في الامل فان قلت الاملاء والامهال لا يكون الا من الله لانه الفاعل المطلق
وليس للشيطان فعل قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت المسول والملي هو الله تعالى في الحقيقة
وليس للشيطان فعل وانما اسند هذا اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح والمسالة
ويقول لهم في اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى اخر العمر ذلك اشارة الى التسويل والاملاء بانهم يعني بان اهل
الكتاب او المنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون سنطيعكم في بعض الامر يعني في التعاون على عداوة محمد صلى
الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال والله
يعلم اسرارهم يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من امورهم فكيف اذا توفتهم الملايكة يعني فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملا
يكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك يعني الضرب بانهم يعني بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله يعني ترك الجهاد بما كرهوا ما فيه
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكرهوا رضوانه يعني رضوان
الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحبط اعمالهم يعني فابطل اعمالهم التي عملوها
من اعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق وهم المنافقون ان لن يخرج
الله اضغانهم يعني يظهر احقادهم على المومنين فيبديها حتى يعرف المومنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد

وقال ابن عباس حسدهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم لما قال تعالى أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله
أضغانهم وكان قائلا قال لم يخرج أضغانهم ويظهرها فأخبر الله تعالى أنه إن شاء أخرج ذلك لمحض المشيئة لا لخوف
منهم فقال تعالى ولو نشاء لأريناكهم لا مانع من ذلك والإراءة بمعنى العلم أو التعريف وقوله تعالى فلعرفتهم لزيادة فائدة وهي
أن الذي يعرف قد يطلق والذي لا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته لم يعرف وكأن المعنى هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم به
ففيه إشارة إلى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعني بعلامتهم أي نجعل لك علامة تعرفهم بها [اي]
قال أنس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم
ولتعرفنهم في لحن القول يعني في معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صواب وخطأ فالخطأ في الكلام وإزالته عن التصريح
إلى المعنى والتعريض وهذا محمود من جملة البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض وإليه
قصد بقوله ولتعرفنهم في لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب إلى الخطأ بإزالة الإعراب والتصحيف [ولتعرفنهم]
ومعنى ومعنى الآية وأنك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيحه والا
ستهزاء به وكان بعد هذه الآية لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه
ونفاقه ثم قال تعالى والله يعلم أعمالكم يعني أعمال جميع عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله قوله تعالى ولنبلونكم يعني
ولنعاملنكم معاملة المختبر فإن الله تعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها ووجودها حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
يعني أنا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر إليه منكم ويصبر عليه من غيره لأن المراد من قوله حتى نعلم علم
الوجود والظهور ونبلو أخباركم يعني نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد إن الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله وشاقوا الرسول يعني خالفوه فيما يأمرهم به من الجهاد وغيره من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد
ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لن يضروا الله شيئا يعني إنما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى
منزه عن ذلك وسيحبط أعمالهم يعني وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الآخرة لأنها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس
هم المطعمون قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول لما ذكر الله الكفار بسبب مشاقتهم [يوم بدر] [ربع]
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ثم قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم قال عطاء يعني بالشرك
والنفاق والمعنى دوموا على ما أنتم عليه من الإيمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبي لا
تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعما
لكم بالمعاصي والكبائر قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا
ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط أو تحبط الأعمال واستدل بهذه الآية من يرى إحباط
الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لأن الله يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال
تعالى وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما والله تعالى أعدل وأكرم من أن يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية
واحدة وروي عن ابن عمر أنه قال كنا نرى أنه لا شيء من حسناتنا إلا مقبولة حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي
يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا
عن ذلك القول وكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى إبطال النوافل حتى لو دخل
في صلوة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له إبطال ذلك العمل أو الخروج منه ولا دليل لهم في الآية ولا حجة لأن السنة مبينة للكتاب وقد [صلاة]
ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع إلى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما
فأكل وهذا

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

84

فجعل يأكل وهذا معنى الحديث فليس بالجملة وفي الصحيح ايضا ان سلمان زار ابا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فاني صائم
قال ما انا بآكل حتى تأكل فأكل معه وقال مقاتل في معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل اعمالكم نزلت في بني اسد
وسنذكر القصة في تفسير الحجرات ان شاء الله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل نزلت
في اهل القليب وهم ابو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر والقوا في قليب بدر وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فان الله لا يغفر له
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلا تهنوا الخطاب فيه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا ايها المومنون وتدعوا الى السلم يعني لا تدعوا الكفار الى الصلح ابتداء منع الله
المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا وانتم الاعلون يعني وانتم الغالبون لهم العالون عليهم اخبر
الله ان الامر للمسلمين في بعض الاوقات والله معكم يعني بالنصر والمعونة ومن كان الله معه فهو العالي الغالب ~~والله~~
~~معكم~~ ولن يتركم اعمالكم يعني لن ينقصكم شيئا من ثواب اعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم اعمالكم
الصالحة بل يؤتيكم اجورها ثم حض على طلب الآخرة بذم الدنيا فقال ~~وان تومنوا وتتقوا يوتكم اجوركم~~ يعني انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو اي باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا على طلب الآخرة وقد علمتم ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان
منها في عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم اذا استعمله الانسان
ولم يشغله عن غيره ولم ينسه اشغاله المهمة فهو اللعب وان شغله عن مهمات نفسه فهو اللهو وان تومنوا وتتقوا
يوتكم اجوركم يعني يوتكم جزاء اعمالكم في الآخرة ولا يسألكم اموالكم يعني ان الله تعالى لا يسأل من العباد اموالهم لاتيان
الاجر عليهم بل يامرهم بالايمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد اموالكم وقيل معناه
لا يسألكم الله ورسوله اموالكم كلها في الصدقات انما يسألانكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من اموالكم وهي
زكاة اموالكم ثم تردها عليكم لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها لكم الله في اموال الاغنياء وردها على الفقراء فطيبوا
باخراج الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان الثوري بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى ان يسألكموها
الضمير عائد الى الاموال فيحفكم يعني يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة في المسألة وبلوغ الغاية في كل
شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح تبخلوا يعني بالاموال فلا تعطوها ويخرج اضغانكم
يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله ان الاحفاء في مسألة الاموال خروج الاضغان ها انتم
هؤلاء يعني انتم يا هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل اراد به النفقة
في الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله فمنكم من يبخل يعني بما فرض عليه
من الزكاة او ندب اليه انفاقه في وجوه البر ومن يبخل يعني بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وهو قوله فانما يبخل
عن نفسه والله الغني يعني عن صدقتكم وطاعتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض وانتم الفقراء يعني
اليه والى ما عنده من الخير والثواب في الدنيا والآخرة وان تتولوا يعني عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه
وسلم وعن القيام بما امركم الله به والزمكم اياه يستبدل قوما غيركم يعني يكونون اطوع لله ورسوله منكم قال
الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن ابي هريرة قال تلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وله في رواية اخرى عن ابي
هريرة قال قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان
بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان وقال هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا
لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح تقدم في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله اعلم بمراده واسرار كتابه

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

١١

بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح تركت
في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الفتح مكية
عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه
ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك يا عمر نزرت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس و
خشيت ان ينزل في قران فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون قد نزل في قران
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس
ثم قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا واخرجه الترمذي وزاد فيه فقال في بعض اسفاره في الحديبية وعن انس
قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الى اخر قوله فوزا عظيما مر
جعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد انزلت علي اية هي احب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا
قال الحديبية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فانزل الله ليدخل المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت بهذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له
فقال اما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس واما هنيئا فعن عكرمة واخرجه الترمذي عن قتادة عن انس
قال انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه من الحديبية فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي اية احب الي مما على وجه الارض ثم قراها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المومنين وال الانهار
مومنات جنات تجري من تحتها حتى بلغ فوزا عظيما بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا
مبينا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب
واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد هو فتح خيبر وقيل فتح فارس والروم و
سائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله تعالى له فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد
فتحت بعد فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم بالفتح وجيء به بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة
الكائنة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنا لك فتحا في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن
لا محالة وقال اكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن انس ومعنى الفتح
فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره
وسهله بقدرته ولطفه عن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الر
ضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بير فنزحناها ولم نترك
فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم
مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا وقال الشعبي في
قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي

فيه وظهرت الروم على فارس ففرح المومنون بظهور اهل الكتب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح
اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام من قلوبهم
واسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل اللام في قوله ليغفر لك الله متعلق بالفتح والمعنى لكي يجتمع لك مع المغفرة
تمام النعمة بالفتح وقال الحسين بن الفضيل هو مردود الى قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها قال ابن جرير هو راجع
الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة و
لكن لاجتماع ما قدر الله من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم
والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك وهديناك صراطا مستقيما ليجمع لك
عز الدارين واغراض العاجل والآجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد العدو وفيه الثواب
والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت
كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الاية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك [illegible] وما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة
وما تاخر يعني بعدها وعلى هذا القول من يجوز الصغاير على الانبياء وقال عطاء الخرساني ما تقدم من ذنبك
يعني ذنب ابويك آدم وحواء ببركتك وما تاخر ذنوب امتك بدعائك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم
من ذنبك ما كان منك قبل النبوة وما تاخر يعني كل شيء لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التاكيد
كما تقول اعط من تراه واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنبك وما لم يقع ومن تراه
فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتاويل لان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنوب هنا ما عسى ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان
حسنات الابرار سيئات المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه
الله عز وجل بذلك وانه مغفور له لم يتم نعمته عليه وهو قوله تعالى ويتم نعمته عليك يعني بالنبو
ة وما اعطاك من النصر والفتح والتمكين ويهديك صراطا مستقيما يعني ويهديك الى صراط مستقيم
ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو
دين الاسلام وقيل معناه ويهديك بك الى صراط مستقيم وينصرك الله نصرا عزيزا يعني غالبا اعز
ومنعة وظهورا على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت
وصف الله النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحبه فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله
تعالى عيشة راضية اي ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا
كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا
وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات ان كان العزيز من القلة والعزيز الغالب اما ~~ان كان عزيز بمعنى عزيز~~
في نفسه لكونه من الله فيصح وصف كونه نصرا عزيزا قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين
يعني الطمانينة والوقار في قلوبهم ليلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة في القرآن طمانينة الا التي
في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها كما قال الله عز وجل ينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه

[illegible] النصر [illegible] التفسير [illegible] النصر الا هو من عند الله [illegible]

هذا النصر

اللهم صل على سيدنا محمد

67

هذا النصر فيه نوع ذلك انه تعلى جعل السكينة التي هي الطمانينة والثبات في قلوب المومنين العونين
ويلزم قلوب المومنين ويلزم من ذلك ثبوت الاقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها فكان ذلك من اسباب النصر
الذي وعد الله تعلى نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال تعلى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وذلك انه جعل الا
لسكينة والطمانينة في قلوب المومنين بسبب لزيادة الايمان في قلوبهم وذلك انه كلما ورد عليهم
امر ونهي فامنوا به وعملوا بمقتضاه كان ذلك زيادة في ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسو
له صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما امنوا به وصدقوه زادهم الصلوة ثم الزكوة
ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا بشيء وصدقوه زادوا واتصديقا الى تصديقهم
الى تصديقهم قال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبي وهذا في امر الحديبية حين صدق
الله ورسوله الرويا بالحق وقيل لما امنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وامنوا بالفروع وهي
جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم ولله جنود السموت والارض لما قال
الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المومنين في قلة من العدد والعدد فكان قائلا يقول كيف
ينصرك فاخبر الله تعلى ان له جنود السموت والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم
ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم
يفعل فانزل الله سكينته في قلوبكم ايها المومنون بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واهلا
ك اعدايه على ايديكم فيكون لكم الثواب ولهم العذاب وفي جنود السموت والارض وجوه الا
ول انهم ملايكة السموت والارض الثاني ان جنود السموت الملايكة وجنود الارض جميع الحيوا
نات الثالث ان جنود السموت مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكان الله عليما يعني بجميع جنوده الذي في السموات والارض حكيما يعني في تدبير
هم وقيل عليما بما في قلوبكم ايها المومنون حكيما حيث جعل لكم النصر على اعدايكم قوله عز وجل
ليدخل المومنين والمومنت جنت تجري من تحتها الانهر وقوله ليدخل المومنين والمومنت يستدعي
سابقا تقديره هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليدخلهم جنت وقيل تقديره ان من علمه
وحكمته ان يسكن قلوب المومنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه
فيثيبهم ويدخلهم جنت تجري من تحتها الانهر وقد تقدم ما روي عن انس انه لما نزل قوله تعلى
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قالت الصحابة هنيئا مريئا قد
بين الله ما يفعل بك فما ذا يفعل بنا فانزل الله الاية التي بعدها ليدخل المومنين والمومنت جنت تجري من
تحتها الانهر خلدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم فان قلت تكفير السيئات انما يكون قبل د
خولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لا تقتضي الترتيب وقيل ان تكفير
السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال بالذكر يعني انه من اهل
الجنة وكان ذلك عند الله فوزا عظيما يعني ان ذلك الادخال والتكفير كان في علم الله فوزا عظيما ويعذب
المنفقين والمنفقت والمشركين والمشركت يعني المنفقين والمنفقت من اهل المدينة والمشركين
والمشركت من اهل مكة وانما قدم المنفقين على المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنفقين كانوا اشد

على المومنين من الكافرين لان الظاهر يمكن ان يتحرز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يتحرز منه
ولا يجاهد فلهذا كان شره اكثر من الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر اولى الظانين بالله ظن السوء يعني
انهم ظنوا ان الله لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمومنين عليهم دايرة السوء يعني عليهم دايرة العذاب
العذاب والهلاك وغضب الله عليهم زيادة في تعذيبهم وهلاكهم ولعنهم اي ابعدهم وطردهم
من رحمته واعد لهم عذاب جهنم يعني في الاخرة وساءت مصيرا يعني ساءت جهنم منقلبا ولله جنود
السموات والارض تقدم تفسيره بقي ما فايدة التكرير ولم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المومنين
الجنة ولم اخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فايدة التكرار التا
كيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فذكر جنود السموات
والارض قبل ادخال المومنين الجنة ليكون مع المومنين جنود الرحمة فيثبتونهم على الصراط
وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شيء
واخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفا
رقوهم ابدا فان قلت قال في الاية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه الاية وكان الله عزيزا
حكيما فما معناه قلت لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب علم ان الله ذكر
المومنين ناسب ان يكون خاتمة الاية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ وصف تعذيب الكفار والمنافقين
وشدته ناسب ان يكون خاتمة الاية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله اليس الله بعزيز ذي انتقام و
قوله اخذناهم اخذ عزيز مقتدر قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شا
هدا يعني على اعمال امته ومبشرا يعني لمن امن به واطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى امره
بالعقاب ثم بين فايدة الارسال فقال تعالى لتومنوا بالله ورسوله فالضمير فيه للناس المرسل اليهم
وتعزروه يعني ويعزروه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم وتوقروه يعني ويعظموه والتوقير التعظيم
التعظيم والتبجيل وتسبحوه من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقايص او من السبحة وهي الصلاة
قال الزمخشري والضماير لله تعالى والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضماير
فقد ابعد وقال غيره الكنايات في قوله وتعزروه وتوقروه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعنده ها
تم الكلام بالوقف على وتوقروه وقف تام ثم يبتدي بقوله وتسبحوه بكرة واصيلا على ان الكناية في
وتسبحوه راجعة الى الله عز وجل يعني ويصلوا لله ويسبحوا الله بالغدوة والعشي قوله عز وجل
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني ان الذين يبايعونك يا محمد في الحديبية على ان لا يفروا انما يبا
يعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من
بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي
وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت ببير هناك وفي جامع
الحديث الحديبية بير ~~الجع وعامة المحدثين~~ وقال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل
ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف افصح وعامة المحدثين يشددونها و

عن زيد

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

فعن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت
م عن معقل بن يسار قال لقد رايتنا يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها
عن راسه ونحن اربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين
فما صح بايعه منهم جماعة منهم ابن الاكوع على الموت فابن الاكوع يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا او ينصروا وبايعه
جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا خ عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شان الناس احدقوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى يد الله فوق
ايديهم قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم بالخير فوق ايديهم وقال السدي كانوا ياخذون بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم كذلك البقاء عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم
في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك
لان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين فان قلت انها بمعنى واحد ففيه وجهان
احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما
يد الله فوق ايديهم اي نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اي الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا
انها بمعنيين ففي اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق
ايديهم بالحفظ قال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريق التخييل فقال يد الله فوق ايديهم
يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن
صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت
بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله هذا مذهب اهل التاويل وكلامهم في هذه الاية و
مذهب السلف السكوت عن التاويل وامرار ايات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير
تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه يعني من نقض العهد الذي عقده
مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فانما وبال ذلك وضرره يرجع عليه ولا يضر الا نفسه ومن اوفى بما عا
هد عليه الله يعني من البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الاخرة وهو الجنة وقوله تعالى سيقول لك
المخلفون من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والدئل وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة
من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم بعمرة وسا
ق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واشتغلوا بالشغل فانزل الله فيهم
سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب يعني الذين خلفهم الله عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعا
تبتهم عن التخلف عنك شغلتنا اموالنا واهلونا يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذلك تخلفنا
عنك فاستغفر لنا اي ادع ربنا معترفين بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي
صلى الله عليه وسلم ام لا قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا يعني سوءا او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا
ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة لهم في انفسهم واموالهم فاخبرهم

ان هذه بيعتهم

الله انه ان اراد بكم شيئا. من ذلك لم يدفع ان اراد على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب
الاستغفار واخفائكم النفاق بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا يعني ظننتم ان العدو
يستاصلهم فلا يرجعون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم
به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلوبهم الانسان الشيء. ويزينه له حتى يقطع به
وظننتم ظن السوء يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس
يعني ونحو ذلك فتنتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا
يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصا
حبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله
وظن بالله ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء اصل
لما ذكر الله تعالى حال المومنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء اخبر ان له ملك
السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء. ولكن غفرانه ورحمته اعم و
اشمل واتم واكمل واليه الاشارة بقوله وكان الله غفورا رحيما قوله عز وجل سيقول المخلفون يعني الذين
تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم وذهبتم ايها المومنون الى مغانم لتاخذوها يعني غنائم خيبر
وذلك ان المومنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله
عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم
ولم يصيبوا منها شيئا ذرونا نتبعكم يعني الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وفي هذا بيان كذب
المخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا
نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة يريدون ان يبدلوا كلام الله يعني يريدون ان يبدلوا ويغيروا ما وعد الله اهل
الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم احد الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى
فان استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا والقول الاول اصوب قل لهم يا محمد لن تتبعونا يعني
الى خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها
نصيب فسيقولون بل تحسدوننا يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيئا بل كانوا لا يفقهون يعني
لا يفهمون ولا يعلمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا يعني قليلا منهم وهو من مات منهم وصدق الله
ورسوله قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب لما قال النبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا
كثيرا من قبائل متفرقة وكان فيهم من يرجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه
فجعل الله لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم اولي باس شديد فان اطاعوا كانوا من المومنين
ويوتيهم الله اجرا عظيما وهو الجنة وان تولوا واعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا
اليما اختلفوا في المشار اليهم بقوله ستدعون الى قوم اولي باس شديد من هم فقال ابن عباس ومجاهد اهل
فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة
هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع

بن خديج انا

رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم وقال ابن جريج
دعاهم إلى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وأقوى هذه الأقوال قول من قال إنهم
هوازن وثقيف لأن الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدها قول من قال إنهم بنو حنيفة أصحاب
مسيلمة الكذاب وأما الدليل على صحة القول الأول فهو أن العرب كان قد ظهر أمرهم في آخر الأمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق إلا مؤمن تقي ظاهر وكافر مجاهر وأما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع
النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حرب من خالفه من
الكفار وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب بأسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب
لغزوة خيبر وبني المصطلق فصح بهذا البيان أن الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم **فإن قيل** هذا ممتنع
لوجهين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع
هذا النهي **الوجه** الثاني قوله أولي بأس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم أولي بأس
شديد لأن الرعب قد كان دخل في قلوب العرب كافة **فنقول الجواب** عن الوجه الأول من وجهين أحدهما
أن يكون قوله فلن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا مقيدا بقيد وهو أن يكون تقديره لن تتبعونا ولن تخرجوا
معي أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد منه لأن من أسلم وحسن إسلامه وجب
عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج إلى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب
على الوجه الأول أن المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا يعني غزوة خيبر لأنها كانت مخصوصة بمن
شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول إن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يدعهم أولا
إلى الجهاد معه أو منعهم من الخروج إلى الجهاد معه لامتنع أبو بكر وعمر من الإذن لهم في الخروج إلى الجهاد
معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من أخذها منه **وأما**
الجواب عن الوجه الثاني وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم أولي بأس شديد فغير
مسلم لأن الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولو بأس شديد فثبت بهذا البيان أن الداعي
للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم **وأما** قول من قال إن أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة أصحاب مسيلمة
الكذاب وأن عمر دعاهم إلى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لأن الله تعالى وعد
على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار **فقوله عز وجل تقاتلونهم أو يسلمون** فيه إشارة إلى وقوع
أحد الأمرين إما الإسلام أو القتال **فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا** يعني الجنة **وإن تتولوا** يعني تعرضوا عن
الجهاد **كما توليتم من قبل** يعني عام الحديبية **يعذبكم عذابا أليما** يعني بالنار ولما نزلت هذه الآية قال
أهل الزمانة كيف حالنا يا رسول الله فأنزل الله عز وجل **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على
المريض حرج** يعني في التخلف عن الجهاد وهذه أعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لأن أصحابها لا يقدرون على
الكر والفر لأن الأعمى لا يمكنه الإقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذا الأعرج والمريض وفي معنى
الأعرج الزمن والمقعد والأقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون
على الكر والفر فهذه أعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك أعذار أخر دون ما ذكر وهي الفقر
الذي لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج إليه في مصالح الجهاد والأشغال التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض

الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر بالكلية
لا انتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الاعرج فانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على
المريض لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب ومن يطع الله ورسوله يعني في امر الجهاد و
غيره يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق
يعذبه عذابا اليما يعني في الآخرة قوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
يعني في الحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت هذه الشجرة سمرة ق عن طارق بن عبد
الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان ابي فيمن بايع تحت الشجرة
قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها فقال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يعلموها وانتم علمتموها فانتم اعلم وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال لقد رايت
الشجرة فاتيتها عام قابل فعميت علي وروي ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل
بعضهم يقول ها هنا وبعضهم يقول ها هنا فلما اكثروا اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة ح
عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من
الله تعالى م عن ابن الزبير انه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه
وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختبا تحت بطن بعيره
زاد في رواية وقال بايعناه على ان لا نفروا ولم نبايعه على الموت واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد
رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفروا ولم نبايعه
على الموت ق عن عمرو بن دينار رضي الله عنه قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول قال
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة قال ولو كنت
ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة ق عن عبد الله
بن ابي اوفى قال كان اصحاب الشجرة الفا وثلاث مائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى
بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن امية الخزاعي حين نزل بالحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله
على جمل يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وارادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني اخاف على
نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدي بن كعب احد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها
ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى ابي
سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته
فخرج عثمان الى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته و
حمله بين يديه ثم اردفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان

حين فرغ

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

19

(بالبيت فطف)

حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان تطوف بها فقال ما كنت لافعل حتى يطوف بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمان بن عفان قد قتل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس
يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وقال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وفي نسخة وعن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن
اول — بايعناه على ان لا نفر والجمع ايضا بين هذا وبين قول سلمة ابن الاكوع بايعناه على الموت وكان اول من بايع بيعة
الرضوان رجل من بني اسد يقال له ابو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان احد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس
اخو بني سلمة قال جابر لكاني انظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم اثاب رسول الله صلى الله — جبير
عليه وسلم ان الغم كان في امر عثمان باطل عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
النار احد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت
الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب **وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم**
ما في قلوبهم يعني من الصدق والوفاء **فانزل السكينة عليهم** يعني على المومنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت
وعلى ان لا يفروا وفي هذه الاية الصيغة وهي ان هذه البيعة كان فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله في الاية المتقدمة ومن يطع
الله ورسوله ندخله جنات تجري من تحتها الانهار **فثبت** بهذا البيان ان اهل بيعة الرضوان من اهل الجنة ومما
يشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم **فان قلت** الفاء في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضوان لانه تعالى علم
ما في قلوبهم من الصدق والايمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم **قلت** قوله
فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك تحت الشجرة فيكون تقديره لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك
علم — فعلم ما في قلوبهم من الصدق واشارة الى ان الرضوان لم يكن عند المبايعة بحسب بل عند المبايعة التي علم الله منهم
بصدقهم والفاء في قوله فانزل السكينة عليهم للتعقيب فانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي الله عنهم فانزل
السكينة عليهم **وقوله تعالى واثابهم فتحا قريبا** يعني خيبر **ومغانم كثيرة ياخذونها** يعني اموال خيبر
وكانت خيبر ذات عقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم **وكان الله عزيزا** يعني مانعا كامل
العزة غنيا عن اعانتكم **حكيما** حيث حكم بالغنائم ووعد ابدكم بالهلاك على ايديكم **قوله تعالى وعدكم
الله مغانم كثيرة تاخذونها** يعني من الغنائم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لهم الى يوم القيمة **فعجل
لكم هذه** يعني غنائم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وانما عجل
هذه كالعجالة للراكب عجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير **وكف ايدي الناس عنكم**
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبايل من بني اسد وغطفان ان يغيروا على عيال
المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل ان الله كف ايدي اهل مكة
بالصلح عنكم لتمام النعمة عليكم **ولتكون اية للمومنين** هو عطف على ما تقدم تقديره وعجل لكم الغنائم لتنتفعوا
بها ولتكون اية للمومنين يعني ليحصل لمن بعدكم اية تدلهم على ان ما وعدكم الله يحصل مثله لهم وقيل ولتكون اية
للمومنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزداد يقينا الى يقينهم ويعلمون ان الله هو
المتولي احياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم **ويهديكم صراطا مستقيما** يعني ويهديكم الى دين الاسلام

[illegible] (vertical marginal note, right margin)

وانزل السكينة

عليه وسلم

وشبتنكم عليه وبزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وخيبر فى ذكر غزوة خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع
من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع ف وعن انس
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم
وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا عليهم الى خيبر فلما اتيناهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب
وركبت خلف ابى طلحة وان قدمى لتمس قدم النبى صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم
فلما راوا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما راهم النبى صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر خربت
خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين م عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال خرجنا الى خيبر مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم :. تالله لولا الله ما اهتدينا :. ولا تصدقنا ولا صلينا :.
ونحن عن فضلك ما استغنينا :. فثبت الاقدام ان لاقينا :. وانزلن السكينة علينا :. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذا قال انا عامر قال غفر الله لك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال
فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبى الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر
بسيفه يقول :. قد علمت خيبر انى مرحب :. شاكى السلاح بطل مجرب :. اذا الحروب اقبلت تلتهب :. قال وبرز له عمى
فقال :. قد علمت خيبر انى عامر :. شاكى السلاح بطل مغامر :. قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس
عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا
نفر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم وانا ابكى
فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل
له اجره مرتين ثم ارسلنى الى على وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فاتيت عليا فجئت به اقوده
وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرا واعطاه الراية فخرج مرحب فقال :. قد علمت
خيبر انى مرحب :. شاكى السلاح بطل مجرب :. اذا الحروب اقبلت تلتهب :. فقال على رضى الله عنه :. انا الذى
سمتنى امى حيدره :. كليث غابات كريه المنظره :. اوفيهم بالصاع كيل السندره :. قال فضرب راس مرحب فقتله
ثم كان الفتح على يديه اخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخارى طرفا منه قال البغوى وقد روى حديث فتح
خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وانس وابو هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان قد اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ ابو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا
شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو اشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فدعا عليا فاعطاه الراية و
قال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فاتى مدينة خيبر فخرج اليه مرحب صاحب الحصن وعلى راسه مغفر
من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه على بن ابى طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق راسه حتى اخذ السيف
فى الاضراس ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت صفية بنت عبد المطلب امه يقتل ابنى يا
رسول الله فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون
حصونا ويقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحاق فكان اول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل
محمود بن مسلمة القت اليهود عليه رحى فقتلته ثم فتح القموص حصن ابن ابى الحقيق واصاب منهم سبايا :. منهم صفية بنت
حيى بن اخطب جاء بها بلال واخرى معها فمر بهما على قتلى يهود فلما راتهم التى مع صفية صاحت وصكت وجهها

فوع

س

بطل عمل عامر

وكسر

س

وحثت التراب

امه قتلى

وحثى التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغربوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت
خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى انزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين
على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة ابن الربيع ابن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت
رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتي بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها اثر منها فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو فاخبرته الخبر
واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله فجحد ان يكون يعلم مكانه فاتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيت كنانة يطوف بهذه ابها
الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك أأقتلك قال نعم فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فابى ان يؤديه فامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الزبير بن العوام ان يعذبه حتى يستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى اشرف
على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب
ابو طلحة وانا رديف ابي طلحة فاجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ النبي
صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى اني انظر الى بياض فخذ النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال
الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى اعمالهم
فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يا نبي الله اعطني جارية من السبي
قال اذهب فخذ جارية من السبي فاخذ صفية بنت حيي سيدة فجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي
الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر اليها
النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت
يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل
فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل
الاخر يجيء بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ق وعن
عبد الله ابن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية فانتحرناها فلما
غلت بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفئوا القدور ولا تأكلوا من لحوم الحمر شيئا
فقال الناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون انما نهى عنها البتة ق وعن انس ان امرأة يهودية اتت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت اردت لا
قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال علي قالوا الا نقتلها قال لا فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال محمد بن اسماعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك
السم خ وعن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر وعن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود والنصارى من ارض الحجاز
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين واراد اخراج اليهود منها فسالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم
بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا
بها حتى اجلاهم عمر في امارته الى تيما واريحا قال محمد بن اسحاق ولما سمع اهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا اخرجناهم
فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا
عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهو
دية شاة مصلية وسالت اي عضو من الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيه السم يعني مشوية
وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذ فلاك
منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاما بشر فاساغها يعني فابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه م
سموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا
استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه
فقال يا ام بشر ما زال الاكلة خيبر التي اكلت مع ابنك تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري فكان المسلمون يرون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة عن عبد الله بن سلمان ان رجلا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء
رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه احد من اهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال ما زلت ابيع وابتاع
حتى ربحت ثلاثمائة اوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال
ركعتين بعد الصلوة اخرجه ابو داود قوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها يعني وعدكم الله فتح بلدة
اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها يعني حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال
ابن عباس وعلم الله تعالى انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر
على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى اقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله
عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون او
يفتحونه الى اخر الزمان وكان الله على كل شيء قديرا اي من فتح القرى والبلاد لكم وغير ذلك ولو قاتلكم الذين كفروا
يعني اسد وغطفان واهل خيبر لولوا الادبار اي لانهزموا عنكم ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا يعني من تولاه الله خذلانه فلا
ناصر له ولا مساعد سنة الله التي قد خلت من قبل يعني هذه سنة الله في اوليائه وفي اعدائه ولن تجد لسنة الله
تبديلا قوله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم سبب نزول هذه الاية ما روي عن انس بن مالك رضي الله
عنه ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم
عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم اخرجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني
مع النبي كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من اغصان وعلى
تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم
السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذ
ناهم فقال لهم

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

61

فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه فقال امضوا

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم
وفي الاية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم
من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم يعني ايدي اهل مكة وايديكم عنهم اي قضى بينكم وبينهم
بالمكافة والمحاجزة ببطن مكة قيل اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة من بعد ان اظفركم عليهم
اي امكنكم منهم حتى ظفرتم بهم وكان الله بما تعملون بصيرا قوله عز وجل هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام ذكر صلح الحديبية روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد
منهم حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه
يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذا الحليفة قلد الهدي واشعره واحرم
منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه حتى اذا كان بغدير الاشطاط
قريبا من عسفان اتاه عينه الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك
عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس اترون ان نميل على ذراري هؤلاء الذين اعانوهم
فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا يكن عنقا قطعها الله انا لم نجئ لقتال احد ولا
حربا او تريدون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال امضوا على اسم الله فنفذوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان
خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش
فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به
راحلته فقال حل حل فالحت الناقة فقالوا خلات القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات القصواء وما ذاك لها
بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها
صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء
يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته
واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البير فغرزه في جوفه
فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكان خزاعة
عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا على اعداد
مياه الحديبية معهم العوذ والمطافيل وهم مقاتلوكم وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ
لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين
الناس فان اظهر فان شاؤوا ان يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم
على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا
جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا
ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الراي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي
صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال [illegible] الستم بالولد قالوا
بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم باهلي وولدي ومن
اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه قالوا ائته فاتاه فجعل
يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد

لصد البيت

فقال ابو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل احد ولا حرب احد فتوجه له

ريت ان استاصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح اهله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لارى وجوها
واني لارى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق رضي الله عنه امصص ببظر اللات
انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا فقالوا ابو بكر فقال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها
لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على راس النبي صلى
الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده
بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة راسه فقال من هذا فقالوا المغيرة بن
شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء
فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شيء ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها
وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده
وما يحدون اليه النظر تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت
على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رايت ملكا قط يعظمه اصحابه مثل ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان تنخم
نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون
على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما منهم وقد عرض عليكم خطة رشد
فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني اتيه فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس
يلبون فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت
واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما راه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال هذا من قوم يتالهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما راى الهدي في قبيل اليه قد
يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده وقد اكل اوباره من طول الحبس رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعظاما لما راى فقال يا معاشر قريش اني قد رايت ما لا يحل صد الهدي في قلائده قد اكل اوباره من طول
الحبس عن محله قالوا اجلس فانما انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك فقال يا معشر قريش والله ما
على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ان يصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن
بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا مه كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما
نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني اتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال
النبي صلى الله عليه وسلم فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى
الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل
قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو
فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ادري ما
هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم قال اكتب هذا ما قضى عليه محمد بن عبد الله فقال
محمد صلى الله عليه وسلم فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا اكتب النبي صلى الله

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

62

النبي صلى الله عليه وسلم اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله صلى الله
عليه وسلم لا يسئلوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه
محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب على الناس عشر سنين يامن فيه الناس ويكف
بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ان تخلوا بيننا وبين بيت الله فنطوف به فقال
سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى ان لا ياتيك
منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وروي
عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا لو نعلم انك رسول الله لا نمحوك قال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبي صلى الله عليه
وسلم بيده فاخذه وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى
عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة على ان من اتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاهم من المسلمين
لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى
ثابت عن انس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا ان من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاء
منكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله اتكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن
جاء منهم سيجعل الله فرجا ومخرجا ان جعلنا اليه رجع بث الزهري قال فبينما هم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل
بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل يا
محمد هذا اول من اقاضيك عليه ان ترده الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا
لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل ثم
جعل سهيل يجره ليرده الى قريش قال ابو جندل اي معاشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون
ما لقيت وقد عذب عذابا شديدا في الله وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل احتسب
فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عاقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر
فوثب عمر يمشي الى جنب ابي جندل ويقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون ودم احدهم كدم كلب ويدني قائم السيف
منه قال عمر رجوت ان ياخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى
كادوا يهلكون وزادهم امر ابي جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت الا يومئذ قال الزهري
عن مروان والمسور ورواه ابو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
الست نبي الله حقا قال بلى قلت الست على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم
في النار قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت اوليس كنت
تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف قال بلى فاخبرتك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه وتطوف به قال فاتيت
ابا بكر فقلت يا ابا بكر هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا
اذا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اوليس
انه كان يحدثنا سناتي البيت ونطوف به قال بلى فاخبرك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه وتطوف به
قال عمر فعملت لذلك اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم
احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم احد منهم قام ودخل على ام سلمة وذكر لها ما لقي

ما صنعناك شيا ولكن انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا امحاك ابدا صح

سهل بن حنيف

ما لقي من الناس فقالت ام سلمة يا نبي الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم احدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك
فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما راوا ذلك قاموا فنحروا وجعل
بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر ا
خرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال والمقصرين قالوا يا رسول
الله فلما ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا
نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في
راسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مومنات فانزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات الى حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امراتين كا
نتا في الشرك فتزوج احداهما معاوية ابن ابي سفيان والاخرى صفوان بن امية قال فنهاهم ان يردوا النساء وامر
برد الصداق ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه ابو بصير عتبة بن اسيد رجل من قريش وهو مسلم
وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عوف والاخنس بن شريك الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن لوي ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا العهد
الذي جعلت لنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح
في ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا
به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا ياكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله اني لارى سيفك هذا خيرا فا
ستله الاخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال ابو بصير ارني انظر اليه فاخذه منه فضربه حتى
برد وفر الاخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راه لقد راى هذا ذعرا
فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ويلك ما لك قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فوالله ما برح حتى طلع ابو
بصير متوشح السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله قد والله اوفى الله ذمتك فقد رددتني اليهم ثم
انجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده ا
ليهم فخرج حتى اتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بصير ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت ابو جندل بن سهيل فلحق
بابي بصير حتى اجتمع اليه قريبا من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا
لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ار
سل اليهم فمن اتاه فهو امن فارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه المدينة وانزل الله عز
وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا
انه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين البيت هذا الحديث اخرجه البخاري
بطوله سوى الفاظ منه مستثنات في الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من ا
صحابه الى قوله فوالله ما زال يجيش لهم بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة الى قوله فقال
كفوا عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى ومنها قوله وروي عن البراء قضية الصلح الى قوله رجعنا الى
حديث الزهري ومنها قوله وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل الى قوله قال عمر اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهري في حديثه

ثم جاء نسوة

ثم جاء سورة مؤملة فيهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه **شرح غريب الفاظ الحديث** قوله
في بضع عشرة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح وهو بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين الواحد الى العشرة
قوله وبعث عينا اي جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم احياء من القارة انضموا الى بني ليث
في محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا
تحت جبل يقال له حبشي فسموا بذلك وقيل هو اسم واد باسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبش التجمع
قوله فان قعدوا قعدوا موتورين اي متنقصين قوله فنجوا اي امضوا وخلصوا قوله ان خالد بن الوليد با
لغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدي ليطلعوا على اخبار العدو
وقترة الجيش هو الغبار الساطع منه سواء قوله يركض نذيرا النذير الذي يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل
هو زجر للناقة قوله خلات القصوا يعني انها لما توقفت عن المشي وفكروا كذلك خلا في خلفها وهو كا
الحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات اي لم يسر ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل اي منعها
على السير الذي منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصوا اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوا وهو
شق الاذن قوله خطة اي حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله تعالى حرمة وهي فروضه وما يجب القيام بها بريع
بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديبية بتخفيف اليا وتشديدها وهي قرية ليست بالكبيرة
سميت ببير هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل قال مالك
وهي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه في المطالع والثمد الماء القليل الذي لا مادة له والتبرض اخذ
الشيء قليلا قليلا قوله فما زال يجيش لهم بالري يقال جاشت البير بالماء اذا ارتفعت وفاضت والري ضد العطش
والصدر الرجوع بعد الورود قوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال عيبة نصح
فلان اذا كان موضع سره وثقته في ذلك قوله نزلوا اعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون
وجمعه اعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل جمع مطفل وهي الناقة التي معها فصيلها وهذه استعارة استعار
ذلك للنساء واراد به ان معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب اي اضرت بهم واثرت فيهم وقوله
ماددتهم اي جعلت بيني وبينهم مدة قوله والا فقد جموا اي استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله حتى
تنفرد سالفتي السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو العرق الذي بينه وبين الكتف
وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله اني استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ
اسم لسوق كانت في الجاهلية معروفة وقوله فلما بلحوا علي بلحوا بتخفيف اللام والتشديد واصله التبليح الاعياء والفتور
والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم به قوله استاصلت قومك واجتاح اصله الاجتياح ايقاع المكروه بالانس
ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان في مبالغة الاذى قوله اني لارى وجوها واشوابا الاشواب مثل الاوباش
وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك اي جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهو اسم صنم
كانوا يعبدونه والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من العنفة التي تقطعها تكون في فرج المراة وكان هذا اللفظ
شتما لهم يجري في السنتهم قوله او لا يدلك عنه النهية وما يمنع به الانسان على غيره قوله اي غدر بمعنى يا غادر
وهو المبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غي والرشد الرشاد خلاف الغي والمراد
منه انه قد طلب منكم طريقا واضحا في هدي واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن اي الابل تهدى الى البيت
في حج او عمرة وتقليدها هو ان يعلق في رقابها شيء كالقلادة من لحا الشجر او بقل او غيره ليعلم بذلك انه هدي والاشعار

،، والاشعار هو ان يشق جانب السنام فيسيل الدم عليه **وقوله** فلما رأى الهدي يسيل عليه اي يقبل عليه كالسيل من عرض الوا
دي اي جانبه **وقوله** هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث في شر فهو فجور **قوله** هذا ما قضى عليه
ابا فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشيء وتمامه **وقوله** ضغطة
هو كناية عن القهر والضيق **قوله** بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام والباء مع
التشديد وهو وعاء من ادم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق في آخرة الرحل **قوله** يرسف في قيوده بضم
السين وكسرها الغنار وهو مشي المقيد **قوله** فاجزه لي قال ابن الاثير يجوز ان يكون بالزاي من الاجازة غير ممنوع ولاما
والطلقة لي وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضع **قوله** لم
نعط الدنية في ديننا اي القضية التي لا نرضى بها ولا تراخ اي لم نرض بالدون والاقل في ديننا **قوله** فاستمسك بغرزه الكور
الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك به ولا تفارقه كما لا تفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق اي
لا يجوز لاحد تركه **قوله** ويل امه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها ايضا ومسعر حرب اي موقدها يقال
سعرت النار واسعرتها اذا اوقدتها والمسعر الخشب الذي يوقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله
اعلم واما تفسير الاية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعني كفار اهل مكة وصدوكم اي منعوكم عن المسجد الحرام ان
تطوفوا به **والهدي** اي وصدوا الهدي وهو البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين
بدنة **معكوفا** اي محبوسا **ان يبلغ محله** اي منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم **ولولا رجال مومنون ونساء مومنات** يعني
المستضعفين بمكة **لم تعلموهم** اي لم تعرفوهم **ان تطؤوهم** اي بالقتل وتوقعوا بهم **فتصيبكم منهم معرة بغير علم**
اي اثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل لان الله عز وجل اوجب القتل على قاتل المومن في دار الحرب اذا علم ~~...~~ الخطأ
ايمانه والاثم بعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم والمعرة
يقولون لولا ان تطؤوا رجالا مومنين ونساء مومنات لا تعلمونهم فيلزمكم به كفارة او سيئة وجواب لولا محذوف
تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب **ليدخل الله في رحمته من يشاء**
اي من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها **لو تزيلوا** اي تميزوا يعني المومنين من الكفار **لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا**
اليما يعني بالسبي والقتل بايديكم **وقيل** لعذبنا جوابا لكلامين احدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال ليدخل
الله في رحمته من يشاء يعني من المومنين والمومنات في رحمته اي في جنته **قال** قتادة في الاية ان الله تعالى يدفع با
لمومنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المومنين عن مشركي مكة **قوله تعالى** **اذ جعل الذين كفروا في**
قلوبهم الحمية اي الانفة والغضب وذلك حين صد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا
الهدي ولم يقروا عن البيت ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يد
خلونها علينا فكانت هذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم **فانزل الله سكينته على رسوله وعلى**
المومنين اي حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم **والزمهم كلمة التقوى** **قال** ابن عباس
واكثر المفسرين كلمة التقوى هي لا اله الا الله **وعن ابي** بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم والزمهم كلمة التقوى
قال لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير **وقال** عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله **وقال** الزهري هي
بسم الله الرحمن الرحيم **وكانوا احق بها** اي من كفار مكة **واهلها** اي كانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه

وصحبة نبيه محمد

وتقوى وبمحبته نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح وكان الله بكل شيء عليما يعني من امر الكفار وما يستحقو
نه من امر العقوبة وامر المومنين وما كانوا يستحقونه من الخير قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق سبب
نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد
الحرام هو واصحابه امنين يحلقون رءوسهم فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا ~~المسجد الحرام~~
مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون اين رءياه التي راى فانزل الله هذه الا
ية في خلوة العام المقبل وروي عن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما انصرفنا اذا الناس يهزون الاباعير فقال بعضهم ما بال الناس قيل اوحى الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرا انا فتحنا لك
فتحا مبينا فقال عمر او فتح هو يا رسول الله فقال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على ان المراد من الفتح صلح الحديبية
وتحقيق الرءيا كان في العام المقبل وقوله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق اخبر الله عز وجل ان الرءيا التي ارا
ها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق وبالحق الذي راه حقا وصدقا وقيل يجوز ان
يكون بالحق قسما فان الحق من اسماء الله تعالى او قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه لتدخلن المسجد الحرام
وقيل انه خبر من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رءياه فاخبر الله عز وجل رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ذلك ان شاء الله امنين قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما للعباد الادب وتاكيدا لقوله
ولا تقولن لشاي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول عام
الحديبية وكان المومنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام ولكن لا بقدرتكم وارادتكم
ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء. وقيل ~~الـ~~ واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك
فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا شك في الموت محلقين رءوسكم اي كلها
ومقصرين اي تاخذون بعض شعوركم لا تخافون اي من عدو في رجوعكم لان قوله امنين في حال الاحرام لانه لا
قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد كمال ~~الـ~~ الاحرام في حال الرجوع فعلم ما لم تعلموا يعني على
ان الصلاح كان في الصلح وتاخير الدخول وكان ذلك سببا لوطي المومنين والمومنات وقيل علم ان الدخول
في السنة الثانية ولم تعلموا انتم فظننتم انه في السنة الاولى فجعل من دون ذلك اي من قبل دخولكم الحرم فتحا
قريبا يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق هذا البيان صدق الرءية وتم اعلاما انه لا يري رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون فيحدث الناس بما
يقع خلافه فيكون ذلك سببا للضلال بل حقق الله امر الرءيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق وبقوله
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وفي قوله تعالى ليظهره على
الدين كله اي ليعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه وكفى بالله شهيدا اي في انه رسول
الله وفيه تسلية لقلوب المومنين وذلك انهم تاذوا من قول الكفار لو نعلم انك رسول الله ما صددناك عن
البيت فقال تعالى وكفى بالله شهيدا في امر رسول الله ثم قال تعالى محمد رسول الله اي محمد رسول الله الذي سبق
ذكره في قوله الذي ارسل رسوله بالهدى قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال تعالى والذين معه يعني اصحابه
المومنين اشداء على الكفار اي غلاظ عليهم ~~الـ~~ اقوياء كالاسد على فريسته لا تاخذهم فيه رافة رحماء بينهم اي
متعاطفون متوادون بعضهم لبعضهم كالولد مع الوالد كما قال في حقهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين

تريهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون اي يطلبون فضلا من الله يعني الجنة ور
ضوانا اي ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب اجره من الله والمرائي بعمله لا ينبغي له اجر
وقال بعضهم في قوله تعالى والذين معه يعني ابا بكر اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن
عفان تريهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين سيماهم اي علامتهم في وجوههم من اثر السجود واختلفوا في هذه السيما على قولين احدهما ان
المراد به في يوم القيمة قيل هو نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيمة انهم سجدوا لله في الدنيا و
هو رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم
القيمة يعرفون بذلك والقول الثاني ان ذلك في الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم
بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام
وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو
صفرة الوجه من سهر الليل في الصلاة وقد يكون ذلك من رجلين احدهما صاحب الليل في الصلوة والعبادة والاخر في اللهو
واللعب فاذا اصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر على وجه المصلي نورا وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وخيالا
وقيل هو اثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراساني دخل في هذه الا
ية كل من حافظ على الصلوات الخمس ذلك مثلهم في التورية يعني ذلك الذي ذكر من صفتهم وتم الكلام
هاهنا ثم ابتدأ الكلام بنعتهم وصفتهم في الانجيل فقال تعالى ومثلهم اي صفتهم في الانجيل كز
رع اخرج شطأه اي افراخه قيل فراخه هو نبات يخرج بعد فهو شطأه فآزره اي قواه وا
عانه وشد ازره فاستغلظ اي غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى اي تم وتلاحق نباته وقام على
سوقه جمع ساق اي على اصوله يعجب الزراع اي يعجب ذلك الزرع زراعه وهذا مثل ضربه الله عز وجل
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر قيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم والشطأ اصحابه والمومنون وقيل كزرع هو محمد صلى
الله عليه وسلم اخرج شطأه ابو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي بن ابي طا
لب يعجب الزراع يعني جميع المومنين ليغيظ بهم الكفار قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعدما اسلم
لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن انس من اصبح وفي قلبه
غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية

فصل في فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت سال رجل النبي صلى الله عليه وسلم
اي الناس خير قال القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس قرني ثم يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين
وتابع التابعين والقرن اهل كل زمان قيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل ماية سنة عن عبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة وعثمان
في الجنة وعلي بن ابي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن
ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة اخرجه الترمذي واخرجه عن سعيد
بن زيد نحوه.

بن زيد نحوه وقال هذا اصح من حديث الاول عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارحم امتي بامتي ابو بكر واشدهم في امر الله عمر واصدقهم حياء عثمان واقضاهم علي واعلمهم
بالحلال والحرام معاذ بن جبل وافرضهم زيد بن ثابت واقراهم ابي بن كعب ولكل امة امين وامين هذه الامة
عبيدة بن الجراح وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابي ذر اشبه عيسى في ورعه فقال عمر بن
... له ذلك يا رسول الله قال نعم اخرجه الترمذي في مقام موضعين احدهما الى قوله ابو عبيدة بن الجراح والآخر عن ابي
ذر خ عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم
فقال اثبت احد اراه ضربه برجله فانما عليك نبي وصديق وشهيدان عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اقتدوا باللذين من بعدي من اصحابي ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن عمرو بن العاصي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في
جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عايشة فقلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال
عمر بن الخطاب فعد رجالا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني
ابنته وحملني الى دار الهجرة وصاحبني في الغار واعتق بلالا من ماله ورحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه
الحق وما له من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملايكة رحم الله علي اللهم ادر الحق معه حيث دار اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب م عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبة وبرا النسمة انه لعهد النبي الامي
الي انه لا يحبني الا مومن ولا يبغضني عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا منافق
يموت من اصحابي بارض الا بعث قايدا ونورا لهم يوم القيمة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال وقد روي عن ابن
بريدة مرسلا وهو اصح ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فو
الذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وعن ابي هريرة رضي الله عنه نحوه اخرجه
مسلم عن عبد الرحمن بن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن فبحبي
احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
يوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم
لبعضه من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الاية وعد الله الذين
امنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني من الشطء الذي اخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم القيمة ورد
الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه مغفرة واجرا عظيما يعني الجنة وقيل المغفرة جزاء الا
يمان فكل مومن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله اعلم بمراده واسرار كتابه تم تفسير سورة
الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة اية وثلاث ماية واربعون كلمة والف واربع ماية
وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قوله عز وجل
من التقديم اي لا ينبغي لكم ان يصدر منكم تقديم اصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا
بين يدي امر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيها اشارة الى احترام
رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد الى اوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول او فعل قبل ان يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم او يفعل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الاية فروي عن جابر رضي الله عنه انه في الذبح يوم

وقيل

الاضحى اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا
الذبح وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي البراء
ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء.
زاد الترمذي في اوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وفي الحديث وروي عن عايشة انه قال النهي في
عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى ابا القاسم
صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الاية ما روي عن عبد الله بن
الزبير رضي الله عنه انه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن زرارة وقال :: بن معبد
بل عمر امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل
في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه اخرجه البخاري وقيل نزلت الاية في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا او صنع كذا وكذا
فكره الله ذلك وقيل في معنى الاية لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء. حتى يقضيه الله تعالى على لسا
نه وقيل يعني في القتال وشرايع الدين اي لا تقضوا امرا دون الله ورسوله واتقوا الله اي في تضييع حقه ومخالفة امره
ان الله سميع اي لاقوالكم عليم اي بافعالكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي.
اي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطب وذلك رفع الصوت يدل على قلة الاحتشام و
وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهي عن قول ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض امر
هم ان يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا اصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقولون يا
محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله ان تحبط اعمالكم اي لئلا تحبط وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم وانتم لا تشعرون
اي بذلك وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فو
ق صوت النبي. الاية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال النبي
صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان ثابت ايشتكي فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فاتاه
سعد فذكر له قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ثابت انزلت هذه الاية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على
النبي صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل هو من اهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ مسلم وللبخاري نحوه
وروي لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية
اتخوف ان تكون نزلت في وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم اخاف ان يحبط عملي وانا من اهل النار
فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول
فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب فادعه فجاء عاصم الى
المكان الذي راه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك
فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال
انا صيت واتخوف ان تكون هذه الاية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل
شهيدا

شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا فانزل الله
تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية قال انس فلما كان في يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب
رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم قال اف لهؤلاء. ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا
نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه
وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له ان فلانا من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو
في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى
يسترد الرجل خالد فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر
وصيته قال ملك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن عباس لما نزلت
هذه الاية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الاية ما حدث
عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه مما
يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اي يخفضون اصواتهم عند رسول الله اي اجلالا له وتعظيما او
لئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه لهم مغفرة واجر
عظيم قوله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسبا
هم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت
الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في اهله فلما رأتهم الذراري اجهشوا الى ابائهم
يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله فجعلوا
عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا رسول الله
يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال الله تعالى يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم
وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات اكثرهم لا يعقلون وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الاية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم
عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الاكثرون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم فيه بيان لحسن الادب
وهو خلاف ما جاءوا به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج لكان خيرا لهم اي الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا
وتطلقهم بلا فداء. وقيل لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله خيرا لهم وقيل نزلت الاية في ناس من اعراب بني
تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصين والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب وروي ذلك عن جابر
قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وان ذمنا شين فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشعرائنا وخطبائنا
لنشاعرك ونفاخرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر امرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم
فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قم فاجبه

قم فاجبه فقام فاجابه وقام شاعرهم فذكر ابياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اجبه فاجابه
فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتى له تكلم خطيبنا وتكلم شاعرنا وكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شا
عرهم فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا
الله وانك لرسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل ما اعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل
فيهم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي. الآية الى قوله والله غفور رحيم لمرتاب منهم و
قال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل
فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جانبه فجاءوا فجعلوا ينادونه يا محمد فانزل الله هذه الا
ية قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن معيط بعثه
النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية رسول الله
فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فها
بهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني فلان منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم وبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له الرجوع
فخشينا انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله
فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وامرهم ان يخفي عليهم قدومه وقال
انظر فان رايت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فيهم فاستعمل فيهم ما
تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم وسمع منهم اذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم
ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فانزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا يعني الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاع
تماد على قول الفاسق وهو اولى من حمل الآية على رجل بعينه لان الفسق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك [illegible]
الا انه ظن وتوهم فاخطا وعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبا اي بخبر فتبينوا اي فتوقفوا واطلبوا
بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق ان تصيبوا اي كي لا تصيبوا بالسبي والقتل قوما بجهالة
اي جاهلين حالهم وحقيقة امرهم فتصبحوا على ما فعلتم اي من اصابتكم بالخطا نادمين واعلموا ان فيكم
رسول الله اي فاتقوا الله ان تقولوا باطلا وتكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا لو يطيعكم اي الرسول
في كثير من الامر اي مما تخبرون به فيحكم برايكم لعنتم اي لاثمتم وهلكتم عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه انه قرا واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار
ايمتكم لو اطاعهم في كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب
ولكن الله حبب اليكم الايمان اي جعله احب الاديان اليكم وزينه اي حسنه وقربه منكم وادخله في قلوبكم حتى وزينه
اخترتموه لان من احب شيئا اذا طال عليه فقد يسام منه والايمان في كل يوم يزداد في القلب حسنا وثباتا ولذلك تطيعون رسول
الله صلى الله عليه وسلم

وكره

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

64

صلى الله عليه وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق قال ابن عباس يريد الكذب والعصيان جميع معاصي الله تعالى
وفي هذه اللطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة اشياء في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه
والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم
الكفر في مقابلة قوله وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة
الاقرار باللسان وكره اليكم عند كمال المومن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق وهي لا اله الا الله والعصيان
جعله في مقابلة العمل بالاركان وكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى اولئك هم الراشدون اشارة
الى المومنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم اي اولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق فضلا من
الله اي جعل ذلك لهم فضلا منه ونعمة عليكم والله عليم اي بكم وبما في قلوبكم حكيم في امره بما تقتضيه الحكمة وقيل
عليم بما في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكمة قوله عز وجل
وان طائفتان من المومنين اقتتلوا وعن انس رضي الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابي
فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي ارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله
عليه وسلم قال اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهما ضرب
بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما
نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وعن اسامة بن زيد رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية واردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد
بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول وذلك قبل ان يسلم
عبد الله بن ابي واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة
فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي بن سلول ايها المرء
انه لا احسن ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول
فاغشنا في مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه
وسلم يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وذكر الحديث وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار
كانت بينهما مماراة في حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحا
كمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال
ولم يكن قتال وقيل كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل كان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها الى علية وحبسها
فيها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل وان طائفتان من المومنين اقتتلوا
قيل المراد بالطائفتين الاوس والخزرج فاصلحوا بينهما اي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضى بما فيه لهما وعليهما فان
بغت اي تعدت احداهما على الاخرى وابت الاجابة الى حكم كتاب الله فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله اي الى
كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته في الصلح الذي امره به فان فاءت اي رجعت الى الحق فاصلحوا
بينهما بالعدل اي في الدين والولاية وذلك ان الايمان عقد بين اهله من النسب والقرابة كعقد النسب الطاهر وان تبع
اي الذي يحملها على الانصاف والرضى بحكم الله واقسطوا اي اعدلوا ان الله
يحب المقسطين اي العادلين انما المومنون اخوة اي في الدين

بالجنان
والصدق
عني
ما تقول
قد

ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم أي الاسلام لا ابالي سواه اذا افتخروا بقيس او تميم فاصلحوا
بين اخويكم اي اختلفا واقتتلا واتقوا الله اي فلا تعصوه ولا تخالفوا امره لعلكم ترحمون وعن ابن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن
فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة فصل في
حكم قتال البغاة قال العلماء في هاتين الآيتين دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مع
كونهم باغين ويدل عليه ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو القدوة في قتال اهل البغي وقد سئل عن اهل
الجمل او الصفين امشركون هم فقال لا انهم من اهل الشرك فروا فقيل امنافقون فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله
الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والبغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طايفة
لهم قوة ومنعة فامتنعوا من طاعة الامام العدل بتاويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم ان يبعث اليهم الا
مام ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على البغي قاتلهم الامام حتى
يفيئوا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادي علي يوم
الجمل الا لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريح قوله ولا يذفف هذا بذال معجمة وهو الاجهاز على الج
ريح وتحرير قتله وتتميمه واوتي علي يوم صفين باسير فقال لا اقتلك صبرا اني اخاف الله رب العالمين وما تلفت احدى
الطايفتين على الاخرى في حال القتال من نفس او مال فلا ضمان عليهم قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء
تعرف في بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم بينهم فما علمته
اقتص من احد ولا اغرم مالا اما من لم يجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم او لم يكن
لهم تاويل او لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين وان فعلوا ذلك فهم كقطاع
الطريق في الحكم وروي ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق يريد بها
باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم مع ايدينا
ولا نبدأكم بقتال قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم نزلت في ثلاثة اسباب السبب الاول
من اولها الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في اذنه وقر فكان اذا
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوا له بالمجلس وسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم
وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فظن كل
رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد على احد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قايما كما هو فلما فرغ ثابت من
الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما
انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا فلان فقال له ثابت ابن فلانة وذكر خالة كان يعير بها في الجاهلية
فنكس الرجل راسه واستحيى فانزل هذه الاية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا
يستهزءون باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذ
يفة لما راوه من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم اي لا يستهزئ غني بفقير ولا
مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله هو خير منه وهو قوله تعالى

عسى ان يكونوا

عسى أن يكونوا خيرا منهم السبب الثاني قوله تعالى ولا نساء من نساء أي ولا يستهزئ نساء من نساء عسى أن يكن
خيرا منهن روي عن أنس رضي الله عنه أنها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيّرن أم سلمة بالقصر
وعن ابن عباس أنها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن أنس
بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال فقالت له قالت خل
حفصة إني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك لابنة نبي وعمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفخر عليك ثم
قال اتقي الله يا حفصة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب السبب الثالث قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم
ولا تنابزوا بالألقاب عن أبي جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الأنصاري قال فينا نزلت هذه الآية بني سلمة
قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة أسماء فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بقول
يا فلان فيقولون مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان
أخرجه أبو داود والترمذي قال كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت
هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى أي بعضكم ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعيب بعضكم
بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض والمراد بالأنفس الإخوان ها هنا والمعنى لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين
لأنهم كأنفسكم وإذا عاب عائب لأحد بعيب فكأنه عاب نفسه وقيل لا يخلو أحد من عيب فإذا عاب غيره
فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالألقاب أي لا يدعو الإنسان بغير ما
سمي به قال ابن عباس التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي أن يعير بما سلف من
عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال
له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو أن تقول يا كلب يا حمار يا خنزير قال العلماء المراد
بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذما له فأما الألقاب التي صارت من الأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج
وما أشبه ذلك فلا بأس بها إذا لم يكرهه وأما الألقاب التي تكتسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل
لأبي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك بئس الاسم الفسوق
بعد الإيمان بئس الاسم أن تقول له يا يهودي ويا نصراني بعد ما أسلم أو يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه أن من فعل
ما نهي عنه من السخريات واللمز والنبز فهو الفسوق وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان فلا تفعلوا ذلك فـ
فتستحقوا اسم الفسوق ومن لم يتب أي من ذلك كله فأولئك هم الظالمون أي لأنفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل أي الضارون
هم أظلم من الذين قالوا لهم ذلك قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم
مهما إلى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم
سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق ولما
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل من طعام وإدام فليعطيك وكان
أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا كان
عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها

ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا رسول الله صلى الله عليه
قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظلتم تاكلون لحم سلمان
واسامة فنزلت وانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني ان يظن باهل الخير سوءا فنهى الله
المومن ان يظن باخيه المومن شرا وقيل هو ان يسمع من اخيه المومن كلاما لا يريد به سوءا او يدخل مدخلا لا يريد
به سوءا فيراه اخوه المومن فيظن به سوءا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز
ان يكون فاعله ساهيا او يكون الرائي مخطئا فاما اهل السوء والفسوق المجاهرين بذلك فلنا ان نظن بهم مثل الذي ظهر
منهم ان بعض الظن اثم قال سفيان الثوري الظن ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو
ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن انواع فمنه واجب وماموربه وهو حسن الظن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه
وهو حسن الظن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وبالاخ المسلم ولا
تجسسوا اي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عز وجل عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم على ما ستر الله
منها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث
ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا كونوا عباد الله اخوانا كما
امركم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا التقوى هاهنا ويشير الى صدره
بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا
ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن
الامور واكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى كلام الغير وقيل معناهما واحد وهما
وهو طلب الاخبار وقوله ولا تنافسوا اي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد
تمني زوال النعمة عن صاحبها وقوله ولا تدابروا اي يعطي منكم اخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن
عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من اسلم بلسانه
ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله
عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والـ
مومن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال اتي ابن
مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء
ناخذ به اخرجه ابو داوود وله عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من راى عورة فسترها
كان كمن احيا موءودة م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد
عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة وقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا يعني لا يتناول بعضكم بعضا
بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما
الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد
اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه
وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته
قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا اخرجه ابو داوود والترمذي وقال حديث حسن صحيح

التقوى هاهنا

في الشر

كل واحد

قال الا

قوله لمزجته

اللهم صل على سيدنا محمد

69

قوله لمزة أي ذا الطعن في الناس يتعيرون بها لمعيه وربعه لشدة تنبهها وفيهما وهذا الحديث من بلغ الزواج في الغيبة

قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه قال مجاهد لما قيل أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذلك وفيه إشارة الى أن عرض الانسان كلحمه ودمه لان يتألم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتألم جسده اذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس فترك أعراضهم أولى

قوله لحم أخيه أي في المعنى لا في الحقيقة فهو تمثيل الغضب على أكل لحم عدوه وقوله ميتا أبلغ في الزجر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم أخرجه أبو داود وقال ميمون سنيا بينما أنا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول لي كل قلت يا عبد الله ولم آكل قال بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب عنده أحدا قوله تعالى واتقوا الله في أمر الغيبة واجتناب نواهيه إن الله تواب رحيم قوله عز وجل يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقال ثابت أنا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فإنك لا تفضلهم إلا بالدين والتقوى وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذي قبض أبي ولم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو إن يكره الله شيئا يغيره وقال أبو سفيان إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبره رب السماء فنزل جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء يعني بالفقراء فقال يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء والمعنى أنكم متساوون في النسب فلا يتفاخر بعضكم على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة وقيل يحتمل أنا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من أب وأم فإن كل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وجعلناكم شعوبا جمع شعب بفتح الشين وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج سموا شعبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم وقبائل جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدها بطن وهم كبني غالب ولؤي من قريش ودون البطون الأفخاذ واحدها فخذ بكسر الخاء كبني هاشم وبني أمية من بني لؤي ودون الأفخاذ الفصائل واحدها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس من بني هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدها عشيرة وليس بعد العشيرة حي يوصف وقيل الشعوب من العجم والقبائل من العرب والأسباط من بني إسرائيل وقيل الشعوب الذين لا يعتزون الى أحد بل ينتسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون الى آبائهم لتعارفوا أي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا لتتفاخروا بالنسب ثم بين الخصلة التي يفضل بها الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال إن أكرمكم عند الله أتقاكم قيل أكرم الكرم التقوى وألأم اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم قال أكرمكم عند الله أتقاكم قالوا ليس عن هذا نسألك قال

قالوا لا قيل فكرهتموه

الانس

فنزلت في ثابت هذه الآية ونزل في الذي لم يتفسح يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الآية

بني آبائهم فخذ الجد

أكرم الناس يوسف بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم قال فخياركم في
الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكي كسرها ومعناه إذا تعلموا أحكام الشرع
عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدي
الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها بآبائها إنما الناس
رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولي هذا وأستغفر
الله لي ولكم المحجن عصا محنية الرأس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية كبرها وفخرها إن الله عليم أي بظواهركم ثم يعلم أنسابكم
خبير أي ببواطنكم لا يخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم إلى معادكم ثم قال القشيري هو العالم بالله المواظب لبابه المتقرب
إلى جانبه وقيل حد التقوى أن يجتنب العبد المناهي ويأتي بالأوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فإن اتفق أن يرتكبه مناهي
لا يأمن ولا ينتظر أن يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول
الأمل فليس بمتق وقيل إن المتقي يأتي بما أمر به ويترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خاشع لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى
فإن اتفقت لحظة إلى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه ربه وجعل له توبة جعلنا الله
وإياكم من المتقين قوله عز وجل قالت الأعراب آمنا الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول ربع
الله صلى الله عليه وسلم في سنة جدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فأفسدوا طرق المدينة بالعذرات
ولم يكونوا مؤمنين وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك
العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يمنون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فنزلت فيهم هذه الآية وقيل نزلت في
الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا
على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا عنها فأنزل الله عز وجل قالت الأعراب آمنا أي صدقنا
قل لم تؤمنوا أي لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا أسلمنا أي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي ولما يدخل
الإيمان في قلوبكم أخبر الله أن حقيقة الإيمان هو التصديق بالقلب وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون
لا يكون إيمانا دون التصديق بالقلب والإخلاص وعن سعد بن أبي وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رهطا وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو أعجبهم إلي فقمت فقلت مالك عن فلان والله إني
لأراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا وأجابه صلى الله عليه وسلم بمثل
ذلك ثم قال إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه زاد في رواية قال الزهري فنرى أن الكلمة
أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل الصالح لفظ الحميدي اعلم أن الإسلام هو الدخول وهو الانقياد فالإسلام ما هو كالنص
عة على ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وقيل الإ
يمان التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والإسلام هو الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربا باللسان
مع إظهار الشهادتين فإن قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت
بين العام والخاص فرق فالإيمان لا يحصل إلا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالإسلام أعم
والإيمان أخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون من غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم والخ
صوص متحدان في الوجود فكذلك المؤمن والمسلم قوله تعالى وإن تطيعوا الله ورسوله أي ظاهرا وباطنا سرا
وعلانية وقال ابن عباس

وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان لا يلتكم اي ينقصكم من اعمالكم شيئا اي من ثواب اعمالكم ان الله غفور رحيم ثم
بين حقيقة الايمان وقال تعلى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اوليك هم الصدقون اي في ايمانهم فلما نزلت هاتان الايتان اتت الاعراب يحلفون قل
بالله انهم مومنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله تعلى لهم يا محمد اتعلمون الله بدينكم اي تخبرون
الله بدينكم الذي انتم عليه والله يعلم ما في السموت وما في الارض اي لا تخفى عليه خافية والله بكل شيء عليم اي لا يحتاج الى اخباركم
يمنون عليك ان اسلموا اي هو قولهم اسلمنا ولم نحاربك يمنون عليك بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبين تعلى ان اسلامهم لم يكن لله خالصا بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان اي لله المنة عليكم ان ارشدكم وامدكم
بتوفيقه حيث هديكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعلى ان كنتم صدقين اي انكم مومنين ان الله
يعلم غيب السموت والارض اي انه سبحنه وتعلى لا يخفى عليه شيء في السموت والارض وكيف يخفى عليه حالكم بل
يعلم سركم وعلانيتكم والله بصير بما تعملون اي بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحنه وتعلى اعلم
بمراده واسرار كتابه تفسير سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية وثلاث ماية وخمسون كلمة
والف واربع ماية واربعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ق قال ابن عباس هو
قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من اسماء القران وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقاهر والقا
هر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضي الامر او قضي ما هو كاين وقيل هو جبل محيط بالارض
من زمردة خضراء متصلة عروقها بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة عليه كنفاها وخضرة
السماء منه والعالم داخله لا يعلم ما وراه الا الله تعلى ويقال هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورايه بمسيرة
سنة والقران المجيد اي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم فقيل جوابه
محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم
انكار التعجب مما ليس بعجب وهو انهم يخوفهم رجل منهم قد عرفوا بينهم بسلامته وعدالته وامانته وصدقه
فقال الكفرون هذا شيء عجيب اي معجب غريب اذا متنا وكنا ترابا اي حين نموته ونبلى نبعث تركه ذكر البعث
لدلالة الكلام عليه ذلك رجع بعيد اي بعيد ان نبعث بعد الموت قال تعلى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل من لحومهم
ودمايهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شيء منه وعندنا اي مع علمنا بذلك كتب حفيظ بمعنى
محفوظ اي من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ اي حافظ لعددهم واسمايهم وما تنقص الارض منهم
وهو اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه ما يكون بل كذبوا بالحق اي بالقران لما جاءهم قيل معناه كذبوا به لما
جاءهم وقيل معناه كذبوا بالمنذر لما جاءهم فهم في امر مريج اي مختلط ملتبس قيل معنى اختلاطهم هو قولهم قولهم
للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون في القران مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى
فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الاية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه ما تركه وقيل
فوع الحق مرج عليهم امرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعلى افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها
اي بغير عمد وزيناها اي بالكواكب وما لها من فروج اي شقوق وصدوع والارض مددناها اي بسطناها على
وجه الماء والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اي من كل زوج حسن كريم يبتهج صنف
به اي يسر به تبصرة اي جعلنا تبصرة وذكرى اي تذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى الله تعلى والمعنى ليتبصر ويتذكر ذي كل
به من اناب وانزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير الخير والبركة فيه حيوة كل شيء وهو المطر فانبتنا به اي بذلك

الماء جنات اي بساتين وحب الحصيد يعني البر والشعير وساير الحبوب التي تحصد والنخل باسقات اي طوالا وقيل
مستويات لها طلع اي ثمر يطلع ويظهر يسمى طلعا قبل ان ينشق نضيد اي متراكب بعضه على بعض في اكمامه
فاذا انشق وخرج من اكمامه فليس بنضيد رزقا اي جعلناه رزقا للعباد واحيينا به اي بالمطر بلدة ميتا اي
نبتنا فيها الكلا والعشب كذلك الخروج اي من القبور احياء بعد الموت قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح
واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة قيل كان لوط مرسلا الى طايفة من قوم ابراهيم و
ذلك قال واخوان لوط وقوم تبع وهو ابو كرب اسعد تبع الحميري وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله قوم تبع ولم
يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا ختم بالذكر دونهم كل كذب الرسل فحق وعيدي اي كل هؤلاء
المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدي اي وجب عليهم عذابي وقيل فحق وعيدي للرسل بالنصر افعيينا بالخلق الاول
هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك انهم اعترفوا بالخلق
الاول وانكروا البعث بل هم في لبس اي شك من خلق جديد وهو البعث قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما يحدث قلبه فلا يخفى علينا سرايره وضمايره ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بيان
لكمال علمه اي نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلقوم
والعلباوين ومعنى الاية ان اجزاء الانسان وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شيئا وقيل يحتمل ان يكون
المعنى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بقدرتنا فهي تنابعه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه اذ يتلقى المتلقيان
اي يتلقى الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيثبتانه ويحفظانه عليه عن اليمين وعن الشمال يعني ان احدهما
هما عن يمينه والاخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات قعيد اي قاعد
فاعل لان كل واحد منهما قاعد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح ما يلفظ من
قول اي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه الا لديه رقيب اي حافظ عتيد اي حاضر ايتما كان سوى وقت الغايط وعند
جماعه فانهما يتاخران عنه فلا يجوز للانسان ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يوذي الملايكة بدنوهما منه وهو
على تلك الحالة حتى يكتبا ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ماله
فيه اجر وثواب وعليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه ان ينظف عن بنظف
عنفقته وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات امين
على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب
الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر قوله تعالى وجاءت سكرة الموت اي غمرته وشدته التي تغشى
الانسان وتغلب على قلبه بالحق اي بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الاخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل
بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة ذلك ما كنت منه تحيد اي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت
عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي ذلك اليوم الذي وعد
الله الكفار ان يعذبهم فيه وجاءت اي في ذلك اليوم كل نفس معها سايق اي يسوقها الى المحشر وشهيد اي شاهد
يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السايق من الملايكة والشاهد من انفسهم الايدي والارجل فيقول الله تعالى
لصاحب تلك النفس لقد كنت في غفلة من هذا اي من هذا اليوم في الدنيا فكشفنا عنك غطاءك اي الذي كان على قلبك و
وسمعك وبصرك في الدنيا فبصرك اليوم حديد اي قوي ثابت نافذ تبصر به ما كنت تنكر في الدنيا وقيل
ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك وقال قرينه يعني الملك الموكل به

هذا ما لدي

71

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

هذا ما لدي اي الذي عندي عتيد اي حاضر معد عن الحق عاند الله تعلى فيما امره به مناع للخير اي للزكوة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله معتد اي ظالم لا يقر بتوحيد الله مريب اي شاك في التوحيد الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد يعني النار قال قرينه يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر ربنا ما اطغيته قيل هو جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا ما اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته اي ما اضللته وما اغويته ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق فيتبرا منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه الملك قيل يقول الكافر يا رب ان الملك زاد علي في كتابته فيقول الملك ربنا ما اطغيته اي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وما عمل ولكن كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عنه الى الحق فيقول الله عز وجل قال لا تختصموا لدي اي لا تعتذروا عندي بغير عذر وقيل هم خصامهم مع قرنايهم وقد قدمت اليكم بالوعيد اي بالقران وانذرتكم على السنة الرسل وحذرتكم عذابي في الاخرة لمن كفر ما يبدل القول لدي اي لا تبديل لقولي وهو قوله لاملان جهنم وقضيت عليكم ما انا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يبدل القول عن وجهه لاني علام الغيوب وا/ علم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى يدل عليه قوله ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي وما انا بظلام للعبيد اي فاعاقبهم من غير جرم وقيل معناه فازيد على اساءة المسي. وانقص من احسان المحسن قوله عز وجل يوم نقول لجهنم هل امتلات بيان لما سبق لها من وعد الله تعلى اياها انه يملاها من الجنة والناس وهذا السوال من الله تعلى لتصديق خبره وتحقيق وعده وتقول يعني جهنم هل من مزيد يعني تقول قد امتلات ولم يبق في موضع لم يملا فهو استفهام انكار وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن الحسن فعلى هذا يكون السوال وهو قوله امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله تعلى سبقت كلمته لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملاها شي. فتقول الست قد اقسمت لتملاني فيضع قدمه عليها فيقول قد امتلات فتقول قط قط امتلات فليس في مزيد وعن انس بن ملك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشي الله لها خلقا فيسكنهم الجنة ولابي هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه احدا

فصل في هذا الحديث وشبهه من مشاهير احاديث الصفات والعلما فيه وفي امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب جمهور السلف وطايفة من المتكلمين انه لا يتكلم في تاويلها بل نومن بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انها تتاول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تاويل الحديث فقيل المراد بالقدم التقدم وهو سايغ في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من اهل العذاب وقيل المراد بقدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل ان في المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية وخلقها الله قال القاضي عياض اظهر التاويلات انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال والمتكلمون لابد لهم من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعلى والله اعلم

قوله قط قط اي حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطا. وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه احدا يعني انه لا يستعمل الظلم في حق الله تعلى فمن عذب بذنب او بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعلى قوله عز وجل وازلفت الجنة للمتقين اي قربت وادنيت للمتقين الذين اتقوا الشرك غير بعيد يعني انها جعلت عن يمين العرش يراها اهل الموقف قبل ان يدخلوها هذا ما توعدون اي يقال لهم

اي معه محضر وقيل يعود الى الملك هذا الذي وكلت به من بني ادم احضرته ... عليه القاء ...

هذا الذي وعدتم به في الدنيا على ألسنة الأنبياء. لكل أواب أي رجاع عن المعصية إلى الطاعة قال سعيد بن
المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل الذي يذكر ذنوبه في الخلا فيستغفر منها وقيل هو التواب هو الذي
وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلي حفيظ قال ابن عباس الحافظ لأمر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنو
به حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو الحافظ على نفسه المتعهد
لها المراقب وقيل هو المحافظ على الطاعة والأوامر من خشي الرحمن بالغيب أي خاف الرحمن فأطاعه وإن
لم يره وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه أحد إذا أرخى الستور وأغلق الباب وجاء بقلب منيب أي مخلص مقبل على طاعة
الله ادخلوها أي يقال لأهل هذه الصفة ادخلوا الجنة بسلام أي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملا
ئكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم ذلك يوم الخلود أي في الجنة لأنه لا موت فيها لهم ما يشاءون فيها وذلك أنهم
يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه مما لم يخطر على قلب
بشر وهو قوله تعالى ولدينا مزيد وقيل المزيد هو النظر إلى وجه الله الكريم وقيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى كل
ليلة جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد قوله عز وجل وكم أهلكنا قبلهم أي من قبل كفار مكة من قرن هم أشد
منهم بطشا يعني سطوة والبطشة الأخذ بصولة وعنف فنقبوا في البلاد أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا
كل طريق هل من محيص أي فلم يجدوا لهم محيصا من أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون إلى
عذاب الله وفيه تخويف لأهل مكة لأنهم على مثل سبيلهم إن في ذلك لذكرى أي فيما ذكر من إهلاك القرى تذكرة القرى
وموعظة لمن كان له قلب قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله تعالى واع عن الله عز وجل أو ألقى السمع
أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره وهو شهيد أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه قوله تعالى
ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب أي إعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود
حيث قالوا خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها الأحد وآخرها يوم الجمعة ثم استراح يوم السبت
واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح
يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره والظاهر أن المراد الرد على المشركين
ولا استبعد أن يخلق السماوات والأرض وما بينهما وقوله وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الأول الآية وأما ما
قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو إما تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله وذلك لأن الأحد والاثنين أزمنة
مستمرة بعضها عن بعض فلو كان خلق السماوات والأرض ابتدأ يوم الأحد لكان الزمان قبل الأجسام والزمان لا
ينفك عن الأجسام فيكون قبل خلق الأجسام أجسام لأن اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع إلى الغروب
وقيل خلق السماوات والأرض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة
الزمان أي مدة كانت قوله عز وجل فاصبر على ما يقولون فاصبر على ما يقولون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
أي اصبر يا محمد على ما يقولون من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الأمر بقتالهم وسبح بحمد ربك أي
صل بحمد الله عز وجل قبل طلوع الشمس يعني صلاة الصبح وقبل الغروب يعني صلاة العصر وقال ابن عباس يعني صلاة
الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة المغرب والعشاء. وقيل يعني صلاة الليل أي وقت صلى وأدبار السجود قال أدبار السجود
عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهما الركعتان بعد صلاة المغرب وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر
وهي رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء

من النوافل أشد

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

72

من النوافل فاشغل نفسك بها فانه على ركعتي الفجر م عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني
بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل
في قوله وادبار السجود التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات خ عن ابن عباس قال امر ان يسبح في ادبار الصلوات
كلها يعني في قوله وادبار السجود م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل
صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر خ عنه ان فقراء
المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور والدرجات والنعيم المقيم فقال
وما ذلك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال قال افلا اخبركم بامر
تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا ياتي احد بمثل ما جئتم به الا من جاء به تسبحون الله في دبر كل صلاة
عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا قوله تعالى واستمع يوم يناد المناد اي استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي
وقيل معناه انتظر صيحة يوم القيامة والنشور قال المفسرون المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي
بالحشر فيقول ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن
لفصل القضاء وهو قوله تعالى من مكان قريب قيل ان صخرة بيت المقدس اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هو
وسط الارض يوم يسمعون الصيحة بالحق الصيحة الاخرة ذلك يوم الخروج اي من القبور انا نحن نحيي اي في الدنيا ونميت
يعني عند انقضاء الاجل والينا المصير اي في الاخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث
يوم تشقق الارض عنهم سراعا اي يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير اي هين نحن اعلم بما
يقولون يعني كفار مكة في تكذيبك وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل
ان يؤمر بقتالهم فذكر بالقران من يخاف وعيد اي ما اوعدت من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول
الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقران من يخاف وعيد اي عظ بالقران من يخاف وعيدي والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والذاريات وهي مكية وهي ستون اية وثلاثمائة وستون كلمة والف ومائتان وتسعة
وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والذاريات ذروا يعني الرياح التي تذروا التراب فا
لحاملات وقرا يعني السحاب تحمل اثقالا من الماء فالجاريات يسرا يعني السفن تجري في الماء جريا سهلا فالمقسمات
امرا يعني الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبياء الامين
عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح
وقيل هذه الاوصاف الاربعة كلها في الرياح لانها تنشئ السحاب وتنشره ثم تحمله وتنقله ثم تجري به جريا سهلا
ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب اقسم الله عز وجل بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالات على عجيب
صنعته وقدرته والمعنى اقسم الله بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب
القسم انما توعدون اي من الثواب والعقاب في يوم القيامة لصادق واي لحق وان الدين اي الحساب والجزاء لواقع اي لكائن وقال تعالى
ثم ابتدا قسما اخر فقال تعالى والسماء ذات الحبك قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات الزينة المحبكة
بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا اضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها
من الناس وجواب القسم قوله انكم يعني يا اهل مكة لفي قول مختلف يعني في القران وفي محمد صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر مجنون
وقيل لفي قول مختلف اي مصدق ومكذب يوفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله

[illegible]

الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن قيل انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر
وكاهن وشاعر ومجنون فيصرفونه عن الايمان به قتل الخراصون اي الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة
واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة الذين هم في غمرة اي في غفلة
وعمى وجهالة ساهون اي لاهون غافلون عن امر الآخرة والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه يسألون
ايان يوم الدين اي فيقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزاء. قال الله تعالى يوم هم اي يكون هذا الجزاء
في يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار ذوقوا فتنتكم اي عذابكم هذا الذي كنتم
به تستعجلون اي في الدنيا تكذيبا به قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون يعني انهم خلال الجنة عيون جارية آخذين
ما آتاهم ربهم اي ما اعطاهم ربهم من الخير والكرامة انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في
الدنيا ثم وصف احسانهم في الدنيا فقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره
وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا من اولها او من وسطها وعن انس بن مالك في قوله كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء اخرجه ابو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل
قل ليلة اتت عليهم هجعوها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون اي لا ينامون بالليل
البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة وبالاسحار هم يستغفرون اي يصلون وادعاؤهم الى وقت السحر ثم اخذوا
في الاستغفار وقيل يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القليل الذي كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه
يصلون بالاسحار لطلب المغفرة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء
الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ولمسلم فان يقول انا الملك
انا الملك وذكر الحديث فيه حتى يضيء الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم فصل هذا الحديث
من احاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان احدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جاء من غير تاويل
ولا تعطيل وترك الكلام فيه احسن وفي امثاله مع الايمان به وتنزيه الرب جل جلاله عن صفة الاجسام والمذهب الثاني وهو
قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى مقدس عن ذلك فعلى هذا يكون نزول الرحمة
والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة والالطاف وتخصيصه بالثلث الآخر من الليل لان ذلك وقت
التهجد والدعاء وغفلة اكثر الناس عنه وعن التعرض لنفحات الله جل جلاله وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله
متوفرة فهو مظنة القبول والاجابة والله اعلم ق عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل
يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض ومن فيهن انت رب
السموات والارض ومن فيهن انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق
والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما
اخرت وما اسررت وما اعلنت زاد في رواية وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت ولا اله غيرك زاد
النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه
وله صوت قوله عز وجل وفي اموالهم اي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما او يقرون به ضيفا او يحملون به كلا او يعينون به محروما
وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة للسائل اي الذي يسأل الناس ويطلب منهم والمحروم قيل هو الذي

ليس له

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

79

ليس له في الغنائم سهم ومعناه الذي حُرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقيل هو صاحب الحاجة الذي أصيب ثمره
أو زرعه أو نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب والأظهر الأقوال أنه
المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وإنما يفطن له متيقظ وفي الأرض آيات
أي عبر من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات للموقنين أي بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه بصنعته وفي أنفسكم
أي آيات إذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما إلى أن تنفخ فيكم الروح وقال ابن عباس يريد اختلاف الألسنة والصور
والألوان والطباع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل تقويم الأدوات
السمع والبصر والنطق والعقل إلى غير ذلك من العجائب المودعة في بني آدم أفلا تبصرون يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته
على البعث وفي السماء رزقكم قال ابن عباس هو المطر الذي هو سبب الأرزاق وما توعدون من الثواب والعقاب وقيل من الخير
والشر وقيل من الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال فورب السماء والأرض إنه لحق أي ما ذكرت من أمر الرزق
وغيره مثل ما أنكم تنطقون أي بلا إله إلا الله وقيل شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمي ومعناه أنه لحق كما أنكم
تتكلمون وقيل معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه
لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره قوله تعالى
هل أتاك حديث ضيف إبراهيم يعني هل أتاك يا محمد حديث الذين جاءوا إبراهيم بالبشرى فاستمع نقصه عليك وفيه
تفخيم وذكر عددهم وقصتهم في سورة هود المكرمين قيل سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لأنهم
كانوا ضيف إبراهيم وهو أكرم الخلق على الله عز وجل يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل أن إبراهيم عليه السلام
أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته إياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس سماهم مكرمين لأنهم جاءوا
غير مدعوين وعن أبي شريح العدوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه إذ
دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون أي غرباء لا نعرفهم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل
إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان وقيل أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض فراغ أي عدل ومال إلى أهله
فجاء بعجل سمين أي حنيذ وكان مشويا قيل كان عامة مال إبراهيم البقر فجاء بعجل فقربه إليهم هذا من أدب الضيافة أن يقدم الطعام
إلى الضيف ولا يحوجهم إلى السعي إليه فلما لم يأكلوا قال ألا تأكلون أنه حثهم على الأكل وقيل عرضهم على الأكل من غير أن يأمرهم
فأوجس أي فأضمر منهم خيفة لأنهم لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم أي يبلغ ويعلم وقيل عليم أي نبي فأ
قبلت امرأته قيل لم يكن ذلك إقبالا من مكان إلى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا أو كذا أي أخذ فيه في
صرة أي في صيحة والمعنى أنها أخذت تولول وذلك من عادة النساء إذا سمعن شيئا فصكت وجهها قال ابن عباس لطمت
وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا إذا أنكرن شيئا وقالت
عجوز عقيم معناه أتلد عجوز عقيم وذلك أن سارة لم تلد قبل ذلك قالوا كذلك قال ربك أي كما قلنا لك قال ربك إنك س
ستلدين غلاما إنه هو الحكيم العليم ثم إن إبراهيم عليه السلام لما علم حالهم وأنهم من الملائكة قال فما خطبكم أي
فما شأنكم وما طلبتكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين
قيل هو الآجر مسومة أي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة
الدنيا عند ربك للمسرفين قال ابن عباس يعني المشركين لأن المشرك أسرف الذنوب وأعظمها فأخرجنا من كان فيها
أي في قرى قوم لوط من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت أي أهل بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالإ
يمان والإسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم لأن الإسلام أعم من الإيمان وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه فإذا سمي المؤمن

مسلما لا يدل على النجاة مجهول صفتها وتركنا فيها اي في مدينة قوم لوط. آية عبرة للذين يخافون العذاب الاليم وا
لمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله تعالى مهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل وفي موسى
وتركنا فيه ارسال موسى. آية وعبرة اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة فتولى اي اعرض عن الايمان بركنه
اي بجمعه وجنوده الذين كانوا يتقوون بهم وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي [illegible]
وجنوده فاغرقناهم في البحر وهو مليم اي اتى بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل وفي عاد اي وفي اهلاك
عاد ايضا. آية وعبرة اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم يعني التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ما تذر
من شيء اتت عليه اي من اموالهم وانفسهم وانعامهم الا جعلته كالرميم اي كالشيء الهالك البالي وهو ما يبس وديس
من نبات الارض كالشعير والتبن ونحوه واصله من رم العظم اذا بلي وفي ثمود اذ ~~ارسلنا عليهم~~ قيل لهم تمتعوا والتبن
حتى حين يعني الى وقت انقضاء اجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم
اي تكبروا عن طاعة ربهم فاخذتهم الصاعقة اي بعد مضي ثلاثة ايام من وقت عقر الناقة وهي الموت في قول ابن
عباس وقيل اخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وهم ينظرون اي يرون ذلك العذاب
عيانا فما استطاعوا من قيام اي فما اقاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة وما
كانوا منتصرين اي ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من امر الله وقوم نوح قرئ بكسر
الميم ومعناه وفي قوم وقرئ بنصبها ومعناه واغرقنا قوم نوح من قبل اي من قبل هؤلاء. وهم عاد وثمود
وقوم فرعون انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن الطاعة قوله تعالى والسماء بنيناها بايد اي قوة
وقدرة وانا لموسعون قيل هو من السعة اي اوسعنا السماء بحيث صارت الارض وما يحيط بها من السماء.
والفضاء. بالنسبة الى سعة السماء. كالحلقة الملقاة في الفلاة قال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك
وعنه لموسعون اي في الرزق على خلقنا وقيل معناه وانا لذو السعة والغنى والارض فرشناها اي بسطناها ومه
دناها لكم فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء خلقنا زوجين اي صنفين ونوعين مختلفين كالسماء و
والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبحر والبر والسهل والجبل والصيف والشتاء. والجن والانس والذكر والانثى والنور
والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض لعلكم تذكرون اي فتعلمون
ان خالق الازواج فرد لا نظير له ولا شريك معه ففروا الى الله اي قل يا محمد ففروا الى الله فاهربوا من عذابه الى ثوابه
بالايمان والطاعة له قال ابن عباس فروا منه اليه واعملوا بطاعته قال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله
الى الله اني لكم منه نذير اي مخوف مبين اي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع ولا
تجعلوا مع الله الها اخر اي وحدوه ولا تشركوا به شيئا اني لكم منه نذير مبين فان قلت لم كرر قوله اني لكم منه نذير مبين
عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك قلت ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز
عند الله تعالى الا الجامع بينهما كذلك اي كما كذبك قومك وقالوا ساحر او مجنون كذلك ما اتى الذين من قبلهم اي من قبل
كفار مكة والامم الماضية من رسول يعني يدعوهم الى الايمان والطاعة الا قالوا ساحر او مجنون قال الله تعالى اتواصوا
به اي اوصى اولهم اخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤوا عليه وفيه توبيخ لهم بل هم قوم طاغون اي لم
يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعهم على ذلك علة واحدة وهي الطغيان وهو الحامل لهم على
ذلك القول فتول عنهم فتولى اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي لا لوم عليك فقد اديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت
فيما امرت به قال المفسرون واشتد على اصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر النبي صلى الله عليه
وسلم للمؤمنين

[illegible]

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

النبي صلى الله عليه وسلم للمومنين ان يتولى عنهم فانزل الله عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فطابت نفوسهم والمعنى بذلك
والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من آمن قومك فان الذكرى تنفع المومنين علم الله عز وجل انه يومن منهم
وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفع المومنين قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
قيل هو خاص لاهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت السعدا من الجن والانس الا لعبادتي والا
شقيا منهم الا لمعصيتي وهم ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الا ليعبدون
ليعبدون اي الا لآمرهم ان يعبدوني وادعوهم لعبادتي وقيل معناه الا ليعرفوني وهذا احسن لانه لو لم يخلقهم
لم يعرفوا وجوده وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا لي ويتذللوا لان معنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد وكل
مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله تعالى متذلل لمشيئته لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليو
حدون فاما المومن فيوحده اختيارا في الشدة والرخا واما الكافر فيوحده اضطرارا في الشدة والبلا دون النعمة والرخا.
ما اريد منهم من رزق اي ما اريد ان يرزقوا احدا من خلقي ولا ان يرزقوا انفسهم لاني انا الرزاق والمتكفل لعبادي بالرزق
القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها وما اريد ان يطعمون اي يطعموا احدا من خلقي وانما اسند الاطعام الى نفسه لان
الخلق كلهم عيال الله ومن اطعم احدا فقد اطعمه كما جاء من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عيال
ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان
عبدي فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب
كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت
ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان
فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي اخرجه مسلم ثم بين ان لا رازق ولا قوة غيره فقال تعالى ان الله
هو الرزاق يعني لجميع خلقه ذو القوة المتين يعني هو القوي الشديد في القدرة البالغ القوة والقدرة الذي لا يلحقه
في افعاله مشقة فان للذين ظلموا من اهل مكة ذنوبا اي نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اي مثل نصيب
تعلى اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود فلا يستعجلون اي بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيامة يدل عليه
قوله عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله اعلم بمراده واسرار كتابه
تفسير سورة والطور مكية وهي سبع واربعون آية وثلاث مائة واثنا عشر كلمة والف وخمس
مائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والطور اراد به الجبل الذي كلم الله عز وجل عليه موسى
عليه السلام بالارض المقدسة وقيل بمدين وكتاب مسطور اي مكتوب في رق يعني الاديم الذي يكتب فيه موسى عليه
السلام المصحف منشور اي مبسوط واختلفوا في الكتاب وقيل هو ما كتب الله عز وجل بيده لموسى عليه السلام من التور
اة وموسى يسمع صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج اليهم يوم القيامة فآخذ بيمينه
وآخذ بشماله وقيل هو القرآن والبيت المعمور يعني بكثرة الغاشية والاهل وهو في السماء السابعة قدام العرش بحيال
الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الارض وفي حديث المعراج من افراد مسلم عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور في السماء السابعة واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وفي
رواية اخرى قال فانتهيت الى بنا فقلت للملك ما هذا قال بنا بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك يقدسون
الله ويسبحونه ولا يعودون فيه وفي افراد البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى البيت المعمور
المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور يعني البحر الموقد المحمى بمنزلة

عونك دائم

التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روي ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا ويزاد بها في نار جهنم و
جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا او حاجا فان
تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المملو وقيل هو اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح و المسجور
روي عن علي انه قال في البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سماوات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ
يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا فينبتون في قبورهم اقسم الله تعالى بهذه الاشياء
لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع يعني انه حق وكائن ونازل بالمشركين في الاخرة ما
له من دافع اي مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعت اليه وهو
يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقول والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وكا خ صدع
نما قرع قلبي حين سمعته ولم يكن اسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن اني اقوم من مكاني حتى يقع
بي العذاب ثم بين انه متى يقع فقال تعالى يوم تمور السماء مورا اي تدور كدوران الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السـ
السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها في بعض وتضطرب وتسير الجبال سيرا اي تزول عن اماكنها و
تصير هباء منثورا والحكمة في مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان
الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني ادم بذلك فلما لم يكن لهم عود
عود الى الدنيا ازال الله تعالى ذلك وذلك لخراب الدنيا وعمارة الاخرة فويل اي فشدة العذاب يومئذ للمكذبين
اي يوم القيمة الذين هم في خوض اي يخوضون في الباطل يلعبون يعني غافلون لاهين عما يراد بهم يوم يدعون ويدفعون
يعني يدفعون الى نار جهنم دعا يعني دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدي الكفار الى اعناقهم ونواصيهم
الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم حتى يردوا النار فاذا دنوا منها قال لهم
خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي في الدنيا افسحر هذا وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم
الى السحر وانه يغطي على الابصار فيوبخون بذلك وقيل لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها يعني قاسوا شدتها
فاصبروا اي على العذاب او لا تصبروا عليه سواء عليكم اي الصبر والجزع انما تجزون ما كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب
في الدنيا قوله تعالى ان المتقين في جنت ونعيم اي معجبين بذلك ناعمين فكهين بما ءاتيهم ربهم من الخير والكرامة
ووقيهم ربهم عذاب الجحيم اي يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا مامونين العاقبة من التخمة والسقم بما كنتم تعملون
اي في الدنيا من الايمان والطاعة متكئين على سرر مصفوفة اي موضوعة بعضها على بعض وزوجنهم بحور عين يعني
والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم يعني الحقنا اولادهم الصغار والكبار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار
بايمان ابائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد الوالدين الحقنا بهم ذريتهم يعني المومنين في الجنة بدرجات ابا
ئهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات ابائهم تكرمة لابائهم لتقر بذلك اعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفي
رواية اخرى عنه ان معنى الاية والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم يعني البالغين بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين
لم يبلغوا الايمان بايمان ابائهم اخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المومن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان
يجتمعوا اليه فيدخلهم الله الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيه من غير ان ينقص الاباء من اعمالهم شيئا وذ
لك قوله تعالى وما التنهم من عملهم من شيء يعني وما نقصنا الاباء من اعمالهم من شيء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرا والذين
امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم عن علي قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين

ماتا لها

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

ملئا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما رأى الكراهية على وجهها قال لو رأيت مكانهما لأبغضتهما قالت
يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا
بهم ذرياتهم ~~وما ألتناهم~~ أخرجه هذين بإسناد الثعلبي كل امرئ أي كافر بما كسب أي عمل من الشرك رهين أي مرتهن
بعمله في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم
من الخير والنعمة فقال تعالى وأمددناهم بفاكهة يعني زيادة على ما كان لهم ولحم مما يشتهون أي من أنواع اللحم يتنازعون
أي يتعاطون ويتناولون فيها أي في الجنة كأسا لا لغو فيها أي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا
ويرفثوا ولا تأثيم أي لا يكون منهم ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو وإثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا يأثمون
في شربها ويطوف عليهم أي للخدمة غلمان لهم كأنهم أي في الحسن والبياض والصفاء لؤلؤ مكنون أي مخزون مصون لم
تمسه الأيدي قال عبد الله بن عمر وما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه
وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر
على سائر الكواكب قوله تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون يعني يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس
يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا قالوا إنا كنا قبل في أهلنا أي في الدنيا مشفقين أي خائفين من العذاب فمن الله
علينا أي بالمغفرة ووقانا عذاب السموم يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم إنا كنا من قبل أي في الدنيا
ندعوه أي نخلص له الدعاء والعبادة له إنه هو البر قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على
عباده المحسن إليهم الذي عم ببره جميع خلقه الرحيم بعباده قوله عز وجل فذكر أي فعظ يا محمد كفار مكة بالقرآن
فما أنت بنعمت ربك يعني رحمته وعصمته وقيل بإنعامه عليك بالنبوة بكاهن ولا مجنون وهو الذي يوهم أنه يعلم الغيب
ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى إنك لست كما يقول كفار مكة أنه كاهن ومجنون إنما تنطق بالوحي نزلت في الذين
اقتسموا أعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون أم يقولون يعني هؤلاء
المقتسمين شاعر أي هو شاعر نتربص به أي ننتظر به ريب المنون يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت كما هلك من كان
قبله من الشعراء ويتفرق عنه أصحابه وإن أباه مات وهو شاب ونحن نرجوا أن يكون موته كموت أبيه والمنون اسم للموت
وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لأنهما يقطعان الأجل قل تربصوا أي انتظروا بي الموت فإني معكم من المتربصين أي من
المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي أم تأمرهم أحلامهم أي عقولهم بهذا وذلك أن
عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل أم هم
قوم طاغون أي متجاوزون الحد في الطغيان والكفر أم يقولون تقوله أي اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف
ولا يستعمل إلا في الكذب والمعنى ليس الأمر كما زعموا بل لا يؤمنون أي بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى
فليأتوا بحديث مثله أي مثل القرآن في نظمه وحسنه وبيانه إن كانوا صادقين يعني أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه أم خلقوا من غير
شيء قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى أم خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن
تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق أم هم الخالقون أي لأنفسهم وذلك
في البطلان أشد لأن ما لا وجود له كيف يخلق فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه
وليعبدوه وقيل معنى الآية أخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أي لأنفسهم فلا يجب عليهم
لله أمر أم خلقوا السموت والأرض يعني ليس الأمر كذلك بل لا يوقنون أي بالحق وهو توحيد الله وقدرته على البعث وأن
الله هو خالقهم وخالق السموات والأرض فيؤمنوا به ويوقنوا أنه خالقهم أم عندهم خزائن ربك يعني النبوة

ومبالغ الرسالة فيضعونها حيث شاءوا وقيل خزائن المطر والرزق أم هم المصيطرون أي المسلطون الجبارون وقيل
أرباب قاهرون فلا يكونون تحت أمر ونهي فيفعلون ما يشاءون أم لهم سلم يعني مرقى ومصعدا إلى السماء يستمعون فيه
أي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون أن ما هم عليه حق فهم به مستمسكون فليأت مستمعهم أي إن ادعوا
عوا ألا تبسم أم تسألهم أجرا أي جعلا على ما جئتهم به من النبوة ولم تدعهم إليه من الدين ذلك بسلطان مبين أي بحجة
بينة أم له البنات ولكم البنون هذا إنكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لأنفسهم أم تسألهم أجرا أي جعلا على
ما جئتهم به من النبوة ولم تدعوهم إليه من الدين فهم من مغرم مثقلون يعني أثقلهم ذلك المغرم الذي تسألهم فمنعهم
عن الإسلام أم عندهم الغيب أي حكم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم به الرسول من أمر القيامة والـ
بعث باطل وقيل هو جواب نتربص به ريب المنون والمعنى أعلموا أن محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون أي يحكمون
وقال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به أم يريدون كيدا أي
مكرا بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون أي المجزيون بكيدهم والمعنى أن ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق
مكرهم بهم وهو أنهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا يوم بدر أم لهم إله غير الله أي يرزقهم وينصرهم
سبحان الله عما يشركون والمعنى أنه نزه نفسه عما يقولون قوله تعالى وإن يروا كسفا أي قطعة من السماء
ساقطا هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء
عليهم لم ينتهوا عن كفرهم يقولوا لمعاندتهم هذا سحاب مركوم أي بعضه على بعض يسقينا فذرهم حتى
يلاقوا أي يعاينوا يومهم الذي فيه يصعقون أي يموتون ويهلكون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون
أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع وإن للذين ظلموا أي كفروا عذابا دون ذلك أي عذابا
في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر
ولكن أكثرهم لا يعلمون أن العذاب نازل بهم قوله عز وجل واصبر لحكم ربك أي إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم
به فإنك بأعيننا أي بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه إنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إليك
بمكروه وسبح بحمد ربك حين تقوم أي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فإن كان المجلس خيرا
ازددت به إحسانا وإن كان غير ذلك كان كفارة له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك
وأتوب إليك إلا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه صل
تقوم من مقامك وقيل هو ذكر الله باللسان من حين تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة عن عاصم بن حميد قال
سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح قيام الليل فقالت سألتني عن
شيء ما سألني عنه أحد قبلك كان إذا قام كبر عشرا وحمد عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا
وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي
وقيل إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
وجل ثناؤك ولا إله غيرك أخرجه الترمذي وأبو داود وقال وقد تكلم في أحد رواته قوله تعالى ومن الليل فسبحه
أي فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء وإدبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب
بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إدبار النجوم الركعتان قبل
الفجر وإدبار السجود

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

86

النجم وادبار السجود هو فريضة الصبح وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور والله اعلم تفسير سورة والنجم مكية وهي اثنان وستون اية وثلاث
مائة وستون كلمة والف واربع مائة وخمسة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والنجم اذا هوى يعني الثريا اذا سقطت وغابت تسمى الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي رداء
كساء وجاء في الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع اراد بالنجم الثر
يا وقيل هي نجم السماء كلها وهوبها غروبها وعلى هذه اللفظة واحد ومعناه الجمع وفيه روي عن ابن عباس انه الرجوم
من النجوم وهو ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل اراد بالنجم القران
سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل النجم هو النبت لا ساق له وهويه
سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب
القسم قوله ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى اي ما جهل وقيل الفرق بين
الضلال والغي ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصوده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له الى مقصده طريق مستقيم
وقيل ان الضلال اكثر استعماله في الامر الغواية وما ينطق عن الهوى اي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك بانهم قالوا
ان محمدا يقول القران من تلقاء نفسه ان هو اي ما هو يعني القران وقيل نطقه في الدين الا وحي اي من الله عز وجل يوحى اليه علمه
شديد القوى يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله عز وجل اليه وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم
لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالو
حي على الانبياء اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اي قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن فا
ستوى يعني جبريل عليه السلام وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج بالافق الاعلى
عند مطلع الشمس فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل ايضا انه قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى و
ذلك ان جبريل عليه السلام كان ياتي محمدا صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان ياتي الانبياء قبله فساله رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما التي في الارض فبالا
فق الاعلى من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه ونزل جبريل في صورة
الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنا فتدلى واما التي في السماء فعند سدرة
المنتهى ولم يره احد من الانبياء على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ثم دنا فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى اختلف العلماء في معنى هذه الاية فروي عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعائشة
رضي الله عنها فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قالت ذلك جبريل كان ياتيه في صورة الرجل وانه
اتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق اخرجه في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله فكان قاب
قوسين او ادنى وفي قوله ما كذب الفؤاد ما راى وفي قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال
راى جبريل عليه السلام له ست مائة جناح زاد في رواية راى جبريل عليه السلام في صورته اخرجه مسلم وفي البخاري
في قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فعلى هذا يكون معنى الاية ثم دنا جبريل بعد استوائه
بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين او ادنى اي بل ادنى وبه قال ابن عباس والحسن
وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتاخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلي سبب الدنو وقال اخرون ثم دنا الرب عز وجل
من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اي فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وقد ورد في الصحيحين في حديث المعراج

والصاب

اراد

النجم

من رواية شريك بن عبد الله بن ابي نمر عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذه رواية ابي
سلمة عن ابن عباس والتدلي هو النزول الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين
بعد ان ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث
الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن انس فلم يات احد منهم بما اتى في صحيحه منهم
في رواية شريك وقد قدم واخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد
صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى اي فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى والقاب القدر والقوس هو الوتر
الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس معناه حيث الوتر من القوس واخبر انه كان بين جبريل ومحمد مقدار قوسين صلى الله عليه وسلم
وهذه اشارة الى تاكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب كانوا اذا ارادوا عقد الصفا والعهد بينهما خرجا بقوسيهما
والصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب
قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس او ادنى بل اقرب فاوحى اي اوحى الله عز وجل الى عبده
محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى وعن ابن عباس في رواية عنه قال اوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه ربه
عز وجل قال سعيد بن جبير اوحى الله الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك قوله عز وجل وقيل اوحى اليه
ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك قوله عز وجل ما كذب الفؤاد ما راى قرئ ما
لتشديد اي ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما راى بعينيه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف اي ما كذب فؤاد
محمد الذي راه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما راى واختلفوا في الذي راه فقيل راى جبريل وهو قول ابن مسعود
وعايشة وقيل هو الله عز وجل واختلفوا في معنى الروية فقيل جعل بصره في فواده وهو قول ابن عباس م عن ابن عباس
ما كذب الفؤاد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفواده وذهب جماعة الى انه راه بعينيه حقيقة و
هو قول انس بن مالك والحسن وعكرمة عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما راى المنزلة الاخرى قال راه بفواده قال ان الله عز ولقد راه
وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا صلى الله وسلم بالروية وقال كعب ان الله تعالى قسم
رويته وكلامه بين محمد وموسى وكلمه موسى مرتين وراه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين اخرجه الترمذي وكانت
عايشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الاية على جبريل عن مسروق قال قلت لعايشة يا
يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك
ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك
انه كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ولكنه راى جبريل في صورته مرتين اخرجه في الصحيحين
م عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور انى اراه قوله عز وجل افتمارونه على
ما يرى يعني افتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا
في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به حين اسري والمعنى افتجادلونه جحد الامر به ولقد عاينه وعلمه ولقد
راه نزلة اخرى يعني راى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء نزلة اخرى وذلك انه راه في صورته مرتين مرة في
الارض ومرة عند سدرة المنتهى م عن ابي هريرة رضي الله عنه ولقد راه نزلة اخرى قال راى جبريل وعلى قول ابن عباس
معنى نزلة اخرى وهو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسالة التخفيف من اعداد الصلوات
فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه عز وجل في بعضها وروي عن ابن عباس انه راى ربه بفواده مرتين وعنه انه راه بعينيه عند
سدرة المنتهى

عند سدرة المنتهى قال ابن عباس رضي الله عنه قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى الى سدرة المنتهى
وهي في السما السابعة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية الترمذي اليها ينتهي علم الخلايق لا علم لهم فوق ذلك وفي
حديث المعراج المخرج في الصحيحين ثم صعد بي الى السما السابعة ثم قال رفعت الى سدرة المنتهى واذا نبقها مثل
مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وفي افراد مسلم من حديث انس قال ثم عرج بنا الى السما
السابعة وذكر الحديث الى ان قال فيه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من
امر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة
المنتهى وانا حاضر فقال انها سدرة في اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه الا
الله عز وجل وعن اسما بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى قال يسير الراكب في ظل
غصن منها مائة سنة او قال يستظل بظلها مائة راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال اخرجه الترمذي
وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان لو ان ورقة منها وضعت في الارض لاضاءت لاهل الارض وهي
شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد عندها جنة الماوى قال ابن عباس جنة الماوى ياوي اليها جبريل والملايكة وقيل
تاوي اليها ارواح الشهدا اذ يغشى السدرة ما يغشى قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملايكة مثل الغربان
وقيل امثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل يغشاها نور الخلاق وغشيها الملايكة من حب الله تعالى امثال الغربان حتى يقعن
عليها وقيل نور رب العزة فاستنارت وروي في الحديث قال رايت على كل ورقة منها ملكا يسبح الله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى
اي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا وما جاوز ما امر به وقيل ما
امر به وهذا وصف ادب به صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت الى شي سوى ما امر به وقيل في معنى الاية
ان قلنا الذي يغشى السدرة فراش من ذهب اي لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ووجه بيان ادبه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقطع بصره عن
المقصود وان قلنا الذي يغشى السدرة وهو نور رب العزة ففيه وجهان احدهما انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه
يمينا ولا يسارا ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثاني ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما اخبر عن موسى
بقوله وخر موسى صعقا وذلك انه لما تجلى الرب العزة وظهر نوره على الجبل فانه قطع نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم
ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف الله عز وجل نبينا صلى الله عليه
وسلم في ذلك المقام بقوله ما زاغ البصر وما طغى قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى يعني راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الايات العظام وقيل اراد ما راى في تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد راى من ايات ربه الايات الكبرى وعن عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه قال لقد راى من ايات ربه الكبرى راى جبريل في صورته له ست مائة جناح وعنه لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى
رفرفا اخضر سد افق السما فصل من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في معنى قوله تعالى ولقد راه
نزلة اخرى وهل راى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى قال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل راى نبينا صلى الله عليه وسلم
ربه ليلة الاسرى فانكرته عايشة كما وقع في صحيح مسلم وجا مثله عن ابي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن
مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن عباس انه راه بعينيه ومثله عن ابي ذر وكعب والحسن
وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وابي هريرة واحمد بن حنبل وحكي اصحاب المقالات عن ابي الحسن الا
شعري وجماعة من اصحابه انه راه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جايز ورؤية الله عز وجل
في الدنيا جايزة وسؤال موسى اياها دليل واضح على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز وما يمتنع على ربه واختلفوا في ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ما غشي

هل كلم ربه عز وجل بغير واسطة أم لا فحكي عن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه وعزى بعضهم هذا القول إلى جعفر بن محمد
وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنا فتدلى والأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبي صلى
الله عليه وسلم أو مختص بأحدهما من الآخر ومن سدرة المنتهى وذكر عن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد
وغيرهم أنه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه أو من الله عز وجل وعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متأولا ليس على
وجهه كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه
منه ظهور عظيم منزلته لديه وإشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه
عليه والدنو من الله تعالى له إظهار ذلك له وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدنى
على هذا عبارة لطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى إجابة الر
غبة وإبانة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين النواوي وأما صاحب التحرير فإنه اختار
إثبات الرؤية قال والحجج في المسألة وإن كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس
أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين إلى يوم الدين وعن عكرمة
سئل ابن عباس هل رأى محمد ربه قال نعم وقد روي بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه
وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد ربه والأصل في المسألة حديث ابن عباس حبر الأمة وعالمها والمرجوع إليه في
المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسألة وسأله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فأخبره أنه
رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لم تخبر بأنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وإنما ذكرت ما ذ
كرته متأولة لقوله عز وجل وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لا تدركه
الأبصار والصحابي إذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة وإذا صحت الروايات عن ابن عباس أنه تكلم في
هذه المسألة بإثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما تدرك بالعقول وتؤخذ بالظن وإنما تتلقى بال
سمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه يتكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر
اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس ثم ابن عباس أثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام
صاحب التحرير قال الشيخ محيي الدين النواوي والحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأى ربه عز وجل بعيني رأسه في تلك الليلة لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ثم إن عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها أما
احتجاج عائشة بقوله لا تدركه الأبصار فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به
وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره وأما
احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها أنه عام مخصوص
بما تقدم من الأدلة الثاني ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وإن كان محتملا لكن الجمهور على
أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله أو من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه
غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلام الله سبحانه وتعالى من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا
عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في أول الحديث
لقد قف شعري معناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال تقول العرب عند إنكار الشيء قف شعري واقشعر جلدي

واقشعر

واشمأزت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر نوراني أراه فهو بتنوين وبفتح الهمزة في أنّى وتشديد
النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف أراه قال المازري الضمير في أراه عائد على الله تعالى ومعناه أن النور يمنعني الرؤية
كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها عن إدراك الرائي والمرئي وفي رواية رأيت نورا معناه رأيت النور
فحسب ولم أر غيره أنّى أراه معناه حال النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الأفعال ومن المستحيل أن تكون ذات الله
نورا إذ النور من جملة الأجسام والله متعال عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم قوله عز وجل
أفرأيتم اللات والعزى هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها اشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل
فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الأعز والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله
هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء وقيل كانت اللات بالطائف وقيل بيت بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ
اللات بالتشديد في ح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت اللات رجلا يلت سويق الحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره
يعبدونه وقيل كان في رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها ثم يتخذ
منها حيسا فيطعم منه الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجل من ثقيف يقال له صرمة بن
غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف إلى منا
زلها فعبدتها الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم خالدا فقطعها فجعل خالد بن الوليد يضربها بالفأس ويقول يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله
قد أهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يديها على رأسها ويقال إن خالدا
رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رأيت فقال ما رأيت شيئا فقال ما قطعت فعاودها ومعه
المعول فقطعها واجتث أكلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك
فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقيل صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك أنه قدم مكة ورأى الصفا
والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بهما فرجع إلى بطن نخلة فقال لأهله قومه إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم
ولهم إله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال أنا أصنع لكم كذلك فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما إلى
نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذي أخذ من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار
فأسندها إلى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجرات الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة ثم أمر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كانت تعبده
ثقيف وقوله ومناة قيل لخزاعة كانت بقديد قالت عائشة في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت بيت حذو قديد وقيل بيت
بالمشلل تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة
أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها الثالثة الأخرى الثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر
وأما الأخرى فإن العرب لا تقول للثالثة أخرى وإنما الأخرى هاهنا نعت للثالثة قال الخليل فقالها لوفاق رؤوس الآي
كقوله مآرب أخرى ولم يقل آخر وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة
وقيل هي صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة الأخرى المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالأصنام ترتب مراتب وذلك
أن اللات كانت وثنا على صورة آدمي والعزى شجرة فيها نبات ومناة صخرة فهي جماد فهي آخر المراتب
ومعنى الآية هل رأيتم هذه الأصنام حق الرؤية فإن رأيتموها علمتم أنها لا تصلح للعبادة لأنها لا تضر ولا تنفع
وقيل أفرأيتم أن تزعموا أن اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله الأنثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون

الاصنام والملائكة بنات الله كان الرجل اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم الكم الذكر وله الانثى تلك
اذا قسمة ضيزى قال ابن عباس قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير — جايرة
غير معتدلة ان هي اما هي هذه الاصنام الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم والمعنى انكم سميتموها الهة وليست
بالهة حقيقة ولا معبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها ولا يكون لها مسمى حقيقة ما انزل الله
بها من سلطان اي حجة بما تقولون انها الهة ان يتبعون الا الظن اي في قولهم انها الهة وما تهوى الانفس يعني ما هو
زين لهم الشيطان من عبادة هذه الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذي ينبغي ان تكون
العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي البيان بالكتب المنزل والنبي المرسل
ان الاصنام ليست بالهة وان العبادة لا تصلح لها الا لله الواحد القهار قوله عز وجل ام للانسان ما تمنى
معناه ايظن الكافر له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الاصنام اي ليس الامر كما يظن ويتمنى فلله الاخرة والاولى
اي لا يملك احد فيهما شيئا الا باذنه وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله
الاخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء الله في الدنيا وان شاء امهله الى الاخرة وكم من ملك في السموات اي ممن — رقم
يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيئا يعني ان الملائكة مع علو منزلتهم لا تغني
شفاعتهم شيئا فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم اخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى الا من
بعد ان ياذن الله اي في الشفاعة لمن يشاء ويرضى اي من اهل التوحيد يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضي — قال ابن عباس
الله عنهم وقيل الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء من الملائكة لمن يشاء الشفاعة له ان الذين لا يؤمنون بالاخرة يعني الكفار
الذين انكروا البعث ليسمون الملائكة تسمية الانثى اي بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال
تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمناسبة
رؤوس الاي وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك انهم قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا
كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم اي بالله فيشركون به ولا يجعلون له ولدا وقيل ما
يستيقنون ان الملائكة اناث ان يتبعون الا الظن في تسمية الملائكة بالاناث وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي لا يقوم
الظن مقام العلم الذي هو الحق الذي حقيقة الشيء بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله جل جلاله
والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون فاعرض عن من تولى عن ذكرنا يعني القران وقيل الايمان ولم يرد
الا الحيوة الدنيا يعني انهم لا يؤمنون بالاخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رايهم
فقال تعالى ذلك مبلغهم من العلم اي ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل معناه انهم
لم يبلغوا من العلم الا ظنهم الملائكة اناثا بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القران
والايمان ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اي هو عالم بالفريقين فيجازيهم باعمالهم ولله
ما في السموات وما في الارض وهذا اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الاية الاولى وبين قوله تعالى ليجزي الذين
اساؤوا بما عملوا والمعنى انه اذا كان اعلم بهم جازى كلا بما يستحقه فيجزي الذين اساؤوا اي اشركوا بما عملوا
اي من الشرك ويجزي الذين احسنوا اي وحدوا ربهم بالحسنى يعني الجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء
اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما في السموات وما في الارض ثم وصف المحسن فقال عز وجل
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش قيل الاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال
المبطئة عن الثواب وقيل هو اسم لفعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه اثام

والكبيرة

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

79

والكبيرة متفاوتة في كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر والفواحش جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه من الاقوال
والافعال وقيل هي ما يجب فيه الحد من الكبائر الا اللمم الا ما قل وصغر من الذنب وقيل هو مقارنة المعصية من قولك الممت بكذا اي
قارنته به من غير مواقعة واختلفوا في معنى الاية وقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الاية الا ان
يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب او يقع الواقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن وفي رواية عن ابن عباس
قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت
هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس في قوله
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر
جما واي عبد لك لا الما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب قيل اصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان
الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم
من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به في الاسلام وذ
لك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم بالامس يعملون معنا فانزل الله عز وجل هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت للمومنين
وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنى وهو قول
ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي والرواية الاخرى عن ابن عباس وعن ابن عباس قال ما رايت شيئا اشبه
باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك
ذلك لا محالة فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه و
لمسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع
واللسان زناه الكلام واليدان زناهما البطش والرجلان زناهما الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج
او يكذبه وقيل اللمم على وجهين احدهما كل ما لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي
تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الثاني هو الذنب الذي يلم به
المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب اي خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور
فان اعاد النظر فليس بلمم بل هو ذنب

فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة

قال العلماء اكبر الكبائر الشرك بالله وهذا ظاهر لا خفاء فيه لقوله تعالى ان الشرك
لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فما سواهما من الزنى واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور واكل
مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف واكل الربوا وغير ذلك
من الكبائر التي ورد بها النص فيها تفاصيل واحكام تعرف بها مراتبها ويختلف امرها باختلاف الاحوال
والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال في واحدة منها هي اكبر الكبائر بالنسبة الى ما دونها وقد
جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر اسبع هي فقال هي الى سبعين اقرب وفي رواية الى سبعمائة اقرب وقد
اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا
قال الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة
فهي بالنسبة الى جلال الله تعالى كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام
المعاصي الى صغائر وكبائر وقد اختلف في ضبطها فروي عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى
بنار او غضب او لعنة وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ما اوعد الله عليها بنار في الاخرة او حد في الدنيا وقال

او عذاب

الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف وحذار او استحقار ثم تجرؤ كالمتهاون في ارتكابها والمتجري عليها اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما تحمل على فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة فليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد اذا اردت الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن اقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وان ساوت ادنى مفاسد الكبائر او زادت عليها فهي من الكبائر فمن امسك محصنة لمن يقتله فلا شك ان مفسدة ذلك اعظم من اكل درهم من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورات المسلمين مع علمه بانهم يستاصلون بدلالته فان نسبته الى هذه المفسدة اعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان كذبا يعلم انه يقتله بسببه ولو كذب على انسان يعلم انه يوخذ منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عصيانه بحيث يصح ان يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها امارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة ومنها ما وصف فاعلها بالفسق ويضاف اليه اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله تعالى اعلم

قوله تعالى ان ربك واسع المغفرة قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب واناب وروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة مع الاصرار ~~الاصرار~~ ستغفار ولا صغيرة مع الاصرار ومعناه ان الكبيرة تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل في حد الاصرار هو ان تتكرر منه الصغيرة تكررا يشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدا فقال تعالى هو اعلم بكم اي قبل ان يخلقكم وهو قوله اذ انشاكم من الارض اي خلق اباكم آدم من التراب واذ انتم اجنة جمع جنين في بطون امهاتكم سمي جنينا لاستتاره في بطن امه فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صائرة فلا تزكوا انفسكم ولا تبرءوها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل في معنى الآية هو اعلم بكم ايها المؤمنون علم حالكم من اول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك وانا ازكى منك واتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى هو اعلم بمن اتقى اي بر واطاع واخلص العمل وقيل في معنى الآية فلا تزكوا انفسكم اي لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت في اناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله هذه الآية قوله عز وجل

افرايت الذي تولى نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم قال اني خشيت من عذاب الله فضمنه الذي عاتبه ان اعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله عز وجل فرجع الوليد الى الشرك واعطى الذي عيره بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله افرايت الذي تولى اي ادبر واعرض عن الايمان واعطى اي لصاحبه الذي عيره قليلا واكدى اي بخل بالباقي وقيل اعطى الوليد قليلا اي من الخير بلسانه واكدى اي قطعه وامسك ولم يقم بالعطية

وقيل نزلت

امراة محصنة لمن يزني بها او من امسك امراة

80

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في الامور وقيل نزلت
في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى اي لم يومن به ومعنى اكدى
اي قطع واصله من الكدية وهي حجارة تظهر في البير تمنع من الحفر اعنده علم الغيب فهو يرى ما غاب عنه ويعلم
ان صاحبه يتحمل عنه عذابه ام لم ينبا اي يخبر بما في صحف موسى يعني اسفار التوراة وابراهيم اي يخبر بما في صحف ابراهيم
الذي وفى اي كمل وتمم ما امر به وقيل عامل بما امر به وبلغ رسالة ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل
قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن
والتوفية الاتمام وقيل وفى شان المناسك روى البغوي بسنده عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابرا
هيم الذي وفى اربع ركعات اول النهار عن ابي الدرداء وابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه قال
ابن آدم اركع لي اربع ركعات من اول النهار اكفك آخره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في
صحفهما فقال تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى والمعنى لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفي
هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل بذنب
غيره كان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامراته وعبده حتى كان ابراهيم عليه السلام فنهاهم الله عن ذلك
وبلغهم عن الله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى اي عمل وهذا في صحف ابراهيم وموسى قال ابن عباس
هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقيل
ان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلها ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي عن ابن عباس ان امراة
رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر اخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان امي توفيت افينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفي رواية ان سعد بن عبادة اخا بني ساعدة وذكر نحوه اخر
جه البخاري وعن عائشة ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي افتلتت نفسها واظنها لو تكلمت تصدقت فهل
لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه في الصحيحين وفي حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك واحمد
وجماهير العلماء ان حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال ابو
حنيفة لا يصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديث الآخر دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع
الميت ويصله ثوابها وهو باجماع العلماء وكذا اجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في ذلك
ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو اوصى بحجة تطوع على الاصح عند الشافعي واختلف العلماء في الصوم
اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي
ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من اصحابه يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل واما الصلاة وساير
التطوعات فلا تصله عند الشافعي والجمهور وقال احمد يصله ثواب الجميع والله اعلم وقيل اراد بالانسان الكافر
والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير
روي ان عبد الله بن ابي بن سلول كان اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم القميص ليكفن فيه ولم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى هو من
باب العدل فاما من باب الفضل فجائز ان يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه وان سعيه سوف يرى اي يراه في ميز
انه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمنين وذلك ان الله تعالى يريه اعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن
الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما ثم يجزيه الجزاء الاوفى اي الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى

جزاء سيئة وهم بالجزاء الاوفى قوله تعالى وان الى ربك المنتهى اي منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الاخرة وهو مجاز
يهم باعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان احدهما انه عام تقديره وان الى ربك المنتهى ايها السامع او العاقل
كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن اساءته ويزداد المحسن في
احسانه الوجه الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا فيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الاية منه ابتداء المنة واليه انتهاء
الامال روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان
الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا تفكروا في الخلق ولا
تتفكروا في الخالق فانه لا يحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب اي انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى سائر المو
جودات المحدثة علمت انها لابد لها من موجد هو الله تعالى فقد انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده
ووحدانيته سبحانه وتعالى وانه هو اضحك وابكى اي هو القادر على ايجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء وفيه
دليل على ان جميع ما يعمله الانسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى
اهل النار في النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل الفرح والحزن لان الفرح يجلب الضحك
والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر
من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم
معهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا
ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون قال
قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبل ق وعن انس رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة اي بكاء مع صوت يخرج من الانف وانه هو اما
ت واحيا اي امات في الدنيا واحيا للبعث وقيل امات الاباء واحيا الابناء وقيل امات الكفار بالنكرة واحيا المو
منين بالمعرفة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اي من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التي تتوا
رد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شيء لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما
هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة من نطفة اذا تمنى اي تصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على
كمال قدرته لان النطفة شيء واحد يخلق الله منها الذكر والانثى وهو من عجيب صنعه وكمال قدرته ولهذا اليه
كذا بقوله وانه خلق لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولا خلقها وخلق غيرها كما لم يقدر احد ان يدعي خلق
السموات والارض وان عليه النشاة الاخرى اي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة وانه هو اغنى واقنى اي اغنى
الناس بالاموال واقنى اي اعطى القنية وهو اصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف
الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اي اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اعطى فارضى وقيل اغنى بعظم وجعل
جنته ولم يتركه محتاجا الى شيء لان الغنى ضد الفقر واقنى زاد فوق الغنى وانه هو رب الشعرى اي رب معبودهم وكانت
خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع
السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابي كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى
وهو كوكب مضيء

وهو كوكب مضيء خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا وهما شعريان يمانية وشامية فقال لاحديهما العبور وللا
خرى الغميصا سميت بذلك لانها اخفى من العبور والعبرة واراد بها هاهنا الشعرى العبور وانه اهلك عادا الاولى (بينهما)
وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى وقيل الاخرى ارم يعني اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح
وثمودا وهو قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة فما ابقى يعني منهم احدا وقوم نوح من قبل يعني اهلك قوم نوح من قبل
عاد وثمود بالغرق انهم كانوا هم اظلم واطغى يعني لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب
والموتفكة يعني قرى قوم لوط اهوى اي اسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم اهواها فغشيها ما غشى (اي البسها الله)
يعني الحجارة المنضودة المسومة فباي الاء ربك يعني نعم ربك تتمارى اي تتشكك ايها الانسان وقيل اراد الوليد بن المغيرة
وقال ابن عباس تتمارى اي تكذب هذا نذير يعني محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى اي رسول من الرسل المتقدمة اليكم
كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما انذرت الرسل من قبله ازفت الازفة اي دنت القيامة وقربت الساعة ليس لها
من دون الله كاشفة اي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناها ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى
غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعاقبة والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل
معناها ليس لها راد يعني اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد قوله تعالى افمن هذا
الحديث يعني القران تعجبون اي تنكرون وتضحكون اي استهزاء ولا تبكون اي مما فيه من الوعيد وانتم سامدون اي لاهون
غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا واصل السمود
في اللغة رفع الراس ماخوذ من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمغني وقيل معناه انتم
اشرون بطرون وقال مجاهد غضاب متبرطمون فقيل له ما البرطمة قال الاعراض فاسجدوا لله يعني ايها المومنون شكرا على
الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلوة واعبدوا اي اعبدوا الله وانما قال وحدوا
اما لكونه معلوما واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى ق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته وقال
يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال اول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال
في اخره وهو امية بن خلف خ عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد
معه (المسلمون) والمشركون والجن والانس ق عن زيد بن ثابت قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها ففي هذا
الحديث دليل على سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي واحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشاء
وذهب قوم الى وجوبها على القارئ والمستمع وهو قول سفيان واصحاب الراي والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون اية وثلاث مائة واربعون كلمة والف (واثنان)
واربع مائة وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اقتربت الساعة اي دنت
القيامة وانشق القمر قيل فيه تقديم وتاخير تقديره وانشق القمر واقتربت الساعة الانشقاق والقمر من اية رسول
الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليها ما روي عن انس رضي الله عنه ان اهل مكة سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين اخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت
الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقولون ذاهب ولهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فقال الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية اخرى قال بينما نحن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا

رسول

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر رضي الله
عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال [illegible] بأنهم
بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذي زاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم أنهم رأوه
فيكذبونهم وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفار فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر فهذه الأحاديث الصحيحة في ورود هذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فإنه أدل دليل
وأقوى مثبت له وإمكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الإيمان به واعتقاد وجوبه قال الشيخ
محيي الدين النووي في شرحه صحيح مسلم قال الزجاج وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة
وذلك لما أعمى الله تعالى قلبه ولا إنكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في
آخر أمره وأما قول بعض الملاحدة لو وقع لهذا النقل متواترا واشترك أهل الأرض كلهم في رؤيته ومعرفته ولم
يختص به أهل مكة فأجاب العلماء عن هذا بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب
مغلوقة وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء وينظر إليها إلا الشاذ النادر ومما هو معتاد أن كسوف
القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث بها إلا آحاد
الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلات الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل
لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتنبه غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي
تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل
في معنى الآية سينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لإجماع المفسرين على خلافه ولأن الله
تعالى ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفي قوله تعالى
وإن يروا آية يعرضوا أي دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى
قوله وإن يروا آية يعرضوا أي تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرض
عن التصديق بها ويقولوا سحر مستمر أي دائم مطرد وكل شيء دام على حالة قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع
المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أي قوي محكم شديد يعلو فيعلو كل ساحر و
قيل مستمر أي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وإنما قالوا تمنية لأنفسهم وتعليلا وكذبوا يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله تعالى واتبعوا أهواءهم أي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قو
لهم إنه سحر القمر وكل أمر مستقر أي لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل
وكل أمر مستقر بالخير مستقر في الجنة بأهله والشر مستقر بأهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين
حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل
هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أموره مستقر وإن أمر محمد صلى الله
عليه وسلم سيظهر إلى غاية يتبين أنه حق ولقد جاءهم يعني أهل مكة من الأنباء أي من الأخبار والأمم الماضية المكذبة
في القرآن ما فيه مزدجر أي متناهى وموعظة حكمة بالغة يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية فما تغن النذر
أي غناء تغني النذر إذا خالفوا وكذبوهم فتول عنهم أي أعرض عنهم نسختها آية القتال يوم يدع الداع أي اذكر يا محمد
يوم يدع الداعي وهو إسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس إلى شيء نكر أي منكر فظيع لم يروا مثله
فينكرونه

فمن انشق

في ذلك

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

82

فيفكرونه استعظاما خشعا وقرئ خاشعا أبصارهم أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب يخرجون من الاجداث أي
من القبور كأنهم جراد منتشر مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين مهطعين أي مسرعين مادي
أعناقهم مقبلين إلى الداع أي إلى صوت الداعي وهو إسرافيل وقيل ناظرين إليه لا يقلعون أبصارهم يقول الكافرون هذا يوم
عسر أي صعب شديد إشارة إلى أن ذلك اليوم يوم شديد على الكافر لا على المؤمن قوله تعالى كذبت قبلهم أي أهل
مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا يعني نوحا وقالوا مجنون وازدجر أي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والو
عيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين: فدعا يعني نوح ربه وقال أني مغلوب أي مقهور فانتصر
أي فانتقم لي منهم ففتحنا أبواب السماء قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه
قد صح في الحديث أن للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فإن الظاهر أن يكون المطر من السحاب بماء منهمر أي منصب
انصبابا شديدا يعني المطر من غير انقطاع أربعين يوما وفجرنا الارض عيونا أي وجعلنا الأرض كلها عيونا تسيل بالماء فالتقى الماء يعني
ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدر أي قضي عليه في أم الكتاب وقيل قدر الله تعالى أن يكون الماءان سواء فكانا على ما
قدر الله وحملناه يعني نوحا على ذات ألواح أي على سفينة ذات ألواح وأراد بالألواح خشب السفينة العريضة
ودسر أي مسامير التي تشد بها الألواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هي عوارض السفينة وأضلاعها وقيل الأ
لواح جانبا السفينة والدسر أصلها وطرفاها تجري يعني السفينة بأعيننا أي بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بأمرنا جزاء
لمن كان كفر يعني فعلنا ذلك به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثوابا لنوح لأنه كفر به وجحد أمره وقيل بمعنى ما
أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين غرقهم الله وقيل جزاء لما صنع بنوح وأصحابه ولقد تركناها آية
يعني الفعلة التي فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله تعالى حتى بقي من الأرض الجزيرة
عبرة حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة فهل من مدكر أي متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل من مذكر فردها علي وفي رواية أخرى قال
سمعته يقول فهل من مدكر الا فكيف كان عذابي ونذر أي إنذاري ولقد يسرنا القرآن أي سهلنا القرآن للذكر ليتذ
كر ويتعظ ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرنا للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا إلا
القرآن فهل من مدكر أي متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لأنه قد سهله الله و
يسره على عباده بحيث يسهل حفظه على الكبير والصغير والعربي والعجمي وغيرهم قوله عز وجل كذبت عاد
فكيف كان عذابي ونذر أي إنذاري لهم بالعذاب إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا أي شديدة الهبوب في يوم
نحس أي في يوم شؤم مستمر أي دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسه فلم يبق منهم أحد إلا هلك فيه قيل
كان ذلك اليوم يوم الأربعاء في آخر الشهر تنزع الناس أي الريح تقلعهم ثم ترم بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم
قيل كانت تنزعهم من قبورهم كأنهم أعجاز نخل قال ابن عباس أصول نخل منقعر أي منقطع من مكانه ساقط على الأرض
وقيل كانت الريح تبين رؤوسهم من أجسامهم فتبقى أجسامهم بلا رؤوس كعجز النخلة الملقاة فكيف كان عذابي
ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله تعالى كذبت ثمود بالنذر أي بالإنذار الذي جاءهم به صالح فقالوا
أبشرا منا واحدا نتبعه يعني آدميا واحدا ونحن جماعة كثيرة إنا إذا لفي ضلال أي خطأ وذهاب عن الصواب و
سعر قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل في جنون وقيل
في بعد عن الحق أألقي الذكر عليه يعني أنزل عليه الوحي من بيننا بل هو كذاب أشر أي بطر متكبر يريد أن يتعاظم
علينا بادعائه النبوة سيعلمون غدا أي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وإنما ذكر الغد للتقريب من

ناقة

من الكذاب الاشر اي صالح ام من كذب به انا مرسلوا الناقة اي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا وذلك
انهم تعنتوا على صالح فسألوه ان يخرج لهم من الصخرة حمراء عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة لهم
اي محنة لهم واختبارا فارتقبهم اي فانتظر ما هم صانعون واصطبر على اذاهم ونبئهم اي اخبرهم ان
الماء قسمة بينهم اي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب اي نصيب
من الماء محتضر اي يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم
وقيل يعني يحضرون الماء غب ية الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن فنادوا صاحبهم يعني قدار بن سالف فتعاطى اي فتناول
فتناول الناقة بسيفه فعقر يعني الناقة فكيف كان عذابي ونذر ثم بين عذابهم فقال تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة
واحدة يعني صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من
الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حين
تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر اذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر
من الحائط ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله عز وجل كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
يعني الحصباء وهي الحجارة ثم استثنى فقال تعالى الا آل لوط يعني لوطا وابنتيه نجيناهم يعني من العذاب بسحر نعمة من
عندنا اي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم كذلك نجزي اي كما انعمنا على آل لوط كذلك نجزي من شكر يعني انه من وحد
الله لم يعذب مع المشركين ولقد انذرهم اي لوط بطشتنا يعني اخذنا اياهم بالعقوبة فتماروا بالنذر اي شكوا بالانذار
ولم يصدقوا ولقد راودوه عن ضيفه اي طلبوا منه ان يسلم اليهم اضيافه فطمسنا اعينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لو
ط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار
فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب فاخرجهم لوط عميا لا يبصرون
ومعنى فطمسنا اعينهم اي صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله ابصارهم فلم يروا الرسل وقالوا
لو قد رايناهم حين دخلوا فاين ذهبوا فلم يروهم فذوقوا عذابي ونذر يعني ما انذركم به لوط من العذاب ولقد صبحهم بكرة
اي جاءهم وقت الصبح عذاب مستقر اي دائم مستقر فيهم حتى افضى بهم الى عذاب الآخرة فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر قوله عز وجل ولقد جاء آل فرعون يعني موسى وهارون عليهما السلام وقيل النذر
الآية التي انذرهم بها موسى كذبوا بآياتنا كلها يعني الآية التسعة فاخذناهم اي بالعذاب اخذ عزيز مقتدر اي غالب
في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه ما اراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى اكفاركم خير من اولئكم يعني اقوى
واشد من الذين احللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام انكار اي ليسوا
باقوى منهم ام لكم براءة من العذاب في الزبر اي الكتب انه لن يصيبكم ما اصاب الامم الخالية ام يقولون يعني كفار مكة نحن جميع
اي امرنا مجتمع منتصر من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصر ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي وقيل
معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم اي كل واحد منهم قال الله تعالى سيهزم الجمع يعني كفار مكة ويولون
الدبر اي الادبار فوحد لاجل رؤوس الآي وقيل لان المراد اشارة الى النظم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد من الهزيمة
ولا يثبت احد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر اللهم
اني انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد الححت
على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر
فصدق ورسول الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت

نزلت سيهزم

سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها. بل الساعة موعدهم يعني جميعا والساعة أدهى وأمر أي أعظم داهية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر. قوله عز وجل إن المجرمين يعني المشركين في ضلال وسعر قيل في بعد عن الحق وسعر أي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا ونار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال أي ذهاب عن طريق الجنة وعذاب في الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى يوم يسحبون أي يجرون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر أي ذوقوا أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر. إنا كل شيء خلقناه بقدر أي مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك.

فصل في سبب نزول هذه الآية

وما ورد في القدر وما قيل فيه م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء مشركو قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية إن المجرمين في ضلال وسعر إلى قوله إنا كل شيء خلقناه بقدر م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء م عن طاوس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأن رسول الله بعثه بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر أخرجه الترمذي وله عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ثم ذم القدرية عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال أخرجه أبو داود وله عن أبي هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم في الكلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديا فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون أين خصماء الله فتقوم القدرية فيقول الله عز وجل ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر قال ابن الجوزي وإنما قيل خصماء الله لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروي عن الحسن قال والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم أخذ ظلما حتى ذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر. قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله تعالى اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر قال أصحاب المقالات وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن يقولون

حتى يؤمن بالقدر

بلون

الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث وابو
المعالي امام الحرمين في كتابه الارشاد في اصول الدين ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم
باعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين وهذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان
اهل الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى انفسهم
ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم في تقسيمهم الخير والشر في حكم الا
رادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى اهرمن ولا خفا باختصاص هذا الحديث بالقدرية و قسمت
حديث القدرية مجوس هذه الامة رواه ابو حازم وعن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود في
سننه والحاكم ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين وقال صح على شرط الشيخين ان صح سماع ابي حازم عن ابن عمر
وقال الخطابي انما جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالا
صلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية كذلك القدرية يضيفون
الخير الى الله تعالى والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر جميعا لا يكون شيء منهما الا بمشيئته
فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابي وقد
يحسب الكثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى لعباده وقهره على قدره وقضائه وليس الامر كما
يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكتساب العباد وصدورها عن تقدير منه
وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف
والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق لقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين اي خلقهن وقد
تظاهرت الادلة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدرة
الله تعالى وقد قرر ذلك ائمة المتكلمين احسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية السمعية والعقلية
والله اعلم واما معاني الحديث المتقدمة بقوله جاء مشركو قريش الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر اي
بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله تعالى من مراده وقضاه وسبق في علمه وارادته وقيل
بكل ذلك مقدر في الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات
والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء اي المراد منه تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ وغيره
لا اصل التقدير فان ذلك ازلي لا اول له وقوله وعرشه على الماء اي قبل ان يخلق السموات والارض وقوله كل شيء بقدر
حتى العجز والكيس او قال الكيس والعجز العاجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتا
خيره عن وقته وقيل يحتمل العجز على الطاعة ويحتمل العموم في امور الدنيا والاخرة والكيس ضد العجز
وهو النشاط والحذق في الامور ومعنى الحديث ان العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه قوله تعالى وما
امرنا الا واحدة اي وما امرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما امر الشيء اذا اردنا ان نكونه الا كلمة واحدة فيكون نكونه
لا مراجعة فيه وعلى هذا اذا اراد الله شيئا قال له كن فيكون فهنا شيئان الارادة والقول فالارادة قدر والقول
والارادة قضاؤه وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل اشارة الى نفاذ الامر كلمح بالبصر قال ابن
عباس يريد ان قضائي في خلقي اسرع من لمح البصر وعن ابن عباس ايضا معناه وما امرنا بمجيء الساعة
في السرعة الا كطرف البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم ونظائركم في الكفر من الامم الخالية فهل من مذكر

اي متعظ

اي متعظ ان ذلك حق فيخاف ليعتبر **وكل شيء فعلوه** اي الاشياع من الخير والشر **في الزبر** اي في كتاب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ **وكل صغير وكبير** اي من الخلق واعمالهم واجالهم **مستطر** اي مكتوب قوله عز وجل **ان المتقين في جنات** اي بساتين **ونهر** اي انهار وانما وحده لموافقة رؤوس الاي واراد به انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه في ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم **في مقعد صدق** اي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وقيل في مجلس حسن وقيل في مقام لا حق فيه لان الله تعالى صادق ومن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق **عند مليك** قيل معناه قرب المنزلة والشرف لا معنى المكان **مقتدر** اي قادر لا يعجزه شيء وقيل مقعد صدق عند مليك مقتدر في الملك والاقتدار اعظم شيء فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهله لا يقعد فيه الا اهل الصدق والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرحمن عز وجل

مكية وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول مراجح القولين عن ابن عباس وهي ثمان وسبعون اية وثلاثمائة واحدى وخمسون كلمة والف وست مائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الرحمن علم القرآن قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن يعني الذي هو الله انكر نموه هو علم القرآن وقيل هو الذي جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال الله تعالى الرحمن علم القرآن يعني علم محمد صلى الله عليه وسلم القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها مرتبة وهو القرآن العزيز لانه اعظم وحي الله تعالى الى انبيائه واشرفه منزلة عند اوليائه واكثره ذكرا واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على افضل البرية **خلق الانسان** يعني ادم عليه السلام **علمه البيان** يعني اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها فكان ادم عليه السلام يتكلم بسبع مائة لغة افضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان **وقيل** علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون لانه صلى الله عليه وسلم يبين عن خبر الاولين والاخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام **والشمس والقمر بحسبان** قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها وقيل يعني بهما حسب الاوقات والاجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور الحجر بدورانه **والنجم والشجر يسجدان** قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق ويبقى في الشتاء **وسجودهما** سجود ظلهما وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما ارضيان في مقابلة سماويين **والسماء رفعها** اي فوق الارض **ووضع الميزان** قيل اراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى انه امر بالعدل ويدل عليه قوله **الا تطغوا في الميزان** اي لا تجاوزوا العدل وقيل اراد به الآلة التي يوزن بها ليتوصل الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير لا تطغوا في الميزان اي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان **واقيموا الوزن بالقسط** اي بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب **ولا تخسروا** اي لا تنقصوا **الميزان** ولا تطففوا في الكيل والوزن امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة **وعن الخسران** الذي هو التطفيف والنقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا في التوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه **والارض وضعها** اي خفضها مدحوة على الماء **للانام** اي للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها **فيها** اي

واصحابه

أي في الأرض فيها فاكهة من أنواع الفواكه وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى والنخل ذات الأكمام يعني الأوعية التي يكون
فيها الثمر لأن ثمر النخل في غلاف وهو الطلع ما لم ينشق وكل شيء ستر شيئا فهو كم وقيل أكمامها ليفها واقتصر على
ذكر النخل من بين سائر الشجر لأنها أعظمها وأكثرها بركة والحب يعني جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير و
نحوهما وإنما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء إلى الأعلى لأن الحب أنفع من النخل وأعم وجودا في الأماكن ذو العصف قال ابن عباس
يعني التبن وعنه أنه ورق الزرع الأخضر إذا قطع رأسه ويبس وقيل هو ورق الزرع وقيل العصف ورق كل شيء يخرج
منه الحب يبدو أولا ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكمام الحب والريحان يعني الرزق قال ابن عباس كل ريحان
في القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الإنسان والأنعام ثم
خاطب الجن والإنس فقال تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان يعني الثقلان يريد من هذه الأشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه
السورة في إحدى وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما نبههم
عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها ألم تك فقيرا
فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تك خاملا فعززتك أفتنكر هذا ومثل هذا سائغ في كلام العرب
حسن تقريره وذلك أن الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر
والسماء والأرض إلى غير ذلك مما أنعم به على خلقه خاطب الجن والإنس فقال فبأي آلاء ربكما تكذبان من الأشياء المذكورة لأنها
كلها منعم بها عليكم عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من
أولها إلى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما
تكذبان قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية غيره كانوا
أحسن منكم ردا وفيه ولا بشيء. قوله تعالى خلق الإنسان من صلصال يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت من الذي
كالفخار يعني الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فإن قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الإنسان من ماء مهين وقال هنا
من صلصال كالفخار قلت ليس في هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق عليه وذلك أن الله تعالى خلقه أولا من تراب ثم
جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الأسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار وخلق الجان
وهو أبو الجن وقيل هو إبليس من مارج من نار يعني الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب
الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين يعني مشرق الصيف وهو
غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس ورب المغربين يعني مغرب الصيف ومغرب
الشتاء وقيل يعني مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج
البحرين يعني أرسل البحرين العذب والمالح متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين لا من شأنهما الاختلاط وقوله
يلتقيان ذكر الله تعالى عظمته في طبعهما بالبرزخ وهو قوله بينهما برزخ أي حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان أي لا يبغي
أحدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر
الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الأرض
يلتقيان يعني كل عام فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما قيل إنما يخرج من البحر المالح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر
فيهن نورا وقيل إنه يخرج من أحدهما بحذف المضاف وقيل لما التقى البحران صار كالشيء الواحد جاز
أن يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل
إنه الصدف من السماء فتتفتح الأصداف أفواهها فحيث ما وقعت قطرة كانت لؤلؤة على قدر القطرة وقوله اللؤلؤ
قيل هو ما عظم

يكون

الى

يبدوا

باغنيناك

قيل هو ما عظم من الدر والمرجان صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار
يعني السفن الكبار المنشئات اي المرفوعات وهي ترفع خشبها بعضها على بعض وقيل هي ما رفع من قلعها من السفن واما
ما لم يرفع قلعها فليس من المنشئات وقيل معنى المنشئات المحدثات المخلوقات المسخرات في البحر كالاعلام اي كا
لجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر فبأي آلاء ربكما تكذبان قوله عز وجل كل من عليها
اي على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظ من تغليبا للعقلاء فان اي هالك لان وجود الانس والجن فيها عرض فهو غير باق وما
ليس بباق فهو فان وفيه الحث على العبادة وصرف الزمان اليسير الى الطاعة ويبقى وجه ربك يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة
وفي الخطاب وجهان احدهما انه مع كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه الثاني يحتمل ان يكون
الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ذو الجلال اي ذو العظمة والكبرياء ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وا
لاكرام اي المكرم لانبيائه واوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته فبأي آلاء ربكما تكذبان عن
انس بن ملك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذي وقال الحاكم
حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا اي الزموا هذه الدعوة واكثروا منها قوله تعالى يسئله من في السموت والارض يعني
من ملك وانس وجن ولا يستغني عن فضله اهل السموت والارض قال ابن عباس اهل السموت يسئلونه المغفرة واهل الارض يسئلونه
الرزق والمغفرة وقيل معناه ان الكل يسئله ما يحتاج اليه في دينه ودنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان
جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى كل يوم هو في شأن قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان
الله تعالى لا يقضي يوم السبت شيئا قال المفسرون من شأنه ان يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مر
يضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من افعاله واحدا
ثه في خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى وروى البغوي باسناده عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من
ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز
ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله عز وجل يومان احدهما
مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة والشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار الذي هو بالامر والنهي والاحياء و
والاماتة والاعطاء والمنع والشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضيل هو سوق
المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بال
فعل فيوجده في ذلك الوقت وقال ابو سليمان الداراني في هذه الاية له في كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل شأنه تعالى انه
يخرج كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا من الدنيا الى وعسكرا من
القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايه الثقلان قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحا
سبة وليس هو بفراغ من شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن وهو كقول القائل لمن يريد تهديده لأتفرغن لك وما به
شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن وقيل معناه سنقصد لكم بعد الترك والامهال
ونأخذ في امركم وهذا كقول القائل الذي لا شغل له قد فرغت لي وقيل معناه ان الله عز وجل وعد اهل التقوى واوعد اهل
الفجور وقال سنفرغ لكم مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم فيتم ذلك ونفرغ منه
فهو على طريق المثل اراد بالثقلين الانس والجن سمي ثقلين لانهما ثقل على الارض احياء وامواتا وقيل كل شيء له قدر ووزن
ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب وعترتي فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما الله
وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الجن والانس ثقلين بالذنوب فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا
ثقلين لانهما مثقلان

اي تخرجوا من اقطار السموت والارض اي من جوانبهما واطرافهما فانفذوا اي فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان تهربوا من الموت
والخروج من اقطار السموت والارض فاهربوا واخرجوا منها فحيث ما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيمة والمعنى
ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السموت والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم ان تهربوا
من قضائي وتخرجوا من ملكي ومن سمائي وارضي فافعلوا وقدم الجن على الانس في هذه الاية لانهم اقدر على النفوذ والهروب
من الانس واقوى على ذلك وقال تعلى لا تنفذون الا بسلطن يعني لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة وانا لكم ذلك
لا نكم حيث ما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموت والارض فاعلموا ولن
تعلموه الا بسلطان يعني ببينة من الله تعلى فباي الاء ربكما تكذبان وفي الخبر يحاط على الخلق بالملايكة وبلسان من نار ثم
ينادي يا معشر الجن والانس ان استطعتم الاية فذلك قوله تعلى يرسل عليكما شواظ من نار وقال اكثر المفسرين هو
اللهيب الذي لا دخان فيه وقيل هو اللهيب الاخضر المنقطع من النار وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل
عليهم هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالاخر فلا تنتصران يعني فلا تمتنعان من الله ولا يكون
لكم ناصر منه فباي الاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء اي انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملايكة وقيل المراد منه
خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى اهل الارض ذكر في هذه الاية بيان حال سكان السماء وقيل فيه
تهويل وتعظيم للامر والغاية اشارة الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذلك بانها قوله
تعلى فكانت وردة كالدهان جمع دهن شبه تلوين السماء عند انشقاقها بتلوين الفرس الورد وهو الابيض الذي
يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون بتلون الوان الفرس الورد يكون في الربيع اصفر وفي اول الشتاء احمر واذا اشتد
اشتد البرد صار اغبر فشبه السماء في تلوينها عند انشقاقها بهذا الفرس بتلوينه وقيل كالدهان كعصير الزيت
وقيل انه يتلون في الساعة الوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذايب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقيل كالدهان
هو الاديم الاحمر فباي الاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قيل لا يسئلون عن ذنوبهم لتعلم
من جهتهم لان الله تعلى علمها منهم وكتبت الحفظة عليهم وهذه رواية ابن عباس وعنه لا تسئل الملايكة المجرمين
لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن عباس ايضا في الجمع بين هذه الاية وبين قوله فوربك لنسئلنهم
اجمعين قال لا يسئلهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك منهم ولكنه يسئلهم اعملتم كذا وكذا وقيل انهما مواطن
فيسئل في بعضها ولا يسئل في بعضها وعن ابن عباس ايضا قال لا يسئلون سوال الشفقة والرحمة انهم يسئلون سوال توبيخ
وتقريع وقيل لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم فباي الاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم يعني بسواد
وجوههم وزرقة عيونهم فيوخذ بالنواصي والاقدام قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف ظهورهم
وقيل تجعل رؤوسهم على ركبهم ونواصيهم في اصابع ارجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم
بالاقدام ثم يلقون في النار فباي الاء ربكما تكذبان هذه جهنم اي يقال لهم اذا القوا فيها هذه جهنم التي يكذب بها
المجرمون يعني المشركين يطوفون بينها وبين حميم ان يعني قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الجحيم
وبين الحميم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الان الذي صار كالمهل قال كعب الاحبار ان واديا من اودية
جهنم يجمع فيها صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه
وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعلى يطوفون بينها وبين حميم ان فباي الاء ربكما
تكذبان فان قلت هذه الامور المذكورة في هذه الايات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف قال
في هذه الاية فباي الاء ربكما تكذبان قلت المذكور في هذه الايات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك
نعمة من الله

ونحاس قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وهو رواية اخرى عن ابن عباس الحل
تلون

اللهم صل على سيدنا محمد

86

نعمة من الله تعالى لأنها تزجر العبد عن المعاصي فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان
ثم ذكر ما أعد لمن اتقاه من عباده المؤمنين فقال عز وجل ولمن خاف مقام ربه يعني مقامه بين يدي ربه للحساب فترك
الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيتركها
من مخافة الله تعالى وما عمله من خير أخلصه لله تعالى ولا يحب أن يطلع عليه أحد وقيل المؤمنين خافوا ذلك المقام فـ
فعملوا لله مع الإخلاص ودأبوا الليل والنهار جنتان يعني جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة لخوفه به وجنة بتركه شهوته
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا يقول
إن سلعة الله الجنة أخرجه الترمذي قوله أدلج الإدلاج مخففا يسير أول الليل ومثقلا يسير آخر الليل والمراد
من الإدلاج التشمير والجد والاجتهاد في أول الأمر فإن من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوي بسنده عن أبي
الدرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وإن زنا وإن سرق
وإن سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت ثانية وإن زنا وإن سرق
يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة
ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وإن زنا وإن سرق يا رسول الله قال وإن زنا وإن سرق رغم أنف أبي الدرداء
فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال تعالى ذواتا أفنان أي أغصان واحدها فنن وهو الغصن
المستقيم طولا وقيل ذوات أظلال وهو ظل الأغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذوات ألوان يعني ألوان الفواكه وجمع
عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفواكه وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لأهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم و
الأخرى السلسبيل وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما
من كل فاكهة زوجان أي صنفان ونوعان وقيل معناه إن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس
ما في الدنيا من ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش
جمع فراش بطائنها جمع بطانة وهي التي تلي الأرض من تحت الظهارة من إستبرق وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود
وأبو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر وقال سعيد بن جبير البطائن من إستبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا
تعلم نفس ما أخفي لهم وقال أيضا بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك
الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعلم ما في الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نها
ية هذه الفرش لأنه ذكر بطائنها من الإستبرق ولابد أن تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر وجنى الجنتين وتعب
دان يعني أن ثمرها قريب يناله القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فإنها لا تنال إلا بكد قال ابن عباس تدنو الشجرة
حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا وقيل لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن قال
الضمير إلى ماذا يعود قلت إلى الجنتين وإنما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس قاصرات
الطرف أي غاضات قصرن طرفهن إلا على أزواجهن ولا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما
أرى في الجنة شيئا أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك لم يطمثهن أي لم يجامعهن ولم يفترعهن والمعنى لم
يدمهن بالجماع وقيل لم يمسسهن والمعنى لم يطأهن ولم يغشاهن إنس قبلهم أي قبل أزواجهن من أهل الجنة ولا جان وقيل الحور
نفى الجان لهم أزواجا في الجنة منهم وفي الآية دليل على أن الجن يغشى كما يغشى الإنس وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال
نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الإنسيات للإنس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الآية إذا جامع ولم يسم انطوى الجن على

احليله يجامع معه واختلف في هؤلاء اللواتي لم يطمثهن فقيل هو الحور لانهن خلقهن في الجنة فلم يمسسهن احد قبل ازواجهن
وقيل هن نساء الدنيا انشين خلقا اخر ابكارا كما وصفن لم يزل بهن مرة وانشين خلقا اخر يغشهن احد غيره فبأي آلاء ربكما
تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اي صفاء الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ واشده بياضا وقيل شبه
لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن البياض المشوب بحمرة والاصح انه شبههن بالياقوت لصفائه فانه حجر
لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايت السلك من ظاهره لصفائه قال ابن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين
حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من اهل الجنة ليرى من بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك ان الله
تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت سلكا ثم استصفيته لرايته من ورائه اخرجه الترمذي قال و
قد روي عن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من
زمرة تلج الجنة صورهم على صورة ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبصقون فيها
ولا يتمخطون ولا يتغوطون وانيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ومجامرهم اللؤلؤ ورشحهم المسك ولكل
واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا
وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم اللؤلؤ يعني بخورهم العود فبأي آلاء ربكما تكذبان
هل جزاء الاحسان الا الاحسان اي ما جزاء من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة قال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله
وعمل بما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول
هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال في هذه الاية يقول الله عز وجل هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحضرة قدسي برحمتي وقيل
في معنى الاية هل جزاء من اتى بالفعل الحسن الا ان يوتى في مقابلته بفعل حسن وفي الاية اشارة الى رفع التكليف في الاخرة لان الله وعد
المومن بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الاخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك
الاحسان اليه فلا تكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان قوله عز وجل ومن دونهما جنتان اي ومن دون الجنتين الاوليين
جنتان اخريان قال ابن عباس ومن دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه جنتان من ذهب
للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جبير هي اربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان
لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا
رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكلبي ومن دونهما جنتان يعني امامهما وقبلتهما يدل عليه قول الضحاك والجنتان
الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوتة وزبرجد وهما افضل من الاوليين فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم
وصف الجنتين فقال تعالى مدهامتان اي ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت
الى السواد فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس ينضخان بالخير
والبركة على اهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على اولياء الله تعالى وقال انس بن مالك ينضخان
بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كنضح المطر فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان اي في الجنتين من
من انواع الفواكه كلها وانما فصل النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما وشرفهما على ساير
الفواكه

قيل هو الذي صاد الذي من ابل بحال اوهم الا الاية
السلاطة في القصص عنهن لان ذلك اقرض الاصل
ازواجهن اذا لم يحسن [illegible]

الفم
ب
يري

الفواكه
~~تنبيها على فضلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل وهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته وشرفهما~~
الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين واهل اللغة قالوا انما فضلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من
كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فضلهما وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعض
ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال
ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف اهل اللغة ولا
حجة له في الاية روى البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها من زمرد اخضر وكربها ذهب احمر
وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها امثال القلال والدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من
الزبد ليس له عجم وروي ان الرمانة من رمان الجنة كجلد البعير المقتب وقيل ان نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نز
عت عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا فباي الاء ربكما تكذبان فيهن اي الجنان الاربع خيرات حسان
روي عن ام سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق
حسان الوجوه فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات اي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت لاهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملات ما بينهما ريحا
ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها وقال ابن عمر ان ادنى اهل الجنة من يخدمه الف خادم كل واحد على
عمل ما يعمله الاخر وروي ان سوق اهل الجنة فيه يجتمع الحور العين فمن اشتهى زوجة منهن اخذ ما يشاء وقيل قصر
قصرن طرفهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا في الخيام قيل هي البيوت قال ابن عباس عند الاعراب الخيمة لا
لا تكون الا من اربعة قوائم ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا اقام
بها وتظلل فيها وقيل هي خيام من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور في الجنة وعن ابي موسى الا
شعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمومن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها
في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمومن فيها اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا فباي
الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان تقدم تفسيره فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف
خضر قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى هذا عن ابن عباس وقيل الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول
المجالس والبسط منه وقيل هي محابس خضر فوق الفرش وقيل هو المرافق وقيل الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو
رفرف وعبقري حسان قيل هو الزرابي والطنافس الثخان وقيل هي الطنافس المخملة الى الرقة ما هي وقيل كل ثوب موشى
عند العرب عبقري قال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم في عمر فلم ار عبقريا يفري فريه عجيب واصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهي ارض يسكنها الجن
فصار مثلا لكل منسوب الى شيء رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وانهم ياتون بكل امر
عجيب بليغ فباي الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام قال العلماء ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية وختم نعم الاخرة بهذه الاية وهو اشا
رة الى تمجيده وتحميده م عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من الصلاة استغفر ثلاثا وقال اللهم
انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اخرجه
ابو داود والنسائي غير قوله لم يقعد الا مقدار ما يقول والله اعلم

تفسير سورة الواقعة

مكية وهي تسع وتسعون آية وثلاث مائة وسبعون كلمة وألف وسبع مائة وثلاثة
أحرف روى البغوي بسنده عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا قال وكان أبو ظبية لا يدعها أبدا أخرجه ابن الأثير في كتابه
جامع الأصول ولم يعزه بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل إذا وقعت الواقعة أي إذا قامت القيامة
وقيل إذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة الأخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة ليس لوقعتها أي لمجيئها
كاذبة أي ليس لها كذب والمعنى أنها تقع صدقا وحقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة أي كل ما أخبر
الله عنها أو قص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل ليس لوقعتها نفس كاذبة أي كل من يخبر عن وقوعها
صادق وغير كاذب لم تكذب نفس أخبرت عن وقوعها خافضة رافعة أي تخفض أقواما إلى النار وترفع
أقواما إلى الجنة وقال ابن عباس تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا في الدنيا متواضعين وقيل
تخفض أقواما بالمعصية وترفع أقواما بالطاعة إذا رجت الأرض رجا أي إذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك أن الله
تعالى إذا أوحى إليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء و ينهدم
عليها وينكسر ويتكلم كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا أي فتتت حتى صارت كالدقيق
المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة وقيل معناه قلعت من أصلها وسيرت على وجه
الأرض حتى ذهبت بها فكانت هباء منبثا أي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس ~~وهو المبلول~~ وقيل
أصلها معناه قلعت من أصلها إذا دخل الكوة وهو الهباء وكنتم أزواجا ثلاثة أي أصنافا ثلاثة ثم فسر الأزواج فقال
يعني أصحاب اليمين تعالى فأصحاب الميمنة والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وقال ابن عباس
هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي
وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين أي مباركين على أنفسهم وكانت
أعمالهم صالحة في طاعة الله تعالى وهم التابعون بإحسان ما أصحاب الميمنة تعجب من حالهم في السعادة
والمعنى أي شيء هم وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة هم أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات
الشمال إلى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم حين أخرج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء إلى النار
ولا أبالي وقيل هم الذين يؤتون كتابهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمالهم في المعاصي
والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى والسابقون السابقون قال ابن عباس السابقون إلى الهجرة السابقون في الجنة إلى
الآخرة وقيل هم السابقون إلى الإسلام وقيل هم الذين صلوا إلى القبلتين من المهاجرين والأنصار وقيل هم
السابقون إلى الصلوات الخمس وقيل إلى الجهاد وقيل هم المسارعون إلى التوبة وإلى ما دعا الله إليه من أعمال البر
والخير وقيل أهل القرآن المتوجون يوم القيامة فإن قلت لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين قلت هم
فيه لطيفة وذلك أن الله تعالى ذكر في أول السورة من الأمور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا للعباد فإما محسن
فيزداد رغبة في الثواب وإما مسيء فيرجع عن إساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا
ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر ليجتهد أصحاب اليمين
في القرب من درجتهم ثم أتى بمدح السابقين فقال تعالى أولئك المقربون أي من الله في جواره وفي ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله تعالى في
جنات النعيم قوله تعالى ثلة أي جماعة غير محصورة العدد من الأولين أي من الأمم الماضية من لدن آدم إلى زمان نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وقليل من الآخرين يعني من هذه الأمة وذلك أن الذين عاينوا جميع الأنبياء وصدقوهم من الأمم الماضية أكثر ممن عاين النبي صلى الله
عليه وسلم

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

سباق

عليه وسلم وامته وقيل الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني التابعين لهم
باحسان وقيل ان الاولين هم المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين من بعدهم من الصحابة على سرر موضونة
اي منسوجة بالذهب والجوهر وقيل موضونة يعني مصفوفة متكئين عليها اي على السرر متقابلين يعني لا ينظر بعضهم
في قفا بعض وصفوا باحسن العشرة في المجالسة وقيل انهم صاروا ارواحا نورانية صافية ليس لهم ادبار ولا ظهور
يطوف عليهم اي للخدمة ولدان اي غلمان مخلدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة و
قيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق في الاذن واختلفوا في هؤلاء الولدان فقيل هم اولاد المومنين
الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله تعالى اخبر انه يلحقهم بآبائهم ولان المومنين من اولاده فلو خدمه ولد غيره
كان فيه منقصة بابيه الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول اقرب من الاول لانه اختلف
في اولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب
الثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال
ما توا لم يكن لهم حسنات يثابوا عليها ولا سيئات يعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة
والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان شاء الله تعالى انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور وهم
وان يولدوا ولم يحصلوا على ولادة اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت
باكواب جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرى واباريق جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والتي
سميت اباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها وكاس من معين اي من خمر جارية لا
يصدعون عنها اي لا تصدع رؤوسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها ولا ينزفون اي لا يغلب
على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون من خيارها
ولحم طير مما يشتهون قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على
صحفة الرجل فياكل منه ما يشاء ثم يطير فان قلت هل في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة
قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع
تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو
مختار واهل الجنة انما ياكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة
من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل ولهذا قدم الفا
كهة على اللحم والله اعلم وحور عين او يطوف عليهم حور عين وجاء في تفسير حور اي بيض عين اي ضخام العيون
كامثال اللؤلؤ المكنون اي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في
نهاية الصفاء وروي انه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا قيل ضوء ثغر حوراء ضحكت وروي ان الحوراء اذا مشت يسمع
تقديس الخلخال من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت ليضحك من نحرها وفي رجلها نعلان من ذهب شرا
كهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح جزاء بما كانوا يعملون اي فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا بالطاعة لا
يسمعون فيها اي في الجنة لغوا قيل اللغو ما يلغى عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح من الكلام والمعنى ان
ليس فيها لغو فيسمع ولا تاثيما قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به
اهل الدنيا وقيل معناه لا يكون تاثيما اي ما هو سبب التاثيم من قول وفعل قبيح الا قيلا معناه لكن يقولون قيلا او يسمعون
قيلا سلاما سلاما يعني يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم ويرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم

وقيل وهم حور عين

يسلم من اللغو ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين لما بين حال السابقين
شرع في بيان أصحاب اليمين فقال تعالى في سدر مخضود أي لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه هذا قول
ابن عباس وقيل هو الموقر حملا وقيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب با
لطائف فأعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية وطلح قيل هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل
هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفون — مثل
إلا أن فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على النار منضود أي متراكم قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره ليست له سوق بارزة
بل هو من عروقه إلى أغصانه ثمر وليس شيء من ثمر الجنة في غلف كثمر الدنيا من الباقلا والجوز ونحوهما بل كلها مأكول و
مشروب ومشموم ومنظور إليه وظل ممدود أي دائم لا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لأن ظلها
كله لا شمس فيها ق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لشجرة يسير الراكب
في ظلها مائة سنة واقرؤوا إن شئتم وظل ممدود ق وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق
يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليهم ريحا من الجنة فتحرك
تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا وماء مسكوب أي مصبوب يجري دائما في غير أخدود لا ينقطع وفاكهة كثيرة لا
مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس لا تنقطع إذا جنيت ولا تمنع من أحد إذا أراد أخذها وقيل لا مقطوعة بزمان ولا
ممنوعة بالأثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولا يوصل إليها إلا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين
الدنيا وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله عز وجل مكانها ضعفين وفرش مرفوعة قال علي م
رفوعة على الأسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال إن ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما مسيرة خمسمائة
عام أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث وارتفاعها كما بين
السماء والأرض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وقيل أراد بالفرش
النساء والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة يعني رفعن بالجمال وال
فضل على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله في عقبه إنا أنشأناهن إنشاء أي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس
يعني الآدميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر فجعلناهن أبكارا يعني عذارى عن أنس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أنشأناهن إنشاء من النشآت التي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا أخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وضعف بعض رواته ق روى محمد بن عيسى الترمذي بسنده عن الحسن قال أتت عجوز للنبي صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز فولت تبكي فقال أخبرو
ها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا هذا حديث مرسل ق روي بإسناد
الثعلبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إنا أنشأناهن إنشاء قال عجائز في الدنيا عمشا — كنا
رمصا فجعلناهن أبكارا قال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن
وجدوهن أبكارا إنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولا — وقيل
دة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع عربا جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه
وعنه أنها الملقة وقيل الغنجة وعن أسامة بن زيد عن أبيه قال حسان الكلام أترابا يعني أمثالا في الخلق وقيل هن
مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل

عربا

أهل الجنة الجنة جردا

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابناء ثلاثين وقيل ثلاث وثلاثين سنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لاصحاب
اليمين يعني انا انشأناهن لاصحاب اليمين وقيل هذه التي تكون لاصحاب اليمين ثلة من الاولين يعني من المومنين
الذين هم قبل هذه الامة وثلة من الاخرين يعني من مومني هذه الامة يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي
عن عروة بن رويم قال لما انزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين
بكى عمر وقال يا نبي الله امنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادم الينا
ثلة ومنا الى يوم القيمة ثلة ولا يستتمها الا السودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الامم فرايت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والر
جلان والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة
بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في اولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب
ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لعلهم الذين ولدوا في الاسلام
ولم يشركوا بالله وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال
هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع
الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة والرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل الى اربعين وقال
اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده اني
لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مومنة مسلمة وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة
البيضاء في جلد الثور الاسود او كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وذهب جماعة الى ان الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول ابي العالية ومجاهد وعطاء بن ابي رباح و
الضحاك قالوا ثلة من الاولين وثلة من الاخرين من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة ايضا
في اخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الاية قوله وهي ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من امتي وهذا القول هو الذي اختاره
الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وعاينه وجماعة ممن امن به وكان
بعده ولم يعاينه فان قلت كيف قال في الاية الاولى وقليل من الاخرين وقال في هذه الاية وثلة من الاخرين قلت الاية
الاولى في السابقين الاولين وقليل من يلحق بهم من الاخرين وهذه الاية في اصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والاخرين وحكى
بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الايتين خبر
والخبر لا يدخله النسخ قوله تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال قد تقدم انه بمعنى التعجب من حا
لهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم من العذاب فقال تعالى في سموم في
حر جهنم وقيل في ريح شديدة الحرارة وحميم اي ماء حار وظل من يحموم يعني في ظل من دخان شديد السواد وقيل
ان النار سوداء واهلها سود وكل شيء فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسماء النار لا بارد ولا كريم يعني لا بارد
المنزل ولا كريم المنظر وذلك ان فائدة الظل ترجع الى امرين احدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه
مكرما وظل اهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان اسود حار ثم بين بما استحقوا ذلك فقال تعالى انهم كانوا
قبل ذلك مترفين يعني في الدنيا منعمين وكانوا يصرون على الحنث العظيم يعني على الذنب الكبير وهو الشرك

فظننت هؤلاء انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فاذا سواد عظيم صح

وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الاية
وهو قوله تعالى وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون فرد الله تعالى عليهم بقوله
قل إن الأولين والآخرين يعني الآباء والأبناء لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم يعني أنهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب
ثم إنكم أيها الضالون أي عن الهدى المكذبون أي بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل إنه عام في كل مكذب لآكلون من
شجر من زقوم تقدم تفسيره فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم يعني الإبل العطاش
قيل الهيام داء يصيب الإبل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الأرض ذات الرمل التي لا تروى
بالماء قيل يلقى على أهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون هذا نزلهم يعني ما ذكر من الزقوم
والحميم أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم يوم الدين يعني يوم القيامة يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج
عليهم في البعث بقوله تعالى نحن خلقناكم يعني ولم تكونوا شيئا وأنتم تعلمون ذلك فلولا أي فهلا تصدقون يعني با
لبعث بعد الموت قوله عز وجل أفرأيتم ما تمنون يعني ما تصبون في الأرحام من النطف أأنتم تخلقونه أي أأنتم تخلقون ما
تمنون بشرا أم نحن الخالقون أي أنه خلق النطفة وصورها وأحياها فلولا تصدقون بأنه واحد قادر على أن يعيدكم كما
أنشأكم احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق نحن قدرنا بينكم الموت يعني الآجال فمنكم من يبلغ الكبر
الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه أنه جعل أهل السماء
وأهل الأرض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا وما نحن بمسبوقين يعني لا
يفوتني شيء أريده ولا يمتنع مني أحد وقيل معناه نحن مغلوبين عاجزين على إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم وهو قوله وما
تعالى على أن نبدل أمثالكم أي بأن نخلق مثلكم بدلا منكم في أسرع حين وننشئكم أي نخلقكم فيما لا تعلمون أي من الصور
والمعنى نغير خلقكم إلى ما هو أسمج منها من خلق شيئا وقيل نبدل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا
بمن كان قبلكم أي إن أردنا أن نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد بن المسيب في ما لا تعلمون في حواصل طير سود كأنها
الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الأقوال كلها تدل على المسخ وعلى أنه لو شاء أي يجعلهم
بأمثالهم من بني آدم فقدر ولو شاء أن يمسخهم في غير صورهم فقدر وقال بعض أهل المعاني هذا يدل على النشأة
الثانية يكونها الله تعالى في وقت لم تعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما يعلمون الإنشاء الأول من جهة التناسل
ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم في وقت لا تعلمون يعني وقت البعث والقيامة وفيه فائدة
وهي التحريض على العمل الصالح لأن التبديل والإنشاء هو الموت والبعث وإذا كان ذلك واقع في زمن لا يعلمه أحد فينبغي أن لا
يتكل الإنسان على طول المدة ولا يغفل عن إعداد العدة ولقد علمتم النشأة الأولى أي الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئا و
فيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة فلولا تذكرون أي ذلك بأني قادر على إعادتكم كما قدرت على ابتدائكم أول مرة قوله تعالى
أفرأيتم ما تحرثون لما ذكر الله عز وجل ابتداء الخلق وما فيه من الدلائل الواضحة ذكر بعده الرزق لأنه البقاء وذكر أمورا
ثلاثة المأكول والمشروب وما به إصلاح المأكول ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول أولا لأنه هو الغذاء وتبعه
بالمشروب لأن به الاستمراء ثم النار التي بها الإصلاح وذكر من أنواع المأكول الحب لأنه هو الأصل ومن المشروب
الماء لأنه أيضا هو الأصل وذكر من المصلحات النار لأن بها إصلاح أكثر الأغذية فقوله أفرأيتم ما تحرثون أي تثيرون
من الأرض وتلقون فيها البذر أأنتم تزرعونه أي تنبتونه وتنشئونه حتى يشتد ويقوم على سوقه أم نحن الزارعون معناه
أأنتم فعلتم ذلك أم الله عز وجل ولا شك في أن إنبات الحب في السنبل ليس بفعل أحد غير الله تعالى وإن كان إلقاء البذر من
فعل الناس لو نشاء لجعلناه يعني ما تحرثون وتلقون فيه البذر حطاما أي تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في
مطعم ولا غيره

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاني بقول نحن نحرث وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد
الله على هذه المعاني بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون على حفظه اي هو يبقى وعن نفسه بنفسه تلك
لا فائدة التي نصيبه ولا يشك احد ان في الآفات ليبين الاثم من الله وحقيقته وارادته فظلتم تفكهون اي تتعجبون مما
نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصي التي اوجبت تلك
العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات انا لمغرمون اي وتقولون انا لمغرمون
لمهلكون في القوت ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقال ابن عباس لمعذبون يعني انهم عذبوا بذهاب اموالهم
بغير فائدة والمعنى انا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض بل نحن محرومون اي ممنوعون والمعنى حرمنا الذي
كنا نطلب من الريع والزرع افرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون ذكرهم الله تعالى نعمه
عليهم بانزال المطر من المزن الذي لا يقدر عليه الا الله تعالى لو نشاء جعلناه اجاجا قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه
فلولا تشكرون يعني نعمه عليكم افرأيتم النار التي تورون يعني التي تقدحون من الزناد أأنتم انشأتم شجرتها يعني التي يقدح
منها النار وهي المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح منهما النار وهما رطبان وقيل ان جميع ما يوقد به النار ام نحن
المنشئون نحن جعلناها تذكرة اي للنار الكبرى ومتاعا اذا رآها الرائي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله عز
وجل ويخاف عقابه وقيل موعظة له ليتعظ بها المؤمن عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت
عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها ومتاعا اي بلغة ومنفعة للمقوين يعني المسافرين والمقوي النازل
في الارض القوي وهي القفار الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادي والسفار فان منفعتهم اكثر
من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي بها الضال الى غير ذلك من المنافع وهذا قول اكثر
المفسرين وقيل المقوين المستمتعين بها في الظلمة ويصطلون بها في البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز الى غير
ذلك وقيل المقوي الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا
ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لا غنى لاحد عنها فسبح باسم ربك العظيم لما ذكر ما يدل على وحدانيته وقد
رته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى
فسبح باسم ربك العظيم قوله عز وجل فلا اقسم قال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل
لا على اصلها وفي معناها وجهان احدهما انها ترجع الى ما تقدم ومعناه النهي وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من
النعم والحجج والوجه الثاني ان لا رد لما قاله الكفار في القرآن من انه شعر وسحر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون
ثم استأنف القسم فقال اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل ان لا هنا معناها النفي كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو
يريد تعظيم الامر لا النهي عن السؤال بمواقع النجوم قال ابن عباس اراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم متفرقا نجوما وقيل اراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل اراد منازلها وقيل انكدارها وانتشارها يوم
القيامة وقيل مواقعها انقضاضها في اثر الشياطين عند الرجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم قيل هذا يدل على ان المراد بمواقع
النجوم نزول القرآن والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك لو تعلمون ما
علموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم اي الكتاب
الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآن كريم اي عزيز مكرم لانه كلام الله عز وجل ووحيه الى نبيه صلى الله عليه
وسلم وقيل الكريم الذي من شانه ان يعطي الكثير وسمي القرآن كريما لانه يعطي الدلائل التي تؤدي الى الحق في الدين

انتم

الشجر الذي

يعني نار التي

النازل

[illegible]

وقيل معناه

سبع

وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم
يستمد منه ويحتج به والأديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل سمي كريما لأن كل أحد
يناله ويحفظه من صغير وكبير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل الكريم الذي إذا تكرر مرارا لا يسأمه السامعون ويهون
في الأعين وتمله الآذان والقرآن كريم عزيز لا يهون بكثرة التلاوات ولا يخلق بكثرة الترديد ولا يمله السامعون ولا يثقل
على الألسنة بل هو غض طري يبقى أبد الدهر كذلك في كتاب مكنون أي مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ
من الشيطان من أن يناله بسوء وقيل المراد بالكتب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتغيير والقول
الأول أصح لا يمسه أي ذلك الكتب المكنون إلا المطهرون وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب
والأحداث يروى هذا القول عن ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبير وأبو العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة
الكرام البررة وعلى القول الثاني بأن المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات
وظاهر الآية نفي معناه نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس
وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأكثر الفقهاء ويدل عليه ما روى مالك في الموطأ
عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم أن لا
يمس القرآن إلا طاهر أخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن جده أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتب لأهل اليمن بهذا والصحيح فيه الإرسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن إلا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع
كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو وأراد به المصحف وقال الحكم
وحماد وأبو حنيفة يجوز للجنب والمحدث حمل المصحف ومسه بعلاقة فإن قلت إذا كان الأصح أن المراد من
الكتاب هو اللوح المحفوظ وأن الضمير في لا يمسه إلا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد به المصحف لقال لا
يمسه إلا المتطهرون فكيف يصح قول الشافعي لا يجوز للمحدث مس المصحف قلت من قال إن الشافعي أخذه
من صريح الآية حمله على التفسير الثاني وهو القول بأن المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال أخذه من طريق الاستنباط في التفسير
قال نفي المس بغير طهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشرة المصحف
الكريم والصحيح أنه السنة وغير ما تقدم من الأحاديث والله تعالى أعلم وقوله تنزيل من رب العالمين أخذه من
صفة للقرآن أي منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه
رد على من قال القرآن شعر وسحر وكهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين قوله عز وجل أفبهذا الحديث أن لا
يعني القرآن أنتم أي يا أهل مكة مدهنون قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن هو الكذاب المنافق وهو
الجري في الباطن على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وإن صرح بالتكذيب والكفر و والمداهن
تجعلون رزقكم أي حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون قال الحسن في هذه الآية خسر عبد لا يكون
حظه من كتاب الله تعالى إلا التكذيب به وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي بنعمة التكذيب
الله عليكم وهذا في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا إذا أمطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر
من فضل الله عليهم فقيل لهم أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الإنزال إلى النجم فقد كذب برزق بما جاء به
الله ونعمه وقد كذب بالقرآن والمعنى تجعلون بدل الشكر التكذيب وعن زيد بن خالد الجهني صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال أتدرون ماذا قال ربكم
قالوا الله ورسوله أعلم

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

90

قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي
وكافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ورواه مسلم عن ابن عباس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم إلى قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق
من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون من الكوكب كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن أبي طا
لب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون في شكركم تقو
لون مطرنا بنوء كذا وكذا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله على أثر سماء أثر مطر
والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء إذا سقط وغاب وقيل ناء إذا نهض وطلع واختلف العلماء في معنى الحديث
قال
وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين أحدهما أنه كفر بالله تعالى سالب لأصل الإيمان مخرج عن ملة الإسلام وذلك
فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر منشئ المطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك
في كفره وهذا القول الذي ذهب إليه جماهير العلماء منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا
بنوء كذا وهو معتقد أن ذلك من الله ورحمته وأن النوء ميقات له وعلامة أي مطرنا في وقت طلوع نجم كذا
ولم يقصد إلى فعل النجم كما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نوء
الثريا فقال إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث النا
س وإنما أراد عمر كم بقي من الوقت الذي جرت العادة إذا تم أتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا في كراه
ية هذا والظاهر أنها كراهية تنزيه لا إثم فيه ولا تحريم وسبب هذه الكراهية أنها كلمة مترددة بين الكفر
وغيره فيساء الظن بقائلها ولأنها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثاني في تأويل أصل
الحديث أن المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب وهذا فيمن لا يعتقد
تدبير الكوكب ويؤيد هذا القول حديث أبي هريرة ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها
كافرين فقوله بها يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم قوله تعالى فلولا أي فهلا إذا بلغت الحلقوم أي النفس أو الروح
إلى الحلقوم عند الموت وأنتم يعني يا أهل مكة حينئذ تنظرون يعني إلى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون إلى
الميت
أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا ونحن أقرب إليه منكم أي بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا
الذين يقبضون روحه أقرب إلى الميت منكم ولكن لا تبصرون أي الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون
أي لا تعلمون ذلك فلولا إن كنتم غير مدينين أي مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين ترجعونها إن كنتم صادقين أي
تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله فلولا إذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا
إن كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي
فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله تعالى
فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى فأما إن كان من المقربين يعني السابقين فروح
يعني فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة وريحان أي وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذي يشم قال
أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فيقبض روحه وجنة نعيم أي
وله جنة نعيم يفضي إليها في الآخرة قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار وأما إن كان
يعني المتوفى من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين أي فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم

فانهم سلموا من عذاب الله وانك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم
وقيل معناه مسلم لك انهم من اصحاب اليمين ويقال اصحاب اليمين مسلم لك انك من اصحاب اليمين وقيل فسلام لك من اصحاب
اليمين **واما ان كان من المكذبين** بالبعث **الضالين** اي عن الهدى وهم اصحاب الشمال **فنزل من حميم** اي الذي يعد لهم حميم
جهنم **وتصلية جحيم** اي ادخال نار عظيمة **ان هذا** يعني ما ذكر من قصة المحتضرين **لهو حق اليقين** اي لا شك فيه وقيل
ان هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الاقاصيص وما اعد الله تعالى لاوليائه من النعيم وما اعد لاعدائه من
العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه **فسبح باسم ربك العظيم** اي فنزه ربك العظيم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود وعن **حذيفة** رضي الله عنه انه صلى مع النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يقول في ركوعه
سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما اتى على آية رحمة الا وقف وسال وما اتى على آية عذاب الا
وقف وتعوذ اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة **م** عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم. هذا الحديث اخر حديث في صحيح البخاري والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير**
سورة الحديد وهي مدنية وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة واربع واربعون كلمة
والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى **سبح لله**
ما في السموات والارض يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى وتسبيح العقلاء تنزيه الله تعالى عن كل سوء
وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجامد فاختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على
صانعه فكانه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وا
لحق ان التسبيح هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان احدهما
انه يدل على تعظيمه وتنزيهه الثاني ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا
التسبيح المذكور في الآية على القول كان المراد بقوله ما في السموات من في السموات وهم الملائكة ومن في الارض
هم المؤمنون العارفون بالله تعالى وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع اجزاء السموات والارض وما فيها من شمس
وقمر ونجوم وشجر كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال الله تعالى منقادة يتصرف فيها كيف يشاء. فان قلت
قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه **قلت** فيه اشارة الى كون
جميع الاشياء مسبحة لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وتكون مسبحة في المستقبل **وهو
العزيز** اي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شيء **الحكيم** اي الذي جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب **له ملك السموات
والارض** اي انه الغني عن جميع خلقه وهم محتاجون اليه **يحيي ويميت** اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا **وهو على كل شيء
قدير** قوله تعالى **هو الاول والآخر والظاهر والباطن** يعني هو الاول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجودا والآخر بعد
كل فناء كل شيء بلا انتهاء تفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء والباطن العالم بكل شيء. هذا معنى قول ابن
عباس وقيل هو الاول ليس قبله شيء والآخر ليس بعده شيء وقيل هو الاول بوجوده في الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده في
الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول القديم والآخر الباقي

على [illegible] ... الحاضر ... [illegible]

وجوده كل

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

91

وجود كل موجود والآخر يبقى بعد كل مفقود وقال الامام ابو بكر الباقلاني معناه انه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة
وغيرهما التي كان عليها في الأزل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرتهم وحواسهم وتفرق أجسامهم
أجسامهم وقال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا ومعناه انه
الباقي بعد فناء خلقه ومذهب اهل الحق يعني اهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم
كما يقول آخر من بقي من بني فلان يراد به حياته ولا يراد فناء اجسام موتاهم وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن
الباقلاني وقيل هو الاول السابق للاشياء والآخر الباقي بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزا
هرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن ابصار الخلق فلا تستولي عليه الكيفية وقيل هو
الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك
طريق التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيته يستر عليك و
قال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسال عمر كعبا عن
هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وهو بكل شيء عليم م عن
سهيل بن ابي صالح قال كان ابو صالح يامرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات
ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل شيء انت
آخذ بناصيته وفي رواية من شر كل دابة انت آخذ بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك
شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروي ذلك
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما نبي الله صلى الله
عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله
اعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما
فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال اتدرون ما بينكم وبينها
قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال
سماءان بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون
ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش بينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم
قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارضا
اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي
خ على نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط الى الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن
وهو بكل شيء عليم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم في تفسير هذا
الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما
وصف نفسه في كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض حواملها والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء
الدنيا قوله عز وجل هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما
ينزل من السماء وما يعرج فيها تقدم تفسيره وهو معكم اين ما كنتم اي بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من
تعلق علم الله تعالى وقدرته اين ما كان من ارض او سماء بر او بحر وقيل هو معكم بالحفظ والحراسة وقوله والله بما تعملون
بصير يدل على صحة القول الاول له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو

قوله تعالى
عليم بذات الصدور يعني بضمائرها. آمنوا بالله ورسوله لما ذكر الله أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم
والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالإيمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والإعراض عنها والنفقة في جميع
وجوه البر وهو قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يعني المال الذي كان بأيدي غيركم فأهلكهم وأعطاكم إياه
فكنتم في ذلك خلفاء عمن مضى فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم
لتؤمنوا بربكم يعني وأي عذر لكم في ترك الإيمان بالله والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق
بالبراهين والحجج وقد أخذ ميثاقكم أي أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله ربكم
لا إله إلا هو لا إله لكم سواه وقيل أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة والبراهين والحجج التي تدعو
إلى متابعة الرسل إن كنتم مؤمنين يوما ما فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والأعلام ببعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن وهو قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم آيات بينات يعني
القرآن ليخرجكم يعني الله تعالى بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة من الظلمات إلى النور أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان وإن
الله بكم لرءوف رحيم قوله تعالى وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض يقول أي شيء
لكم في ترك الإنفاق فيما يقرب من الله تعالى وأنتم ميتون تاركون أموالكم لغيركم والأولى أن تنفقوها أنتم فيما يقرب
بكم إلى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى لا يستوي
منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوي في ا
لفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعد الفتح أولئك
أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا قال الكلبي نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه أول من أسلم
وأول من أنفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر إسلا
مه بسيفه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنه قال كنت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره فنزل جبريل فقال ما لي أرى أبا بكر
عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال أنفق ماله علي قبل الفتح قال فإن الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له
أراض عني أنت في فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر إن الله يقرئك السلام ويقول لك أراض
أنت في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أسخط على ربي إني على ربي راض وكلا وعد الله الحسنى يعني الجنة قال عطا
درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
أي صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمي هذا الإنفاق قرضا من حيث أنه وعد به الجنة
تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع أوصافا عشرة وهي أن يكون المال من الحلال
وأن يكون من أجود المال وأن تتصدق به وأنت محتاج إليه وأن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها وأن تكتم الصدقة ما
أمكنك وأن لا تتبعها بالمن والأذى وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس وأن تستحقر ما تعطي وتتصدق به وإن
كان كثيرا وأن يكون من أحب أموالك إليك وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة أوصاف إذا اجتمعت في الصد
قة كانت قرضا حسنا فيضاعفه له يعني يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفا وله أجر كريم يعني ذلك الأجر كريم في نفسه
قوله عز وجل يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يعني على الصراط يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أي عن أيمانهم وقيل
أراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من
المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه وقال عبد الله

بن مسعود

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

92

ابن مسعود يوتون نورهم على قدر اعمالهم ومنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من يوتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا
من نوره على ابهامه فيطفى مرة ويوقد مرة وقيل مكني لانه يسعى نورهم بين ايديهم ويعطون كتبهم بايما
نهم وتقول لهم الملائكة بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول
المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا اي انتظروا نقتبس من نوركم اي نستضيء من نوركم قيل يغشى
الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطي الله المومنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين
ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلاما فاطفات نور المنافقين فذلك قوله يوم لا يخزي الله
النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبنا نورهم كما
يسلب نور المنافقين وقيل يستضيئون بنور المومنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المومنون بقوا في الظلمة قالوا
للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم قال ابن عباس يقول لهم المومنون لا نور لكم وقيل يقول لهم الملائكة
ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا
فارجعوا وراءكم فالتمسوا اي فاطلبوا لانفسكم هنالك نورا اي لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون
في طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المومنين وهو قوله تعالى فضرب فضرب
بينهم اي بين المومنين والمنافقين بسور وهو حائط بين الجنة والنار له اي لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة
اي من باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة وظاهره من قبله العذاب اي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار روي
عن عبد الله بن عمرو قال ان السور الذي ذكر الله في القران هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظا
هره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن جريج كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في البيت المقدس انه الباب
الذي قال الله عز وجل فضرب بينهم بسور له باب الاية ينادونهم يعني ينادي المنافقون المومنين من وراء ذلك النور
حين حجزوا بينهم وبقوا في الظلمة الم نكن معكم اي في الدين نصلي ونصوم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتمو
ها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة وتربصتم اي بالايمان والتوبة وقيل تربصتم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وارتبتم اي شككتم في نبوته او فيما وعدكم به وغرتكم
الاماني اي بالاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمومنين حتى جاء امر الله يعني الموت وقيل هو القاؤهم
في النار وهو قوله تعالى وغركم بالله الغرور يعني الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم
اي عوض الله في النار فاليوم لا يوخذ منكم فدية وبدل اي بدل فتفدوا انفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل
منكم ايمان ولا توبة ولا من الذين كفروا يعني المشركين وانما عطف الكافر على المنافقين وان كان المنافق كافرا في الحقيقة
لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق ماواكم النار اي هي مصيركم
هي موليكم اي وليكم وقيل هي اولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هي التي تولى عليكم لانها ملكت امركم
واسلمتم اليها فهي اولى بكم من كل شيء وقيل معنى الاية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له و
بئس المصير قوله تعالى الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة
بسنة وذلك انهم سالوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزلت نحن نقص عليك
احسن القصص فاخبرهم ان القران احسن من غيره فكفوا عن سوال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسالوه فنزلت
هذه الاية الله نزل احسن الحديث فكفوا عن سواله ما شاء الله ثم عادوا فسالوه فنزلت هذه الاية فعلى هذا
القول يكون تاويل قوله الم يان للذين آمنوا يعني في العلانية باللسان ولم يومنوا بالقلب وقيل نزلت في المومنين

الربع

وذلك لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل فيهم الم
يان للذين امنوا الاية قال ابن مسعود وما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الا اربع سنين
اخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله عز وجل استبطا قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنين
من نزول القران فقال الم يان اي ما حان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم اي ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله اي لما
وعظهم الله وما نزل من الحق يعني القران ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل يعني اليهود والنصارى فطال عليهم الامد
اي الزمان الذي بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القران
والمعنى ان الله نهى المومنين ان يكونوا في صحبة القران كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر
وروى ابو موسى الاشعري انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلاث ماية رجل قد قروا القران فقال انتم خيار اهل
البصرة وقراوهم فاتلوه ولا يطول عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وكثير منهم
فاسقون يعني الذين تركوا الايمان بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل اعلموا ان الله يحيي الارض بعد
اي بالمطر بعد موتها اي يخرج منها النبات بعد يبسها كذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب وكذلك
بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة
قد بينا لكم الايات اي الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا اي بالنفقة تعقلون
والصدقة في سبيل الله تعالى يضاعف لهم اي ذلك القرض ولهم اجر كريم اي ثواب حسن وهو الجنة والذين امنوا بالله
ورسله اولئك هم الصديقون اي الكثير الصدق وقال مجاهد كل من امن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه
الاية فعلى هذه الاية عامة في كل من امن بالله ورسوله وقيل ان الاية خاصة في ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض
في زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب
الحقه الله بهم لما عرف من صدقه ونيته والشهداء عند ربهم قيل اراد بالشهداء المومنين المخلصين قال مجاهد
كل مومن صديق وشهيد وتلا هذه الاية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون
ثم ابتدا والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين
استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم اي بما عملوا من العمل الصالح ونورهم اي على الصراط والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم لما ذكر حال المومنين اتبعه بحال الكافرين قوله عز وجل اعلموا انما الحيوة الدنيا اي من الحياة في هذه الدار
الدنيا وانما اراد من صرف حياته في غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته في طاعة الله فحياته كلها خير ثم
وصفها الله بقوله لعب اي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ولهو اي فرح ساعة ثم ينقضي عن قريب وزينة اي منظر يتز
ينون به وتفاخر بينكم يعني انكم تشتغلون في حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض وتكاثر في الاموال والاولاد اي مبا
هاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل لهم فيتطاولون بماله وخدمه وولده على اولياء الله واهل طاعته ثم
ضرب لهذه الحيات مثلا فقال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار اي الزراع انما سمي الزراع كفارا لسترهم البذر في الارض
نباته اي ما ينبت في ذلك الغيث ثم يهيج اي ييبس فتريه مصفرا اي بعد خضرته ثم يكون حطاما اي يتحطم وينكسر بعد
يبسه وفي الاخرة عذاب شديد لمن كانت حياته بهذه الصفة قال اهل المعاني زهد الله تعالى بهذه الاية في العمل ويبقى
للدنيا وهي حجة حياة الكفر وحيات من يشتغل باللهو واللعب ورغب في العمل للاخرة بقوله ومغفرة من الله
ورضوان اي لاوليائه واهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعداء الله ومغفرة من الله ورضوان لاولياء الله لان الاخرة اما
عذاب واما جنة وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن عمل لها ولم يعمل للاخرة وقيل متاع لمن لم يشتغل فيها بطلب الاخرة

لمن اشتغل

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

فمن اشتغل في الدنيا بطلب الآخرة بلغ الى ما هو الذي لا خير منه فهو قوله عز وجل سابقوا الى مغفرة من ربكم معناه لتكن همتكم
خزرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة
السابقين في المضمار الى مغفرة اي الى ما يوجب المغفرة وهو التوبة من الذنوب وقيل معناه سابقوا الى ما كلفتم به من
الاعمال فيدخل فيه التوبة وغيرها وجنة عرضها كعرض السماء والارض قيل ان السموات السبع والارضين
السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا قال ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين
جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولا شك ان الطول يكون
ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في
انفسهم وافكارهم واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على
ما يعرفه الناس اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه اعظم رجاء واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن
بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر يدل عليه قوله في سياق الآية ذلك فضل الله يوتيه من يشاء فبين انه لا يدخل
احد الجنة الا بفضل الله لا بعمله والله ذو الفضل العظيم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضله ورحمته فقد تقدم الكلام
على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير سورة النحل قوله تعالى
ما اصاب من مصيبة في الارض يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار ولا في انفسكم يعني الامراض وفقد الاولاد الا في
كتاب يعني اللوح المحفوظ من قبل ان نبراها اي من قبل ان نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرا المصيبة ان ذلك
على الله يسير اي اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل لكيلا تاسوا اي تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا
اي لا تبطروا بما آتاكم اي اعطاكم قال صاحب الكشاف فان قلت ما من احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند
منفعة ينالها الا يحزن ولا يفرح قلت الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب
الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة
الله والاعتداد بها مع الشكر والله اعلم قال جعفر ~~ليس من احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن~~ بن محمد الصادق يا ابن ادم
ما لك تاسف على مفقود لا يرده اليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت والله لا يحب كل مختال
اي متكبر بما اوتي من الدنيا فخور اي يفتخر به على الناس الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل قيل هذه
الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فحبهم له و
عزته عندهم صيروا يبخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله ووجوه الخير فيبخلهم وانهم يبخلوا به حتى يامرون غيرهم
ويامرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستانف لا تعلق له بما قبله انها في صفة اليهود الذين كتموا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته ومن يتول قال ابن عباس عن الايمان فان الله الغني اي عن عباده الحميد
الى اوليائه قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالآيات والدلالات والحجج وانزلنا معهم الكتاب اي
المتضمن للاحكام وشرائع الدين والميزان يعني العدل اي وامرنا بالعدل وقيل اراد بالميزان هو الآلة التي
يوزن بها وهو يرجع الى القول ايضا وهو قوله ليقوم الناس بالقسط يعني ليتعاملوا وانزلنا الحديد قال الله
تعالى انزل مع آدم عليه السلام حين اهبط الى الارض الحديد والماء والنار والملح والكلبتين وروي عن ابن عمر يرفعه
ان الله انزل اربع بركات معهم من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل انزلناها بمعنى انشاناها واحدثناها الحديد
وذلك ان الله تعالى اخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه فيه باس شديد اي قوة شديدة

قال عكرمة ليس من احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قاله

وقف ربع

فمنه جنة وهو آلة الدفع ومنه سلاح وهو آلة الضرب ومنافع للناس أي ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم
كالسكين والفاس والإبرة ونحو ذلك إذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لأحد عنه وليعلم الله أي وأرسلنا رسلنا
وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله من ينصره أي ينصر دينه ورسله أي وينصر رسله
بالغيب أي الذين لم يروا الله ولا الآخرة وإنما يحمد ويثاب من أطاع بالغيب وقيل ينصرونه ولا يبصرونه إن الله قوي أي في
أمره عزيز أي في ملكه ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب معناه أنه تعالى شرف
نوحا وإبراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتب فلا يوجد نبي إلا من نسلهما فمنهم أي من الذرية
مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا أي أتبعنا على آثارهم برسلنا والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول إلى أن انتهت
الرسالة إلى عيسى بن مريم وهو قوله وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه أي على دينه رأفة ورحمة يعني أنهم كانوا متوادين بعضهم لبعض ورهبانية ابتدعوها ليس هذا عطفا
على ما قبله والمعنى أنهم جاءوا بها من قبل أنفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة فارين
من الفتنة وحملوا أنفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب
والملبس مع التقلل من ذلك ما كتبناها أي ما فرضناها إلا ابتغاء رضوان الله لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان عليهم
الله فما رعوها حق رعايتها يعني أنهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا إليها التثليث
والاتحاد وكفر بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم وأقام ناس منهم على دين عيسى إلى أن أدركوا محمدا صلى الله عليه
وسلم وآمنوا به فذلك قوله تعالى فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح وكثير
منهم فاسقون وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه السلام وروى البغوي بإسناد الثعلبي
عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين
فرقة نجا منها ثلاثة وهلك سائرهم فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى عليه السلام فأخذوهم
وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعوهم إلى دين الله ودين عيسى
فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون وعنه راعاها
قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن أم عبد هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبا
نية فقلت الله ورسوله أعلم فقال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الإيمان فقا
تلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين
أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله عز وجل النبي الذي وعدنا عيسى به يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية
ورهبانية ابتدعوها فآتينا الذين آمنوا منهم يعني من ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير
على التلاع وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم مؤمنون
يقرؤون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم
أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا
ما تريدون منها إلى ذلك دعونا نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما

يشرب الوحوش

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

كما يشرب الوحوش فان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طايفة منهم ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث
البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبايل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضوا اولئك على منهاج عيسى عليه السلام
وخالف قوم ممن بعدهم ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد ونسيح كما ساح
فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها
يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الاخرين الذين جاءوا من بعدهم فاتينا الذين امنوا منهم
اجرهم وكثير منهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاءوا من بعدهم قال فلما
بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سايح من سياحته وصاحب الدير من ديره فامنوا
به وصدقوه فقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته اي اجرين بايمانهم
بعيسى وبالتورية والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم به قال ويجعل لكم نورا تمشون
به القران واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم الا يقدرون على شيء من
فضل الله وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء الاية اخرجه النساي موقوفا على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله
ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الحق فاكلوا الخنازير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من
الجنابة والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم
وهم اهل الرافة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله الا
ابتغاء رضوان الله ابتغاء ما امروا به دون الترهيب لانه لم يامر به قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله الخطاب لاهل
الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنوا به
وهو قوله وامنوا برسوله يعني محمد صلى الله عليه وسلم يوتكم كفلين اي نصيبين من رحمته يعني يوتكم اجرين
بايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك
اذا ادى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده امة يطاها فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها
فله اجران ويجعل لكم نورا تمشون به يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القران وقيل هو الهدى والبيان
اي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به ويغفر لكم اي ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله خ مكة
غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب قيل لما سمع من لم يومن من اهل الكتاب قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين قالوا
للمسلمين اما من امن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يومن فله اجر كاجركم فما فضلكم
علينا فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم اهل الكتاب يعني الذين لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المومنين ولا صلة
الا يقدرون يعني انهم لا يقدرون على شيء من فضل الله والمعنى جعلنا الاجرين لمن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين
لم يومنوا به انه لا اجر لهم ولا نصيب في فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي اهل الكتاب اولئك يوتون اجرهم مرتين افتخروا على المسلمين
بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب يعني المومنين منهم الا يقدرون على شيء من فضل الله وان
الفضل بيد الله يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلايق وقيل يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر من اجرين وقيل قالت
اليهود يوشك ان يخرج منا نبي فيقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فانزل الله عز وجل هذه الاية فعلى
هذا يكون فضل الله النبوة يوتيه من يشاء يعني محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيد الله اي في ملكه وتصرفه
يوتيه من يشاء لانه قادر مختار والله ذو الفضل العظيم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

قايم في المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر الى غروب الشمس اوتي اهل التورية التورية
فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا واعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا بها الى صلوة العصر
ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القرءان فعملنا به الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اي ربنا اعطيت
هولاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم شيا قالوا لا. قال فهو فضلي اوتيه
من اشاء. وفي رواية انما اجلكم في اجل من خلا قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر الى مغرب الشمس وانما مثلكم
ومثل اليهود والنصرى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف
النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلوة العصر على قيراط قيراط فعملت النصرى من
نصف النهار الى صلوة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلوة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين
قيراطين الا فانتم الذين يعملون من صلوة العصر الى مغرب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصرى فقالوا
نحن اكثر عملا واقل عطاء. قال الله عز وجل هل ظلمتكم من حقكم شيا قالوا لا قال فهو فضلي اعطيه
من شئت خ عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصرى
كمثل رجل استاجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطت
لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اعملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر اخرين بعد
هم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلوة العصر قالوا ما عملنا
باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فان ما بقي من النهار شيء يسير فابوا فاستاجر
قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم
ومثل ما قبلوا من هذا النور والله اعلم بمراده تفسير سورة مدنية وهي اثنان وعشرون اية واربع
مائة وثلاث وسبعون كلمة والف وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قد سمع
الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن
الصامت وكان به لمم وكانت هي حسنة الجسم فراها ساجدة فابت عليه فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار
والايلاء من طلاق الجاهلية فقال ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعايشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وانا شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالي
وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه تنعشني به فقال صلى الله عليه وسلم حرمت عليه
فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحشتي فقد طالت له صحبتي ونفضت
له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشيء. فجعلت تراجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية
صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع راسها الى السماء. وتقول اللهم اشكو اليك فانزل على لسان
نبيك وهذا اول الظهار في الاسلام فقامت عايشة تغسل شق راسه الاخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت
عايشة اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي اخذه مثل السبات فلما
قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية خ عن عايشة رضي الله
عنها قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت وما
اسمع ما تقول فانزل الله تعالى عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله تعالى الاية واما تفسير الاية فقوله
تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك اي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها اي في امر زوجها وتشتكي الى الله اي شدة حالها وفاقتها

ووحدتها والله

اجرتين

رسول الله والذي انزل عليه الكتاب ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله

سم

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

ووحق نها والله يسمع تحاوركما اي مراجعتكما الكلام ان الله سميع اي لمن يناجيه ويتضرع اليه بصير اي لمن يشكوا اليه ثم ذم
الظهار فقال تعالى والذين يظاهرون منكم من نسائهم يعني يقولون انتن كظهر امهاتنا ما هن امهاتهم اي ما اللواتي يجعلونهن من
ازواجهن كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا الائي ولدنهم وانهم يعني المظا
هرين ليقولون منكرا من القول يعني لا يعرف في شرع وزورا يعني كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا
والزوجة لا تحرم بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب
الكفارة عليهم

فصل في احكام الظهار وفيه مسائل المسألة الاولى في معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وقيل انه مشتق
من الظهور وهو العلو فهو من ظهر الانسان وليس الظهر باولى من ساير الاعضاء التي هي مواضع التلذذ والمباضعة فتبين من
هذا انه ماخوذ من الظهور الذي هو العلو لان المراة مركوب كالدابة وظهرها يعلو عليه فوق الفرج ونزلت على امراتي اي طلقتها وفي قوله انت علي
كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي حرام اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما علوي امي وملكها علي حرام المسألة
الثانية كان الظهار من اشد طلاق الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يكون فان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الاية ناسخة
له والا لم يصح له ناسخا لان النسخ انما يدخل في الشرائع لا في احكام الجاهلية وعادتهم المسألة الثالثة في الالفاظ المستعملة
لهذا المعنى في الشريعة وعرف الفقهاء الاصل في هذا قوله انت علي حرام كظهر امي وانت مني ومعي وعندي امي وكذا لو قال انت علي
كبطن امي او كراس امي او كيد امي او قال بطنك او راسك او يدك علي كظهر امي وشبه عضوا منها بعضو من اعضاء امه
يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه او فرجها او فخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو من غير هذه
الاعضاء لا يكون ظهارا ولو قال انت علي كظهر امي او كروح امي واراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ولو
شبهها بجدته فقال انت علي كظهر جدتي يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامراة محرمة عليه بالقرابة بان قال انت علي كظهر
اختي او عمتي او خالتي او شبهها بامراة محرمة عليه بالرضاع ويكون ظهارا على الاصح المسألة الرابعة فيمن يصح
ظهارها قال الشافعي الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره وعلى هذا الذمي يصح ظهاره وقال ابو حنيفة لا يصح
احتج الشافعي بعموم قوله والذين يظاهرون منكم من نسائهم واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب للمومنين فيدل على ان الظهار
مختص بالمومنين واجيب عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمومنين والذين يظاهرون من نسائهم
يعني يتلفظون بهذا اللفظ من جماعهن ثم يعودون لما قالوا اختلف العلماء في معنى العود في قوله ثم يعودون لما قالوا ولا بد اولا
من بيان قول اهل العربية ثم بيان اقوال الفقهاء فنقول قال الفراء في اللغة يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو
علي الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان كقوله واوحي الى نوح وان ربك اوحى لها ولفظ ما في قوله لما قالوا فيه وجهان
احدهما انه بمعنى المصدر والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الثاني المراد لما قالوا اي المقول فيه وهو الذي حرموه على انفسهم
بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله يعودون لما قالوا اي يعودون الى الشيء وذلك الشيء هو الذي
قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل اي فعله مرة اخرى وعلى الوجه الثاني
يجوز ان يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل وذلك لان من فعل شيئا ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيئا ثم اراد
ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر مما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه
بان يفعلوا مثله مرة اخرى ويحتمل ان يعودوا اليه بالرفع والنقض والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلفوا
على وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه
وذلك لانه اذا ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت
عن الطلاق فذلك يدل على انه ندم على ابتدا به من التحريم فحينئذ يجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال ينتدمون

فصل

ويرجعون الى الالفة الوجه الثاني في تفسير العود وهو قول ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر
اليها بالشهوة وذلك لانه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحتها كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي
الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطئها وهو قول قريب من قول ابي حنيفة القول الرابع وهو قول الوجه
الحسن وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها قال العلماء والعود
المذكور هنا صالح للجماع او للعزم عليه او لاستباحته الى الذي قاله الشافعي هو اقل ما يطلق عليه الاسم فيجب تعلق الحكم عليه
لانه هو الذي به يتحقق مسمى العود واما الباقي فزيادة لا دليل عليه واما الاحتمال الاول في قوله ثم يعودون لما قالوا اي يفعلون
مثل ما فعلوه وعلى هذا الاحتمال في الاية وجوه ايضا الاول قول مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام وتجب الكفارة بنفس
الظهار والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله
حكم الظهار في الاسلام خلاف حكمه عندهم ومعنى ثم يعودون لما قالوا اي في الاسلام ثم يقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولونه
في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثاني قال ابو العالية ان من كرر لفظ الظهار فقد عاد وان لم يكرر لم يكن عودا وهذا قول اهل
الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه
وقوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر منها ما لم
يكفر ذلكم توعظون به يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعودوا والله بما تعملون من التكفير [redacted]
وتركه خبير ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين به فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين
متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع اي الصيام فكفارته اطعام ستين مسكينا ذلك اي الفرض الذي وصفنا لتؤمنوا بالله ورسوله اي
لتصدقوا فيما امر الله به وتصدقوا الرسول فيما اخبر به عن الله تعالى وتلك حدود الله يعني ما وصف من الكفارة في الظهار وللكافرين اي
لمن جحد هذا وكذب به عذاب اليم اي في نار جهنم يوم القيامة

فصل في احكام الكفارة وما يتعلق فيه بالظهار

مسائل المسألة الاولى اختلفوا فيما يحرمه الظهار وللشافعي قولان اصحهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو
الاظهر يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة المسألة الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي وابو حنيفة لكل ظهار
كفارة الا ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار للتأكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امرأته في مجالس متفرقة فليس عليه
الا كفارة واحدة والمسألة الثالثة الآية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سواء اراد التكفير بالعتق او بالصوم او بالطعام
وعند مالك اذا اراد التكفير بالطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الاطعام من قبل ان
يتماسا وقيل ان على ذلك وعند الاخرين الاطلاق بالاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة
وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابي حنيفة والشافعي واحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن
بن مهدي المسألة الرابعة كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزئ سواء كانت مؤمنة
او كافرة لقوله فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب ودليلنا ان اجمعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان
فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى والمسألة الخامسة الصوم لمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما
متعمدا او نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين في الليل عصى ولو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين في الليل عصى الله تعالى
ويقطع التتابع ان الجماع على الكفارة الا لا يجب عليه استئناف الشهرين المسألة السادسة فان عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة
بحيث لا يصبر على الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به اهل البلد من حنطة او شعير او
ارز او ذرة او تمر ونحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من تمر او صاعا من شعير
فلو اطعم مسكينا واحدا ستين مدا لا يجزيه عند الشافعي وقال ابو حنيفة يجزيه وحجة الشافعي ظاهر الآية وحجة ابي حنيفة

ان المقصود دفع

ان المقصود مع الحاجة وهو حاصل واجيب عنه بان مع حال العسر وعلى قلب ستين مسكينا اولى من حال العسر وعلى قلب من
مسكينا واحد المسئلة السابعة ان كان له رقبة الا انه يحتاج الى خدمة او له ثمن الرقبة الا انه محتاج اليه لنفقته ونفقة
عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال ملك والاوزعي يلزمه العتق وان كان واجد الرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة ان كان واجدا
لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجد الثمن الرقبة الا انه محتاج اليه فله ان يصوم المسئلة
الثامنة قال اصحاب الشافعي في الشبق الغلمة الهايجة عذر في الانتقال من الصوم الى الاطعام والدليل عليه ما روي عن
سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرا اصيب من النساء ما لا يصيبه غيري فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امراتي شيئا اتتابع
بي حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذ تكشف لي منها شيء فما لبثت ان نزوت
عليها فلما اصبحت خرجت الى قومي فاخبرتهم الخبر فقلت امشوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لا والله فانطلقت
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذلك يا سلمة قلت انا بذلك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم
فيما اراك الله قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين متتابعين قال
وقلت هل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشين
ما املك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل
انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الراي ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم
السعة وحسن الراي وقد امر لي بصدقتكم وبنو بياضة بطن من زريق اخرجه ابو داود في قوله نزوت عليها اي وثبت عليها
واراد به الجماع وقوله اتتابع اي التتابع الوقوع في الشيء والالحاح فيه والوسوسة صاعا فقوله واحشين يقال رجل وحش
اذا لم يكن له طعام واوحش اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القران قد
سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يا رسول الله
انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شيء يتصدق به قال فاني ساعينه بعرق من تمر قلت يا
رسول الله واني اعينه بعرق اخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابو داود وفي
وفي رواية قالت ان اوسا تظاهر مني وذكرت به لمما وقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك الا رحمة له ان له في منافع وذكرت نحوها
العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقوله اي به لمما اللمم ضرب من الجنون وقال
الخطابي ليس المراد هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحالة لم يلزمه شيء بل معنى اللمم هنا الالمام وشدة الحرص
والشبق والله اعلم قوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادون الله ورسوله ويشاقون في الحدود امرها كبتوا اي اذلوا
واخزوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم كما اخزي الذين من كان قبلهم من اهل الشرك وقد انزلنا ايات بينات فيها فرايض
واحكاما وللكافرين اي الذين لم يعملوا بها وجحدوها عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله
اي حفظ الله اعمالهم ونسوه اي نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا والله على كل شيء شهيد قوله تعالى الم تر اي تعلم ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض يعني انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السما ثم اكد ذلك بقوله تعالى ما
يكون من نجوى ثلاثة اي من اسرار ثلاثة وهي المسارة والمشاورة والمعنى ما من شيء يناجي به الرجل صاحبه وقيل ما يكون
من متناجين ثلاثة يساري بعضهم بعضا الا هو رابعهم اي بالعلم يعني يعلم نجويهم كانه حاضر معهم وشاهدهم كما يكون
نجويهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم ولا خمسة الا هو سادسهم فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت اقل ما
يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد
والثالث

البعوط

من اللمم

الامام

ان الله يعلم

واذا تقضى الصفقة والمصلحة اهل الشر

تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع ينتظم المشاورة ولابد من واحد يكون حكما بينهما مقبول القول وقيل
ان العدد في العرب اشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى ولا أدنى من ذلك ولا أكثر يعني ولا اقل من ثلاثة
وخمسة ولا اكثر من العدد الا هو معهم اينما كانوا اي بالعلم والقدرة ثم ينبئهم بما عملوا اي في يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم قوله
عز وجل الم تر الى الذين نهوا عن النجوى نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المومنين وينظرون
الى المومنين ويتغامزون باعينهم ويوهمون المومنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزن المومنون لذلك ويقولون ما نراهم
الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم فيحزنهم فلما طال على المومنين وكثر شكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم الا يتناجوا دون المومنين ثم ينتهوا فانزل الله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اي
المناجات فيما بينهم ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجات التي نهوا عنها ويتناجون بالاثم والعدوان يعني ذلك الشيء
الذي كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شيء يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان ومعصية الرسول وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول
صلى الله عليه وسلم واذا جاءوك يعني اليهود حيوك بما لم يحيك به الله وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم
ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه بانهم يسلمون عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم ويقولون
في انفسهم يعني فاذا خرجوا من عندك قالوا لولا يعذبنا الله بما نقول يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف
قال الله عز وجل حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير والمعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة فاذا لم
يعجل العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقالت عائشة ففهمتها فقلت لهم عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت
عليكم وللبخاري ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم
ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع
ما قالوا قال اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في السام الموت قال الخطابي عامة المحد
ثين يروون اذا سلم عليكم اهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان
بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع
الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق والفحش الرديء من القول قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا
تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي المخاطبين بهذه الاية قولان احدهما انه خطاب للمومنين وذلك
انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول تبعه بان نهى المومنين ان يسلكوا مثل طريقتهم
او يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدي الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما
يكون خلافا عليه والقول الثاني وهو الاصح خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم وقيل امنوا بزعمهم كانه قال لهم
لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى اي بالطاعة وترك المعصية واتقوا الله الذي اليه تحشرون
انما النجوى من الشيطان اي من تزيين الشيطان وهو ما يامرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول ليحزن الذين امنوا اي انما يزين
لهم ذلك ليحزن المومنين وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث
زاد ابن مسعود في رواية فان ذلك يحزنه هذه الزيادة لابي داود وليس بضارهم شيئا يعني ذلك التناجي وقيل الشيطان ليس
بضارهم شيئا الا باذن الله اي الا بارادة الله تعالى وقيل الا بعلم الله في الضر وعلى الله فليتوكل المومنون اي فليكل المومنون امرهم
الى الله تعالى

اللهم صل على سيدنا محمد وس

97

الى الله تعالى وليستعذ به من الشيطان فان من توكل على الله لا يخيب امله ولا يبطل سعيه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الاية قيل في سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرم اهل بدر من
المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه ثم
رد عليهم ثم سلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على ار
جلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وانت يا فلان
فقام من المجلس بقدر اولئك النفر الذين قاموا كانوا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في
سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا راوا قد جاءهم مقبلا
ضنوا بمجلسهم فامرهم الله عز وجل ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والقطع
والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحرصا على استماع كلامه فامر الله المومنين بالتواضع وان يفسحوا في المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه
وسلم ليتساوى الناس في الاخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل واحد في مجلسه فافسحوا
اي فاوسعوا في المجالس امروا بان يوسعوا في المجالس لغيرهم يفسح الله لكم اي يوسع الله لكم في الجنة والمجالس فيها
وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم رجلا من مجلسه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا
افسحوا اخرجه الحميدي في افراد مسلم موقوف عن جابر ورفعه غير الحميدي وقال في معنى الاية ان هذا في مجالس الحرب
ومقاعد القتال كان الرجل ياتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيابون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة
فامروا بان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متاخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلا بد ممن
من يتفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقراءة والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد
الله ابواب الخير والراحة وسع الله عليه خير الدنيا والاخرة واذا قيل انشزوا فانشزوا اي اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم
حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلوة في الجماعة اذا نودي لهم فانزل الله هذه
الاية والمعنى اذا نودي للصلوة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل انهضوا الى الصلوة والى الجهاد والى كل خير فقوموا لها
مسرعين ولا تقصروا عنه يرفع الله الذين امنوا منكم اي بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال امرهم وقيامهم من مجالسهم
وتوسعهم لاخوانهم والذين اوتوا العلم اي ويرفع الذين اوتوا العلم من المومنين بفضل علمهم وسابقتهم درجات اي
على من سواهم في الجنة وقيل يقال للمومن الذي ليس بعالم اذا انتهوا الى الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع للناس واخبر الله
عز وجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك المومنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من اهل بدر
افهموا مستحقون لما عملوا به من الاكرام بما تعملون خبير قال الحسن قرا ابن مسعود هذه الاية وقال يا ايها الناس افهموا هذه الاية و
لترغبكم في العلم فان الله يقول يرفع الله المومن العالم فوق الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعمله من المنزلة
والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدي بالعالم في اقواله وافعاله كلها عن ابن كثير قال قدم رجل من المدينة على ابي الدرداء
وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخي قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما جئت لحاجة
غيره قال لا قال اما قدمت في تجارة قال لا قال ما جئت الا في طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغي فيه العلم سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضى

لطالب العلم وان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير
الكواكب ان العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر اخرجه
الترمذي وابو داود نحوه عن معاوية بن ابي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه
في الدين عن ابن عباس مثله اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده احد المجلسين يدعون الله ويرغبون فيه اليه والمجلس الاخر يتعلمون الفقه
ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه واما هؤلاء
فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة يعني اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا امام ذلك
صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشيء بمشقة استعظمه وان
وجده بسهولة استحقره وينتفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المتقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شقوا عليه واراد الله تعالى ان يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم فانزل الله
ان يكفهم عن ذلك بامره وقيل نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكثرون مناجاته
ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا
عن مناجاته فاما الفقراء واهل العسرة فلم يجدوا شيئا واما الاغنياء واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة قال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن ابي طالب
رضي الله عنه تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول اية في كتاب الله لم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها
احد بعدي وهي اية المناجاة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال كم قلت شعيرة قال انك لز
هيد فنزلت ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الاية قال فبي خفف الله تعالى عن هذه الامة اخرجه الترمذي و
قال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة اي وزن شعيرة من ذهب قوله انك لزهيد يعني قليل المال فقدرت على
قدر حالك قال قلت في هذه الاية منقبة عظيمة لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها احد غيره قلت
هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الاية ولو اتسع الوقت لم
يتخلفوا عن العمل بها على قدر استطاعة الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون
فانه لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سبب حزن الفقراء ان لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته وجه اخر وهو ان
هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتر
كوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة اولى بان تترك فلم يعملوا بها وليس فيها طعن على احد منهم وقوله
تعالى ذلك خير لكم يعني تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واطهر
اي لذنوبكم فان لم تجدوا يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به فان الله غفور رحيم يعني ان الله تعالى عفا عنهم ذلك ءاشفقتم
قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله تعالى ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم
تفعلوا اي ما امرتم به وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم ونسخ وقال فاقيموا الصلوة اي المفروضة واتوا الزكوة اي الواجبة عنكم
واطيعوا الله ورسوله اي فيما امر ونهى والله خبير بما تعملون انه محيط باعمالهم ونياتكم قوله عز وجل الم تر الى الذين ربع
تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا اسرار المسلمين اليهم

وان قوله

وارادوا بقوله غضب الله عليهم اليهود ما هم يعني المنافقين منكم اي من المومنين في الدين والولاء ولا منهم يعني ولا من
اليهود ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اي انهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الان رجل
قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق العينين فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الاية اعد الله
لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم يعني الكاذبة جنة يعني يستجيرون بها من القتل والاسر ويقون
بها على انفسهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله يعني انهم صدوا المومنين عن جهادهم بالقتل واخذ اموالهم
بسبب ايمانهم فلهم عذاب مهين اي في الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم يعني يوم القيامة من الله شيئا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له يعني كاذبين بان انهم ما كانوا مشركين كما يحلفون لكم اي في
الدنيا وقيل ان الحلف لهم حجة في الدنيا فظنوا انها تنفع في الاخرة ايضا ويحسبون انهم على شيء يعني من ايمانهم الكاذ
بة الا انهم هم الكاذبون يعني في اقوالهم وايمانهم استحوذ عليهم الشيطان اي غلب واستولى عليهم واحاطهم فانساهم
ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين اي في جملة من
يلحقهم الذل في الدنيا والاخرة لان ذل احد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كتب الله لاغلبن انا ور
سلي اي قضى الله ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من بعث بالحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يومر بالحرب فهو غا
لب بالحجة ان الله قوي عزيز اي على نصر رسله واوليائه عزيز اي غالب على اعدائه قوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم
الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اخبر الله تعالى ان ايمان المومن يفسد بموادة الكافرين وان كان مومنا لا يوالي من كفر لان من احب
احدا امتنع ان يحب عدوه فان قلت قد اجمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة
المحظورة قلت المودة المحظورة مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى
بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم يعني ان الميل الى هؤلاء من اعظم
انواع الميل ومع هذا يجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب الدين قيل نزلت هذه الاية في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب
الى اهل مكة وسياتي قصته في سورة الممتحنة وروي عن عبد الله بن مسعود في هذه الاية قال ولو كانوا اباءهم يعني ابا
عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وابناءهم وهو يعني ابا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسو
ل الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر واخوانهم يعني مصعب بن عمير
قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد او عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن
ابي طالب وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت التصديق
في قلوبهم فهي مومنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه وايدهم بروح منه اي قواهم
بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا لانه به يحيى امرهم وقيل بالايمان وقيل بالقران وقيل بجبريل وقيل برحمة منه ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه اعظم
النعم واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله تعالى فقال اولئك حزب الله الا ان حزب الله
هم المفلحون والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الحشر مدنية قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس
سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي اربع وعشرون اية واربع مائة وخمس واربعون كلمة والف
وتسع مائة وثلاثة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السموات

وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني
النضير وهم طايفة من اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحوه بنو النضير على ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا
معه وقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنوا
نعته النضير والله انه النبي الذي نجد نعته في التورية لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وللمومنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في اربعين
راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل
ودخل ابو سفيان في اربعين من قريش وركب بن الاشرف من اليهود الى المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق وعهد
بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة ونزل جبريل عليه السلام واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما عقد
عليه كعب وابو سفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة وقد تقدمت القصة في سورة ال عمران
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين الذين قتلهما عمرو
بن امية الضمري في منصرفه من بير معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم و
اخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المايدة فلما قتل كعب بن الاشرف واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس
بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وجدهم ينوحون على كعب فقالوا
يا محمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية فقال نعم فقالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ايتمر امرك فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون
عبد الله بن ابي واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولين اخرجتم
لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج
في ثلاثين رجلا من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان بيننا وبينك فيستمعون منك فان صدقوك وامنوا بك امنا
كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في براز من الارض
قال بعض اليهود كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم
ونحن ستون اخرج في ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان امنوا بك امنا بك و
صدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك بر
سول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته
بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبي صلى الله عليه وسلم
فساره بخبرهم قبل ان يصلوا اليه فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالكتايب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يامرهم به فقبلوا بذلك فصالحهم على
الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وساير اموالهم
وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاءوا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى
كل ثلاثة نفر بعيرا وسقا ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام الا اهل بيتين منهم ال ابي
بن اخطب الحقيق وال حيي فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طايفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن اسحاق وكان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد

وفتح قريظة

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

وبني قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لأول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله
قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا وقال ابن عباس من شك ان المحشر في الشام فليقرأ هذه الاية فكان هذا اول
حشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الناس يوم القيا
مة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلى اخرهم عمر
بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات
واريحاء من ارض الشام في ايام عمر وقيل كان هذا اول الحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب
تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ما ظننتم يعني ايها المومنون ان يخرجوا من المدينة لعزهم
ومنعهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون وعقار ونخل كثير وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله ولكن بني
النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله تعالى فأتاهم الله اي اتاهم امر الله وكانوا لا يظنون ذلك
وقذف في قلوبهم الرعب اي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف يخربون بيوتهم بايديهم وايدي
المومنين قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا
ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما يستحسنون منها فيحملونه على ابلهم ويخرب
المومنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المومنون حسدا
منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال
ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم القتال وجعل اعداء الله ينقبون دورهم
في ادبارهم فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فاعتبروا اي فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم يا اولي الابصار يا ذوي العقول والبصائر ولولا ان
كتب الله عليهم الجلاء يعني الخروج من الوطن لعذبهم في الدنيا يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة
ولهم في الاخرة عذاب النار ذلك يعني الذي لحقهم ونزل بهم بانهم شاقوا الله ورسوله اي خالفوا الله ورسوله ومن يشاق
الله فان الله شديد العقاب قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن
الله الاية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع
اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما
زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا
ثم اختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل
الله هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى ق وعن ابن عمر
قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها
قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم موضع لبني النضير وفي ذلك يقول حسان بن ثابت
رضي الله عنه * وهان على سراة بني لوي * حريق بالبويرة مستطير * قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا
العجوة قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من
التمر الالوان وقيل النخل كلها الا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء قال ابن عباس
في رواية اخرى عنه لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هو ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة
يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبه اليهم وكانت النخلة الواحدة منها

انكم

ثمنها ثمر وصيف واحب اليهم من وصيف فلما راوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمومنين تكرهون
الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل فانما هي لمن غلب عليها فاخبر الله تعالى ان قطعها كان باذنه **وليخزي**
الفاسقين يعني اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود اذن الله تعالى في قطعها احتج العلماء بهذه الاية على ان حصون
الكفار وديارهم لا باس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها **قوله عز وجل وما افاء**
الله على رسوله اي ما رد الله على رسوله صلى الله عليه وسلم **منهم** اي من يهود بني النضير لما تركوا رباعهم
وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنايم خيبر فبين الله تعالى
بهذه الاية انها لم تجد المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها مشقة ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حربا
وانما كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان على جمل **ولكن الله يسلط رسله على من يشاء** من اعدايه **والله على كل شيء قدير** فهي له خاصة يضعها
حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا
ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة بن السماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وعن
مالك بن اوس بن الحدثان ان عمر دعاه اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك يا امير المومنين في عثمان وعبد الرحمن
بن عوف والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك في عباس وعلي
يستاذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا امير المومنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم اجل يا
امير المومنين اقض بينهما وارح احدهما من الاخر قال مالك بن اوس يخيل الي انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال
عمر اتيدا انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا نورث ما تركناه صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم اقبل عمر على العباس وعلي فقال انشدكما بالله
الذي باذنه تقوم السماء والارض اتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال
عمر ان الله كان خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخص بها احدا غيره فقال وما افاء الله على رسوله منهم
فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الاية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بني النضير فوالله ما
استاثرها عليكم ولا اخذها دونكم فقد اعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ياخذ منه نفقته سنة ثم ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه و
سلم حياته ثم انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض اتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عليا
وعباسا بمثل ما نشد القوم اتعلمون ذلك قالا نعم قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر انا ولي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه ابو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم حينيذ
واقبل على علي وعباس وقال تذكران ان ابا بكر فيه كما تقولان والله يعلم انه فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله ابا بكر فقلت على
انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فقبضته سنتين من امارتي اعمل فيها بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر والله يعلم اني فيه صادق بار راشد تابع للحق ثم جيتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وامركما جميع فقلت
ان شيتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وما عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلماني فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان مني قضاء غير
ذلك فوالله الذي باذنه تقوم السماء والارض لا اقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه
الي فاني اكفيكماه قوله عز وجل **وما افاء الله على رسوله من اهل القرى** يعني من اموال كفار اهل القرى قال ابن

عباس

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

100

قال ابن عباس هو قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة فلله وللرسول ولذي القربى يعني بني هاشم وبني المطلب
واليتامى والمساكين وابن السبيل فقد تقدم في سورة الأنفال حكم الغنيمة وقسمها وأما حكم الفيء فإنه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال
الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلماء في مصرف مال الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قوم هو للأئمة بعده وللشافعي فيه قولان أحدهما هو للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم الأهم فالأهم
من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب قوم إلى أنه يخمس فخمسه لأهل خمس الغنيمة وأربعة أخماسه للمقاتلة أو
للمصالح وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرفه جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب وما
أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء إلى قوله والذين جاءوا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت
المسلمين عامة فما على وجه الأرض مسلم إلا وله في هذا الفيء حق إلا ما ملكت أيمانكم كي لا يكون دولة يعني كي لا يكون
الفيء دولة والدولة اسم للشيء يتداوله القوم بينهم بين الأغنياء منكم يعني بين الرؤساء والأقوياء فيغلبوا عليه الضعفاء والفقراء
وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها بعد المرباع ما
شاء فجعله الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمر به وما آتاكم الرسول فخذوه أي من
مال الفيء والغنيمة وما نهاكم عنه أي من الغلول وغيره فانتهوا وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي
صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه من قول أو عمل واجبا أو مندوبا أو مستحبا أو نهى عن محرم فيدخل فيه الفيء وغيره
وعن عبد الله بن مسعود أنه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات
خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغني عنك أنك قلت
كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله عز وجل فقالت
المرأة لقد قرأت لوحي المصحف فما وجدته فقال إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الإنسان بالإبرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة
هي التي يفعل بها ذلك والنامصات هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين ثنايا
بها وقيل هي التي تتفلج في مشيها فكل ذلك منهي عنه وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من — بصناعة
أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد عن أبي رافع أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب
الله اتبعناه أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن الأريكة كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة
أو نحو ذلك واتقوا الله أي في أمر الفيء إن الله شديد العقاب أي على ترككم ما أمركم به رسول الله ونهيكم عنه ثم
بين من له الحق في الفيء فقال عز وجل للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يعني أخرجهم كفار
مكة إلى الخروج يبتغون فضلا من الله أي بأنفسهم وأموالهم والمراد بالنصر نصر دينه وإعلاء كلمته أولئك هم — بقي هنا نص وشرح
الصادقون أي في إيمانهم قال قتادة المهاجرين الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختا
روا الإسلام على ما كان فيه من شدة حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل
يتخذ حفرة في الشتاء ما له دثار غيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام

يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة اخرجه ابو داود قوله عز وجل
والذين تبوءوا الدار والايمان يعني الانصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها مسكنا من قبلهم يعني انهم اسلموا
في ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوءوا الدار من
قبل المهاجرين وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان تبوء يحبون من هاجر اليهم وذلك انهم انزلوا المهاجرين في
منازلهم واشركوهم في اموالهم ولا يجدون في صدورهم حاجة اي حزازة وغيظا وحسدا مما اوتوا اي اعطي
المهاجرون من الفيء دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير بين المهاجرين ولم
يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر فطابت نفوس الانصار بذلك ويؤثرون على انفسهم اي ويؤثرون الانصار
المهاجرين باموالهم ومنازلهم وانفسهم ولو كان بهم خصاصة اي فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به ق عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت
والذي بعثك بالحق ما عندي الا الماء ثم ارسل الى اخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه
من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرا
ته هل عندك شيء قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فاريه انا ناكل فاذا اهوى
بيده لياكل فقومي الى السراج كي تصلحيه فاطفئيه ففعلت وقعدوا واكل الضيف وباتا طاويين فلما اصبح غدا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله او ضحك الله من فلان وفلانة زاد
في رواية وانزل الله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة خ عن ابي هريرة قال قالت الانصار للنبي صلى الله
عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقال تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا واطعنا خ عن
انس بن مالك رضي الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين فقالوا
لا الا ان تقطع لاخواننا المهاجرين مثلها قال اما لا فاصبروا حتى تلقوني فانه سيصيبكم اثرة بعدي وفي رواية
ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض الاثرة بضم الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة
واسكان الثاء والاول اشهر ومعناه الاستئثار وهو ان يستاثر عليكم بامور الدنيا ويفضل عليكم غيركم ولا
يجعل لكم في الامر نصيب وقيل هو من اثرة العطاء اراد ان يستاثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الفيء والا
ستئثار الانفراد بالشيء وقيل الاثرة الشدة والاول اظهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم
في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم
لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله عز وجل ويؤثرون ولو كان بهم خصا
صة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وفرق العلماء بين الشح
والبخل فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس
لا جرم قال الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اي الفائزون بما ارادوا وروي ان رجلا قال لعبد الله
بن مسعود اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال اني اسمع الله عز وجل يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم وانا رجل
شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله في القرآن ولكن الشح ان تاكل مال اخيك
ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله وانما الشح ان تطمح
عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على المحارم وقيل من لم ياخذ شيئا

بضم

نهى الله عن

نهى عن اخذه ولم يمنع شيئا امره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واس
تحلوا محارمهم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن
خالع اخرجه ابو داود الهلع اشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شيء يفوته
او يخرج من يده الخالع الذي خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا اخرجه
النسائي قوله تعالى والذين جاءو من بعدهم يعني بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيمة يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالا
يمان ولا تجعل في قلوبنا غلا اي غشا وحسدا وبغضا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم فكل من كان في قلبه غل او بغض لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الاية لان الله رتب المومنين على
ثلاثة منازل المهاجرين والانصار ثم من بعدهم التابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة
كان خارجا من اقسام المومنين وليس له في المسلمين نصيب قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المها
جرين والذين تبوءو الدار والايمان والذين جاءو من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه الثلاثة منازل وعن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن اختي امروا ان يستغفروا لاصحاب النبي صلى الله عليه
فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن ا
حبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
يوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي قال مالك بن انس من انتقص احدا منهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان في قلبه غل عليهم فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا هذه الاية ما افاء الله على رسوله من اهل القرى والذين جاءو الى قوله
من بعدهم وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود
عن خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا حواري عيسى وسئلت الرافضة
من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم اجمعين امروا ان يستغفروا لهم
فسبوهم والسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من هوى الا المضلة ور
وي عن جابر رضي الله عنه قال قيل لعائشة رضي الله عنها ان ناسا يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابا بكر
وعمر فقالت اما تعجبون من هذا انقطع عليهم العمل فاحب الله ان لا يقطع عنهم الاجر وروي ان ابن عباس سال رجلا فقال
رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له امن المهاجرين الاولين انت قال لا قال فمن الانصار انت قال لا قال فانا
اشهد انك لست من التابعين لهم باحسان قوله عز وجل الم تر الى الذين نافقوا يعني اظهروا خلاف
ما اضمروا وهو عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى
من بني قريظة والنضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم لئن اخرجتم اي من المدينة لنخرجن معكم اي منها
ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعني ان سالنا احد خذلانكم وخلافكم فلا نطيعه فيكم وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعيننكم
ولنقاتلن معكم والله يشهد انهم لكاذبون يعني فيما قالوا ووعدوا ثم اخبر الله عز وجل المنافقين

عن حال المنافقين فقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم يعني لو فرض وجود نصر
هم اليهود لولوا الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا ولم يخرج المنافقون وقاتلوا
فلم ينصروهم ولئن نصروهم ليولن الادبار يعني لو فرض وجود نصرهم اليهود لولوا الادبار منهزمين ثم لا ينصرون
يعني بني النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم لانتم يعني يا معشر المسلمين اشد رهبة في صدورهم
من الله اصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم اكثر
اشد من رهبتهم من الله ذلك اي الخوف منكم بانهم قوم لا يفقهون يعني عظمة الله لا يقاتلونكم
يعني اليهود جميعا الا في قرى محصنة اي لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو
قوله تعالى او من وراء جدر وقرئ جدار باسهم بينهم شديد اي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا
شديدة وقيل باسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد واذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اي متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة اعمالهم
مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين ان انهم ذلك بانهم قوم لا
يعقلون ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا يعني مشركي مكة ذاقوا وبال امرهم
يعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة
كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ولهم عذاب اليم اي في الاخرة ثم ضرب مثل المنافقين واليهود جميعا في
تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في غرهم بني النضير و
لانهم اياهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وذلك ما روي عن عطاء وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قف
قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله تعالى فيها طرفة عين وان
ابليس اعياه في امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صا
حب الانبياء وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فجاء
جبريل عليه السلام فدفعه الى اقصى ارض الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الر
هبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا في عشرة ايام مرة ولا يفطر
الا في عشرة ايام مرة فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة في اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته
اطلع من صومعته فراى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله ندم في نفسه
اذ لم يجبه فقال له انك ناديتني وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك فقال الابيض حاجتي اني احببت ان اكون معك
فاتادب بادبك واقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وادعو لك فقال برصيصا اني لفي شغل عنك فان
كنت مومنا فان الله سيجعل لك من المومنين نصيبا ان استجاب لي ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلي فلم يلتفت
اليه برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعد ذلك راه قائما يصلي فلما راى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال ما حاجتك قال حاجتي
ان تاذن لي فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فاقام حولا يتعبد لا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة ولا ينفتل عن
صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شان الابيض فلما
حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني لمنطلق وان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت وكان يذكر من شدة
اجتهادك فلما ودعه الابيض قال له ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما انت فيه يشفي الله
بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا اني اكره هذه المنزلة لان لي في نفسي شغلا واني اخاف ان علم الناس

يشغلوني عن

تشغلوني عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا افاعالجه قالوا نعم فعالجوه فلم يبرأ فقال لهم اني لا اقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله تعالى فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعي به اجاب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فخنق جارية من بنات ملوك بني اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان ابوهم ملكا فلما مات استخلف اخاه فكان عم تلك الجارية ملك بني اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان ياتي الناس في صورة متطبب فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال لهم ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سارشدكم الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا بان يجيبنا الى ذلك وهو اعظم شانا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جانب صومعته ولتكن لزيقة لصومعته ثم تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها في صومعتها وقولوا هذه امانة عندك فاحتسب امانتها قال فانطلقوا فسألوه ذلك فابى عليه فبنوا صومعة على ما امرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوها في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه اختنا عندك امانة فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلوته عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا على صلوته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك ياتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سالوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقدر عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلوته اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم فكانوا يجيئون في بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى اكبرهم في منامه فقال له ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه قد دفنها في موضع كذا فقال هذا حلم وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاخ الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاخوين والله لقد رايت مثله وقال الاكبر وانا والله قد رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتموني فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم انها لمدفونة في موضع كذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فراوا اختهم على ما راوه في النوم فمشوا في مواليهم وغلمانهم معهم الفؤوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به الى الملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس اليه فقال تقتلها وتكابر يجتمع عليك امران قتل ومكابرة فلما اعترف امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا اتعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك ويحك اما اتقيت الله في امانة خنت اهلها وزعمت انك اعبد بني اسرائيل اما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال في اخر كلامه الم يكفك ما صنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت اشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح احد من نظرائك فقال كيف اصنع قال تطيعني في خصلة واحدة حتى اخلصك مما انت

فيه فاخذ باعينهم واخرج من مخانقه قال وما هي قال تسجد لي قال افعل فسجد له قال يا برصيصا هذه الذي اردت منك
صارت عاقبتك الى ان كفرت فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العلمين قوله تعالى فكان عاقبتهما يعني الشيطان
وذلك الانسان انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظلمين قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل لليهود بني
النضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجلي بني النضير فدس المنافقون
الى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلوكم فانا معكم فاجابوهم ودربوا على
حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فناصبوه الحرب يرجون نصر
المنافقين فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس
فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون في بني اسرائيل الا بالتقية والكتمان وتجرأ اهل الفسوق والفجور في الاحبار ورموهم
بالبهتان والقبيح حتى كان من امر جريج ما كان فلما برأه الله مما رموه به انبسطت الرهبان وظهروا للناس وكانت
قصة جريج على ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة
عيسى بن مريم وجريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال يا رب امي
وصلاتي فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته فقالت
اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امراة بغي يتمثل بحسنها
فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان ياوي الى صومعته فامكنته من نفسها
فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه
فقال ما شانكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال اين الصبي فجاءوا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما
انصرف اتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون
به وقالوا نبني صومعتك من ذهب قال لا اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينما صبي يرضع من
امه فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي واقبل
عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكاني انظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها قال ومروا بجارية وهم يضربونها و
يقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر
اليها فقال اللهم اجعلني مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل
ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون
زنيت وسرقت فقلت لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم
لا تجعلني مثله وان هذه الامة يقولون انها زنت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها
اخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخاري مختصرا فاخرج منه قصة جريج مختصرا وحديث المراة وابنها خاصة
المومسات الزواني جمع مومسة وهي المراة الفاجرة والبغي الزانية ايضا وقوله يتمثل بحسنها
اي يعجب منه ويضرب به المثل وقوله دابة فارهة اي ... وشارة حسنة اي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك
والجبار العاتي المتكبر القاهر الى شيء. قدمت لنفسه الكافر من الاعمال عمل صالح ينجيه ام سوء يوبقه والغد يوم القيامة وقربه على الناس
كان يوم القيامة ياتي غدا وكل ما هو ات فهو قريب. واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون قيل كرر الامر بالتقوى تاكيدا وقيل معنى
الاول اتقوا الله في اداء الواجبات ومعنى الثاني اتقوا الله فلا تاتوا المنهيات ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي تركوا امر الله

فانسيهم انفسهم

بريء
بعده
وصاحب

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

103

فانسيهم انفسهم اي انساهم حظا من انفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها غدا اوليك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون لما ارشد المومنين لما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله فانسيهم انفسهم
بين الفريقين بقوله لا يستوي اصحاب النار يعني الذين هم في العذاب الدائم واصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله اصحاب الجنة هم
الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما فقوله عز وجل لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
قيل معناه ان لو جعل في الجبل تمييز وعقل كما جعل فيكم وانزل عليه القران لخشع لذلك وتطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان
الجبل مع رزانته وصلابته متشقق من خشية الله وحذر من ان لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القران والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر
والحكم كان لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما تضمنه القران من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما
لا يجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه اوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية
الا ان يخلق الله له تمييزا وعقلا يدل على انه تمثيل قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اي الغرض من هذا التمثيل التنبيه على
قساوة قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طبايعهم ولما وصف القران بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى هو الله الذي لا اله
الا هو عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى علم ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه وعلم ما شهدوه وعلموه وقيل استوى في علمه السر والعلانية والموجود
والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والاخرة هو الرحمن الرحيم اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة
الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن اشد مبالغة من رحيم ولهذا قيل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة لانه تعالى احسانه في الدنيا
يعم المومن والكافر وفي الاخرة يختص احسانه وانعامه بالمومنين هو الله الذي لا اله الا هو الملك اي المتصرف في الامر والنهي في جميع خلقه المالك
لهم فهم تحت ملكه وقهره وقدرته وارادته القدوس اي الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركاته السلام الذي
سلم من النقايص وكل افة تلحق المخلوق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة
القران قلت الفرق بينهما ان كونه قدوسا اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقايص في المستقبل فان الذي يطرى عليه شيء
من ذلك فانه تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل سلام اي سلم خلقه من ظلمه المومن قال ابن عباس الذي امن الناس من ظلمه وامن من امن به
من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمومنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب المهيمن قال
ابن عباس اي الشهيد على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القايم على خلقه برزقه وانشد في معناه الا ان خير الناس بعد
نبيه مهيمنه في العرف والنكر اي القايم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو بمعنى الامين
والموتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في ابيات منها حتى المهيمن من خندف علياء تحتها
النطق وقيل المهيمن من اسماء الله تعالى هو اعلم بتاويله وانشد شعرا جل المهيمن عن صفات عبيده ولقد تعالى عن عقول اولي النهى
اموا ان يعمهم عن صفات مليكهم والوصف يعجز عن مليك لا يرى العزيز الذي لا يوجد له نظير الجبار قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته
فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعني الفقير وجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى الذي يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي
يقهر الخلق ويجبرهم على ما اراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا اراد امرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا يغالب
ولا ياتي والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم المتكبر في صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص
في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كاذبا في فعله فكان مذموما في حق الناس واما المتكبر في صفة الله تعالى صفة مدح لان له
جميع صفات العلو والعظمة ولهذا المعنى قال في اخر الاية سبحان الله عما يشركون كانه قيل ان بعض الخلق قد يتكبر فيكون ذلك نقصا في حقه اما
الله تعالى فله العلو والعزة والكبرياء فان اظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل هو الذي
تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجلاله وجماله وقيل هو المتكبر على ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء
وهو الملك سبحان الله عما يشركون اي من ادعاء الكبرياء لانفسهم هو الله الخالق اي المقدر ومعناه انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو
راجع الى الارادة وقيل معناه المظهر لما يوجد وقيل المقدر المقلب للشيء بالتدبير البارئ اي المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود

الى غيره

ورزانته

ولم يعلموه

في الماضي والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرى عليه شيء من العيوب والنقايص في المستقبل اصل

التاليه

المصور الذي يخلق صورة المخلوق على ما يريد وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التي تميز بعضها على بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على
غير مثال سبق والبارئ المنشئ لما يريد خلقه فيظهره من العدم الى الوجود والمصور لما خلقه وانشاه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل
معنى التصوير التخطيط والتشكيل قالوا يكون اولا خالقا ثم بارئا ثم مصورا فافهم لفظ الخالق على البارئ لان ترجيح الارادة مقدم على تاثير القدرة وقدم البارئ على
المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم عن معقل بن يسار رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرا الثلاث ايات من اخر سورة الحشر
وكل الله تعالى به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب والله اعلم بمراده. تفسير سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة اية
وثلاثمائة وثمان واربعون كلمة والف وخمسمائة وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء. الاية وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير
والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى اتينا الروضة
فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا في قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين
لهم قرابة يحمون بها اموالهم واهليهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرا ولا
ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل روضة خاخ موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل موضع
انه قريب من مكة والاول اصح والظعينة المراة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون هذه الاية
نزلت في حاطب بن ابي بلتعة كما في الحديث وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والعشيرة
والموالي وقد ذهب موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت اليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها واين انت من شباب مكة وكانت
مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها بني عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوة وحملوها فاتاها حاطب
بن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب
في الكتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد وكانوا فرسانا
فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه
اليكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من
كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل
السيف وقال اخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذؤابتها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها
ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له
هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن
لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم
يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال
يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما
شئتم فقد غفرت لكم

ماشيتم فقد غفرت لكم فانزل الله في شان حاطب يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء اي اصدقاء وانصارا تلقون اليهم بالمودة اي باسباب
المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالمودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا اي والحال انهم كفروا بما جاءهم من الحق
يعني القران يخرجون الرسول واياكم يعني من مكة ان تومنوا اي لان تومنوا كانه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله ربكم ان كنتم هذا شرط جوابه
متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء قوله تعالى تسرون اليهم بالمودة اي
اي بالنصيحة وانا اعلم بما اخفيتم اي من المودة للكفار وما اعلنتم اي اظهرتم بالسنتكم منها ومن يفعله منكم اي الاسرار والقاء المودة اليهم
فقد ضل سواء السبيل اي اخطا طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى ان يثقفوكم اي يظفروا بكم ويصادفوكم يكونوا لكم اعداء
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بالضرب والقتل والشتم والسب وودوا اي تمنوا لو تكفرون اي ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى
ان اعداء الله تعالى لا يخلصون المودة لاولياء الله لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم ولا توادوهم لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم
اي لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو ارحامكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وترك مناصحتهم ونقل
اخبارهم وموالاة اعدائهم فانهم لا ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم فيدخل اهل طاعته
الجنة واهل معصيته النار والله بما تعملون بصير قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم يخاطب حاطبا والمومنين
ويامرهم بالاقتداء بابراهيم عليه السلام والذين معه اي من اهل الايمان اذ قالوا لقومهم يعني المشركين انا برءاؤا منكم جمع بريء
ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي جحدناكم وانكرنا دينكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تومنوا بالله وحده
والمعنى ان ابرهيم عليه واصحابه تبروا من قومهم وعادوهم وهجروهم فامر حاطبا والمومنين ان يتاسوا بهم الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك يعني لكم ان تتاسوا بابراهيم في جميع اموره الا في استغفاره لابيه المشرك فلا تتاسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له انه
عدو لله تبرا منه وما املك لك من الله من شيء هذا من قول ابراهيم لابيه يعني ما اغني عنك ولا ادفع عنك عذاب الله ان عصيته واشركت
به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابرهيم ومن معه من المسلمين ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا
لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون
لو كان هولاء على الحق ما اصابهم ذلك واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اي في ابرهيم ومن معه اسوة حسنة اي اقتداء حسنا
لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول اي يعرض عن الايمان ويوالي الكفار فان الله هو
الغني اي عن خلقه الحميد اي الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله المومنين بعداوة الكفار عادى المومنون اقرباءهم المشركين واظهروا
لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المومنين بذلك انزل الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من
كفار مكة مودة ففعل الله ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج رسول الله صلى الله
بنت ابي سفيان فلان لهم ابو سفيان والله قدير اي على جعل المودة والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم واسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا
المومنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم اي لا ينهيكم الله
عن بر الذين لم يقاتلوكم وتقسطوا اليهم اي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم وبرهم ان الله يحب المقسطين اي العادلين قال ابن عباس
نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله في برهم وقال عبد
الله بن الزبير نزلت في اسماء بنت ابي بكر وذلك ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا واقطا وسمنا وهي
مشركة فقالت اسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلي على بيتي حتى استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته فانزل الله هذه الاية فامرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وان تكرمها وتحسن اليها وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها قالت
قدمت علي امي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهيكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين قسم ثم ذكر الله عز وجل الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين

واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الاية خ عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يوميذ وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم انه

لا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المومنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي

صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يوميذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان

مسلما وجاء المومنات المهاجرات وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ وهي

عاتق وجاء اهلها يسالون النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها اليهم لما انزل الله فيهن اذا جاءكم المومنات

مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتني عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

يمتحنهن بهذه الاية يا ايها النبي اذا جاءك المومنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عايشة فمن اقر بهذا منهن قال لها رسول

الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده امراة قط في المبايعة ما بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس

اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركوا مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى

مكة من اصحابه لم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب واقبل

زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك شرطت ان ترد علينا

من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات اي من دار الكفر الى دار الاسلام

فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان تستحلف ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا لحدث احدثته ولا التماس دنيا

وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه

وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون والمراد بقوله يا ايها

الذين امنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه فكان يرد من جاء من النساء بعد الانكار ويعطي ازوا

جهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال واختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا او عموما فقيل كان

شرط ردهن وقيل لم يشترط ردهن لفظا صريحا وانما اطلق العقد فكان ظاهر العموم اشتماله على النساء مع الرجال فبين الله

الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن فان علمتموهن

علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن يعني انه فرق بالايمان فلا تردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مو

منة لكافر واتوهم يعني ازواجهن الكفار ما انفقوا اي عليهن من المهر الذي دفعوه اليهن ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن

اجورهن اي مهورهن اباح الله تبارك وتعالى نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج كفار في دار الحرب لان الاسلام

فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار ووقعت الفرقة على انقضاء عدتها فان اسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي

والليث بن سعد ومالك والشافعي واحمد وقال ابو حنيفة باختلاف الدارين ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما اعتصم

به من العقد والنسب نهى الله تعالى المومنين عن نكاح المشركات المقام على نكاح المشركات بقول الله تعالى وان كانت له امراة كافرة

بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت هذه الاية طلق عمر بن الخطاب امراتين كانتا

بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول

الخزاعية وهي ام ابنه عبد الله فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما وكانت اروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب

تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص

بن امية قال الشافعي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاصي بن الربيع فاسلمت وهاجرت ولحقت

بالنبي صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاصي بن الربيع واقام ابو العاصي بمكة مشركا ثم اتى المدينة واسلم فردها اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسئلوا

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

وسئلوا ايها المومنون ما انفقتم يعني ان لحقت امراة منكم بالمشركين فاطلبوا ما انفقتم من المهر اذا منعوها
ممن تزوجها منهم وليسئلوا يعني المشركين الذين لحقت ازواجهم منكم ما انفقوا اي من المهر ممن تزوجها منكم ذلكم حكم الله
يحكم بينكم والله عليم حكيم قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء
ولم يرد الصداق وكذلك كان يصنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اقر المومنون بحكم الله تعالى وادوا ما امروا
به من اداء نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله من اداء نفقة المومنين فانزل الله عز وجل وان فاتكم شيء
من ازواجكم الى الكفار اي فلحقن بهم مرتدات فعاقبتم معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وقيل معناه
ظهرتم وكانت العاقبة لكم فئاتوا الذين ذهبت ازواجهم الى الكفار مثل ما انفقوا معناه اعطوا الذين ذهبت ازواجهم منكم الى
الكفار مرتدة مثل ما انفقوا عليها من الغنائم التي صارت في ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المومنين
المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة
وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد
العزيز بن نضلة وزوجها عمر بن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاصي وابلوا ام كلثوم بنت جرول
وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن على الاسلام واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة
واختلف القول في مهر من اسلمت من النساء الى ازواجهن هل كان واجبا او مندوبا واصل هذه المسئلة ان الصلح هل كان وقع على
رد النساء ام لا فيه قولان احدهما انه كان وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روي انه لا ياتيك منا احد الا رددته ثم صار الحكم في
النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا القول الثاني ان الصلح كان لم يقع على رد النساء
لانه روي عن علي رضي الله عنه انه قال لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك ان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الذي
يخشى على المراة الشرك اباها وانه لا يومن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هداية ابتهالها الى المخرج منه با
ظهار كلمة الكفر مع التورية واظهار الايمان وطمانينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهداية التورية فعلى هذا
كان المهر مندوبا واختلفوا في انه هل يجب به العمل اليوم في رد المال اذا اشترط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الاية
منسوخة وبرد عليهم ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مومنون قوله عز وجل يا ايها النبيء اذا جاءك المومنات يبايعنك
الاية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النساء يبايعنه
وعمر بن الخطاب اسفل منه يبلغ عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابايعكن على ان لا يشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت والله
انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبيء صلى الله
عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت فيما
مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفها وقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف
عما سلف عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا
وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا با
لرشد ومكارم الاخلاق ولا يعصينك في معروف قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء فا
قر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة قال الجوزي وجملة من احصي من المبايعات اربع مائة وسبع وخمسون امراة
ولم يصافح في البيعة امراة وانما بايعهن بالكلام وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء

بالكلام بهذه الآية لا يشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لا يملكها وأما تفسير الآية فقوله تعالى
ولا يقتلن أولادهن أراد به وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن
وأرجلهن يعني لا تلحق المرأة بزوجها غير ولده وذلك أن المرأة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك وهذا هو
البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنى لأن النهي عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين أيديهن وأرجلهن ومعناه أن الولد إذا
وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف أي في ما تأمرهن به وتنهاهن عنه وقيل في كل أمر وافق طاعة
الله وكل أمر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ولا تحدث المرأة بالويل
الرجال إلا ذا محرم ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله تعالى ولا يعصينك في معروف إنما هو جلابب
شرط شرطه الله تعالى على النساء أخرجه البخاري وعن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ
علينا أن لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها وقالت فلانة أسعدتني وأنا أريد أن أجزيها
فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ثم رجعت فبايعها ق عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن أسيد بن أبي أسيد عن امرأة من المبايعات قالت
كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه أن لا نخمش وجها ولا ندعو
ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا أخرجه أبو داود عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين
بايعهن أن لا ينحن فقلن يا رسول الله إن نساء أسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إسعاد في الإسلام او نساء
أخرجه النسائي م عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة إذا لم تتب قبل موتها
تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم النائحة والمستمعة أخرجه أبو داود قوله تعالى فبايعهن يعني إذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن
واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم عن أميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما
استطعتن وأطقتن قلت الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل يا أيها
الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود وذلك أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار
المسلمين يتوصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك قد يئسوا من الآخرة يعني اليهود وذلك
أنهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وصدقوه وأنه رسول الله فكذبوه فيئسوا أن يكون لهم ثواب أو خير في الآخرة
كما يئس الكفار من أصحاب القبور يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من أن يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك أن الكفار
إذا دخلوا قبورهم يئسوا من رحمة الله وقيل معناه كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم والمعنى أن اليهود
الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور
والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الصف وفيها قولان أحدهما أنها

مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني أنها مكية وهي أربع عشرة آية ومائتين وإحدى
وعشرين كلمة وسبع مائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما
في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قيل في سبب نزولها روي عن عبد الله بن سلام رضي الله
عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه فأنزل
سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله

بن سلام

بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال المفسرون إن المؤمنين قالوا لو علمنا أحب
الأعمال إلى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل عز وجل إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وأنزل هل
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم الآية فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين وكرهوا الموت وأحبوا الحياة فأنزل الله تعالى واحبوا
لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن
فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله تعالى بهذه الآية وقيل نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم
يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب فنزلت هذه وقيل نزلت في المنافقين وذلك أنهم كانوا يعدون النصر للمؤ
منين وهم كذبوا كبر مقتا عند الله أي عظم عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون معناه أن تعدوا من أنفسكم شيئا
ثم لم تفوا به إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم
كأنهم بنيان مرصوص أي قد رص بعضه ببعض وألزق بعضه إلى بعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث
تراصوا في الصف والمعنى يحب من يثبت في سبيله صفا ويلزم مكانه كثبوت البناء قوله تعالى وإذ قال موسى
لقومه أي واذكر يا محمد لقومك إذ قال موسى لقومه يا بني إسرائيل يا قومي لم تؤذونني قيل إنهم كانوا يؤذونه
بأنواع من الأذى والتعنت منها قولهم أرنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها أنهم رموه
بالأدرة وقد تعلمون أني رسول الله إليكم يعني تؤذونني وأنتم عالمون علما قطعيا أني رسول الله إليكم والرسول يعظم ويوقر
ويحترم ولا يؤذى فلما زاغوا أي عدلوا ومالوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم أي أمالها عن الحق إلى غيره والله لا
يهدي القوم الفاسقين لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق خارج عن طاعته وهذا تنبيه على عظم إيذاء الرسل
حتى إن إيذاءهم يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم أي أني رسول أرسلت
بأحكام التوراة وبكتاب الله وأنبيائه جميعا من تقدم ومبشرا برسول يأتي من بعدي أي يصدق وبالتوراة على
مثل تصديقي فكأنه قيل له ما اسمه فقال اسمه أحمد عن أبي موسى رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن ننطلق إلى أرض النجاشي وذكر الحديث بطوله وفيه قال سمعت النجاشي يقول أشهد
أن محمدا رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل
نعليه فقال أبو داود وعن [illegible] عن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم يدفن
معه قال أبو داود وقد بقي في البيت موضع قبر أخرجه الترمذي عن كعب
الأحبار أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة محمد صلى الله عليه وسلم حكماء
علماء أبرار أتقياء كأنهم في الفقه من الفقهاء أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله عنهم
باليسير من العمل عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي
خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله تعالى رؤوفا رحيما وأحمد يحتمل معنيين أحدهما
أنه مبالغة من الفاعل ومعناه أن الأنبياء حامدون لله عز وجل وهو أكثر حمدا والثاني أنه مبالغة
من المفعول ومعناه أن الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع
للفضائل والمحاسن والأخلاق التي يحمد بها من غيره فلما جاءهم بالبينات قيل هو عيسى عليه السلام
وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا سحر مبين أي ظاهر ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب أي ومن أقبح
ظلما ممن بلغ افتراؤه أن يكذب على الله وذلك أنهم علموا أن ما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به وهو يدعى

أي الله تعالى يحب من يثبت في الجهاد في سبيله صفا

في الجهاد

إليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة مصدقا لما بين يدي من التوراة أي أقر ومعترفا بأحكام

وهو يدعى الى الاسلام معنى الاية ان الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله
بقوله هذا سحر مبين وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم
عقوبة لهم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم يعني ارادتهم ابطال الاسلام
بقولهم في القران هذا سحر مبين والله متم نوره اي متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه ولو كره
الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اي ليعليه على الاديان المخالفة
له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم نزلت هذه الاية حين قالوا لو علمنا
اي الاعمال احب الى الله عز وجل لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يرجون فيها رضى الله عز
وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم اي الذي امركم به من الايمان والجهاد في سبيله
ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله
لان معناه معنى الامر المعنى امنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله اي اذا فعلتم ذلك يغفر
لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز
العظيم يعني هذا الذي ذكر هو الفوز العظيم واخرى تحبونها اي ولكم تجارة اخرى وقيل لكم خصلة اخرى
تحبونها في العاجل مع ثواب الاخرة وتلك الخصلة نصر من الله وفتح قريب قيل هو النصر على
قريش وفتح مكة وقيل فتح فارس والروم وبشر المومنين اي يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة
ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما
قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريين
دين الله لما قال لهم عيسى من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وكانوا اثنا عشر رجلا اول من امن
بعيسى عليه السلام وحواري الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حواري الزبير فا
منت طايفة من بني اسرايل وكفرت طايفة قال ابن عباس في زمن عيسى عليه السلام وذلك لما رفع تفرق قومه
ثلاثة فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان
عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المومنون واتبع كل فرقة منهم طايفة من الناس فاقتتلوا
فظهرت الفرقتان الكافرتان على المومنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة
المومنة على الكافرة فذلك قوله تعالى فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اي غالبين
عالين وقيل معناه حجة من امن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم
ان عيسى روح الله وكلمته والله سبحانه اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة اية ومائة
وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يسبح لله ما في السموات

اللهم صل على سيدنا محمد

107

تفسير سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة
وسبعمائة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض
الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين يعني العرب وكانت العرب امة امية لا تكتب ولا تقرأ ولم
يبعث فيهم نبي الا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الامي الذي بقي على ما خلق عليه كانه منسوب الى امه رسولا منهم
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل امي مثلهم وانما كان اميا لان نعته في
كتب الانبياء النبي الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة بالكتبة على ما اتى به من الوحي وال
حكمة ولتكون حاله مشاكلة لحالة امته الذين بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه يتلو عليهم اياته اي ينبئهم
رسالاته وقيل اياته التي يتميز فيها الحلال من الحرام والحق من الباطل ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الشرك
ويعلمهم الكتاب يعني القرآن وقيل الفرائض والحكمة قيل هي السنة وان كانوا من قبل اي من قبل ارسال محمد
صلى الله عليه وسلم اليهم لفي ضلال مبين واخرين منهم اي من المومنين الذين يدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا
صاروا منهم لان المومنين كلهم امة واحدة وقيل انه اراد باخرين العجم وهو قول عمر وسعيد بن جبير ورو المسلمين
اية عن مجاهد يدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا
بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذي
نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء اخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع
من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة لما يلحقوا بهم اي لم يدركوهم ولكنهم يجيئون بعد
هم وقيل لما يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شأن الصحابة وهو العزيز اي الغالب الذي قهر
الجبابرة الحكيم اي في كل مخلوق يشهد بوحدانيته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني الاسلام وقيل النبوة اختص
بها محمدا صلى الله عليه وسلم والله ذو الفضل العظيم اي على خلقه حيث ارسل فيهم رسوله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
مثل الذين حملوا التوراة يعني اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ليس هو من الحمل على الظهر وانما
هو من الحمالة والحميل هو الكفيل ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا جمع
سفر وهي الكتب العظام من العلم سمي سفرا لانه يسفر عما فيه من العلم وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود
الذين اعرضوا عن العمل بالتوراة وبالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبه اليهود اذ لم يعملوا بما في التوراة الدالة
على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين
يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم
يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لم يحتج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان
يتبعكم ثم تلا هذه الاية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى بئس مثل القوم اي بئس مثلا مثل القوم
الذين كذبوا بايات الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما اوتي به من ايات القرآن وقيل المراد بالايات ايات التوراة
لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي من سبق في علمه
انه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا انفسهم بتكذيب ايات الله وانبيائه قل يا محمد يا ايها الذين هادوا ان زعمتم
انكم اولياء لله من دون الناس اي من دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فتمنوا الموت اي ادعوا على انفسكم بالموت
ان كنتم صادقين يعني فيما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه لان الاخرة خير لاولياء الله من الدنيا

ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم أي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب والله عليم بالظالمين قل إن الموت
الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ولا ينفعكم الفرار منه ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيه وعد
وتهديد قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة أي لوقت الصلاة من يوم الجمعة أي في يوم الجمعة وأراد بهذا
النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة لأنه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان إذا
جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر أذن بلال خ عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام
على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء زاد
في رواية فثبت الأمر على ذلك ولأبي داود قال كان يؤذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس على المنبر يوم الجمعة
على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قرب المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا
في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء فاجتمعت فيه
المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل أول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة أول
من قال أما بعد كعب بن لؤي وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع أهل
المدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة قالوا لليهود يوم
يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود
ويوم الأحد للنصارى فاجعلوا يوم العروبة فجعلوه يوم العروبة ثم أنزل الله في ذلك بعد وعن كعب بن مالك أنه كان إذا سمع
النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة
قال لأنه أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعون
أخرجه أبو داود وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه على ما ذكره أهل السير أن النبي صلى
الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع
الأول حين امتد الضحى فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهر
هم يوم الجمعة عامدا إلى المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم وقد اتخذ ذلك الموضع
مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى فاسعوا إلى ذكر الله أي فامضوا إلى ذكر الله وا
عملوا له وليس المراد من السعي الإسراع في المشي إنما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا إلى ذكر الله
وقال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن با
لقلوب والنية والخشوع وعن قتادة في هذه الآية فاسعوا إلى ذكر الله قال السعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو
المشي إليها وكان يتناول قوله فلما بلغ معه السعي فلما مشى معه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم الإقامة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما
فاتكم فأتموا وفي رواية إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون عليكم السكينة وذكر نحوه وزاد مسلم
فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة والمراد بقوله فاسعوا إلى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو
موعظة الإمام وذروا البيع يعني البيع والشراء لأن اسم البيع يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وإنما يحرم البيع والشراء
عند الأذان الثاني وقال الزهري عند خروج الإمام وقال الضحاك إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء ذلكم الذي ذكرت من
حضور الجمعة وترك البيع خير لكم أي من المبايعة في ذلك الوقت إن كنتم تعلمون أي مصالح أنفسكم فصل في فضل
الجمعة وأحكامها وإثم تاركها وفيه مسائل المسألة الأولى في فضلها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

قال رسول

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

108

رواية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج
منها زاد فيه ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة ق وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم
الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها أحد عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأ
شار بيده يقللها ق وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل
الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن
راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجا
جة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر
وفي رواية إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام
طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر وقوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا
كغسل الجنابة م عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع
وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا وقوله ومن مس الحصى
فقد لغا معناه أنه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فيجعله كاللغو خ عن عباية قال
أدركني أبو عبس وأنا ذاهب إلى الجمعة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت
قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحبار فجلست
معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته أن قلت له قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه تيب
عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس
شفقا من الساعة إلا الجن والإنس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا
إلا أعطاه إياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول
الله صلى الله عليه قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار وما حد
ثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت أية ساعة هي قال أبو هريرة فقلت أخبرني بها ولا تضن
عني وفي نسخة ولا تنفس علي فقال هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال أبو هريرة فقلت وكيف تكون في يوم
الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك ساعة لا
يصلى فيها فقال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة
حتى يصليها قال أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك في الموطأ والنسائي خ عن سلمان رضي
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهر
ويدهن من دهنه ويمس من طيبه ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام
إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام ولم يلغ واستمع كان له بكل
خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها أخرجه أبو داود والنسائي في أبي داود وروي غسل مخففا غسل و
اغتسل فقال غسل رأسه وجسده المسألة الثانية في إثم تاركها عن عبد الله بن عمر وابن العاصي وأبي
هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات

عونك يا كريم

صلى الله

او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين عن ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة ان رسول الله عليه وسلم
قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع على قلبه اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي بنحوه م عن ابن مسعود
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالنا
س ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم المسئلة الثالثة في تاكيد وجوبها قال العلماء صلاة
الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن ترك
من غير عذر استحق الوعيد اما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة
على النساء بلا اختلاف ويدل على ذلك ما روي عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة
حق واجب على كل مسلم في جماعة عبد مملوك او امراة او صبي او مريض اخرجه ابو داود وقال طارق راى الا على اربعة
النبي صلى الله عليه وسلم وهو من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا عن عبد الله بن عمر ويعد
وبن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء اخرجه ابو داود
في وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الجمعة على من آواه الليل الى اهله اخرجه الترمذي ولا تجب على المراة ولا على العبيد وقال الحسن وقتادة وال
والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن احمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادي اذا سمعوا ا
لنداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد
واسحاق والشرط ان يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات هادية والرياح سا
كنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن
المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة
اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل السواد سواء كانت القرية قريبة او
بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما رواه البخاري عن ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد
رسول الله صلى الله عليه في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى
البحرين المسئلة الرابعة في تركها بالعذر وكل من له عذر من مرض او تعهد مريض او خوف
جاز له ترك الجمعة وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس انه خطب
في يوم ذي ردغ فامر المؤذن لما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كانهم انكروا فقال
كانكم انكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة واني كرهت ان احر
جكم زاد في رواية فتمشون في الطين والدحض والزلق اخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا
حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر لكن لا يكمل به عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر يكمل
به العدد المسئلة الخامسة في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف اهل العلم في العدد الذي تنعقد به الجمعة
فقيل لا تنعقد باقل من اربعين وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحاق
وقالوا لا تنعقد باقل من اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بان يكونوا احرارا عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنو
ن عنه شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم وال والوالي غير شرط وال
عند الشافعي وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول اصحاب الرأي ثم عند ابي
حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط عنده وقال الاوزاعي وابو حنيفة تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن

تنعقد

تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليهم
الجمعة كالعبد والمسافر والمرأة والصبي ولا تنعقد الا بموضع واحد من البلد وبه قال مالك والشافعي
وابو يوسف وقال احمد تصح بموضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع المسألة السادسة لا يجوز
ان يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال اذا كان يجاوز البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل خروج الو
الزوال او بعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره الا ان يكون سفره سفر طاعة كحج او غزو وقد ذهب بعضهم
الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ما روي عن ابن عباس قال
بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فقدم اصحابه وقال
اتخلف واصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه
فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلي معك ثم الحقهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت
فضل غدوتهم اخرجه الترمذي وروي ان عمر رأى رجلا عليه هيئة السفر فسمعه يقول لولا ان اليوم يوم جمعة
لخرجت فقال عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس عن السفر وللجمعة شرائط وسنن وآداب موضع ذكرها
في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله اعلم قوله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض اي اذا
فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوائجكم وابتغوا من فضل الله يعني الرزق وهذا
امر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في
الارض ليس لطلب الدنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله
هو طلب العلم وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم
اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين واذكروا الله كثيرا
اي اذا رجعتم من الصلاة الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة
وقيل لا تكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما او قاعدا او مضطجعا لعلكم تفلحون قوله
عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما عن جابر رضي الله عنه قال بينما نحن نصلي مع ر
سول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه
وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وفي روا
ية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشام وذكر نحوه وفيه الا اثني عشر
رجلا فيهم ابو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة فخر
ج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا انا فيهم وذكر نحوه في هذا الحديث حجة لمن يرى صحة الجمعة
باثني عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط
هذا العدد وقال في رواية عنه لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وابو مالك اصاب اهل
المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي صلى
الله عليه وسلم يخطب فلما راوه بالبقيع قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى
الله عليه وسلم الا رهط فيهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس
محمد صلى الله عليه وسلم بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم احد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بينما رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام وكان اذا قدم

ثم يقع عاتق بالمدينة الانفس وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وزيت وغيره فينزل عند احجار الزيت
وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم
ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم
يبق بالمسجد الا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد قالوا اثنا عشر
رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء وانزل الله هذه الاية
واراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق فقوله تعالى انفضوا
اليها اي تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير في اليها راجع للتجارة لانها اهم اليهم وتركوك قائما اتفقوا على ان
هذا القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما
او قاعدا قال اما تقرا وتركوك قائما قال العلماء الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي
مستحبة ويجب ان يخطب الامام قائما خطبتين يجلس بينهما وقال ابو حنيفة واحمد لا يشترط القيام ولا
القعود ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في احد القولين واقل ما يقع عليه اسم الخطبة ان
يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعا ويجب
ان يقرا في الاولى اية من القران ويدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لم تصح خطبته
ولا جمعته عند الشافعي وذهب ابو حنيفة الى انه لو اتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزاه وهذا القدر لا
يقع عليه اسم الخطبة وهو مامور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم
عليهم خلافا لابي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه قولان بين العلماء والاصح انه يحرم على
المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلي تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابي حنيفة ومالك
ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام م عن ابن عمر رضي الله عنه قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية كان يخطب يوم الجمعة قائما ثم يجلس ثم
يقوم كما تفعلون م عن جابر بن سمرة قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس
بينهما يقرا القران ويذكر الناس وفي رواية فمن حدثك انه كان يخطب جالسا فقد كذب م عن كعب بن الناس
عجرة رضي الله عنه انه دخل المسجد وعبد الرحمن بن عبد الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب
قاعدا وقال الله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما م عن جابر بن سمرة قال كنت اصلي مع
النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد ابو داود في رواية يقرا ايات من القران ويذكر
الناس عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي
كاليد الجذماء اخرجه ابو داود والترمذي ولابي داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدا فيه
بالحمد لله فهو اجذم عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه
ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا
الله ونشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا وفي رواية ان يونس سال ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسال ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله
ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فانما نحن به وله اخرجه ابو داود م عن جابر رضي الله عنه قال كانت خطبة رسو

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول على إثر ذلك وقد علا صوته
واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين
إصبعيه بين السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور
محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا
فإلي وعلي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوى على المنبر
استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قلت
لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت وقال ابن شهاب خروج الإمام يقطع الصلاة وكلامه يقطع ا
عن نافع أن ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والإمام يخطب يوم الجمعة فحصبهما أن اصمتا أخرجه مالك في الموطأ وقال
ابن شهاب خروج الإمام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فأما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما في القراءة
ولجواز الجمعة خمس شرائط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر والعدد
والإمام والخطبة ودار الإقامة فإن فقد شرط من هذه الشروط الخمس يجب أن تصلى ظهرا ولا يجوز للإمام أن
يبتدئ بالخطبة قبل اجتماع العدد وهو عدد الأربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل
ابتداء الصلاة أو نقص واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة
ثم انفضوا فأصح أقوال الشافعي أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت
شرط إلى آخر الصلاة فلو انفض واحد قبل أن يصلي الإمام يجب على الباقين أن يصلوها ظهرا وفيه
قول آخر وهو إن بقي معه اثنان أتمها جمعة وقيل إن بقي معه واحد أتمها جمعة وعند المزني إن
كان انفضوا بعدما صلى بهم الإمام ركعة أتمها جمعة وإن بقي وحده وإن كان في الركعة الأولى أتمها أربعا
وإن انفض من العدد واحد وبه قال أبو حنيفة لا كن في العدد الذي يشترط كالمسبوق إذا أدرك مع
الإمام ركعة من الجمعة فإذا سلم الإمام قام أتمها جمعة وإن أدرك أقل من ركعة أتمها أربعا خ
عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس م عن
عبيد الله بن أبي رافع قال استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج إلى مكة فصلى بنا أبو هريرة الجمعة
فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة في الأولى وإذا جاءك المنافقون في الثانية فأدركت أبا هريرة حين انصرف
فقلت له إنك قرأت بسورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الكوفة قال أبو هريرة سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما م عن النعمان بن بشير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ
في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال وإذا اجتمع العيد والجمعة
في يوم واحد يقرأ بهما في الصلاتين عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في
الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية أخرجه أبو داود والنسائي قوله تعالى قل
ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة أي ما عند الله من الثواب والأجر على الصلاة والثبات مع النبي
صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة التي جاء بها دحية والله خير الرازقين يعني الله تعالى موجد
الأرزاق فإياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه تفسير
سورة المنافقين مدنية وهي إحدى عشرة آية وثمانون كلمة وتسع مائة وستة وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل إذا جاءك المنافقون يعني عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه قالوا

عز بك يا كريم

نشهد انك لرسول الله وتم الخبر عنهم ثم ابتدا فقال والله يعلم انك لرسوله اي هو الذي ارسلك فهو
عالم بك والله يشهد ان المنافقين لكاذبون يعني في قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم اضمروا خلاف
ما اظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطي اللسان القلب وكذلك الكلام فمن اخبر بشي او اخبر عن شي
واعتقد خلافه او اضمر خلاف ما اظهر فهو كاذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لر
سول الله وسماهم كذابا لان قولهم خالف اعتقادهم اتخذوا ايمانهم جنة اي سترا يستترون به من
القتل ومعنى ايمانهم فاخبر الله عن حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله فصدوا عن
سبيل الله اي اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وقيل صدوا الناس
عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم انهم ساء ما كانوا يعملون يعني حيث اثروا الكفر على
الايمان ذلك بانهم امنوا اي في الظاهر وذلك اذا راوا المومنين اقروا بالايمان ثم كفروا اي في السر وذلك اذا خلوا
مع المشركين وفيه تاكيد لقوله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون فطبع على قلوبهم اي بالكفر فهم لا يفقهون
اي بالايمان وقيل لا يتدبرون القران واذا رايتهم اي المنافقين مثل عبد الله بن ابي بن سلول تعجبك اجسامهم
يعني ان لهم اجساما ومناظر حسنة وان يقولوا تسمع لقولهم اي تحسب انه صدق وقال ابن عباس كان
عبد الله بن ابي جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله كانهم ذلق
خشب مسندة اي اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة الى جدار
وليست باشجار مثمرة ينتفع بها يحسبون كل صيحة عليهم يعني انهم لا يسمعون صوتا في العسكر با
ن نادى مناد او انفلتت دابة او انشدت ضالة الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا
انهم قد اوتوا لما في قلوبهم من الرعب وقيل كانوا على وجل وخوف من ان ينزل فيهم امر يهتك استارهم لد
ويبيح دماءهم ثم تم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدا فقال تعالى هم العدو فاحذرهم اي لا تامنهم يعني وان كانوا
معك ويظهرون النصح فانهم اعداء لك فاحذرهم اي لا تامنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار
ينقلون اليهم اسرارك قاتلهم الله اي لعنهم الله انى يوفكون اي يصرفون عن الحق قوله عز وجل واذا قيل لهم
تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم مالوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار ورايتهم
يصدون اي يعرضون عما دعوا اليه وهم مستكبرون اي عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء عليهم
استغفرت لهم اي يا محمد ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين ذكر القصة في سبب
نزول هذه الاية قال محمد بن اسحاق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه
ان بني المصطلق يجمعون لحربه وقائدهم الحارث بن ابي ضرار وهو ابو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم
فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من
ناحية قديد الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بني المصطلق وامكنه منهم وقتل من قتل
منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم وافاءها عليه فبينما الناس على ذلك ال
ماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم
جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار و
صرخ الغفاري يا معشر المهاجرين واعان جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال له عبد ا
لله بن ابي بن سلول انك لهناك فقال جعال وما يمنعني ان افعل ذلك فغضب عبد الله بن ابي وعنده

رهط

رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله افعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا
والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك اما والله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله
لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم ولا تنفقوا عليهم حتى
ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم
في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن ابي اسكت فانما كنت العب فمشى زيد بن
ارقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغهم من الغزو فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب
فقال دعني اضرب عنقه يا رسول الله قال فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن اذن بالرحيل
وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى عبد الله ابن ابي فاتاه فقال له انت صاحب الكلام الذي بلغني فقال عبد الله انزل عليك الكتاب ما قلت
شيا من ذلك وان زيدا لكاذب وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه
يا رسول الله عسى ان يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفشت الملامة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله
عليه وسلم والناس مقتوك وكان يسار النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك ان يدنو من النبي صلى
الله عليه وسلم فلما استقبل النبي صلى الله عليه وسلم لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه
ثم قال يا رسول الله لقد رحلت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابلغك
ما قال عبد الله بن ابي فقال اسيد انت والله يا رسول الله تخرجه هو والله هو الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول
الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك سلبته ملكه
وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من ابيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغني
انك تريد قتل عبد الله لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فامرني به فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج
ما كان بها من رجل ابر بوالده مني واني اخشى ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل
عبد الله يمشي على الارض فاقتله فاقتل مسلما بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق
به ونحسن صحبته ما بقي معنا فاسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك وليلته حتى اصبح وصدر
يومه حتى اذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما وانما فعل ذلك
ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن ابي الذي كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز
فويق النقيع يقال لها نقعاء فهاجت ريح شديدة اذتهم فتخوفوها وظلت ناقة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء
الكفار توفي بالمدينة قيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب
ولا يعلم بمكان ناقته الا يخبره الذي ياتيه بالوحي فاتاه جبريل عليه السلام فاخبره بقول المنافق وبمكان
ناقته فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله تعالى
اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب
فاذا هي كما قال فجاوا بها وفا من ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد

عونك يا قريب

بن التابوت فقد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة قال زيد بن ارقم فلست في البيت لما بي من الهم والحياء فانزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصد
يق زيد بن ارقم وتكذيب عبد الله بن ابي فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد ان
الله صدقك واوفى باذنك قال اصحاب السير وكان عبد الله بن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه
عبد الله بن عبد الله بن ابي حتى اناخ على مجامع الطرق طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن ابي قال له ابنه وراءك
قال ما لك ويلك قال والله لا تدخلها ابدا الا ان ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الا
عز من الاذل فشكى عبد الله بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع به ابنه عبد الله فارسل رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبد الله اما اذا جاء امر الله فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه
الاية السورة وبان كذب عبد الله بن ابي قيل يا ابا حباب انه قد نزل فيكم آي شداد فاذهب الى رسول اي
الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك فلوى راسه قال امرتموني ان اومن فامنت وامرتموني ان اعطي زكاة فلوى
مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فانزل الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رؤوسهم الاية ونزل هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه ولله خز
ائن السموات والارض اي بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي احد شيئا الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيئته ولكن المنافقين
لا يفقهون يعني ان امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون يقولون لئن رجعنا الى المدينة يعني من غزوة بني ا
لمصطلق ليخرجن الاعز منها الاذل فرد الله تعالى عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فعزة الله تعالى
قهره وغلبته على من دونه وعزة رسول الله صلى الله عليه اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين
نصر الله اياهم على اعدائهم ولكن المنافقين لا يعلمون اي ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال اصحاب
السير فلما نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي بن سلول فلم يلبث الا اياما قليلة حتى اشتكى ومات على نفاقه
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله يعني الصلوات الخمس
والمعنى لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله ومن يفعل ذلك اي من يشغله
ماله وولده عن ذكر الله فاولئك هم الخاسرون اي في تجارتهم حيث اثروا الفاني على الباقي وانفقوا مما رزقناكم
قال ابن عباس يريد زكاة الاموال من قبل ان ياتي احدكم الموت اي دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسال الر
جعة فيقول رب لولا اخرتني اي هلا امهلتني وقيل لو اخرت اجلي الى اجل قريب فاصدق اي فازكي مالي واكن وقرئ و
اكون من الصالحين اي من المؤمنين وقيل هذه الاية نزلت في المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لا يسال الر
جعة وقيل الاية نزلت في المؤمنين والمراد بالصلاح الحج قال ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته هنا
واطاق الحج ولم يحج الا سال الرجعة عند الموت وقرا هذه الاية واكن من الصالحين اي احج وازكي ولن يؤخر
الله نفسا اذا جاء اجلها يعني انه تعالى لا يؤخر من حضر اجله وانقضت مدته والله خبير بما تعملون يعني انه لو رد الى
الدنيا واجيب الى ما سال ما حج وما زكى وقيل هو خطاب شايع لكل عامل عملا من خير او شر والله سبحانه و
تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة التغابن مدنية في قول الاكثرين وقيل هي مكية وقيل الا
ثلاث ايات من قوله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الى ثلاث ايات وهي ثمان عشر
اية ومائتان واحدى وعشر اربعون كلمة والف وسبعون حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد يعني انه تعالى يتصرف في ملكه كيف يشاء فصور اختصاص

لا شريك له

اللهم صل على النبي الحبيب

لا شريك له في ملكه فيه وله الحمد لان اصول النعم كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال والمحمود في جميع الاحوال الا هو
وهو على كل شيء قدير يعني انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء بلا مانع ولا مدافع هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مو
من قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بني ادم مومنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيمة كما خلقهم مومن وكافر وعن
عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلا
ب ابايهم وخلق للنار اهلا وخلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم وعن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة
اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقه قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد
فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال جماعة في معنى الاية ان الله تعالى
خلق الخلق ثم كفروا وامنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كا
فر ومنكم مومن ثم اختلفوا في تاويلها فروي عن ابي سعيد الخدري انه قال فمنكم
كافر حياته ومنكم مومن في العاقبة ومنكم مومن حياته كافر في العاقبة وقال عطا
بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مومن بالكواكب ومنكم مومن بالله كافر بالكواكب
وقيل فمنكم كافر بان الله خالقه ومنكم الدهرية واصحاب الطبايع ومنكم مومن بان
بان الله خالقه وجملته القول فيه ان الله خالق الكافر وكفره وفعلا له وكسبا وخالق
المومن وايمانه وفعلا له وكسبا فالكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه وا
ختياره بتقدير الله ومشيته فالمومن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله اراد ذلك منه
وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك
عليه وعلمه منه وهذا طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من
منصب الجبرية والقدرية

والله بما تعملون بصير اي انه عالم بكفر الكافر وايمان المومن خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم
اي انه اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والنظر من حسن القامة والمناسبة في الاعضاء و
قد علم ان صورة الانسان احسن صورة واجملها واليه المصير اي المرجع في القيامة يعلم ما في السموات والارض
ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور معناه انه تعالى لا يخفى عليه خافية فاستوى في علمه ا
لظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم قوله تعالى الم ياتكم يخاطب كفار مكة نبؤا الذين كفروا من قبل يعني خبر
الامم الخالية فذاقوا وبال امرهم اي جزاء اعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ولهم عذاب اليم اي في الاخرة ذلك
الذي نزل بهم من العذاب بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا معناه انهم انكروا ان يكون الر
سول بشرا وذلك لقلة عقلهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا فكفروا اي جحدوا وانكروا
وتولوا اي اعرضوا واستغنى الله اي عن ايمانهم وعبادتهم والله غني اي عن خلقه حميد اي في افعاله ثم اخبر
الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل اي قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن اي يوم
القيمة ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير اي امر البعث والحساب يوم القيامة فامنوا بالله ورسوله لما ذكر
الله حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فامنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم
من العقوبة والنور الذي انزلنا يعني القران وسماه نورا لانه يهتدى به في ظلمات الضلالة كما يهتدى بالنور

بالنور في الظلمة والله بما تعملون خبير يعني مطلع عليكم عالم بأحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه قوله عز وجل يوم يجمعكم
ليوم الجمع يعني يوم القيمة يجمع الله فيه الأولين والآخرين وأهل السموات وأهل الأرضين ذلك يوم التغابن من الغبن
وهو فوت الحظ والمراد في المجازات والتجارة وذلك إذا أخذ الشيء بدون قيمته فقد غبن فالمغبون من غبن في
أهله ومنازله في الجنة وذلك لأن كل كافر له أهل ومنزل في الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان
ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان وقيل إن قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا غبن أعظم
من هذا ومن يؤمن بالله أي على ما جاءت به الرسل من الإيمان بالبعث والجنة والنار ويعمل صالحا أي في إيمانه إلى أن
يموت على ذلك نكفر عنه سيئاته وندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين
كفروا أي بوحدانية الله وقدرته وكذبوا بآياتنا أي الدالة على البعث أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله أي بقضاء الله وقدرته وإرادته ومن يؤمن بالله أي يصدق أنه لا يصيبه مصيبة من موت
أو مرض وذهاب مال ونحو ذلك إلا بقضاء الله تعالى وقدرته وإذنه يهد قلبه أي يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما
أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدرته وقيل يهد قلبه للشكر عند
الرخاء والصبر عند البلاء والله بكل شيء عليم وأطيعوا الله أي فيما أمر وأطيعوا الرسول أي فيما جاء به من عند الله و
ما أمركم به فإن توليتم أي عن إجابة الرسول فيما دعاكم إليه فإنما على رسولنا البلاغ المبين الله لا إله إلا هو أي
لا معبود ولا مقصود إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولا
دكم عدوا لكم فاحذروهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتوا النبي صلى الله عليه
وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم
عدوا لكم فاحذروهم الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا إنه صبرنا على إسلامكم فلا نصبر
على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم أي أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة وإن تعفوا
وتصفحوا وتغفروا هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه في الهجرة قد فقهوا في الدين فهم
أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فأمر
الله تعالى بالعفو عنهم والصفح وقال عطاء نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وكان ذا أهل وولد فكان
إذا أراد أن يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا إلى من تدعنا فيرق عليهم ويقيم فأنزل الله تعالى إن من أزواجكم وأولاد
كم عدوا لكم بحملهم إياكم على ترك طاعة الله تعالى فاحذروهم أي أن تقبلوا منهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا
أي فلا تعاقبوهم على خلافكم فإن الله غفور رحيم إنما أموالكم وأولادكم فتنة أي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة و
قد يقع الإنسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك والله عنده أجر عظيم يعني ا
لجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب الأولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر العظيم قال بعضهم لما ذكر
الله العداوة أدخل من للتبعيض فقال إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لأن كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر من في قوله تعالى
إنما أموالكم فتنة لأنهم لا يخلون عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن أ
حدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس منكم أحد يرجع إلى أهل وولد إلا اشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم
إني أعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين
وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما بين

فحملهما

فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله العظيم إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى
قطعت حديثي ورفعتهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم أي ما
أطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته واسمعوا وأطيعوا أي لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم
عنه وأنفقوا أي من أموالكم في حق الله الذي أمركم به خيرا لأنفسكم أي ما أنفقتم في طاعة الله ومن يوق شح نفسه
فأولئك هم المفلحون تقدم تفسيره إن تقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة
نفس أي إن تنفقوا في طاعة الله متقربين إليه بالإنفاق يضاعفه لكم أي يجزكم بالضعف إلى سبعمائة إلى ما يشاء
من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يعني يحب المتقربين إليه حليم أي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب لا يعاجل
والشهادة العزيز الحكيم والله سبحانه أعلم بمراده وأسرار كتابه تفسير سورة الطلاق مدنية وهي
اثنتا عشرة آية ومائتان وتسعة وأربعون كلمة وألف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا أيها النبي إذا طلقتم النساء نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لأنه المقدم عليهم فإذا خوطب
خطاب الجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا أيها النبي قل لأمتك فأضمر القول إذا طلقتم
النساء أي إذا أردتم تطليقهن فطلقوهن لعدتهن أي لزمان عدتهن وهو الطهر لأنها تعتد بذلك
الطهر من عدتها وتحصل العدة عقب الطلاق فلا يطول زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن
فطلقوهن في قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لأن غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الآية في عبد
الله بن عمر كان قد طلق امرأته في حال الحيض ق عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر
ثم تحيض ثم تطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء بها
قوله تعالى وأحصوا العدة أي عدة أقرائها فاحفظوها قيل أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد
أن يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى واتقوا الله ربكم أي واخشوا الله ولا
تعصوه فيما أمركم به لا تخرجوهن من بيوتهن يعني إذا كان المسكن الذي طلقها فيه الزوج للزوج بملك أو كراء
وإن كان عارية فارتجعت كان على الزوج أن يكتري لها مسكنا غيره ولا يجوز للزوج أن يخرج المرأة من المسكن
الذي طلقها فيه ولا يخرجن يعني ولا يجوز للمرأة أن تخرج ما لم تنقض عدتها لحق الله تعالى فإن خرجت لغير ضرورة
أثمت فإن وقعت ضرورة بأن خافت هدما أو غرقا جاز لها أن تخرج إلى منزل آخر وقوله تعالى إلا أن يأ
تين بفاحشة مبينة قال ابن عباس الفاحشة المبينة أن تبذو على أهل زوجها فيحل إخراجها لسوء خلقها
وقيل أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه
إلا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عد
تها فاحشة وتلك حدود الله يعني ما ذكر من سنة وما بعده من الأحكام ومن يتعد حدود الله أي فيطلق لغير السنة
أو يجاوز هذه الأحكام فقد ظلم نفسه أي ضر نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا أي يوقع في قلب الزوج مرا
جعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى
إذا ندم أمكنته المراجعة عن محارب بن دثار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحل الله شيئا أبغض
إليه من الطلاق أخرجه أبو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض
الحلال إلى الله الطلاق عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس

به حرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي {فاذا بلغن اجلهن} يعني اذا قربن من انقضاء عدتهن {فا
مسكوهن} اي راجعوهن {بمعروف او فارقوهن بمعروف} اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيبن منكم {واشهدوا ذوي
عدل منكم} اي على الرجعة والفراق وامر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق عن عمران بن حصين رضي الله عنه سئل
عن رجل يطلق امراته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد اخرجه ابو داود وهذا الا
شهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كما في قوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب
اليه في الفرقة {وفائدة} هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احد الزوجين
فيدعي الاخر الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة المراجعة فتنقضي العدة وتنكح
زوجا اخر {واقيموا الشهادة} يعني ايها الشهود {لله} اي طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادو
ها على الصحة {ذلكم يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا} قيل معناه ومن
يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون
ابنا له يسمى مالكا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اسر العدو ابني وشكا اليه ايضا الفاقة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل الرجل ذلك و
فبينما هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه {وعن ابن عباس} قال غفل عنه
العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهي اربعة الاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا في ابنه {ويرزقه
من حيث لا يحتسب} يعني ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبي صلى الله
عليه وسلم واخبره الخبر وساله ايحل له ان ياكل ما اتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الاية
{ومن يتوكل على الله فهو حسبه} يعني يتوكل على الله فيما نابه كفاه ما اهمه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا {ان الله بالغ امره} اي منفذ امر
ه وممض في خلقه ما قضاه {قد جعل الله لكل شيء قدرا} اي جعل لكل شيء قدرا من شدة او رخاء اجلا ينتهي اليه و
قال مسروق في هذه الاية ان الله بالغ امره توكل عليه او لم يتوكل غير ان المتوكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له
اجرا قوله عز وجل {واللائي يئسن من المحيض من نسائكم} قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلا
ثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى فا
نزل الله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني القواعد اللائي قعدن عن الحيض فلا يرجون ان يحضن وهن العجائز
والايسات من الحيض {ان ارتبتم} اي شككتم في حكمهن فلم تدروا ما عدتهن {فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم
يحضن} يعني الجواري اللائي لم يحضن بعد فعدتهن ثلاثة اشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن
الايسات فذهب اكثر اهل العلم ان عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن
الايسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطا
واليه ذهب الشافعي واصحاب الراي وحكي عن عمر انه تتربص تسعة اشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهو
قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا كله في عدة الطلاق {واما المتوفى
عنها زوجها} فعدتها اربعة اشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض او لا {واما الحامل} فعدتها وضع حملها سواء طلقها
زوجها او مات عنها وهو قوله تعالى {واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن} وعن سبيعة الاسلمية انها كانت
تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لوي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل

فلم تنشب

فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب ترجو النكاح فدخل عليها
ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها مالي اراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وانك والله ما انت
بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزويج ان بدا لي لفظ
البخاري ولمسلم نحوه وزاد ابن شهاب ولا ارى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها
زوجها حتى تطهر ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي يسهل عليه امور الدنيا والاخرة ذلك اي الذي ذكر
من الاحكام امر الله انزله اليكم اي لتعملوا به ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قوله تعالى اسكنوهن
يعني مطلقات نسائكم من حيث سكنتم من وجدكم اي من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها
في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة ولا تضاروهن اي لا تؤذوهن لتضيقوا عليهن يعني مساكنهن
فيخرجن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن اي فيخرجن من عدتهن فصل في حكم
الاية اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ويعني بالسكنى
مؤنة السكنى فان كانت الدار التي طلقها فيها الزوج ملك الزوج يجب عليه ان يخرج منها ويترك الدار
لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجارة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان
يكتري لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة بالخلع وبالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا
كانت او غير حامل عند اكثر اهل العلم وروي عن ابن عباس انه قال السكنى لها الا ان تكون حاملا وهو
قول الحسن والشافعي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم الى انه لا نفقة لها الا ان تكون حاملا يروى ذلك عن
ابن عباس وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي واحمد ومنهم من اوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن
مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري واصحاب الراي وظاهر القران يدل على انها لا تستحق شيئا
الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن والدليل على ذلك من السنة ما روي عن
فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته
فقال والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ليس لك
عليه نفقة وامرها ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها اصحابي اعتدي عند ابن ام مكتوم فانه
رجل اعمى تضعين ثيابك فاذا حللت فآذنيني قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن ابي سفيان وابا جهم
خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك
لا مال له انكحي اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي اسامة فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم
واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد في بيت ابن
ام مكتوم ولا حجة له فيه لما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش ولا
فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها
ذرابة واما المعتدة من وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة
وان كانت حاملا واما المعتدة من وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروي عن علي ان لها النفقة
ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها
وللشافعي فيه قولان احدهما انها لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة

عونك يا كريم

وبه قال عطاء والحسن وهو قول ابي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود
وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري واحمد واسحاق واحتج من اوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك
بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسئله ان ترجع الى اهلها
في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي في بني خدرة فان زوجي لم يترك لي مسكنا يملكه ولا نفقة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت بالحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرني
فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شان زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب
اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسالني فاخبرته فاتبعه
وقضى به اخرجه ابو داود والترمذي فمن قال بهذا القول قال اذنه للفريعة اولا بالرجوع صار منسوخا بقوله آ
خرا امكثي بالوجوب قوله عز وجل فان ارضعن لكم يعني اولادكم فآتوهن اجورهن يعني على ارضاعهن
وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها ان تاخذ عليه اجرا وفيه
دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد وأتمروا بينكم بمعروف اي ليقبل بعضكم من بعض اذا
امره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا يامرهم ان ياتمروا
بالمعروف وهو ما هو الاحسن ولا يقصد الضرار وقيل المعروف ههنا ان لا يقصر الرجل في حق المراة ونفقتها
ولا المراة في حق الولد ورضاعه وان تعاسرتم اي في حق الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي المراة اجرة
رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستاجر للصبي مرضعا غير امه وذلك
قوله فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته اي على قدر غناه ومن قدر اي ضيق عليه رزقه فكان بمقدار
القوت فلينفق مما آتاه الله اي على قدر ما آتاه الله من المال لا يكلف الله نفسا اي في النفقة الا ما آتاها اي من
المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني في النفقة سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق وشدة
غنى وسعة قوله تعالى وكأين من قرية عتت اي عصت وطغت والمراد اهل القرية عن امر ربها ورسله اي وامر
رسله فحاسبناها حسابا شديدا اي بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها في الكفر فجا
زاها النار وهو قوله تعالى وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وقيل في الاية تقديم وتاخير مجازها فعذبناها
في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وساير انواع البلايا وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا فذاقت
وبال امرها اي شدة امرها وجزاء كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي خسرانا في الدنيا والاخرة اعد الله لهم عذابا
شديدا اي يخوف كفار مكة ان ينزل عليهم مثل ما نزل بالامم الماضية فاتقوا الله يا اولي الالباب اي ذوي العقول ثم
نعتهم فقال تعالى الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا يعني القرآن رسولا اي وارسل اليكم رسولا يتلو عليكم آيات
الله مبينات وقرئ مبينات بالخفض يبين الحلال من الحرام وقرئ بالنصب ومعناه انها واضحات ليخرج الذين آمنوا
وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور اي من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم ومن
يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا يعني الجنة التي لا ينقطع
نعيمها وقيل يريد رزق الله طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة الله الذي خلق سبع سموات يعني بعضها فوق بعض و
من الارض مثلهن اي في العدد يتنزل الامر بينهن اي الوحي من خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل
هو ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات وياتي بالليل والنهار والصيف والشتاء

ويخلق

اللهم صل على النبي الحبيب

114

ويخلق الحيوان في هيئاته وينقله من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك
هذا او فيما بين السماء من سمائه وارضه من ارضه وخلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه لتعلموا ان
الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء فلا تخفى
عليه خافية وانه قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلة في علمه و
الله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه. تفسير سورة التحريم مدنية وهي اثنتا
عشرة اية وهي مائتان وسبع واربعون كلمة والف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم ذكر سبب نزولها عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان اذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه
فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت
عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت منه النبي صلى الله عليه وسلم
شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فقولي له ما هذه الريح التي اجد منك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل
فقولي جرست نحله العرفط وساقول ذلك وقولي انت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت
تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد كدت ان اباديه بالذي قلت وانه لعلى الباب فرقا منك فلما
دنا منها قالت له سودة يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي اجد منك قال سقتني
حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ودخل على صفية
فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول
سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتي ق وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا قالت فتواطأت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها
النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احداهما
فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له فنزلت يا ايها النبي لم تحرم
ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله
بل شربت شربة عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك احدا زاد في رواية يبتغي مرضات ازوا
جه عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له امة يطؤها فلم
تزل عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله الاية اخرجه
النسائي. قال العلماء الصحيح في سبب نزول هذه الاية انها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في
غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية القبطية من طريق صحيح قال النسائي اسناد حديث عائشة في
العسل جيد صحيح غاية وقال اهل التفسير وقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك يعني من العسل
او ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها او بالعسل لا تحريم اعتقاد
بكونه حراما بعد ما احله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال

تبتغي مرضات ازواجك اي تبتغي مرضاتهن بترك ما احل الله لك والله غفور رحيم اي غفر لك التحريم قد فرض الله لكم تحلة
ايمانكم اي بين واوجب الله لكم تحليل ايمانكم بالكفارة وهي ما ذكر في سورة المائدة فامره الله تعالى ان
يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق رقبة والله مولاكم اي وليكم وناصركم وهو العليم اي بخلقه الحكيم اي فيما فرض
من حكمه فصل اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته انت علي حرام
او قال حرمتك فان نوى به طلاقا فهو طلاق وان نوى به ظهارا فهو ظهار وان نوى به تحريم ذاتها او اطلق
فعليه كفارة اليمين وان قال ذلك لطعام حرمته على نفسه فلا شيء عليه وهذا قول ابي بكر وعمر وغيرهما
من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي وان لم ينو شيئا ففيه قولان للشافعي واصحهما انه يلزمه كفارة
يمين والثاني لا شيء عليه وانه لغو فلا يترتب عليه شيء من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان
قال ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف انه لا يطاها وان حرم طعاما
فهو كما لو حلف لا ياكله فلا كفارة عليه ما لم ياكله واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه قوله تعالى واذ اسر
النبي الى بعض ازواجه حديثا يعني ما اسر لحفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها بذلك وهو
قوله لا تخبري بذلك احدا وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي اسر اليها ان اباك
وابا عائشة يكونان خليفتين على امتي من بعدي وقيل لما راى الغيرة في وجه حفصة اراد ان يتراضاها
فاسر اليها شيئين تحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها عمر فلما نبات به اي اخبرت بذلك
حفصة عائشة واظهره الله عليه اي اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة عرف
بعضه قرئ بتخفيف الراء اي عرف بعض الذي فعلت حفصة فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها
فلما بلغ عمر ذلك قال لو كان في ال الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل
عليه السلام وامره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم
بطلاقها فجاءه جبريل عليه السلام وقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة
وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض ذلك الحديث واخبرها ببعض ما كان منها واعرض عن بعض اي لم
يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض والذي
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة
لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت
يعني حفصة من انباك هذا اي من اخبرك اني افشيت السر قال نباني العليم اي بما تكنه الضمائر الخبير اي بخفايا
الامور قوله عز وجل ان تتوبا الى الله يخاطب عائشة وحفصة اي من التعاون على رسول الله صلى الله عليه
وسلم والتظاهر عليه فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بان سرهما ما كره
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم ازل حريصا على ان
اسال عمر بن الخطاب عن المراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد
صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم
اتاني فسكبت على يديه فتوضا فقلت يا امير المومنين من المراتان من ازواج رسول الله صلى الله عليه و
سلم اللتان قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال
الزهري كره والله ما ساله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث فقال كنا

معشر

معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا
يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلي في بني امية بن زيد بالعوالي فغضبت يوما على امراتي فاذا
هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على
حفصة فقلت اتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احداكن اليوم
الى الليل قالت نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر افتامن احداكن ان يغضب الله
عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا واسأليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم و
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة وكان لي جار من الانصار فكنا نتناوب
النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وياتيني بخبر الوحي واتيه بمثل ذلك وكنا
نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الانصاري يوم نوبته ثم اتاني عشاء فضرب بابي
ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا اجاءت غسان قال لا بل امر اعظم منه واهول
طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يو
شك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي
تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا ادري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة
فاتيت غلاما له اسود فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت
حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما اجد فاتيت ا
لغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست الى المنبر
ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فو
ليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت اطلقت يا رسول الله نساء
ك فرفع راسه الي فقال لا فقلت الله اكبر لو رايتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء
فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت
على امراتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج ا
لنبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك
منهن وخسر افتامن احداكن ان يغضب الله لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد
هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله فدخلت على حفصة فقلت لا
يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت
استانس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت فيه شيئا يرد البصر
الا اهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم

وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا فقال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحيوة
الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان قد أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من أجل ذلك الحديث
حين أفشته حفصة إلى عائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري وأخبرني عروة
قال عن عائشة لما مضت تسع وعشرون دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله
إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت في تسع وعشرين ليلة أعدهن فقال إن الشهر
تسع وعشرون زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة إني ذاكر
لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك ثم قرأ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تر
دن الحيوة الدنيا وزينتها حتى بلغ إلى قوله عظيما قالت عائشة قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمرا
لم يكونا ليأمراني بفراقه فقلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد في
رواية أن عائشة قالت لا تخبر نساءك أني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم إن الله
أرسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت
عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك
وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقل ما تكلمت وأحمد الله بكلام
إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية عسى ربه إن طلقكن أن
يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤ
منين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه أنه استأذن رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم أن
يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له وأنه قام على باب المسجد فنادى بأعلى صوته لم يطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شرح بعض ألفاظه قوله فعدلت معه بالإداوة جئت
معه فتبرز أي أتى البراز وهو الفضاء من الأرض لقضاء الحاجة العوالي جمع عالية وهي أماكن
بأعلى أراضي المدينة قوله ولا يغرنك أن كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة
أوسم منك أي أكرم أي أكثر حسنا وجمالا منك قوله وكنا نتناوب النزول التناوب
هو أن يفعله الإنسان مرة ويفعله الآخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله
فإذا هو متكئ على رمال الحصير يقال رملت الحصير إذا ضفرته ونسجته والمر
اد أنه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله ما رأيت فيه ما يرد البصر إلا أهبة
ثلاثة الأهبة والأهب جمع الإهاب وهو الجلد قوله من شدة مو
جدته الموجدة الغضب قوله تعالى وإن تظاهرا عليه أي تتعاونا

اللهم صل على النبي الحبيب

117

وقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا ولذلك سرها ما كرهه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو اجتناب مارية قوله تعالى وان تظاهرا عليه اي تتعاونا على اذى النبي صلى الله عليه وسلم
فان الله هو مولاه اي وليه وناصره وجبريل اي وليه وناصره ايضا وانما افرده وان كان في جملة الملائكة تعظيما
له وتنبيها على علو منزلته ومكانته وصالح المومنين روي عن ابن مسعود وابي بن كعب وصالح ابي بكر
وعمر وقيل هم المخلصون من المومنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء والملائكة بعد
ذلك اي بعد نصر الله وجبريل وصالح المومنين ظهير اعوان للنبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه عسى
ربه اي واجب من الله تعالى ان طلقكن يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبدله ازواجا خيرا منكن ثم وصف
الازواج التي كان يزوجه بهن مسلمات اي خاضعات له بالطاعة مومنات اي مصدقات بتوحيد الله تعالى قانتات
اي طائعات وقيل مصليات بالليل تائبات اي تاركات الذنوب لفعلهن عابدات اي كثيرات العبادات سائحات
اي صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح ثيبات جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه
من الوجوه وابكارا اي عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد
علم الله انه لا يطلقهن واخبر عن قدرته انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم قال ابن عباس اي بالانتهاء عما نهيكم الله عنه والعمل بطاعته و
اهليكم يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوهم بذلك نارا وقودها الناس و
الحجارة يعني الكبريت لانه اشد الاشياء حرا واسرعها ايقادا عليها ملائكة يعني خزنة النار وهم الز
بانية غلاظ اي فظاظ على اهل النار شداد يعني اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا في النار
لم يخلق الله الرحمة فيهم لا يعصون الله ما امرهم اي لا يخالفون الله فيما امرهم به ونهاهم عنه ويفعلون ما يومرون
اي لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله والانتقام من اعداء الله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم يقول
لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها لانه قد تقدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم
الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار انما تجزون ما كنتم تعملون يعني اعمالكم السيئات الزمتكم العذاب
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود الى ما تاب منه
قال عمر بن الخطاب وابي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى
الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه وقال الكلبي ان يستغفر
باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم
وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان
واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخوان فصل قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور
ولا يجوز تاخيرها سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة وان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق
بحق ادمي فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لا يعود
اليها فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته وان كانت المعصية
تتعلق بحق ادمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرا من حق صاحبها فان كانت المعصية
مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حد قذف ونحوه مكنه من نفسه او طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها
ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب

عورة ناطوم

منه هذا مذهب اهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة والإجماع الامة على وجوب التوبة م عن الاغر بن يسار المز
ني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة خ عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة
ق عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على
بعيره وقد اضله في ارض فلاة الحديث م عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغر
بها عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم هذا اطماع من الله تعالى لعباده
في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا
معه اي لا يعذبهم بدخول النار نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يعني على الصراط يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يعني
يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وما
واهم جهنم وبئس المصير تقدم تفسيره قوله تعالى ضرب الله مثلا اي بين شبها وحالا وحالا للذين كفروا امرأة نوح
واسمها واعلة وامرأة لوط واسمها واهلة وقيل اسمها والعة ووالهة كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين و
هما نوح ولوط عليهما السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم فخانتاهما قال ابن عباس ما بغت امرأة
نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به
احد اخبرت به الجبابرة من قومها واما امرأة لوط فكانت تدل قومها على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل اوقدت النار
واذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومها انه قد نزل به ضيف وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان فلم
يغنيا عنهما من الله شيئا اي لم يدفعا من اوليائهما مع نبوتهما عذاب الله وقيل ادخلا النار مع الداخلين وهذا
مثل ضرب الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وانه لا ينفع العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع
معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان الاقارب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذي يتصل بالكافر
نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيئا فقطع بهذه الآية طمع من
يركب المعصية ان ينفعه صلاح غيره وفي هذا المثل تعريض بامي المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما وما
فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضر اذا كان هو
مطيعا وان وصلة المسلم بالكافر لا تضر وقال تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يعني آسية
بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يد
يها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس وكانت تعذب بالشمس واذا انصرفوا عنها اظلتها
الملائكة اذ قالت امرأة فرعون رب ابن لي بيتا عندك في الجنة فكشف الله عز وجل لها عن بيتها في الجنة و
نجني من فرعون وعمله يعني وشركه وقال ابن عباس عمله جماعه ونجني من القوم الظالمين يعني الكافرين ومريم ابنة
عمران التي احصنت فرجها اي عن الفواحش والمحصنة العفيفة فنفخنا فيه اي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية
من روحنا اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله وصدقت بكلمات ربها يعني الشرائع التي شرعها الله
لعباده بكلماته المنزلة على انبيائه وكتابه يعني الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم
السلام وكانت من القانتين يعني كانت من القوم القانتين المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا

اهل بيت

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وسلم

118

اهل بيت طاعة وطاعة الله تعالى عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون
اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الملك وهي
مكية ثلاثون آية وثلاث مائة وثلاثون كلمة والف وثلاث مائة وثلاثة عشر حرفا عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له
وهي تبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولابي داود عنه نحوه وفيه تشفع لصاحبها
عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباء على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا هو قبر
انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خباء على قبر
وانا لا احسب انه قبر فاذا فيه انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل تبارك الذي بيده الملك اي الامر والنهي والسلطان يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء قدير
اي من الممكنات قدير الذي خلق الموت والحياة قيل اراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة و
فناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه ~~وخلق~~
اقدم وذلك لان الاشياء كانت في الابتداء في حكم الموات كالتراب والنطفة ونحو ذلك ثم اعترضت عليها
الحياة قال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلق
الحياة على صورة فرس بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجد ريحها
شيء الا حيي وهي التي اخذ السامري قبضة من اثرها فالقاها في العجل فخار وحيي وقيل ان
الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة
الروح عن الجسد وضده الحياة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد
وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف في
هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها لم ينتفع احد في ا
لدنيا ولم يصل اليه الثواب في الآخرة

والعافية

ليبلوكم اي ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت ايكم احسن عملا وروي عن ابن عباس مرفوعا احسن عملا احسن
عقلا واورع عن محارم الله تعالى واسرع في طاعته قال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وهو العزيز
اي الغالب المنتقم ممن عصاه الغفور اي لمن تاب اليه ورجع عن اساءته قوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا
اي طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مغطية على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب

عوج بالنوم

كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من زمردة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفراء وقال الخامسة
فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما بين السماء السابعة الى الحجب السابعة صحارى من
نور ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي ما ترى يا ابن ادم فيما خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض بل خلقهن
مستقيمة مستوية فارجع البصر اي رد النظر هل ترى من فطور اي من شقوق وصدوع ثم ارجع البصر كرتين قال
ابن عباس مرة بعد مرة ينقلب اي ينصرف اليك البصر خاسئا اي صاغرا ذليلا مبعدا لم تر ما يهوى
وهو حسير اي كليل منقطع لم يدرك ما طلب ولقد زينا السماء الدنيا اي الادنى من الارض وهي التي يراها الناس بمصا
بيح اي بكواكب شبه المصابيح في الاضاءة وهي اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور وقيل خلق الله النجوم
لثلاثة زينة للسماء وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى وجعلناها
رجوما للشياطين قال ابن عباس يرجم بها الشياطين يسترقون السمع واعتدنا لهم اي واعتدنا
للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا عذاب السعير اي في الاخرة وهي النار الموقدة وللذين كفروا بربهم اي ما هذا
العذاب مختص بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس او جن عذاب جهنم وبئس المصير ثم وصف جهنم وقال
تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا هو اول صوت نهيق الحمار وذلك افظع الاصوات وهي تفور اي
تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل تكاد تميز اي تنقطع من الغيظ اي من
تغيظها عليهم كلما القي فيها فوج اي جماعة سألهم خزنتها يعني سؤال توبيخ وتقريع الم يأتكم نذير اي
رسول ينذركم قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا يعني الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء وهذا اعتراف منهم بان ازاح
عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير فيه وجهان احدهما وهو الاظهر
انه من جملة قول الكفار للرسل والثاني يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير
وقالوا لو كنا نسمع اي من الرسل ما جاءوا به او نعقل اي نعقل منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل
به ما كنا في اصحاب السعير وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعي ونعقل عقل من يميز وينظر ويتفكر ما
كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم هو في معنى الجمع اي بتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شيء فسحقا
لاصحاب السعير وقوله عز وجل ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون ربهم بالغيب ولم يروه فيؤمنون به اي بعدا
خوفا من عذابه لهم مغفرة اي لذنوبهم واجر كبير يعني جزاء اعمالهم الصالحة واسروا قولكم او اجهروا به قال ابن
عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال
بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع اله محمد فاخبر الله تعالى انه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى انه عليم بذات
الصدور ثم اكد ذلك بقوله تعالى الا يعلم من خلق يعني الا يعلم مخلوقه وقيل الا يعلم الله من خلق والمعنى الا يعلم
السر في صدور من خلق وهو اللطيف اي بما يستتر في الصدور الخبير بما فيها من السر والوسوسة قوله تعالى
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الذلول المنقاد من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها
بحزونتها او غلظها فامشوا في مناكبها امر اباحة وذلك قوله وكلوا من رزقه ومناكبها جوانبها و
قيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو
ابلغ في التذلل وكلوا من رزقه اي مما خلقه الله تعالى لكم في الارض واليه النشور اي واليه تبعثون من قبو
ركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى اامنتم من في السماء قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء ان عصيتموه ان ان عصيتموه
يخسف بكم الارض فاذا هي تمور اي تتحرك باهلها وقيل تهوي بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض

عند الخسف

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

119

عند الخسف بهم حتى تقلبهم الى اسفل وتعلو الارض عليهم وتمور بهم فوقهم اي تجيء وتذهب ام امنتم
من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا يعني ريحا فيها حجارة كما فعل بقوم لوط فستعلمون اي عند الموت في الاخرة
كيف نذير اي انذاري اذا عاينتم العذاب ولقد كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة وهم الامم الماضية فكيف
كان نكير اي انكاري عليهم البسر وجود الهلك قوله عز وجل اولم يروا الى الطير فوقهم صافات اي باسطات
اجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن اي ويضممن اجنحتهن اذا ضربن بها جنوبهن بعد البسط
ما يمسكهن اي حال القبض والبسط الا الرحمن والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقا
ؤها وثبوتها في الجو الا بامساك الله تعالى اياها وحفظه لها انه بكل شيء بصير يعني انه تعالى لا يخفى
عليه خافية امن هذا الذي هو جند لكم استفهام انكار اي خبر لكم ينصركم اي يمنعكم من دون الرحمن
اي من عذاب الله تعالى قال ابن عباس اي من ينصركم مني ان اردت عذابكم ان الكافرون الا في غرور اي من الشيطان
يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه يعني من ذا الذي يرزقكم المطر ان امسك
الله عنكم بل لجوا اي تمادوا في عتو اي تجبر وتكبر ونفور اي وتباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكفار والمنافقين
فقال تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اي كابا راسه في الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا
ولا شمالا وهو الكافر اكب على الكفر والمعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيمة اهدى اي
هو اهدى امن يمشي سويا اي قائما معتدلا يبصر الطريق على صراط مستقيم اي وهو على صراط مستقيم
يعني المومن يمشي يوم القيمة سويا قل هو الذي انشاكم اي خلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا
ما تشكرون يعني انه تعالى ركب فيكم هذه القوة ولكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم
بما ابصرتموه ولا تاملتم ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم واستعملتموها في غير مرضاته فكانكم
ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها قل هو الذي ذراكم اي خلقكم وبثكم في الارض واليه تحشرون اي
يوم القيمة والمعنى ان القادر على الابتداء قادر على الاعادة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا السوال
يحتمل وجهين احدهما انه سوال عن نزول العذاب والثاني انه سوال عن يوم القيمة فاجاب الله تعالى عن ذلك
بقوله قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين امره باضافة العلم الى الله وبتبليغ ما اوحي اليه فلما راوه يعني العذاب
في الاخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعني العذاب ببدر زلفة اي قريبا سيئت وجوه الذين كفروا اي
اسودت وعلاها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد وقيل اي قالت لهم الخزنة هذا اي العذاب
الذي كنتم به تدعون اي من الدعاء اي تتمنون هلاككم وتطلبون بان يعجله لكم وقيل من الدعوى اي
تدعون انه باطل قل اي يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك ارايتم ان اهلكني الله ومن معي اي من المومنين
او رحمنا اي فابقانا واخر في اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي انه واقع بهم لا محالة وقيل في معنى الاية
قل ارايتم ان اهلكني الله اي عذبني ومن معي او رحمنا اي فغفر لنا نحن مع ايماننا خائفون ان يهلكنا بذنوبنا
لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم اي يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس قل اي قل لهم في انكا
ره عليهم وتوبيخا لهم هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا اي نحن امنا به وعبدناه وانتم كفرتم به فستعلمون
اي عند معاينة العذاب من هو في ضلال مبين اي نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم
على طريق الاحتجاج فقال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم قيل يريد زمزم وقيل غيرها من المياه غورا اي غائرا ذاهبا
في الارض لا تناله الايدي ولا الدلاء والمقصود من الاية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح

فيه ما هم عليه من الكفر والمعنى أي صار أخبرنا أن صار ماؤهم ذاهبا في الأرض فمن يأتيكم بماء معين فلا بد أن يقو
لوا هذا هو الله تعالى فيقال حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شيء. أصلا شريكا في العبودية وهذا محال والله أعلم

تفسير سورة القلم مكية وهي اثنان وخمسون آية وثلاث مائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ن قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الأرض وعنه
أن أول ما خلق الله تعالى القلم وجرى بما هو كائن إلى يوم القيمة ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك
النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض ثم قرأ ابن عباس ن والقلم وما يسطرون قيل
ن اسم بهموث وقيل اليهوت وقيل لوثيا وعن علي بلهوث قال صاحب التيسير والأخبار لما خلق الله تعالى الأرض و
فتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع حتى ضبطها فلم
يكن لموضع قدميه قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قد
م الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأخذ الله تعالى ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها
خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور إلى أذنيه فاستقرت عليها قدما الملك وقرون ذلك خارجة من
أقطار الأرض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فإذا تنفس مد البحر وإذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن
لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها و
هي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله نونا وهو الحوت العظيم
فوضع الصخرة على ظهره وساير جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة فكل الد
نيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت قال كعب الأحبار إن إبليس
تداخل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض فوسوس إليه فقال أتدري ما على ظهرك يا لوثا من الأمم والدواب والشجر
والجبال لو نفضتهم لألقيتهم عن ظهرك فهم لوثيا أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت في منخره فوصلت إلى
دماغه فعج الحوت إلى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت قال كعب والذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وتنظر
إليه إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضا أن نونا هو الدواة ومنه قول الشاعر: إذا
ما الشوق برح بي إليهم ∴ ألقت النون بالدمع السجام :: أراد بالنون الدواة وعن ابن عباس أيضا أن نون حرف
من حروف الرحمن إذا جمعت الر حم ن وقيل هو مفتاح اسمه ناصر ونصير وقيل هو اسم السورة والقلم هو
القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض ويقال أول ما خلق الله القلم فنظر إليه
فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن إلى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وإنما يجري النا
س على أمر قد فرغ منه وما يسطرون أي وما تكتب الحفظة من عمل بني آدم ما أنت يا محمد بنعمة ربك بمجنون هذا
جواب القسم أقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وذلك قولهم يا أيها الذي نزل عليه
الذكر إنك لمجنون والمعنى إنك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فينفي عنك الجنون — بقول المشركين كفار
وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لله وقيل هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل إن نعمة الله كانت
ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل التام الكامل والسيرة المرضية والأخلاق الحميدة
والبراءة التامة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة ووجودها
ينافي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين في قولهم إنك لمجنون وإن لك لأجرا
غير ممنون أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد: غبس كواسب ما يمن طعامها :: أي ما يقطع يعني بذلك كلابا ضارية وقيل
في معنى الآية إنه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الأول ومعناه أن لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا
القول القبيح وافترائهم عليك أجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل أن ذلك على إظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعا

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى ال...

الخلق

الرسالة ودعا الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرايع لهم اجرا عظيما فلا ينبغي ان نسبهم اياك
الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال الجنون فقال تعالى
وانك لعلى خلق عظيم وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال
المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم يجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه
كاملة وافعاله الجميلة وافرة مدحها الله تعالى وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان
بالافعال الجميلة والاداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل
والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب
والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسمح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع
والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن
الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى
بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الي ولا ارضى عندي
منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو اداب القران سيلت عايشة عن خلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من اوامر
الله وينتهي عنه مما نهى الله تعالى والمعنى وانك لعلى الخلق العظيم الذي امرك الله به في القران
وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك مالك ومن جا
بلاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال م
عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس عن عا
يشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المومن ليدرك بحسن خلقه درجة
الصايم القايم اخرجه ابو داود وعنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل الناس ايما
نا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابي الدرداء ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اثقل في ميزان المومن يوم القيامة من خلق حسن والله تعالى يبغض الفاحش البذيء
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله قال من احبكم الي واقر
بكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا ق عن البراء رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احاسنكم
اخلاقا ق عن انس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط ولا قال لم
فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست خزا
قط ولا حريرا ولا شيئا كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب
من عرق رسول الله صلى الله عليه خ عنه قال ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت
م في رواية ويجيب اذا دعي وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده
حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس

صلى الله على سيدنا محمد

أخرجه الترمذي. وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما خُيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا اختار
أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء
قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله. زاد مسلم عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا بيده ولا امرأة ولا
خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى. ق. عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية من شدة جبذته ثم قال يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وضحك وأمر له بعطاء. ق. عنه رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن
الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبا عمير وهو فطيم كان إذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير. النغير كان يلعب
به. النغير طاير صغير يشبه العصفور إلا أنه أحمر المنقار. م. عن الأسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعل في بيته قالت كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة. المهنة الخدمة
عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي. قوله
تعالى **فستبصر** يا محمد **ويبصرون** يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب **بأييكم المفتون** قال ابن عباس معناه بأيكم
المجنون وقيل الباء بمعنى في مجازه فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أو في فريقهم وقيل المفتون
هو الشيطان الذي فتن بالجنون **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** معناه أنهم
رموه بالجنون والضلال ووصفوا أنفسهم بالعقل والهداية فأعلم الله تعالى أنه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدي
المصيب والمجنون والعاقل **فلا تطع المكذبين** يعني مشركي مكة وذلك أنهم دعوه إلى دين آبائه فنهاه الله أن يطيعهم
ودوا لو تدهن فيدهنون أصل الإدهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل أدهن الرجل في دينه وداهن في أمره إذا خان
فيه وأظهر خلاف ما أبطن ومعنى الآية أنهم تمنوا لو تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك و
يتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو أن تعبد آلهتهم مدة و
يعبدون الله **ولا تطع كل حلاف** أي كثير الحلف بالباطل **مهين** أي ضعيف حقير وقيل هو من المهانة وهي قلة الرأي
والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الأول لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل
هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الأسود بن عبد يغوث وقيل الأخنس بن شريق **هماز** أي مغتاب يأكل لحوم
الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذي يغمز بأخيه في المجالس **مشاء بنميم** أي قتات يسعى بالنميمة ليفسد
بين الناس **مناع للخير** أي بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير أي يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام يقول لئن
دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدا **معتد** أي ظلوم يتعدى الحق **أثيم** أي فاجر يتعاطى
الإثم **عتل** أي غليظ جاف وقيل هو الفاحش الخلق السيء الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل
هو الشديد في كفره وقيل العتل الأكول الشروب القوي الشديد لا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من
أولئك سبعين ألفا في النار دفعة واحدة **بعد ذلك زنيم** أي مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيم
وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم قيل قال ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم ادعاه
أبوه بعد ثماني عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في هذه الآ
ية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وعنه أيضا قال يعرف بالشر كما
يعرف الشاة بزنمتها وقال ابن قتيبة لا نعلم أن الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه
مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا
في الآخرة **أن كان ذا مال وبنين**

الاسود

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

وان لك لاجرا غير ممنون اي غير منقوص ومقطوع ومنه قول لبيد: غبس كواسر ما يمن طعامها اي ما يقطع بهذا
بذلك كلا بل اضافة فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق
الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة ومن كان كذلك لم يجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله
صلى الله عليه وسلم كاملة وافعاله الحميدة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى
نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والاداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه
ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى الناس
بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور وا
لتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادا
مة البشر فهذه الاخلاق تجمع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب
الي ولا ارضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو اداب القرآن سئلت عائشة عن خلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من اوامر الله وينتهي عنه من نهي
الله تعالى والمعنى انك لعلى خلق الذي امرك الله به في القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب
الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فصل في فضل حسن الخلق وما كان
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى
بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال م عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع
عليه الناس عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المومن ليدرك
بحسن خلقه درجة الصائم القائم اخرجه ابو داود وعنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابي الدرداء رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اثقل في ميزان المومن يوم القيمة من خلق حسن وان
الله تعالى يبغض الفاحش البذي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وعن البراء رضي
الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا
متفحشا وكان يقول خياركم احاسنكم خلقا وعن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن خلقا
وكان لي اخ يقال له ابا عمير وهو فطيم كان اذا جاءنا قال يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به النغير طاير
صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار م عن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع
في بيته قالت كان يكون في مهنة اهله واذا حضرت الصلوة يتوضا ويخرج الى الصلوة المهنة الخدمة عن عبد
الله بن الحارث بن جزء قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي
قوله تعالى فستبصر اي يا محمد ويبصرون يعني اهل مكة اذا نزل بهم العذاب بأييكم المفتون قال ابن
عباس معناه بايكم المجنون وقيل الباء بمعنى في مجازه فستبصر ويبصرون في اي الفريقين المجنون في فريقك

أم في جنونهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين
معناه أنهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا أنفسهم بالعقل والهداية فأعلم الله تعالى أنه هو العالم بالفريقين
الضال والمهتدي والمجنون والعاقل فلا تطع المكذبين يعني مشركي مكة وذلك أنهم دعوه إلى دين آبائه
فنهاه الله تعالى أن يطيعهم ودوا لو تدهن فيدهنون أصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل
هو الرجل في دينه ومداهنه في أموره إذا خان فيه وأظهر خلاف ما أبطن ومعنى الآية أنهم تمنوا لو تترك بعض ما أنت عليه
مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك ولا تطع كل حلاف أي
كثير الحلف بالباطل مهين أي ضعيف حقير هماز أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة مشاء بنميم أي قتات
يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس مناع للخير أي بخيل بالمال معتد أي ظلوم يتعدى الحق أثيم أي فاجر يتعاطى الآثام عتل
أي غليظ جاف وقيل هو الفاحش الخلق السيء الخلق بعد ذلك زنيم أي مع ما وصفناه من الصفات المذمومة زنيم وهو
الدعي الملصق في القوم وليس منهم أن كان ذا مال وبنين قرئ على الخبر ومعناه ولا تطع كل حلاف مهين لأن كان ذا مال
وبنين أي لا تطع لماله وبنيه وقرئ أأن كان ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه ألأن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه
آياتنا قال أساطير الأولين أي جعل مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لأن كان ذا مال
وبنين يطيعه ثم أوعده فقال تعالى سنسمه على الخرطوم أي على الأنف والمعنى نسود وجهه ونجعل له علما يعرف
به في الآخرة وهو سواد الوجه فعبر عن الوجه بالأنف وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وجعل ذلك به يوم بدر
قيل معناه سيلحق به شين لا يفارقه أي سنسمه ميسم سوء يريد نلحق عارا لا يفارقه كما أن السمة لا تمحى ولا
يعفى أثرها وقد ألحق الله به ما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة كالوسوم على الخرطوم الذي لا يخفى — لا يخفى
وقيل معناه سنكويه على وجهه قوله تعالى إنا بلوناهم أي اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع كما بلونا أصحاب الجنة
روي عن ابن عباس في قوله تعالى إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة قال بستان في اليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين
بفرسخين يطأه أهل الطريق وكان غرسه قوم من أهل الصلاح وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له وكان للمسا
كين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم يجذه وإذا طرح من فوق النخل إلى البساط فكل شيء يخرج عن
البساط فهو أيضا للمساكين وإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين وإذا درسوه كان
لهم كل شيء ينتثر أيضا فلما مات الأب وورثه هؤلاء الإخوة الثلاثة قالوا والله إن المال لقليل وإن العيال لكثير
وإنما كان هذا الأمر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فأما إذا قل المال وكثر العيال فإنا لا نستطيع أن نفعل
فتحالفوا بينهم يوما ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم وذلك قوله تعالى إذ أقسموا أي تحالفوا
ليصرمنها أي ليقطعن ثمرها مصبحين أي إذا أصبحوا قبل أن يخرج إليهم المساكين وقيل أن يعلم بها المسا
كين ولا يستثنون أي ولم يقولوا إن شاء الله وقيل ولا يستثنون شيئا للمساكين من ثمر جنتهم فطاف عليها طائف
من ربك أي عذاب من ربك ولا يكون الطائف إلا بالليل وهو قوله تعالى وهم نائمون وكان ذلك الطائف نارا نزلت من
السماء فاحترقتها وهو قوله تعالى فأصبحت أي الجنة كالصريم أي كالليل الأسود المظلم وقيل أي صرم منها الخير
فليس فيها شيء ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الأسود وهو بلغة خزيمة فتنادوا أي نادى بعضهم بعضا
مصبحين يعني لما أصبحوا أن اغدوا على حرثكم يعني الثمار والزرع والأعناب إن كنتم صارمين أي قاطعين ثماركم
فانطلقوا أي مشوا إليها وهم يتخافتون أي يتسارعون يقول بعضهم لبعض سرا أن لا يدخلنها اليوم عليكم
مسكين وغدوا على حرد أي قصد ومنع وغضب وقيل معناه على جد وجهد وقيل على أمر مجمع قد أسسوه وقيل

على حنق

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

على تنوع غضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة قادرين اي عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم و
بينها احد فلما رأوها اي رأوا الجنة محترقة قالوا انا لضالون اي لمخطئون الطريق ضللنا عن مكان جنتنا و
ليس هذا مكان جنتنا بل نحن محرومون اي قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثنى
قال اوسطهم اي اعدلهم وافضلهم واعقلهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون انكر عليهم تلك الاستثناء
في قوله في قوله ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون سماه تسبيحا لانه تعظيم الله تعالى واقرار بانه لا يقدر احد على شيء الا
بمشيئته وعلى التفسير الثاني في ان الاستثناء بمعنى لا تذكرون من ~~حقوق بكم وتذكركم~~ ومنعكم حق المساكين وا
قبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم على بعض قالوا يا ويلنا نادوا على انفسهم بالويل انا كنا طاغين اي
في منعنا حق الفقراء والمساكين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون قال ابن مسعود بلغني ان القوم
اخلصوا وعرف الله عز وجل منهم الصدق فابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا قال الله
تعالى ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ثم اخبر الله تعالى بما اعد للمتقين فقال تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم
اي عند ربهم في الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطى في الآخرة افضل مما تعطون فقال الله تعالى
تكذيبا للمشركين افنجعل المسلمين كالمجرمين يعني ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف
يكون افضل او يعطى افضل منه ولما قال الله تعالى على وجه سبيل الانكار والاستبعاد قال لهم على طريق الالتفات ما
لكم كيف تحكمون يعني هذا الحكم المعوج ام لكم كتاب اي نزل من عند الله فيه اي في ذلك الكتاب تدرسون اي تقرؤون
ان لكم فيه اي في ذلك الكتاب لما تخيرون اي تختارون وتشتهون ام لكم ايمان علينا بالغة معناه لكم عهود
ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا الى يوم القيامة اي لا تنقطع تلك الايمان والعهود الى
يوم القيامة ان لكم اي في ذلك العهد لما تحكمون اي لانفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى ثم قال الله لنبيه صلى
الله عليه وسلم سلهم ايهم بذلك زعيم اي ايهم كفيل لهم بان لهم في الآخرة ما للمسلمين ام لهم شركاء اي ال لهم
شركاء لله فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اي في دعويهم يوم اي فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم لتنفعهم
وتشفع لهم يكشف عن ساق اي عن امر فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة يوم القيامة تقول العرب للرجل
اذا وقع في امر عظيم فظيع يحتاج اليه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه اذا قام في ذلك الامر ويقال اذا اشتد
الامر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه
في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر: سن لنا قومك ضرب الاعناق ❊ وقامت الحرب بنا على ساق ❊
ثم قال هو ابن عباس هي يوم كرب وشدة وانشد اهل اللغة ابياتا في هذا المعنى فمنها ما انشد ابو عبيدة
لقيس بن زهير: اذا شمرت عن ساقها حرب شمرا ❊ باع لها ربيع بلا انسام ❊ ومنها قول جرير: الا رب سام الطرف
من آل مازن ❊ اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا ❊ وقد كثر مثل هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للامر
العظيم الشديد ق وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا في زمان النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول
الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس
معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فما تضارون في رؤية الله
يوم القيامة كما تضارون في رؤية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن لتتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من
الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله عز وجل من بر وفاجر وغبر اهل
الكتاب فيدعى اليهود فيقول لهم ما كنتم تعبدون فيقولون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله

عوتك يا عزوم

من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب
يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا نعبد المسيح ابن الله فيقال
لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا
تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله
من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا
الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين او	ولم
ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه اية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى
من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له في السجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة
واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي راوه فيها اول مرة فقال انا ربكم
فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول الله وما
الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر
المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس
في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة في استيفاء الحق من المو
منين لله يوم القيمة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عر
فتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها
احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فا
خرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث
فاقروا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عز وجل
شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها
قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل
السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون
ابيض فيخرجون كاللولو في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هولاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة
بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من
العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا
رواه مسلم والبخاري نحوه بمعناه **فصل في شرح غريب الفاظ الحديث وما يتعلق به** اما الروية وما يتعلق بها
فسياتي الكلام عليها في موضعها ان شاء الله **قوله** حتى اذا لم يبق الا من يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صو
رة راوه فيها **وفي رواية** ابي هريرة فياتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ
بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فياتيهم الله في صورته التي كانوا يعرفون فيقول انا ربكم
فيقولون انت ربنا فيتبعونه **قال الشيخ محيي الدين** النووي رحمه الله تعالى وغيره اعلم ان هذا الحديث من اكبر
احاديث الصفات واعظمها وللعلماء فيه وامثاله قولان **احدهما** وهو مذهب معظم السلف او كلهم انه لا يتكلم
في معناها

اللهم صلى الله على سيدنا

في معناها بل يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا
الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شيء وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات
المخلوق وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابي
هذا الحديث تهيّب القول فيه شيوخنا واجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم
في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثاني وهو مذهب معظم العلما
المتكلمين انها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تاويلها لمن كان من اهله بعلوم هذا
المذهب فقال في قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان العادة ان غاب من
عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازا وقيل فعل من افعال الله تعالى
سماه اتيانا وقيل فيأتيهم الله اي بعض ملائكته قال القاضي عياض وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا
الملك هو الذي جاءهم في الصورة اي بصورة من الصور التي انكروها من سمات الحدث الظاهرة على الملك
المخلوق قال او يكون معناه يأتيهم الله في صورة اي بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه
صفات الله ليختبرهم وهذا اخر امتحان المؤمنين فاذا قال لهم هذا الملك وهذه الصورة انا ربكم راوا عليه من علا نعم
مة المخلوق ما ينكرونه ويعلمون بذلك انه ليس بربهم فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله عليه وسلم
يأتيهم الله في صورته التي يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة
يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته وان لم تتقدم لهم رؤية له سبحانه وتعالى لانهم يرونه لا يشبه
شيئا من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها
اياها ولمجانسة الكلام فتقدم ذكر الصورة وقوله في حديث ابي سعيد فيأتيهم الله في ادنى صورة من التي راوه
فيها معنى راوه فيها اي علموها وهي صفته المعلومة للمؤمنين وهو انه لا يشبهه شيء وقوله نعوذ بالله
منك لا نشرك بالله شيئا انما استعاذوا منه لما ذكرناه من كونهم راوا سمات المخلوق وقوله فيكشف
ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الاسماء والصفات قال ابو سليمان الخطابي يحتمل ان يكون معنى قوله
يكشف عن ساقه اي عن قدرته التي تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف
الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روي
عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا
تفرد به روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامي يأتي باحاديث منكرة لا يتابع عليها وموالي عمر بن
عبد العزيز كثيرون وفي اسناده مجهول ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك علم ما يتجدد للمؤمن عند رؤيته
الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضي عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين
المؤمنين لظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد يكون ساقا مخلوقة جعلها
الله علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الخوف وازالة
الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى
لهم فيخرون سجدا وقال الخطابي وهذه الرؤية في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي هي
في الجنة لكرامة اولياء الله تعالى وانما هذه الرؤية امتحانا للعباد وقوله فلا يبقى من كان
يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الا اذن الله له في السجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء

الاجل لله

الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كالصحيفة اي فقارة واحدة كالصحيفة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون
رؤوسهم وقد تحول في صورته التي راوه فيها اول مرة معناه ثم يرفعون رؤوسهم وقد زال المانع لهم من رايته وتجلى
لهم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط ومحل الشفاعة
عنه بكسر الحاء وقيل بفتحها من تحل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذنون فيها وقوله دحض مزلة اي تزلق فيه الا
قدام ولا تثبت وقوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها
اللحم والحسكة التي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب وقوله فناج مسلم ومخدوش مرسل
ومكردس في نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم فلا يناله شيء اصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم
يكردس اي يجر دمرا اي يلقى ويسقط في جهنم وفي هذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر
يجعل على متن جهنم وهو ارق من الشعر واحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمومنون ينجون على
حسب منازلهم واعمالهم والاخرون يسقطون في جهنم اعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المومنين لله
يوم القيامة في الشفاعة لاخوانهم الذين في النار وقوله فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال دينار
نصف دينار من خير ومثقال ذرة من خير قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح ان معناه
شيء زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذي هو التصديق لا يتجزى وانما يكون هذا التجزي لشيء زائد عليه من عمل
صالح وذكر خفي او عمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين او خوف من الله تعالى او نية صادقة ومثقال
ذرة مثل لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير وقول المومنين لم نذر فيها اي صاحب خير وقوله تعالى شفعت
الملائكة وهو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار
فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا فيه قد تفرد
الله بعلم ما تكنه القلوب بالرحمة ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة اي جمع جماعة قوله قد عادوا
حمما اي صاروا فحما فيلقيهم في نهر افواه الجنة نهر الحياة قوله فيخرجون كاللولو اي في الصفاء في رقابهم الخواتم
قيل معناه انه يعلق في رقابهم اشياء من ذهب او غيره لا مما يعرفون بها والله تعالى اعلم وقوله عز وجل ويدعو
ن الى السجود فلا يستطيعون السجود يعني الكفار والمنافقين تصير اصلابهم كصياصي البقر وكصحيفة نحا
س فلا يستطيعون السجود خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وذلك ان المومنين يرفعون رؤوسهم من السجود و
جوههم اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين [illegible] وندامة
وقد كانوا يدعون الى السجود يعني في دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلوات المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك انهم
كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون يعني انهم كانوا يدعون الى الصلاة
وهم اصحاء فلا ياتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعة قوله عز وجل
فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي دعني والمكذبين بهذا الحديث بالقران وخل بيني وبينهم ولا تشغل قلبك بهم
وكلهم الي فاني اكفيك اياهم سنستدرجهم اي سناخذهم بالعذاب من حيث لا يعلمون فعذبوا يوم بدر بالقتال
والاسر وقيل في معنى الاية كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج
لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المومنين وهو في الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده
نعمة ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا ان يعاجله بالاستغفار والتوبة واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة
وقيل معناه امهلهم الى الموت وقيل معناه فلا اعاجلهم ان كيدي متين اي عذابي شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

فيكون في معنى الاستدراج المؤدي الى العذاب ام تسئلهم اجرا اي على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون المغرم الغرم
منه والمعنى تطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامة الذي يعطى فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب فهم
يكتبون اي اعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار فاصبر
لحكم ربك اي اصبر على اذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ باية السيف ولا تكن اي في الضجر والعجلة كصاحب
الحوت يعني يونس بن متى اذ نادى اي في بطن الحوت وهو مكظوم اي مملوء غما لولا ان تداركه نعمة من ربه اي حين
رحمه وتاب عليه لنبذ بالعراء اي لطرح بالفضاء من بطن الحوت الى يوم القيمة ثم نبذ بعراء القيامة اي بارضها وفضا
ئها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة اوجه احدها ان
كلمة لولا دلت على انه لم يحصل [illegible] منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات
الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله فاجتبه ربه والفاء للتعقيب
اي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه فجعله من الصالحين اي النبيين قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليز
لقونك بابصارهم وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظر اليه قريش وقالوا
ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان كانت الناقة والبقرة لتمر باحدهم فيعاينها
ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتينا بلحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب
يمكث لا ياكل يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه
فما تذهب الا قليلا حتى تسقط منها عدة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين
ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس
معناه ينفذونك وقيل يصيبونك باعينهم كما يصيب العاين بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما انت عليه
من تبليغ الرسالة وانما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرات القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه
قولهم نظر الي نظرا كاد يصرعني او يكاد ياكلني يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله
لما سمعوا الذكر لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهية يحدون النظر اليه بالبغضاء ويقولون انه لمجنون اي
ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرا القرآن قال الله تعالى ردا عليهم وما هو يعني القرآن الا ذكر للعالمين قال ابن عباس
موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من اصابته العين ان يقرا الآية ق وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته وان استغسلتم فاغتسلوا عن عبيد بن رفاعة
الزرقي ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي لهم قال نعم ولو كان شيء سابق
القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي قوله العين حق اخذ بظاهر الحديث جماهير العلماء قالوا العين حق وانكره طوا
يف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد د
ليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجب تكذيبه ومذهب اهل السنة ان
العين انما تفسد عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العاين لشخص اخر فيؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو
كان شيء سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق وان المقدور الاشياء كلها بقدر الله تعالى ولا تقع
الا على حسب ما قدرها الله تعالى وسبق بها علمه ولا يقع ضرر العين ولا غيره من الخير والشر الا بقدر الله تعالى
وفيه صحة اثبات اثر العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تَفْسِيرُ سُورَةِ الحَاقَّةِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ اثْنَانِ وَخَمْسُونَ ءَايَةً وَمِائَتَانِ وَسِتٌّ وَخَمْسُونَ كَلِمَةً وَأَلْفٌ وَأَرْبَعَةٌ

وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة يعني القيامة سميت حاقة من الحواق يعني انها ثابتة الوقوع
لا ريب فيها وقيل لان فيها تحق الامور وتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على اي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا الايمان
كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم اي تقع بهم ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة اي انك لا تعلمها اذ لم تعاينها ولم ترما
فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة اي لا يبلغه دراية احد ولا فكرة وكيف قدرت حالها فهي اعظم من ذلك كذبت
ثمود وعاد بالقارعة قال ابن عباس القيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب
الذي اعدهم نبيهم حتى نزل بهم فيقرع قلوبهم فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية
الصيحة الشديدة التي جاوزت الحد في القوة وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فاهلكت ثمود بسببهم واما عاد فا
هلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصرصرة التي هي البرد الكثير فهي
تحرق بشدة بردها عاتية اي عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا
كم خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على ردها بقوة ولا حيلة سخرها عليهم اي ارسلناها وسلطناها عليهم
وفيه رد على من قال ان ذلك كان بسبب اتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم فبين الله ان ذلك
كان بقضائه وقدرته ومشيئته لا باتصال الكواكب سبع ليال وثمانية ايام قال وهب هي الايام التي تسميها العرب
ايام العجوز لانها ايام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لانها تاتي في عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من قو
م عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها حسوما اي متتابعة دائمة ليس لها فتور وذلك ان الريح المهلكة ت
تابعت عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما شوما وقيل لهذه الايام
حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها وقيل الحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم يبق منهم
احد فترى القوم فيها اي في تلك الليالي والايام صرعى اي هلكى جمع صريع فقد صرعهم الموت كانهم اعجاز نخل خاوية
اي من فيها فاسقاطية قيل انهم لما اصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى كانهم اعجاز نخل خاوية حملتهم الريح
فالقتهم في البحر فلم يبق منهم احد قوله تعالى وجاء فرعون ومن قبله قرئ بكسر القاف وفتح الباء اي ومن معه من
جنوده واتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء اي ومن قبله من الامم الكافرة والموتفكات بالخاطئة والمعصية
وهو الشرك فعصوا رسول ربهم قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى ان يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم الخبر
عن ذكر الامتين فاخذهم الله اخذة رابية يعني نامية قال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم انا لما طغا الماء
طغى اي عتى وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه وذلك في زمان نوح عليه السلام وهو الطوفان حملناكم في
الجارية يعني حملنا اباءكم وانتم في اصلابهم فهو خطاب الحاضرين في الجارية اي السفينة التي تجري في الماء لنجعلها اي لنجعل
تلك الفعلة التي فعلنا من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه لكم تذكرة اي عبرة وموعظة وتعيها اي تحفظها
اذن واعية اي حافظة لما جاء من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت واودعته وقيل لتحفظها كل اذن فتكون
عبرة وعظة لمن ياتي بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى لتعتبر وتعمل بالموعظة قوله عز وجل فاذا نفخ في الصور نفخة وا
حدة يعني النفخة الاولى وحملت الارض والجبال اي رفعت من اماكنها فدكتا دكة واحدة اي كسرتا وفتتا حتى صارتا هباء منبثا
والضمير عائد الى الارض والجبال المعبر عنهما بلفظ الاثنين فيومئذ وقعت الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السماء
فهي يومئذ واهية اي ضعيفة لتشققها والملك يعني الملائكة على ارجائها يعني نواحيها واقطارها وهو الذي لم
ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافاتها حتى يامرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها
ويحمل عرش ربك فوقهم اي فوق رؤوسهم يعني الحملة يومئذ اي يوم القيامة ثمانية يعني ثمانية املاك جاء في الحديث انهم
اليوم

اليوم اربعة واذا كان يوم القيامة امدهم الله باربعة اخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء الاوعال تيوس الجبال وروى السدي عن ابي مالك قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلق على ارجائها اربعة من الملائكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد احاطوا بالارضين والسموات ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم امية بن ابي الصلت في شيء من الشعر فقال رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليث بمرصد فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق وقال اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبع مائة عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظر اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون بعد ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال بعد ما بينهما اما واحدة واثنان او ثلاثة وسبعون سنة والسماء التي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش ما بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء الى سماء والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود وزاد في رواية وليس يخفى عليه من اعمال بني ادم شيء وعن ابن مسعود ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش في عظمته لا يخفى عليه شيء من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا عن ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلف خبر العباس وابن مسعود في اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الحملة قرون العرش ما بين اخمص احدهم الى ركبتيه مسيرة خمسمائة عام ومن ركبتيه الى ترقوته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال الذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى مؤخر عينيه مسيرة خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروى عن ابن عباس في قوله فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدد

٧١ هم الا الله عز وجل يومئذ تعرضون اي على الله تعالى للحساب لا تخفى منكم خافية اي فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم باحوالكم ولا يخفى عليه شيء منها وان عرضتم يوم القيمة عليه ليس لاجل المبالغة والتهديد وقيل معناه لا تخفى منكم يوم القيمة ما كان مخفيا في الدنيا فانه يظهر احوال الخلائق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند

وما بين كل سماءين خمسمائة عام [illegible] خمسمائة عام

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

الحديث

ذلك تصير الصحف بالأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال الأبي هذا من قبل أن الحسن لم يسمع
من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
فأما من أوتي أي أعطي كتبه بيمينه فيقول هاؤم أي تعالوا اقرؤوا كتابيه والمعنى أنه لما بلغ الغاية من السرور
علم أنه من الناجين بإعطاء كتابه بيمينه أحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لأهله وأقاربه إني
ظننت أي علمت وأيقنت وإنما أجري الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والأحكام أني
ملاق حسابيه أي في الآخرة والمعنى أني كنت في الدنيا أستيقن أني أحاسب في الآخرة فهو في عيشة راضية أي في حالة من
العيش مرضية وذلك بأنه لقي الثواب وأمن من العقاب في جنة عالية أي رفيعة قطوفها دانية أي ثمرها قريبة
لمن يتناولها ينالها قاعدا وقائما ومضطجعا يقطعونها كيف يشاءون كلوا أي يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا
بما أسلفتم أي بما قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحات في الأيام الخالية أي الأيام الماضية يريد أيام الدنيا وأما من
أوتي كتابه بشماله قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره
إلى خلف ظهره ثم يعطى كتبه بها فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه وذلك لما نظر في كتابه ورأى قبائح أعماله مثبتة عليه
تمنى أنه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح ولم أدر ما حسابيه أي لم يا ليتني أدري أي شيء حسابي لأنه لا طائل
به ولا حاصل وإنما كله عليه لا له يا ليتها كانت القاضية تمنى أنه لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت الموتة التي متها
في الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها والقاطعة للحياة أي ما أحيى بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن
شيء عنده أكره إليه في الدنيا من الموت لأنه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مما ذاقه من الموت ما أغنى عني ماليه أي لم
يدفع عني من العذاب شيئا هلك عني سلطانيه أي ضلت عني حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا و
قيل ضلت عني حجتي حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي وسلطاني على الناس
وبقيت ذليلا فقيرا حقيرا خذوه يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه فغلوه أي اجمعوا يده إلى عنقه ثم الجحيم صلوه أي
أدخلوه معظم النار لأنه كان يتعاظم في الدنيا ثم في سلسلة وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ذرعها
أي مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد أو غيرها سبعون ذراعا قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوف البكالي
سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد ما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال الحسن الله
أعلم أي ذراع هي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن
رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت
الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت في رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها
وأصلها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن لرضاض الحصا الصغار وقوله هذه وأشار إلى مثل الجمجمة الجمجمة
قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الرأس وهو أشرف الأعضاء قال كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة
منها وقوله تعالى فاسلكوه أي أدخلوه فيها قال ابن عباس تدخل في دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل في فيه و
تخرج من دبره إنه كان لا يؤمن بالله العظيم أي لا يصدق بوحدانيته وعظمته ولا يحض على طعام المسكين أي لا يحث نفسه
على إطعام المسكين ولا يأمر أهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم في حرمان المساكين لأنه تعالى عطفه على
على الكفر وجعله قرينة قال الحسن في هذه الآية أدركت قوما يعزمون على أهلهم ألا يردوا سائلا وعن
بعضهم أنه كان يأمر امرأته بتكثير المرق لأجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع
النصف الثاني بالإطعام فليس له اليوم هاهنا حميم أي ليس له في الآخرة قريب ينفعه ويشفع له ولا طعام إلا من غسلين

يعني صديدا

يعني صديد اهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله اهل النار لا يأكله
الا الخاطئون اي الكافرون قوله عز وجل فلا اقسم قيل ان لا صلة والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كأنه
قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل لا هنا نافية على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق
فيه كأنه قال لا اقسم على ان القرآن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كريم وكأنه لوضوحه استغنى عن القسم
وقوله بما تبصرون وما لا تبصرون يعني بما ترون وما تشاهدون وبما لا ترون ولا تشاهدون اقسم بالاشياء كلها
فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون على ظهر الارض وما لا
تبصرون اي ما في بطنها وقيل بما تبصرون يعني الاجسام وما لا تبصرون يعني الارواح وقيل بما تبصرون يعني
الانس وما لا تبصرون يعني الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم البا
طنة وقيل بما تبصرون هو ما اظهره الله من مكنون غيبه للملائكة واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا
تبصرون هو ما استأثر الله به فلم يطلع عليه احدا من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى انه يعني
القرآن لقول رسول كريم يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام
وعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول اصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة
وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه هاهنا سؤال وهو ان جمهور الائمة وهم
اهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله تعالى فكيف يصح اضافته الى الرسول قلت اما اضافته الى الله تعالى
فلانه هو المتكلم به واما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالى ما اوحى اليه ولهذا اكده بقوله له
تعالى تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما اراد انه قول الرسول
المبلغ عن الله وفي الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى من يقول عن الله وقوله تعالى وما هو بقول شاعر يعني ان
هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا من ضروب الشعر ولا تركيبه قليلا ما تؤمنون اراد بالقليل نفي ايمانهم
اصلا والمعنى انكم لا تصدقون ان القرآن من عند الله ولا بقول كاهن اي وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو
من جنس الكهانة قليلا ما تذكرون يعني لا تتذكرون البتة تنزيل اي هو تنزيل يعني القرآن من رب العالمين وذلك
انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قوله تعالى ولو تقول علينا
اي تقول علينا محمد بعض الاقاويل يعني واتى بشيء من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه لاخذنا منه باليمين
يعني لاخذناه وانتقمنا منه باليمين اي بالحق وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة .:. وقال الشماخ يمدح عرا
بة .:. ملك اليمين اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين .:. اي بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة
كل شيء في ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين اي سلبناه القوة وعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الا
ية لاذللناه واهناه كفعل السلطان لمن يريد ان يهينه يقول لبعض اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين
بالذكر لانها اشرف العضوين ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو اسم حبل الظهر
هو عرق وقيل هو عرق يجري في الظهر يتصل بالقلب واذا انقطع مات صاحبه وقيل يتصل من القلب بالراس قال ابن
قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى
انه لو كذب علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له من يعا
رضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب
حتى لا يشتبه الصدق بالكاذب واما ان نميته فما منكم من احد عنه حاجزين اي ما منكم من يحجزنا عن عقوبته

عونك يا كريم

والمعنى ان محمدا لا يتكلف الكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلف لعاقبناه ولا يقدر واحد على دفع عقوبتنا
عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو فعل واحد ردا على معناه وانه لتذكرة للمتقين يعني القرآن وذلك لما وجد
انه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوما هو وقال تعالى وانا لنعلم ان منكم مكذبين
فيه وعيد لمن كذب بالقرآن وانه يعني القرآن لحسرة على الكافرين يعني يوم القيمة والمعنى انهم يندمون على ترك
الايمان به لما يرون من ثواب الله لمن امن به وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين لا بطلان فيه ويقين لا شك
ولا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم اي نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك اهلا لايحائه اليه والله اعلم تفسير سو
رة المعارج مكية وهي اربع واربعون اية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسع مائة وستة
وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سال سائل قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول انه لغة
في السؤال والثاني انه من السيل ومعناه انه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من اودية جهنم وقيل سا
ئل بالهمز من السؤال بعذاب الباء بمعنى عن اي عن عذاب واقع اي نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال
تعالى مجيبا لذلك السؤال للكافرين وذلك لان اهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم
لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسالوه فانزل الله تعالى سال سائل بعذاب واقع للكافرين
~~وهذا السائل هو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسال العذاب~~ اي هو للكافرين وقيل الباء صلة ومعنى
الاية دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين اي على الكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحارث حيث دعا على
نفسه وسال العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فنزل به ما سال وقتل يوم بدر صبرا وهذا قول
ابن عباس ليس له دافع اي ان العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه او لم يطلبوه اما في الدنيا بالقتل واما في الاخرة
فان العذاب واقع بهم في الاخرة لا يدفعه عنهم دافع من الله اي بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله
للكافرين دافع يرفعه عنهم ذي المعارج قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل
الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملائكة فيها وقيل ذي الفواضل والنعم لان لافضاله وانعامه مراتب وهي تصل
الى الخلق على مراتب مختلفة تعرج الملائكة والروح يعني جبريل عليه السلام وانما افرده بالذكر وان كان من
جملة الملائكة لفضله وشرف منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة في معرض التهويل والتخويف افرد
الروح بالذكر وهذا يقتضي ان الروح اعظم الملائكة اليه اي الى الله عز وجل في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة من سني الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملائكة من بني ادم لما صعد من منتهى امر الله من اسفل
الارض السابعة الى منتهى امر الله من فوق السماء السابعة لما صعد في اقل من خمسين الف سنة والملك
يقطع ذلك في ساعة واحدة او اقل من ذلك وذكروا ان ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش
مسيرة خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل ان هذا اليوم هو يوم القيمة قال الحسن هو يوم القيمة
واراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل ما بين الناس مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وليس يعني ان مقدار
طول ذلك اليوم خمسون الف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيامة له اول وليس له اخر لانه يوم ممدود
لا اخر له ولو كان له اخر لكان منقطعا وهذا الطول في حق الكافر دون المومن قال ابن عباس يوم القيمة يكون على
الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوي بسنده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا

وقال ابن عباس

قال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ في خمسين ألف سنة
قال عطاء ويفرغ الله تعالى في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وقال الثعلبي قال الله عز وجل لو وليت حساب ذلك اليوم
الملائكة والإنس والجن وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه في ساعة
من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وعلى هذا يكون المعنى ليس
له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب في يوم كان مقداره خمسين
ألف سنة وفيه تقديم وتأخير فاصبر يا محمد على تكذيبهم إياك صبرا جميلا أي لا جزع فيه وهذا قبل أن يؤمر با
لقتال ثم نسخ بآية السيف إنهم يرونه يعني العذاب بعيدا أي غير كائن ونراه قريبا أي كائنا لا محالة لأن كل ما
هو آت قريب وقيل الضمير في يرونه بعيدا يعود إلى يوم القيامة كان مقداره خمسين ألف سنة والمعنى أنهم
يستبعدونه على جهة الإنكار والإحالة ونحن نراه قريبا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا يتعذر علينا إمكانه يوم
تكون السماء كالمهل أي كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة وتكون الجبال كالعهن أي كالصوف المصبوغ
وإنما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لأنها ذوات ألوان أحمر وأصفر وأبيض وغرابيب سود ونحو ذلك فإذا بست
الجبال وسيرت أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الأحمر وهو أضعف الصوف وأول ما
تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا ولا يسأل حميم حميما أي لا يسأل قريب قريبه
لشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسأل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسأله
الشفاعة ولا يسأله الإحسان إليه ولا الرفق به كما كان يسأله في الدنيا وذلك لشدة الأمر وهول يوم القيامة
يبصرونهم أي يرونهم وليس في القيامة مخلوق من جن أو إنس إلا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل أباه وأخاه
وقرابته ولا يسأله ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم
لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ثم لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم أي يعر
فونهم أما المؤمن فيعرف ببياض وجهه والكافر فيعرف بسواد وجهه يود المجرم أي يتمنى المشرك لو يفتدي
من عذاب يومئذ أي من عذاب يوم القيامة ببنيه وصاحبته أي زوجته وأخيه وفصيلته أي عشيرته وقيل فصيلته
أقاربه الأقربين التي تؤويه أي تضمه ويأوي إليها ومن في الأرض جميعا يعني أنه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا ثم أنه جميعا
ينجيه أي ذلك الفداء من عذاب الله تعالى كلا أي لا ينجيه من عذاب الله شيء ثم ابتدأ فقال تعالى إنها لظى يعني النار
ولظى اسم من أسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لأنها تتلظى أي تتلهب نزاعة للشوى يعني
الأطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى أن النار تنزع الأطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال
ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكل بعد
ذلك دأبها وقيل لمكارم خلقه ومحاسن وجهه وأطرافه تدعو يعني النار إلى نفسها من أدبر أي عن الإيمان
وتولى أي عن الحق فتقول إلي يا مشرك إلي يا منافق إلي إلي قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق بأسمائهما
بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو أي تعذب قال أعرابي لآخر دعاك الله أي عذبك الله و
جمع فأوعى يعني جمع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه إن الإنسان خلق هلوعا قال ابن عباس الهلوع الحريص
على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص و
قلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا يعني
إذا أصابه الفقر لم يصبر وإذا أصابه المال لم ينفق قال ابن كيسان خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب

عونك يا كريم

مما يكرهه ثم يفتره بانفاق ما يجب والصبر على ما يكره وقيل اراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه
ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى الا المصلين وهذا الاستثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع الذين
هم على صلاتهم دائمون يعني يقيمونها في اوقاتها وهي الفرائض فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده
على صلاتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها ان يواظبوا على ادائها وان لا يتركوها في شيء من الا
وقات وان لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو ان يا
تي بها العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء و
ستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه من الوسا
وس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل واما الامور المقارنة للصلاة فهو ان لا يلتفت في الصلاة يمينا وشمالا
وان يكون حاضر القلب في جميعها في الخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة عن
عن الصلاة فهو ان يحترز عن اللغو والسمعة وخوف الا يقبل منه والابتهال والتضرع الى الله تعالى بسؤال
قبولها وطلب الثواب والمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها وهيئاتها
روى البغوي باسناده عن ابي الخير قال سالنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دا
ئمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكن اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه والذين في اموالهم
حق معلوم يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هو صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل على نفسه شيئا من الم
فة يخرج على سبيل الندب في اوقات معلومة للسائل يعني الذي يسال الناس والمحروم يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب
غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة وا
لذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون ثم اكد ذلك الخوف فقال تعالى ان عذاب ربهم غير مامون يعني ان الانسان لا يمكنه
القطع بانه ادى الواجب كما ينبغي والاجتناب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون قد وقع منه تقصير من الجانبين
فلا جرم ينبغي ان يكون العبد بين الرجاء والخوف وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم تفسيره في سورة
المؤمنين قوله تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يقيمونها عند الحاكم ولا يكتمونها ولا يغيرونها
وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيى الحقوق وتظهر وبتركها تموت الحقوق
وتضيع وقيل اراد بالشهادة الشهادة بان اله واحد لا شريك له ولهذا عطف عليها والذين هم على صلاتهم يحافظون
ثم ذكر ما اعد لهم فقال تعالى اولئك في جنات مكرمون قوله عز وجل فمال الذين كفروا اي فما بالهم طرفين
قبلك مهطعين اي مسرعين مقبلين اليك اعناقهم ومديمي النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا
يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون
اليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون منك عن اليمين وعن الشمال عزين يعني انهم حلقوا عن يمينه
وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزين جماعة في تفرقة ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم قال ابن عباس معنا
ه ايطمع كل رجل منهم ان يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كذبوا نبيي كلا اي لا يدخلونها ثم ابتدأ فقال انا
خلقناهم مما يعلمون اي من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله تعالى الناس على انهم ويستوجبون
خلقوا من اصل واحد وشيء واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى
البغوي باسناد الثعلبي عن بشر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليه
اصبعه

اصبعه وقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم اني يعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك و
مشيت بين بردين وللارض منك وبيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان الصدقة واخرجه
ابن الجوزي في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الآية انا خلقناهم من اجل من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب
والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا عمل ولا عقل فلا
اقسم برب المشارق يعني واقسم وقد تقدم بيانه برب المشارق والمغارب يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل
يعني مشرق كل نجم ومغربه انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم معناه انا لقادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم
واطوع لله وما نحن بمسبوقين اي مغلوبين عاجزين عن اهلاكهم وابدالهم بمن هو خير منهم فذرهم يخوضوا
في باطلهم ويلعبوا اي في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون نسختها آية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال
تعالى يوم يخرجون من الاجداث يعني القبور سراعا اي الى اجابة الداعي كانهم الى نصب يعني الى شيء منصوب كالعلم
والراية ونحوه وقرئ نصب بضم النون والصاد وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها يوفضون اي يسرعون ومعنى الآية
انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى انصابهم يستلمونها خاشعة
ابصارهم اي ذليلة خاضعة ترهقهم ذلة اي تغشاهم هوان ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون يعني يوم القيامة الذي
كانوا يوعدون له في الدنيا والله اعلم

تفسير سورة نوح عليه السلام مكية وهي ثلاثون آية وما ئتان واربع و عشرون كلمة

وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه
ان انذر قومك اي بان خوف قومك وحذرهم من قبل ان ياتيهم عذاب اليم يعني الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم
لينذرهم بالعذاب ان لم يومنوا قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي انذركم وابين لكم ان اعبدوا الله اي وحدوه ولا تشركوا
به شيئا واتقوه اي وخافوه بان تجعلوا انفسكم مما يوثمكم واطيعون اي فيما آمركم به من عبادة الله وتقواه يغفر
لكم من ذنوبكم اي يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب
ويوخركم الى اجل مسمى اي الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم ان اجل الله اذا جاء لا يوخر لو كنتم تعلمون معناه يقول
آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يوخر عنكم ولا يمكنكم الايمان قال يعني نوحا عليه
السلام رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءي الا فرارا اي الا تباعدا وادبارا عن الايمان واني كلما دعوتهم لتغفر
لهم اي ليومنوا بك فتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا دعوتي واستغشوا ثيابهم اي غطوا وجوههم
بثيابهم لئلا يروني واصروا اي على كفرهم واستكبروا اي عن الايمان بك استكبارا اي تكبرا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا
اي معلنا قال ابن عباس باعلى صوتي ثم اني اعلنت لهم اي كررت لهم الدعاء معلنا واسررت لهم اسرارا قال ابن عباس
يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بيني وبينه وادعوه الى عبادتك وتوحيدك فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عليهم المطر واعقم ارحام نسائهم
اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اي من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد
حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك ان الاشتغال بالطاعة سبب لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا
فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه في الدنيا وروى الشعبي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يستسقي
بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل
بها المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح ومجداح وهو نجم من النجوم قيل
هو الدبران وقيل هو ثلاثة كواكب كالاثافي تشبيها بالمجداح الذي شعب وهو عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل

ربع

الداعي

الاستغفار مشبها بالانواء فيما كانوا يعتقدونه وكانوا يزعمون ان من شانها المطر لانه يقول بالانواء وعن بكر
بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكى فقال
استغفر الله وشكى اليه اخر قلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار وقال له الربيع بن صبيح اتاك الفقر
رجال يشكون انواعا فامرتهم بالاستغفار فتلى هذه الاية وقوله يرسل السماء عليكم مدرارا اي يرسل ماء السماء وذلك
لان المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل اراد بالسماء السحاب وقيل اراد بالسماء المطر
من قول الشاعر «اذا نزل السماء بارض قوم» جعلوا حيث ما نزل السماء» يعني المطر مدرارا اي كثير الدر وهو حلب الشاة
حالا بعد حال وقيل مدرارا متتابعا ويمددكم باموال وبنين اي يكثر اموالكم واولادكم ويجعل لكم جنات يعني بساتين
ويجعل لكم انهارا وهذا كله مما يميل طبع البشر اليه ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابن عباس اي لا ترون له عظمة معناه
لا تخافون عظمة الله والرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون له حقا
ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه ما لكم لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا وقد خلقكم اطوارا يعني
تارات يعني حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا
وهذا مما يدل على وحدانية الله تعالى وسعة قدرته الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا يعني بعضها فوق بعض وجعل
القمر فيهن نورا يعني في سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بني تميم وانما اتيت بعضهم وجعل الشمس سرا
جا يعني مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن
جميعا واقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس ايضا والله انبتكم من الارض نباتا يعني اراد ابتداء خلق ادم واصل خلقه
من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل في موضع المصدر اي انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه
دقيقة لطيفة وهي انه لو قال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم
فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني اولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا وانما نعرف ذلك الانبات
انبات عظيم عجيب كامل الا بواسطة النبات وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا اولى
في هذا المقام ويظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف ثم يعيدكم فيها
اي في الارض بعد الموت ويخرجكم اي منها يوم البعث اخراجا يعني اخراجا حقا لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا
اي فراشا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة
قوله تعالى قال نوح رب انهم عصوني اي لم يجيبوا دعوتي واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعني اتبع السفلة
والفقراء القادة والرؤساء الذين لم يزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الاخرة ومكروا مكرا كبارا
يعني كبيرا عظيما وكبارا بالتشديد اعظم في المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم في الدين و
كيدهم لنوح عليه السلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه و
قيل مكرهم قولهم لا تذرن الهتكم وتعبدون اله نوح وقال ابن عباس في مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على
الله الكذب وكذبوا رسوله قالوا يعني القادة والاتباع لا تذرن الهتكم اي لا تتركون الهتكم عبادتها ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه اسماء الهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة في قوله لا تذرن
الهتكم لانها كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة هي اعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه اسماء قوم
صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا وكانوا اتباع هؤلاء يقتدون بهم ويأخذون بعدهم باخذهم في العبادة
فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشا قوم

بعدهم

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

129

بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتدا عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت
تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صور اولئك القوم الصالحين خ عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال صارت الاوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب بعد اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع
فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما رق
نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قو
مهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اصنابا وسموها باسمايها ففعلوا فلم تعبد حتى
هلك اولئك ونسخ العلم عبدت وروي عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم
تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى كا
نت لسليم وغطفان ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونايلة وهبل لاهل مكة ولاجل ذلك سمت العرب نفسها بعبد ود
وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسماء. وقد اضلوا كثيرا اي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل اضل
كبراء قوم نوح كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا يعني ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا و
هذا دعاء عليهم وذلك ان نوح عليه السلام كان قد امتلا قلبه غيظا وغضبا عليهم فدعا عليهم فان قلت
كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعوا بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد ان اعلمه
الله تعالى انهم لا يومنون وهو قوله تعالى انه لن يومن من قومك الا من قد امن وقيل انما اراد بالضلال امر الدنيا
وما يتعلق بها اي في امر الدين مما خطيئاتهم اغرقوا اي بالطوفان فادخلوا نارا جهنم اي في حالة واحدة وذلك
في الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الاية على صحة عذاب القبر وذلك
لان الفاء تقتضي التعقيب في قوله اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقب الاغراق ولا يمكن
حمله على عذاب الاخرة لانه يبطل دلالة الفاء. وقيل معناه انهم سيدخلون النار في الاخرة فعبر عن المستقبل
بلفظ الماضي لصدق الوعد في ذلك والاول اصح فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا يعني ينصرهم ويمنعهم من عذاب
الله تعالى الذي نزل بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا يعني احدا يدور في الارض فيذهب ويجيء من الدوران
وقيل اصله من الدار اي نازل دار انك ان تذرهم يضلوا عبادك قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح
فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير على ذلك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا انما
قال نوح هذا حين اخرج الله تعالى كل مومن من اصلابهم وارحام نسايهم واعقم بعد ذلك ارحام النساء
وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لا يو
منون ولا يلدون مومنا فحينيذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته واهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبي وقت العذاب لان الله
تعالى اعقمهم قبل العذاب رب اغفر لي وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الافضل
وقيل يحتمل انه حين دعا على الكفار انما دعا عليهم بسبب تاذيه فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم فا
ستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس او لانه ترك الاحتمال ولوالدي وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم
امه شمخا بنت انوش وكانا مومنين وقيل لم يكن بين ادم ونوح عليهما السلام من اباية كافر وكان وق
بينهما عشرة اباء ولمن دخل بيتي مومنا اي داري وقيل مسجدي وقيل وللمومنين والمومنات وهذا عام في كل
مومن امن بالله وصدق الرسول وانما بدا بنفسه لانها اولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لا
نهم احق بدعايه من غيرهم ثم عم جميع المومنين والمومنات ليكون ذلك ابلغ في الدعاء ولا تزد الظالمين

عوذ بالرحيم

الانبار الى اهلاكا ودمارا باستجاب الله عز وجل واهلكهم جميعا والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه
تفسير سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثلاثماية
وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن اختلف الناس قديما
وحديثا في ثبوت الجن فانكروا وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح
السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من ارواح الملايكة الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل
والشرايع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل باشكال
مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها
خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة شريرة محبة للشرور والافات ولا يعلم عدد انواعهم
الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة هي كونهم حاصلة في الحيز موصوفة
بالطول والعرض والعمق فيتسمون الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية
ان تكون مخالفة لساير انواع الاجسام في الماهية وان يكون لها علما مخصوصا وقدرة مخصوصة
على افعال عجيبة شاقة يعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون باشكال مختلفة وقد علمنا باقرار الله تعالى اياهم
على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرط للحياة وانه لا بد من صلابة
البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادة ورد ما ثبت
وجوده بنص الكتاب والسنة. فصل واختلف الرواة هل راى النبي صلى الله عليه وسلم الجن واشتهر
عن ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسيره في سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الجن ولا راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ
وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم
فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شيء حدث فاضربوا مشارق الارض
ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر
النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه
صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له فقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا
يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن زاد في رواية وانما اوحي اليه قول الجن اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي
الدين في شرح مسلم في حديث ابن عباس معناه انه لم يقصدهم بالقراءة لما تعرفوا يطلبون الخبر الذي حال
بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه وعلى هذا فهو صلى
الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم وانما اعلمه الله عز وجل بما اوحى اليه من قوله قل اوحي الي
واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن اخر. الحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بان الجن وا
لشياطين موجودون متعبدون باحكام الشريعة على النحو الذي يليق بخلقهم وحالهم وان نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم مبعوث الى الجن والانس فمن دخل في دينه فهو من المومنين ومعهم في الدنيا والاخرة والجنة ومن كذبه
فهو الشيطان المبعد من المومنين فيهم مخلد في النار مستقره وهذا الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل
البعثة

اللهم صل على النبي الكريم

130

البعث وهذا ذهب قوم الى انه كان قبله والله اعلم عكاظ سوق معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها في
كل سنة مرة في الجاهلية واول الاسلام وتهامة كلما عدا نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها
ومكة من تهامة معدودة ونخلة واد من اودية مكة قريب منها واما التفسير فقوله تعالى قل اوحي الي
امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه واقعة الجن كما انه مبعوث الى الانس فهو ايضا مبعوث الى الجن و
تعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه فآمنوا به انه استمع نفر من الجن النفر ما
بين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا تسعة من اهل نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا اي لما رجعوا الى قومهم انا سمعنا قرآنا عجبا قال ابن عباس بليغا اي ذا عجب يعجب
منه لبلاغته وفصاحته يهدي الى الرشد اي يدعو الى الصواب يعني التوحيد والايمان فآمنا به اي بالقرآن
ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان اولئك النفر انهم كانوا
مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل مجوسا ومشركين وانه تعالى جد ربنا اي جلال ربنا
وعظمته ومنه قول انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اي عظم قدره وقيل
الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس قدرة ربنا وقيل
امر ربنا وقيل آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل ملك ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا اي تعالى جلال ربنا وعظمته
عن ان يتخذ صاحبة ولا ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستيناس به والله تعالى منزه عن كل نقص
وانه كان يقول سفيهنا اي جاهلنا قيل هو ابليس على الله شططا اي كذبا وعدوانا وهو وصفه الله تعالى
بالشريك والولد والشطط مجاوزة الحد في كل شيء وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي كنا
نظن ان الانس والجن صادقان في قولهم ان له صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما سمعنا
القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله قوله عز وجل وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وذ
لك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر وامسى بارض قفر يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء
قومه فيبيت في امن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن كردم بن ابي السائب الانصاري قال
خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت
الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جا
رك فنادى مناد لا نراه يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله عز وجل
على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا
وذكر ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عبا
س اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقو
ا يعني عظماء الجن سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم وانهم ظنوا يعني ا
لجن كما ظننتم اي يا معشر الكفار من الانس ان لن يبعث الله احدا يعني بعد الموت وانا يعني تقول الجن
وانا لمسنا السماء اي من النجوم اي طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت
حرسا يعني ملائكة شديدا وشهبا اي من النجوم وانا كنا نقعد اي من السماء مقاعد للسمع يعني كنا
نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها فمن يستمع منها
الآن يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن

عونك يا كريم

عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما
الكلمة فتكون حقا واما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذ
لك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من امر قد حدث في الارض فبعث الله جنوده فو
جدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض اخر
جه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ولكن لم يكن الا ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث
منعوا من ذلك اصلا وعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة
لكثرة الرجم ومنعهم من الاستراق بالكلية وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض اي برمي الشهب ام اراد بهم
ربهم رشدا ومعنى الاية هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد بمن في الارض ام اراد بهم
صلاح وخير وانا منا الصالحون اي المؤمنون المخلصون ومنا دون ذلك اي دون الصالحين مرتبة قيل
المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره كنا طرائق قددا اي
جماعات متفرقين اصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل
اهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجئة
والرافضة والخوارج وغير ذلك من اهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا
طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه وكنا في اختلاف
احوالنا مثل الطرائق المختلفة وانا ظننا الظن هنا بمعنى العلم واليقين اي قد علمنا وايقنا ان لن نعجز الله في الارض
اي لن نفوته ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اي ان طلبنا فلن نعجزه اين ما كنا وانا لما سمعنا الهدى
امنا به اي لما سمعنا القرآن امنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا اي
نقصا من عمله وثوابه ولا رهقا يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه وانا منا المسلمون اي المؤمنون وهم الذين
امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنا القاسطون اي الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين
جعلوا لله ندا فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه واما القاسطون يعني الذين
كفروا فكانوا لجهنم حطبا يعني وقود النار يوم القيامة فان قلت قد ذكر عقاب القاسطين في هذه الاية فهل لمؤمني
الجن ثواب وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين قلت ليس
فيها تمسك له وكفى بقوله فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعدل واكرم من ان يعاقب القاسط
ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا
عن تلك الهيئة وصاروا خلقا اخر والله تعالى قادر على ان يعذب النار بالنار قوله تعالى وان لو استقاموا
على الطريقة اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع للجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو
استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنة لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش و
كثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع
القرآن ولم يسلموا لوسعنا عليهم لنفتنهم فيه وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم
رجع الى خطاب الانس فقال تعالى لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعدما رفع عليهم المطر سبع
سنين والمعنى لو امنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر

الماء الغدق

الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله اصله من المطر قوله لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف شكر
هم فيما خولوا فيه وقيل معنى الاية لو استقاموا اي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم
مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا فنعذبهم والقول
الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام فهي طريقة الهدى والقول بان الاية في الانس اولى لان الانس
هم الذين ينتفعون بالمطر ومن يعرض عن ذكر ربه اي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه نسلكه اي
ندخله عذابا صعدا قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة قوله تعالى وان المسا
جد لله يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنا
يس والبيعة التي لليهود والنصارى فلا تدعوا مع الله احدا قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنا
يسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فامر الله تعالى المؤمنين ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المسا
جد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا فيكون المعنى لا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله
عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك فنزلت وان المساجد لله وروي عنه ايضا
ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان و
القدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا يسجد عليها لغيره م
عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد
سجد معه سبعة اراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه اراب الاعضاء م عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعضاء وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليد
ين والركبتين والقدمين وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان نسجد على سبعة على الجبهة
واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكف ثيابا ولا الشعر كف الشعر عقصه
وغرزه في طرفه في اعلى الضفيرة وقد نهي عن ذلك قوله عز وجل وانه لما قام عبد الله يعني النبي صلى
الله عليه وسلم يدعوه يعني يعبد الله ويقرا القران وذلك حين كان ببطن النخل كما تقدم كادوا يعني
الجن يكونون عليه لبدا يعني يركب بعضهم بعضا ويزدحمون عليه حرصا على استماع القران قاله ابن النفر
عباس وعنه ايضا انه قول الذين رجعوا الى قومهم واخبروهم عن طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه و
سلم واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الاية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه
ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه
وعاداه واصل اللبد الجماعة بعضها فوق بعض قل يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قال على الامر انما
ادعو ربي وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر
على ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم رشدا انما الضار والنافع والراشد والمغوي هو الله تعالى قل اني لن يجيرني
من الله احد اي يمنعني من الله احد ان عصيته ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا الجا اليه وقيل حرزا احترز
به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه الا بلاغا من الله ورسالاته اي فيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه
ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه وقيل

عونه باعويم

وقيل معناه لا املك ضرا ولا رشدا ولكن ابلغ بلاغا عن الله فتلخص فانما انا مرسل لا املك الا ما ملكته ومن يعص
الله ورسوله يعني ولم يؤمن فإن له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون يعني العذاب يوم القيامة في
فسيعلمون اي عندا ولا العذاب من اضعف ناصرا واقل عددا اهم المؤمنون قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون يعني
العذاب وقيل يوم القيامة ام يجعل له ربي امدا اي اجلا وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا
يعلمه الا الله عز وجل عالم الغيب اي هو عالم ما غاب عن العباد فلا يظهر اي فلا يطلع على غيبه اي الغيب الذي يعلمه
وانفرد به احدا من الناس ثم استثنى فقال تعالى الا من ارتضى من رسول يعني الا من يصطفيه لرسالته ونبوته
فيظهره على ما يشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر عن المغيبات فيكون معجزة له وآية دالة على
نبوته قال الزمخشري وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين في
فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة
والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الرضى وادخله في السخط قال الواحدي وفي هذا دليل على من ادعى ان
النجوم تدله على ما يكون من حياة او موت ونحو ذلك فقد كفر بما في القرآن واما الزمخشري فانكر كرامة الا
ولياء جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق الواحدي وغيره من المفسرين في ابطال الكهانة والتنجيم
قال الامام يجوز الدين وقسمة الآية الى السورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغي
ان تكون دالة على المنع من الكرامات قال وعندي ان الآية لا دلالة فيها على شيء من ذلك والذي يدل عليه ان قوله
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا ليس فيه صيغة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه ان لا يظهر الله تعالى خلقه
على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد انه تعالى لا يظهر هذا الغيب
لاحد فلا يبقى في الآية دلالة على انه لا يظهر شيئا من الغيوب لاحد ثم ذكر انه يجوز ان يطلع الله على
شيء من المغيبات غير الرسل كالكهان وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي ينبغي ان مذهب
اهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله بعض اوليائه وقوع بعض
الوقائع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اولياءه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم ناس من الامم محدثون من غير ان يكونوا انبياء
وان يكن في امتي احد فانه عمر اخرجه البخاري وقال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عايشة
رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الامم قبلكم محدثون فان
يكن في امتي منهم احد فان عمر بن الخطاب منهم وفي هذا اثبات كرامة الاولياء ولا يقال لو جازت الكرامة
للولي لما تميزت معجزة النبي من غيرها ولا يستدل بها على معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق
بين معجزات الرسل وكرامة للولي ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون للتحدي بالد
بالتحدي ولا يجوز للولي ان يدعي خرق العادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته قيل ان الفرق بين
المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولي امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على نبوة النبي
صلى الله عليه وسلم لان الكرامات انما تظهر على يد من هو معتقد للرسل متابع له فلو لم تكن نبوته حقا
لما ظهر الخارق على يد متابعه واما الكافر فليس بمتبع للرسل وقد استد باب الكهانة ببعثة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم الاطلاع على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله اعلم
قوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا اي يبعث الرسل ومن خلفه وذكر البعض دلالة على
تجيع

على جميع الجهات رصدا اي حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان ان يسترق السمع من الملائكة و
يحفظونه من الجن ان يستمعوا الوحي فيلقوه الى الكهان فيخبروا به قبل الرسل وقيل ان الله تعالى كان اذا
بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك يخبره فبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه
ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره واذا جاءه ملك قالوا
له هذا رسول ربك ليعلم اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان جبريل قد بلغ (اليه) رسالة ربه وقيل معناه ليعلم
محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل الذين ارسلوا قبله ان قد ابلغوا رسالة ربهم وان الله قد حفظهم ودفع عنهم
وقيل معناه ليعلم الله ان الرسل قد ابلغوا فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا يجب فيه الثواب واحاط بما لديهم
اي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء من امرهم واحصى كل شيء عددا قال ابن عباس احصى ما خلق و
عرف ما خلق لم يفته شيء حتى مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المزمل

مكية الا ايتين منها وهما قوله تعالى واصبر على ما يقولون وقيل غير ايتين وهي
ان ربك يعلم انك تقوم وهي عشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة (وثمانمائة) وثمانية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها المزمل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو
الذي تزمل في ثيابه اي تلفف قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه اول ما جاءه جبريل فرقا
منه فكان يقول زملوني حتى انس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل
وقيل معناه متزمل من النبوة اي حاملها والمتزمل حامل هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم والعالم
تخاطب بالنبي والرسول لانه كان في اول الامر ومبتداه ثم خوطب بالنبي والرسول بعد ذلك وقيل كان ا
لنبي صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في ثوبه فقيل يا ايها المزمل قم الليل اي للصلاة والعبادة واهجر
هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة في ابتداء الاسلام الا قليلا اي صل الليل
الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى نصفه اي نصف الليل او انقص منه قليلا اي الى الثلث   قم
او زد عليه اي على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم (واصحابه) يقومون على
هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدري متى الثلث او متى النصف او متى الثلثان فكان يقوم كله حتى يصبح
مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم و
نسخها بقوله فاقرءوا ما تيسر منه وقيل ليس في القران سورة نسخ اخرها اولها الا هذه ا
لسورة وكان بين نزول اولها ونزول اخرها سنة وقيل ستة وعشرون شهرا وكان قيام الليل فرضا
ثم نسخ بعد ذلك في حق الامة بالصلوات الخمس وبقيت فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن
الليل فتهجد به نافلة لك م عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا ام المومنين ا
نبئيني عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرا القران قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان القران فقلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام المومنين قالت الست تقرا المزمل قلت
بلى قالت فان الله افترض القيام في اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم (واصحابه) حولا حتى انتفخت
اقدامهم وامسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء ثم انزل الله التخفيف في اخر السورة فصار
قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقوله ورتل القران ترتيلا قال ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقراه على هينتك
ثلاث ايات واربعا او خمسا وقيل الترتيل التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا

عوضا بالترجيع

اثناء في اثر بعض بالمد والاشباع والتجويد وترتيلا تاكيدا في الامر به وانه لابد للقارئ منه وقيل ان الله تعالى امر
بقيام الليل امره بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتامل والتفكر في حقائق الآيات
ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر
الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار ويستنير القلب عند ذلك
بنور المعرفة والاسراع في القراءة لا يحصل فيها ذلك وبهذا يتبين لك ان المقصود من الترتيل انما هو حضور
القلب عند القراءة فصل عن قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه و
سلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم عن ام سلمة
قد سالها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم
نعتت قراءة مفسرة فاذا هي تنعت قراءة مفسرة ثم نعتت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائي
والترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين . ثم يقف الر
حمن الرحيم ثم يقف ملك يوم الدين ثم يقف وفي رواية ابي داوود قالت كانت قراءة رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين . يقطع قراءته
آية آية وعن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته
يقرأ سورة الفتح يرجع في قراءته وعن ابي وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود فقال
اني لاقرأ المفصل في ركعة فقال عبد الله هذا كهذ الشعر ان اقواما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم
ولكن اذا وقع في القلب فرسخ نفع ان افضل الصلوة الركوع والسجود اني لاعرف النظائر التي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بينهن سورتين في كل ركعة وفي رواية فذكر عشرون سورة من
المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم
التراقي جمع ترقوة وهو العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع
نظيرة وهو الشبه والمثل عن عائشة رضي الله عنها قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم
بآية من القرآن اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي ذر نحوه وزاد والآية وان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم عن سهل بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيهم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤوه
قبل ان يقرأه قوم يقيمونه كما يقام السهم يتعجل القراءة ولا يتاجله اخرجه ابو داوود وزاد غيره في رواية
لا يجاوز تراقيهم عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
نقرأ القرآن وفينا العربي والعجمي فقال اقرؤوا فكل حسن وسيجيء اقوام يقيمونه كما يقام القدح
يتعجلونه ولا يتاجلونه اخرجه ابو داوود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لا تنثروه نثر الدقل
قال ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم آخر السورة
قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر
وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل وقيل المعنى فاصبر نفسك مستعد
ة القبول وهذا القول لعظمه الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهي فانه فيه
مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيل لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض
والاحكام

والاحكام وقيل ثقيل على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان
بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا اي ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا
تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام امين وهذا قول له وزن
اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه
والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا اي في اللوح وذلك انه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه
القرءان والوحي يجد له مشقة وعن عائشة رضي الله عنها عن الحارث بن هشام سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احيانا ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل
لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عائشة ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد
البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال نبي الله
صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه وفي رواية كان اذا انزل عليه الوحي
عرفنا ذلك فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد
الصلب اي يسمع الاشياء الصلبة كالجرس وقوله فيفصم عني اي ينقطع عني ويفارقني وقد
وعيت اي حفظت ما قال وقوله ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد قوله تربد
وجهه الربدة في الالوان غبرة مع سواد قوله عز وجل ان ناشئة الليل اي ساعاته كلها وكل سا
عة منه ناشئة لانها تنشا عن التي قبلها وقال ابن ابي مليكة سالت ابن عباس وابن الزبير
عنها فقال الليل كله ناشئة وهو عبارة عن الامور التي تحدث وتنشا في الليل وقالت عائشة
الناشئة القيام بعد النوم وقيل هو قيام اخر الليل وقيل اوله وقيل اي ساعة قام الانسان من الليل
فقد نشا وروي عن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهم انه كان يصلي بين المغرب وا
لعشاء ويقول هذا ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد عشاء الاخرة فهي ناشئة من الليل وقيل ناشئة
الليل قيامه هي اشد وطئا قري وطاء بكسر الواو مع المد بمعنى المواطاة والموافقة وذلك ان موا
طاة اللسان والسمع والبصر يكون بالليل اكثر مما يكون بالنهار وقري وطئا بفتح الواو وسكون ا
لطاء اي اشد على المصلي واثقل من صلاة النهار وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل هي اشد
وكان يقول هو اجدر ان تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام وذلك لان الانسان اذا نام لا يدري متى
يستيقظ وقيل اثبت في الخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل هي اوطا للقيام واسهل على ا
لمصلي من ساعة النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة بين العباد لان الليل افرغ
للقلب من النهار ولا يعرض له حوائج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد من الرياء
وهو قوله تعالى واقوم قيلا اي اصوب قراءة واصح قولا من النهار لهدوء الناس وسكون الاصو
ات وقيل معناه ابين قولا بالقرءان والباطن ان عبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا وابعد من الريا
واكثر بركة وابلغ في الثواب وادخل القلوب ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في
حوائجك واشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل واذكر اسم ربك
اي بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح وتبتل اليه تبتيلا قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ

ليتفصد

ليتفصد

لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى تبتل اليه بنفسك واقطعها عن كل شيء سواه وقيل التبتل
رفض الدنيا وما فيها والتماس ما فيها عند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد في العبادة
وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شيء واقبل على العبادة تبتل اي انقطع عن كل شيء الا من عبادة الله و
طاعته فان قلت كيف قال تبتيلا ولم يجيء على مصدره قلت جاء تبتيلا على تبتل نفسك اليه تبتيلا وهو كقوله
انبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل فبتل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل يقال تبتل
يقال تبتلت تبتيلا وتبتلت تبتلا فتبتيلا محمول على معنى تبتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة
لدقيقة لطيفة وهي ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون
متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا اليه الا انه لا بد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر
اولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لا بد منه رب المشرق والمغرب يعني التبتل والا
نقطاع لا يليق الا الى الله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا اي فوض امورك اليه
وتوكل عليه وقيل معناه اتخذه يا محمد كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء واصبر على ما يقولون اي
من التكذيب لك والاذى واهجرهم هجرا جميلا اي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الاية منسوخة
باية القتال وذرني والمكذبين اي دعني مع من كذبك لا تهتم به فاني اكفيك اولي النعمة اي اصحاب النعم والترفه نزلت
في صناديد العرب قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين ببدر ومهلهم قليلا يعني الى يوم بدر ولم
يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل اراد الى انقضاء ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى ان لدينا اي عندنا
في الاخرة انكالا يعني قيودا عظاما ثقالا لا تنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد وطعاما ذا غصة اي غير سائغ في وجحيما
الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع وعذابا اليما اي وجيع يوم ترجف الارض والجبال اي تزلزل وتحرك وهو
يوم القيمة وكانت الجبال كثيبا مهيلا يعني رملا سائلا وهو الذي اذا اخذت منه شيئا تبعك ما بعده انا ارسلنا اليكم
يعني يا اهل مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا عليكم اي بالتبليغ وايمان من امن منكم وكفر من كفر
كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى بن عمران عليه السلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين ساير
الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم اذاه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى
بموسى واذاه لانه رباه فعصى فرعون الرسول فاخذناه يعني فرعون اخذا وبيلا اي شديدا ثقيلا يعني عاقبناه
عقوبة غليظة يخوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى فكيف تتقون ان كفرتم اي كيف
لكم بالتقوى يوم القيامة اذا كفرتم في الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معناه
كيف تتقون العذاب يوم القيامة وباي شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه اذا كفرتم في
الدنيا يوما يجعل الولدان شيبا يعني شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لادم عليه
السلام قم فابعث منه بعث النار من ذريتك وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الى
الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا ادم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادى بصوت ان
الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعون
فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكرى وما هم بسكرى ولكن عذاب الله شديد
فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم وقالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابشروا فان من ياجوج وماجوج تسع مائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم قال انتم في الناس كالشعرة
السوداء

اللهم صل على سيدنا محمد

134

السود في جنب الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وانى
لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا اما ما يتعلق
بمعنى الحديث فقوله ان تخرج بعثا من ذريتك بعثا الى النار ومعناه ميز اهل الجنة من اهل النار واما الرقمة فبفتح
الراء واسكان القاف هي الاثر في باطن عضد الحمار وقوله واني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة وثلث اهل الجنة و
شطر اهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع اهل الجنة اولا ثم الثلث ثم الشطر ولم يقل اولا وهي
اعاء ان ذلك اوقع في نفوسهم وابلغ في اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته
وفيه تكرير البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم على شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم بهذه
البشارة العظيمة وسرورهم بها واما ما يتعلق بمعنى الاية الكريمة والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون
ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم فيشيب الوليد فيه وجهان الاول انه عند زلزلة ا
لساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو في شدة
الامور وهوله يقال في اليوم الشديد يوم يشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت
على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبي والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم
فلما كان الشيب من لوازم الهموم كثرة والاحزان جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهول وليس المراد
ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك
اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون سن الشيخوخة والشيب السماء منفطر به وصف اليوم بالشدة ايضا
وان السماء مع عظمها تنفطر وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل فتنشق لنزول الملا
ئكة وقيل به اي بذلك المكان وقيل لها ترجع الى الله سبحانه وتعالى اي بامره وهيبته كان وعده مفعولا
اي كائنا لا محالة فيه ولا خلف ان هذه اي اية القران تذكرة اي موعظة يتذكر بها فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي
بالايمان والطاعة تعالى وقوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل من ثلثي الليل ونصفه وثلثه اي وتقوم
نصفه وثلثه وطائفة من الذين معك يعني المومنين وكانوا يقومون معه الليل والله يقدر الليل والنهار يعني ان القادر
القائم بمقدار الليل والنهار واجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما تفعلون فيعلم القدر الذي تقومون من
الليل والذي تنامون منه علم ان لن تحصوه يعني لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل فاما [illegible] حتى انتفخت اقدامهم فنز
ل علم ان لن تحصوه تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك وقيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر
به من القيام فقال تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف
والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم فاقرؤوا ما تيسر من القران فيه قولان احدهما ان
المراد بهذه القراءة القراءة في الصلوة وذلك ان القراءة احد اجزاء الصلوة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا
ما تيسر عليكم قال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن ابي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة
بالجهد فقرأ في اول ركعة اول اية من البقرة ثم قرأ في الثانية الاية الثانية من البقرة ثم ركع
فلما انصرف اقبل علينا فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤوا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما
تيسر ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس وذلك في حق الامة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله
تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول الثاني ان المراد بقوله فاقرؤوا ما تيسر منه القران [illegible] دراسته وتحصيل
حفظه وان لا يعرض للنسيان وقيل يقرا مائة اية ونحوها وقيل قراءة السورة القصيرة كافية وروى البغوي

باسناده عن أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم وليلة لم عوض ما عشر
يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة
ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر وذكر الشيخ محيي الدين النووي في كتاب الأذكار ولم
يضعفه وقال في رواية من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن
كل ليلة قلت بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقرأ القرآن في كل
شهر قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في كل عشر قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من
ذلك قال فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال علم أن سيكون منكم ففي
مرضى يعني أن المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف عنه لأجل ضعفه وعجزه عنه وآخرون يضربون في الأرض يعني
المسافرين للتجارة يبتغون من فضل الله أي يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة وآخرون يقاتلون في سبيل
الله يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لأن المسافر والمجاهد مشتغل في النهار بالأعمال الشاقة فلو لم ينم في
الليل لتوالت عليه أسباب المشقة فخفف عنهم بذلك روي عن ابن مسعود أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة ووقع
من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قال عبد الله
وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه أي من القرآن
وإنما أعاده في التأكيد وأقيموا الصلاة يعني المفروضة وآتوا الزكاة أي الواجبة وأقرضوا الله قرضا حسنا قال ابن
عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بأن يخرجها على أحسن
وجه من كسب طيب ومن أكثر الأموال أنفعها للفقراء ومراعاة النية والإخلاص وانتقاء مرضات الله تعالى وإنما تخرج
والصرف إلى المستحق وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله أي ثوابه وأجره هو خيرا وأعظم أجرا يعني
أن الذي قدمتم لأنفسكم خيرا من الذي أخرتموه ولم تقدموه روى البخاري بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه
قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا كيف
يا رسول الله قال إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر واستغفروا الله أي لذنوبكم وتقصيركم في
قيام الليل إن الله غفور رحيم أي لجميع الذنوب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه تفسير سورة المدثر مكية
قيل غير آية من آخرها وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف وعشرة
أحرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا أيها المدثر عن يحيى بن كثير قال سألت أبا سلمة بن
عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت
جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت
بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا
فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر بدثروني
والرجز فاهجر وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر
نحوه وفيه فإذا هو قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل فأخذتني رجفة شديدة وعن جابر من رواية الزهري

عن أبي سلمة

عونك يا ربي

عن ابي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه فبينما انا
امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا
فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر الى والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت
منه حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلي وذكر نحوه وفيه قال ابو سلمة والرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي وتتابع ابوا
قلت في هذا الحديث على ان سورة المدثر اول ما نزل من القران ويعارضه حديث عايشة المخرج في الصحيح
في بدء الوحي وسياتي في موضعه ان شاء الله وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم
ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه يرجف فواده الحديث قلت الصواب
الذي عليه جمهور العلماء ان اول ما نزل على الاطلاق اقرا باسم ربك الذي خلق الذي خلق كما صرح به في حديث من القران
عايشة رضي الله عنها ومن قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القران فضعيف لا يلتفت اليه وانما كان نزولها بعد
فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن ابي سلمة عن جابر ويدل عليه ايضا قوله في الحديث وهو يحدث
عن فترة الوحي الى ان قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر ويدل عليه ايضا قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ثم
قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر وايضا قوله ثم حمي الوحي وتتابع فالصواب ان اول ما نزل من القران على رسول
الله صلى الله عليه اقرا باسم ربك وان اول ما نزل بعد فترة الوحي يا ايها المدثر فيحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين
الحديثين والله اعلم قوله اذ هو قاعد على عرش يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة
الوحي اي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة
ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بثائين مثلثتين بعد الجيم ومعناهما رعبت منه وفزعت وقوله
وحمي الوحي وتتابع اي كثر وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرها وقوله بصب
علي ماء بارد فيه انه ينبغي لمن يفزع ان يصب عليه الماء ليسكن فزعه والله اعلم واما التفسير
واما التفسير فقوله تعالى يا ايها المدثر اصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ واجمعوا على بيدا
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه متدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل يا ايها المدثر بدثار
النبوءة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوءة كالدثار واللباس مجازا قم فانذر اي خذرهم
من عذاب ربك ان لم يومنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذي تحملته
وربك فكبر اي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان وثيابك فطهر فيه اربعة اوجه احدها ان ينزل لفظ الثياب
والتطهير على حقيقته والثاني ان ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث ان ينزل لفظ
الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز اما الوجه الا
ول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يتحرزون عنها فامر
صلى الله عليه وسلم ان يصون ثيابه من النجاسة وغيرها خلافا للمشركين الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر
وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم على النجاسات وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر
والبطر ما ليس في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب وامره بتقصيره بذلك قيل معناه وثيابك فطهر
عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب الوجه الثالث معناه حمل الثوب على
النفس قال عنترة وشككت بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم يريد نفسه والمعنى
نفسك فطهر من الذنوب والريب وغيرها وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه الوجه الرابع

وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز وقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك
فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر اما سمعت قول غيلان بن
سلمة الثقفي: واني بحمد الله لا ثوب فاجر: لبست ولا من غدرة اتقنع: والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء هو
طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب في ذلك ان الثوب كالشيء الملازم للانسان فلهذا
جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل ان طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى
والرجز فاهجر يعني اترك الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك ما اوجب كما
اوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال ولا تمنن تستكثر يعني لا تعطي مالك مصانعة لتعطى اكثر منه وهذا قول اكثر
المفسرين والنهي مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة فجل عن
ذلك وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل هما رباءان حلال وحرام فالحلال الهدايا
به يهدي بها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام الربا المحرم في الشرع وقيل معناه لا تقطع شيئا
لا تعط شيئا لمجازات الدنيا اعط وردبه وجه الله وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثر عملك
في عينك فانه فيما انعم الله به عليك واعطاك قيل معناه لا تمنن على اصحابك بما تعلمهم من امر الدين وتبلغهم
من الوحي كالمستكثر عليهم بذلك وقيل لا تمنن عليهم بنبوءتك فتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به و
قيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير لتستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا
وامتنانا لتلك العطية فان المن يحبط العمل ولربك فاصبر اي على طاعته واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله وقيل
معناه فاصبر له على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله عز
وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرا
فيل وهي النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح فذلك يومئذ يعني يوم النفخة وهو يوم القيامة يوم عسير
اي شديد على الكافرين يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوه
هم غير يسير اي هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة التكرار
والتأكيد انه عسير لك غير متيسر وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المؤمنين قو
له تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا اي خلقته في بطن امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته و
حدي لم يشركني في خلقه احد والمعنى ذرني واياه وانا اكفيكه نزلت هذه في الوليد بن المغيرة المخزومي
وكان يسمى الوحيد في قومه وجعلت له مالا ممدودا اي كثيرا يمد بعضه بعضا فهو غير منقطع وقيل هو
ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان الف دينار وقيل اربعة الاف درهم
وقيل الف الف وقال ابن عباس تسعة الاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكا
ن له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثمره شتاء ولا صيفا وقيل معناه غلة
شهر بشهر وبنين شهودا اي حضورا بمكة لا يغيبون لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب
الكسب وقيل معنى شهودا اي رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم
الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة نفر خالد و
هشام وعمارة ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة
في قومه وكان الوليد من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش ثم يطمع اي يرجو ان ازيد اي ازيده مالا وو

لدا

عسير لا يسر فيه ... على الكافرين ... وبشارة للمؤمنين صح

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

وولدا ونمهيدا كلا اي لا افعل ولا ازيده فقالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان ماله وولده
حتى هلك انه كان لاياتنا عنيدا اي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلايل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة
وكان منازعا منكرا للكل وقيل كان يكفر بعد ما عرف وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه
وهو افبح الكفر وافحشه سارهقه صعودا يعني سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها وعن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة في النار يتصعد فيها الكافر
سبعين خريفا ثم يهوي فيها سبعين خريفا فهو كذلك ابدا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي البغوي
وباسناد الثعلبي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سارهقه صعودا هو جبل من نار يكلف
ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت واذا رفعها عادت وقال الكلبي
الصعود صخرة ملساء في النار يكلف الكافر ان يصعدها لا يترك يتنفس في صعوده يجذب من امامه بسلاسل
الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى اسفلها ثم
يكلف ان يصعدها يجذب بين يديه ويضرب من خلفه فذلك دأبه ابدا قوله عز وجل انه فكر وقدر اي فكر
في الامر الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاما وهيأه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اي قدر ذلك الكلام
في قلبه وذلك ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه
المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي
صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت
من محمد انفا كلاما ما هو من كلام البشر ولا من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد وليصبون
قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا فقال له ما لي اراك حزينا فقال ابو
جهل يا ابن اخي وما يمنعني ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة ليعينوك على كبر سنك ويزعمون
انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال
الم تعلم قريش اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل ثم قام
ابو جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال
تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر
قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه فقال ما
ذرني ومن خلقت وحيدا هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله
عز وجل انه فكر وقدر اي في امر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه ما يمكنه ان يقول في محمد والقرآن
فقتل كيف قدر اي لعن وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ ثم قتل كيف قدر كرره
للتأكيد وقيل معناه لعن على اي حال قدر من الكلام ثم نظر اي في طلب ما يدفع به القرآن ويرده ثم عبس وبسر
اي كلح وكره وجهه كالمهتم المتفكر في شيء يريده ثم ادبر اي عن الايمان واستكبر اي تكبر عليه فقال
ان هذا اي يقوله محمد ويقرؤه الا سحر يؤثر اي يروى ويحكى عن السحرة ان هذا الا قول البشر يعني يسارا
وجبرا فهو يأثره عنهما قال الله تعالى سأصليه اي سأدخله سقر وهو اسم من اسماء جهنم وقيل الدرك

عونك يا كريم

انما

في دركاتها وما ادريك ما سقر اي وما اعلمك اي شيء سقر وذكره على سبيل التهويل والتفخيم لامرها لا تبقي ولا تذر قيل هما
بمعنى كما تقول صد عني واعرض عنه وقيل لا بد من الفرق والا لزم التكرار فقيل معناه لا تبقي احدا من المستحقين
للعذاب الا اخذته ثم لا تذر من لحوم اولئك شيئا الا اكلته واهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيى اي لا تبقي من فيها
حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقيل لكل شيء ملال
وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهي لا تبقي عليهم ولا تذرهم لواحة للبشر اي على النار تسعة عشر من
الملائكة وهم خزنتها جمع بشرة اي مغيرة للجلد حتى تجعله اسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تجعله اشد سو
ادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا عليها تسعة عشر اي على
النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الحديث ان اعينهم كالبرق
الخاطف وانيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة قد نزعت
منهم الرحمة يرفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع
بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم
امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم الشجعان فيعجز كل عشرة
منكم ان يبطشوا بواحد من خزنة جهنم وقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة بن خلف الجمحي انا اكفيكم
منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني انتم اثنين ويروى عنه انه قال انا امشي بين
ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فانزل الله
تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة يعني الا رجالا ادميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة
ليكونوا من غير جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرافة والرحمة وما جعلنا عدتهم اي عددهم
في القلة الا فتنة للذين كفروا اي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هو قولهم كيف يقدر هذا العدد
القليل على تعذيب جميع من في النار واجيب عن قولهم لو لم يكونوا عشرين بان افعال الله تعالى ولا يقال
فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر ان هذا
العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان الاحاد اقل الاعداد واكثرها تسعة وعشرة اقل
الكثير عشرة فوقع الاختصار على عدد يجمع الكثير واكثر القليل ولهذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد
كثير لا يدخل تحت الحصر واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع
اهل النار وذلك لان الله تعالى يعطي هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون على ذلك فقد اعترف بكمال قدرة
الله تعالى وانه على كل شيء قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب يعني ان العدد مكتوب في التورية والانجيل انهم تسعة عشر ويزداد الذين
امنوا ايمانا يعني من امن من اهل الكتاب فيزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان هذا العدد هو
كان موجودا في كتابهم واخبر به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة و
تعلم علموا ان ما جاء به ذلك بالوحي من السماء فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم
ولا يرتاب اي ولا يشك الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون يعني في عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل
على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك ابلغ واكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه
قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل الكفر والنفاق وليقول الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق

والكافرون

والكافرون ماذا اراد يعني مشركي مكة وان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض
وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان المنافقين سيحدث فاخبر الله تعالى عما
سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الاية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن
غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من هو شاك
وفيهم من هو قاطع بالكذب ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني اي شيء اراد الله بهذا المثل العجيب و
انما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم
لهذا العدد واستبعادا له والمعنى اي غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم
بذلك انكاره من اصله وانه ليس من عند الله ولهذا اسموه مثلا كذلك اي كما اضل الله من انكر عدد
الخزنة وهدى من صدق به يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء لان الله تعالى اليه الهداية والاضلال وما
يعلم جنود ربك الا هو قيل هذا جواب لابي جهل حين قال لمحمد صلى الله عليه وسلم اعوان الا تسعة عشر
والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة ما يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا
لتعذيب اهل النار وقيل كما ان ملكه واف الله غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية وما هي
يعني النار الا ذكرى للبشر اي الا تذكرة وموعظة للناس يتعظون بها وقيل وما هي يعني اية القرآن و
مواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها كلا اي لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم
انه يكفي اصحابه خزنة النار وقيل كلا بمعنى حقا والقمر والليل اذ ادبر اي ولى ذاهبا وقيل ادبر بمعنى اقبل
تقول العرب دبر فلان اي جاء خلفي فالليل ياتي خلف النهار والصبح اذا اسفر اي اضاء وتبين وهذا قسم
وجوابه قوله تعالى انها لاحدى الكبر يعني ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات
النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نذيرا للبشر قيل يحتمل
ان يكون نذيرا راجعة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما انذر بشيء ادهى من النار
وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى
الله عليه وسلم والمعنى يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر اي يتقدم
في الخير والطاعة او يتاخر عنها فيقع في الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن امن او
كفر وقد تمسك بهذه الاية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه وا
جيب عنه بان مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل
التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتاخر قوله
تعالى كل نفس بما كسبت رهينة اي مرتهنة في النار بكسبها وماخوذة بعملها الا اصحاب اليمين يعني فا
نهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة
كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي عليه واختلفوا في اصحاب اليمين من هم فقيل المؤمنون
المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين ادم يوم اخذ الميثاق
حين قال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم
وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم
يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة في جنات اي هم في جنات يتساءلون عن المجرمين

عونك يا كريم

اي يتساءلون عن المجرمين وعن حالهم فيقولون لهم ما سلككم في سقر قيل هذا اي يقول هذا قال ان اصحاب اليمين
هم الاطفال لانهم لم يكسبوا الذنوب التي توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين وعلى
هذا التفسير يكون معنى ما سلككم يقول المسؤولون للسائلين قلنا للمجرمين ما سلككم اي ادخلكم
وقيل ما حبسكم في سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع فقالوا مجيبين لهم لم نك من المصلين اي لله
في الدنيا ولم نك نطعم المسكين اي لم نتصدق عليه وكنا نخوض مع الخائضين اي في الباطل وكنا نكذب بيوم
الدين اي بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة حتى اتانا اليقين يعني الموت قال الله تعالى فما تنفعهم
شفاعة الشافعين قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى
في النار الا اربعة ثم تلا قوله لم نك من المصلين الاية وقال عمران بن الحصين الشفاعة نافعة لكل احد دون
هؤلاء الذين تسمعون وروى البغوي بسنده عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان قال فيقول ما تعرفني فيقول
اما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول انك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع قال فيه
ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ما تريد فيقول تذكر رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا وكذا
فيقول انك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه فما لهم عن التذكرة معرضين اي عن مواعظ القرآن
كانهم حمر جمع حمار مستنفرة قرئ بالكسر اي نافرة وقرئ بالفتح اي منفرة مذعورة محمولة على النفار فرت
من قسورة قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد لها وهو رواية عن ابن عباس وعنه مذعورة وعنه انها القنا
ص وعنه هي حبال الصيادين وقيل معناه جوقة من رجال اقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور و
قيل القسورة لغط القوم واصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال ابو هريرة رضي الله عنه هي
الاسد وذلك ان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هؤلاء المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة والبلاهة وذلك لانه لا يرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت
من شيء بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسول الله نؤمر فيه باتباعك و
قالوا ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح عند راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك
كلا اي لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات بل لا يخافون الاخرة اي لا يخافون عذاب الاخرة والمعنى انهم
لو خافوا الله لما اقترحوا هذه الايات بعد قيام الادلة لانه لما ظهرت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على
صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من طلب التعنت كلا اي حقا انه تذكرة يعني موعظة عظيمة فمن شاء
ذكره اي اتعظ به وانما يعود نفع ذلك عليه وما تذكرون الا ان يشاء الله اي الا ان يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا
ويتعظوا هو اهل التقوى واهل المغفرة اي هو حقيق بان يتقى عذابه ويخاف عقابه فيؤمن به ويطيعوه وهو
حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان يتقى محارمه واهل ان يغفر لمن يشاء عن
انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال قال الله تبارك
وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وفي اسناده سهيل بن عبد الله القطعي وليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به ثابت عن انس والله اعلم بمراده
واسرار كتابه تفسير سورة القيامة مكية وهي اربعون اية ومائة وتسعون كلمة

وستر

سورة القيامة مكية واثنان وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لا اقسم بيوم القيامة اتفقوا
على ان المعنى اقسم واختلفوا في لفظة لا فقيل ادخال لا على القسم مستفيض في كلام العرب واشعارهم
قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وفايدتها توكيد القسم لا والله ما ذاك
كما تقول تريد والله ويجوز حذفها لانه ابلغ في الردع مع اثباتها وقيل انها صلة كما في قوله لئلا يعلم اهل
الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا في وسط الكلام لا في اوله واجيب عنه بان القرءان في حكم السورة الواحدة
بعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في اخرى كقوله يا ايها الذي نزل عليه
الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة القلم ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة
جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القرءان كالسورة الواحدة في عدم التناقض لا ان
تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جايز وقيل لا رد الكلام المشركين المنكرين للبعث اي ليس الامر كما
زعموا ثم ابتدا فقال اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لا هي للنفي و
المعنى في ذلك انه قال لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما له فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم
شانه وقيل لا اقسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه وروى البغوي
في تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما
دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف باتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق
الاية في ذلك وقوله ولا اقسم بالنفس اللوامة قيل هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء
وقيل اللوامة هي التي تندم على ما فات فتقول لو فعلت ولو لم افعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم
نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول يا ليتني لم افعل وقال الحسن هي نفس المومن
ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلام ما اردت باكلي وان الكافر يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها
وقيل هي النفس الشريفة التي تلوم النفس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس الشقية تلوم نفسها حين
تعاين اهوال يوم القيامة وتقول واحسرتا على ما فرطت في جنب الله فان قلت اي مناسبة بين يوم
القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت المناسبة ان في يوم القيامة تظهر احوال
النفوس اللوامة من الشقاوة والسعادة فلهذا احسن الجمع بينهما في القسم وقيل انما وقع القسم بالنفس
اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها واجتهادها في طاعة الله وقيل انه
تعالى اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة كانه قال اقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا اقسم
بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة والفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم
القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيامة على وقوع يوم القيامة
وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم بربها في الحقيقة فكانه قال اقسم برب
القيامة وقيل ان لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن ويدل عليه
قوله تعالى ايحسب الانسان الن نجمع عظامه وقيل جواب القسم قوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه ومعنى
ايحسب الانسان ان يظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما مختلطة بالتراب وبعد ما سفتها
الرياح وطيرتها في ابعد الارض لن نجمع عظامه اي لا يمكننا جمعها مرة اخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

وما علم ان القادر على الابتداء يقدر على الاعادة نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة وهو ختن الاخنس بن
شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عديا والاخنس وذلك ان عديا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه
وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن به او يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل أيحسب
الانسان يعني هذا الكافر ان لن نجمع عظامه بعد التفريق والبلى فنحييه فما كان الى مرة وقيل ذكر العظام واراد بها
نفسه جميعها لان العظام قالب النفس لا تستوي الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر
او يجمع الله العظام بلى قادرين يعني على جمع عظامه وتاليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى
على ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوي بنانه يعني انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير او
كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغير ذلك وقيل معناه
ظن الكافر ان لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها و
نؤلف بينها حتى نسوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اولى بالصوا
ب وقيل انما ذكر البنان بالذكر لانه اخر ما يتم به الخلق قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه اي ليدوم على فجو
ره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب قال سعيد بن جبير يقدم الذنوب ويؤخر التوبة
ويقول سوف اتوب وسوف اعمل حتى ياتيه الموت وهو على شر احواله واسوإ اعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش
فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجو
ر الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق يسأل ايان يوم القيامة اي متى يكون يوم القيامة وا
لمعنى ان الكافر يسأل سؤال المتعنت مستبعد القيام الساعة قال الله تعالى فاذا برق البصر اي اذا شخص البصر
عند الموت فلا يطرف مما رأى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا وقيل تبرق ابصار الكفار عند رؤية جهنم و
قيل برق اذا فزع وتحير لما رأى من العجائب وبرق اي شق عينيه وفتحها من البرق وهو التلألؤ وخسف القمر
اي اظلم وذهب ضوؤه وجمع الشمس والقمر يعني اسودان مكورين كانهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما
في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى يقول الانسان يعني الكافر المكذب يومئذ
اين المفر اي المهرب وهو موضع الفرار كلا اي لا ملجأ لهم يهربون اليه وهو قوله لا وزر اي لا حرز ولا ملجأ ولا جبل و
كانوا اذا فزعوا لجأوا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وزر
كما التجأت اليه وتحصنت به وهو وزر ومنه قول كعب بن مالك الناس ألب علينا فيك ليس لنا الا السيو
ف واطراف القنا وزر ومعنى الآية انه لا شيء يعصمهم من امر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستنج
دون اليه من النار الى ربك يومئذ المستقر يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو
بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء ادخله
الجنة ومن شاء ادخله النار بعدله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر قال ابن عباس مسعود وابن عباس بما قدم قبل برحمته
موته من عمل صالح او سيء وما اخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وعن ابن عباس ايضا بما قدم
من المعصية واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة واخر من حق الله فضيعه وقيل باول عمله واخره وهو عمله كله
في اول عمره واخره وقيل قدم من ماله لنفسه قبل موته وما اخر من ماله لورثته بل الانسان على نفسه بصيرة بما
اي بل الانسان على نفسه وقيل يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهو سمعه وبصره وجوارحه وانما ادخلت
الهاء

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

وانما ادخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية
عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة ولو القى معاذيره يعني ولو اعتذر
وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه فعليه من نفسه من يكذب عذ
ره وقيل اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو القى الستور واغلق الابواب
ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل
على — في الدنيا قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به عن ابن عباس في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن جبير قال ابن عباس انا احركهما كما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل ولا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه
وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا ان تقرأه قال فكان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله تعالى
عز وجل الاية التي في لا اقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك وشفتيه لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال ان علينا
ان نجمعه في صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه ان علينا ان نبينه
بلسانك قال وكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قرأه كما وعد الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه
اذا انزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه ان نجمعه في صدرك وقرآنه
ان تقرأه ومعنى الاية لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه
لتعجل به اي باخذه ان علينا جمعه اي جمعه في صدرك وحفظه اي لك وقرآنه اي وقراءته عليك والمعنى سنقرئك يا محمد
بحيث تصير لا تنساه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اي لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل
ما يوحي اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيها واجعل قراءة جبريل قراءتك لانه بامره نزل بالو
حي ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول اولى لانه ليس هذا مو
ضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع امر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته وكان النبي صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحي اصغى اليه فاذا فرغ من قراءته عاد النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه
ثم ان علينا بيانه اي نبينه بلسانك فتقرأه كما اقرأك جبريل وقيل اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك
علينا بيان ما فيه الاحكام والحلال والحرام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شيء سال
جبريل عليه السلام عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله تعالى كلا اي حقا بل تحبون ا
لعاجلة وتذرون الاخرة اي تختارون الدنيا وتعملون لها يخاطب كفار مكة وجوه يومئذ يعني يوم القيامة ناضرة من
مسبرة — النضارة وهي الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل يعلو
ها النور ويبهرها. وقيل مشرقة بالنعيم الى ربها ناظرة قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال
الحسن حق لها ان تنضر وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وابي صالح انهما فسرا النظر في هذه
الاية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما امرها به وقال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهري ومن
قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى الشيء بمعنى انتظرته وانما
تقول نظرت فلانا ومنه قول الحطيئة وقد نظرتكم ابناء صادرة للورد طال بها حوزي وتنساسي واذا قلت نظرت
اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل ان يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب هذا اخر كلامه ويشهد

عوض بالرؤية

لصحة هذا التأويل النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار ولم يوصل في موضع بإلى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقو
له هل ينظرون إلا تأويله وقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والوجه إذا وصف بالنظر وعدي بإلى لم يحتمل غير الرؤ
ية وأما قوله انظر إلى الله ثم إليك على معنى أتوقع فضل الله ويكون النظر بمعنى نظر القلب فإنما يجوز هذا إذا
لم يسند إلى الوجه فإذا أسند النظر إلى الوجه لم يحتمل نظر القلب والانتظار وإذا بطل المعنيان لم يبق إلا الرؤ
ية كلام وإن شوش به عليهم والأحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها
إن شاء الله تعالى فصل في إثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى قال علماء أهل السنة رؤية
الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله سبحانه و
تعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طائفة من أهل البدع كالمعتز
لة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح
وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله
تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة
واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم
وأجوبتها مستقصاة في كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى
في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك وأما الأحاديث الواردة في إثبات ال
رؤية فمنها ما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه
وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال وقد روي
عن ابن عمر ولم يرفعه ق عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر
وقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون روي بفتح التاء و
تشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد أيضا ومعناه لا ينضم بعضكم إلى بعض ولا تزدحمون وقت النظر إليه وروي
بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله إنكم سترون ربكم عيانا كما تر
ون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئي بالمرئي عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون
في رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسو
الله صلى الله عليه وسلم فإنكم سترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي وليس عنده في أوله أن ناسا سأ
لوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها قال الترمذي وقد روي مثل هذا عن أبي سعيد وهو صحيح
وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد أخرجه البخاري ومسلم ومعنى تضامون وتضارون واحد عن أبي رزين
العقيلي قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آ
ية ذلك في خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله أعظم إنما هو خلق
من خلق الله يعني القمر فالله أجل وأعظم أخرجه أبو داود م عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم

ألم تبيض وجوهنا

الم نبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى
ربهم تبارك وتعالى والاحاديث في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم قوله عز وجل ووجوه يومئذ باسرة يعني
عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما ادركها من اليا
س من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين اهل الجنة والنار تظن اي تستيقن والظن هنا بمعنى
اليقين ان يفعل بها فاقرة اي يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذي
يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هي ان تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى كلا
اي حقا اذا بلغت يعني النفس كناية عن غير مذكور التراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق
ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة ، ورب عظيمة دافعت عنها
وقد بلغت نفوسهم التراقي وقيل يعني وقال من حضره من راق هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه
ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل قضاء الله به في امر الله تعالى ما نزل التمسوا له الاطباء فلم يغنوا
عنه من قضاء الله شيئا وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه
اذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب وظن اي ايقن الذي بلغت روحه الى التراقي انه الفراق يعني
الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد والتفت اي اجتمعت الساق بالساق اي الشدة بالشدة يعني شدة
مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الاخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من شدة
في الاجابة الا جاء ما هو اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة فكان في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام
الاخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقاه اذا التفتا في الكفن وقيل هما
ساقاه عند الموت الا تراه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه و
التفت احداهما بالاخرى الى ربك يومئذ المساق اي مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل
بينهم فلا صدق ولا صلى يعني ابا جهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى ولكن كذب وتولى اي اعرض عن الايمان
والتصديق ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ويختال في مشيته وقيل اصله يتمطط اي يتمدد من التمطي
اولى لك فاولى هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه
ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك اجدر بهذا العذاب واحق واولى به
يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية
اخذ بمجامع ثوب ابي جهل بالبطحاء وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد
والله ما تستطيع انت وربك ان تفعلا بي شيئا واني لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه
الله شر صرعة وقتله اسوأ قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعون وفرعون هذه الا
مة ابا جهل ايحسب الانسان ان يترك سدى اي هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في
الاخرة الم يك نطفة اي ماء قليلا من مني يمنى اي تصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شيء مستقذر
ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة ثم كان علقة اي صار الانسان علقة بعد النطفة فخلق فسوى اي فقدر خلقه فسواه
وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاءه فجعل منه اي من الانسان الزوجين اي الصنفين ثم فسرهما فقال الذكر
والانثى اي خلق من مائه ذكورا واناثا اليس ذلك اي الذي فعل هذا وانشأ الانشاء اول مرة بقادر على ان يحيي
الموتى اي بقادر على اعادته بعد الموت عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبعد

من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلكم من الشاهدين
ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فانتهى
إلى فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه أبو داود وله عن موسى بن أبي عائشة قال كان
رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسئل عن ذلك فقال
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. تفسير سورة الإنسان مكية
وقيل قاله مجاهد وقتادة وهو الزهري وقيل مدنية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها
مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا وما قبله مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل إن الله
في مراده إلى قوله إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية إلى آخرها مكي حكاه الماوردي وهي إحدى وثلاثون
آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا. بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل هل أتى أي قد أتى
على الإنسان يعني آدم عليه السلام حين من الدهر يعني مدة أربعين سنة وهو من طين ملقى عن أنس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء أن يتركه فجعل إبليس يطوف به وينظر إليه فلما
رآه أجوف عرف أنه خلق قوله يطوف أي يدور حوله فلما رآه أجوف أي صاحب جوف وهو الذي وقيل هو الذي داخله خال
وقوله عرف أنه خلق لا يتمالك أي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك نفسه دفع الوساوس عنه
وقيل لا يملك نفسه عند الغضب ويروى عن في تفسير الآية أن آدم بقي أربعين سنة طينا وأربعين سنة حمأ مسنونا
وأربعين سنة صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة لم يكن شيئا مذكورا أي لا يذكر ولا يعرف
ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح كان شيئا ولم يكن شيئا يذكر وروي عن عمر أنه سمع رجلا
يقرأ هذه الآية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن
أبي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالإنسان جنس الإنسان وهو بنو آدم بدليل قوله إنا خلقنا الإنسان فالإنسان في
الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدر لم يكن شيئا مذكورا لأنهم
كانوا نطفا في الأصلاب ثم علقا ومضغا في الأرحام لم يذكروا بشيء. إنا خلقنا الإنسان يعني بني آدم من نطفة أي
من مني الرجل ومني المرأة أمشاج أي أخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم
فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فأيهما غلب صاحبه كان الشبه له فما كان من
عصب وعظم فهو من ماء الرجل وما كان من دم ولحم وشعر فهو من ماء المرأة وقيل الأمشاج اختلاف ألوان النطفة
فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو أمشاج وقال ابن عباس هي العروق التي تكون
في النطفة وقيل هي نطفة مشيجة أي خلطت بدم وهو دم الحيض إذا حبلت المرأة ارتفع الحيض وقيل الأمشاج
أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم نكسوه لحما ثم ننشئه خلقا آخر وقيل إن الله تعالى جعل في النطفة
أخلاطا من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة
ذات أمشاج نبتليه أي نختبره بالأمر والنهي فجعلناه سميعا بصيرا قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا
بصيرا لنبتليه لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة وقيل معناه إنا خلقنا الإنسان من هذه الأمشاج للابتلاء والامتحان
ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع و
البصر الحاستان المعروفتان وإنما خصهما بالذكر لأنهما أعظم الحواس وأشرفها إنا هديناه السبيل أي بينا
له السبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه أرشدناه إلى الهدى لأنه لا يطلق

عونك يا كريم

141

اسم السبيل الاعلية والمراد من هداية السبيل الاعلية نصب الدلايل وبعثة الرسل وانزال الكتب اما شاكرا واما كفورا يعني
اما موحدا طايعا لله واما مشركا بالله في علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته
وقيل معنى الاية اما مومنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه بينا له الخير يعني بينا له الطريق ان شكر او كفر وقيل المراد من الشاكر
المومن الذي يعترف ويقر بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما
للفريقين فوعد الشاكر واوعد الكافر فقال تعالى انا اعتدنا اي هيانا في جهنم للكافرين سلاسلا اي يشدون بها واغلالا اي في ايديهم
تغل بها الى اعناقهم وسعيرا يعني وقودا لا يوصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكر الموحد بقوله
تعالى ان الابرار يعني المومنين الصادقين في ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر التوسع في الطاعة يشربون من كاس
يعني فيه شراب كان مزاجها كافورا قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك وان خلق الكافور وغيره لذيذ وشرابه مضر فما وجه شرا
بهم مزج شرابهم به قلت قال اهل المعاني اراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في
الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان اهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما ياكلون
وقيل كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور و
المسك والزنجبيل عينا بدلا من الكافور وقيل اعني عينا يشرب بها اي يشرب منها عباد الله قال ابن عباس اي اولياء الله يفجرونها تفجيرا
اي يقودونها كيف شاءوا الى منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم قوله تعالى يوفون بالنذر اي انما وصف الله تعالى ثواب الابرار في الاخرة
وصف اعمالهم في الدنيا التي استوجبوا بها هذا الثواب والمعنى كانوا في الدنيا يوفون بالنذر والنذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم
فيدخل فيه جميع الطاعات من الايمان والصلوة والزكوة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر في عرف الشرع واللغة بان
يوجب الرجل على نفسه شيئا ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله علي كذا وكذا من صدقة او صوم او صلوة او حج او عمرة يتعلق
ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفا الله مريضي او قدم غايبي كان لله علي كذا ولو نذر في معصية لا يجب الوفاء به خ عن عايشة
رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطع الله فليطعه ومن نذر ان يعص الله فلا يوف
به وفي رواية فليطعه ولا يعصيه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذي
وابو داود والنسائي ق عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على امه فتوفيت قبل
ان تقضيه فامره ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة وفي الاية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة في وصفهم على اداء الواجبات
لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي منتشرا منتشرا فاشيا
ممتدا وقيل استطار خوفه في اهل السموات واهل الارض وفي اولياء الله واعدايه وقيل فشى شره في السموات فانشقت وتناثرت
الكواكب وفزعت الملايكة وكورت الشمس والقمر وفي الارض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شي على
الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خايفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته قوله عز وجل ويطعمون
الطعام على حبه اي على حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم يوثرون غيرهم على انفسهم
بالطعام ويواسون به اهل الحاجة وذلك لان اشرف انواع اهل الاحسان والبر اطعام الطعام لان به يقوم الابدان وقيل
حب الله عز وجل اي لحب الله مسكينا يعني فقيرا وهو الذي لا مال له ولا يقدر على الكسب ويتيما وهو الذي لا اب له يكتسب له
وينفق عليه واسيرا قيل هو المسجون من اهل القبلة يعني من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك امر الله
تعالى بالاسرا ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ اهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرا وان كانوا على غير ديننا
وان يرجى ثوابه ولا يجوز ان يطعموا من الصدقة الواجبة كالزكوة والكفارات وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المراة
لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان يعني اسرا وقيل غريمك اسيرك فاحسن

الى

واحسن الى اسيره واختلفوا في نزول الاية فقيل نزلت في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار وجاء
مسكينا ويتيما واسيرا فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقي له ولاهله رغيف واحد فنزلت هذه الاية فيه وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
انها نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وذلك انه عمل ليهودي بشيء من شعير وقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه واصلح منه شيئا
ياكلونه فلما فرغ منه اتى مسكين فسال فاعطوه ذلك الطعام ثم عمل الثلث الثاني فلما فرغ اتى يتيم فسال فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث
الباقي فلما تم نضجه اتى اسير من المشركين فسال فاعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الاية وقيل الاية عامة في كل من
اطعم المسكين واليتيم والاسير لله تعالى واثر على نفسه انما نطعمكم لوجه الله اي لاجل وجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قيل انهم
لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى عليهم وقيل قالوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك وذلك لان الاحسان الى الغير تارة
يكون لاجل الله تعالى لا يريد به غيره فهذا هو الخالص وتارة يكون لطلب المكافات او لطلب الحمد من الناس او لهما وهذان القسمان
مردودان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما شركا وريا فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
انا نخاف من ربنا يوما يعني ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافاتكم عبوسا وصف ذلك اليوم با
لعبوس مجازا كما يقال نهار صائم والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه
من الشدة قمطريرا يعني شديدا كريها يقبض فيه الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي لا انبساط فيه والقمطرير الشديد
وقيل هو اشد ما يكون في الايام واطوله في البلاء فوقيهم الله شر ذلك اليوم الذي يخافونه ولقاهم نضرة اي حسنا في وجوههم وسر
ورا في قلوبهم وجزاهم بما صبروا اي على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع والوفاء بالنذر والايثار جنة وحريرا
اي ادخلهم الله في الجنة والبسهم الحرير متكئين فيها اي في الجنة على الارائك جمع اريكة وهي السرر في الحجال ولا تسمى اريكة الا
اذا اجتمعا لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يعني لا يوذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يوذيهم في الدنيا والزمهرير اشد
البرد وحكى الزمخشري قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلبة انه في لغة طي وانشد: وليلة ظلامها قد اعتكر :: قطعتها
والزمهرير ما ظهر: والمعنى الجنة ضياء لا يحتاج فيها الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها اي قريبة منهم ظلال اشجارها و
ذللت اي سخرت وقربت قطوفها اي ثمارها تذليلا اي ياكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين وينالونها كيف شاءوا
على اي حال ارادوا ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب قيل هي كيزان التي لا عرى لها كالقدح ونحوه كانت قواريرا قواريرا من
فضة قال اهل التفسير بياض الفضة في صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى انية اهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج يرى ما
في باطنها من ظاهرها قال الكلبي ان الله تعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض اهل الجنة من فضة فجعل منها قوار
ير يشربون فيها وقيل القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج قدروها تقد
يرا اي قدر الكؤوس على قدر ريهم وكفايتهم الذي لا يزيد ولا ينقص والمعنى ان السقاة والخدام الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم
ثم يسقونهم ويسقون فيها اي في الجنة كاسا كان مزاجها زنجبيلا قيل الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها الابرار
~~ويوجد منها طعم الزنجبيل يستطيبها واريا مشارا الاري العسل والمشار المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب~~
~~في معناه وكان طعم الزنجبيل به اذا ذقته وشابه به الخمر لا يشرب المقربون منها صرفا ويمزج لساير اهل الجنة~~
وقيل هو النبت المعروف والعرب كانت يحبون جعل الزنجبيل في شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى كان الا
قرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشارا الاري العسل والمشار المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب في معنا
ه وكان طعم الزنجبيل به اذا ذقته وشابه الخمر فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة
بذلك على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كل ما ذكر الله تعالى في القران مما في الجنة وسماه ليس
له مثل في الدنيا وذلك ان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا عينا فيها تسمى سلسبيلا اي سلسلة منقادة لهم في
[illegible]

اللهم صل على ...

يصرفونها حيث شاؤوا وقيل هي جديد الجرية وقيل سميت سلسبيلا لأنها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم تنبع من
أصل العرش من جنة عدن إلى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لأنها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ومعنى
تسمى أي توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيل صفة لا اسم ويطوف عليهم ولدان مخلدون أي في الجنة وقيل مخلدون أي
مسورون ومقرطون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا يعني في بياض اللؤلؤ الرطب حسنه وصفائه واللؤلؤ إذا
انتثر على البساط كان أحسن منه منظوما وقيل إنما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة قوله تعالى وإذا رأيت
قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل أحد ممن يدخل الجنة والمعنى إذا رميت ببصرك ونظرت به ثم يعني الجنة رأيت
نعيما أي لا يوصف عظمه وملكا كبيرا قيل هو أن أدناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو
أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلا بإذنه وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملك لا زوال له ولا انتقال
عاليهم أي فوقهم ثياب سندس خضر وهو ما رق من الديباج وإستبرق وهو ما غلظ من الديباج وكلاهما داخل في اسم الحرير
وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا من الأقذار والأدران ولم تمسه الأيدي ولم تدنسه الأرجل
كخمر الدنيا وقيل إنه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في أبدانهم كرشح المسك وذلك أنهم يؤتون بالطعام ثم من
بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا من جلودهم أطيب من المسك الأ
ذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل شهوتهم الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع
الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد إن هذا كان لكم جزاء أي يقال لأهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم
نعيمها إن هذا كان لكم جزاء قد أعده الله لكم إلى هذا الوقت فهو لكم بأعمالكم وهو إخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين أنه قد
أعد لهم في الآخرة وكان سعيكم مشكورا أي شكرتكم عليه وأثبتكم أفضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه
عنهم بالقليل من الطاعة وإعطاؤه إياهم الكثير من الخير قوله عز وجل إنا نحن نزلنا عليك أي يا محمد القرآن تنزيلا قال ابن
عباس متفرقا آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة والمعنى أنزلنا عليك القرآن مفرقا بالحكمة البالغة تقتضي كل شيء بو
قت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وأن الذي أنزل إليه وحي ليس بكها
نة ولا سحر لتزول تلك الوحشة التي حصلت له من قول الكفار إنه سحر أو كهانة فاصبر لحكم ربك أي الطاعة بحكمه عما حكمه
قيل معناه لحكم ربك في تأخير الإذن في القتال وقيل هو عام في جميع التكاليف أي فاصبر في كل ما حكم الله تعالى به سواء كان
تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات أو عاما متعلقا بالغير كالتبليغ وأداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك ولا تطع منهم
آثما أو كفورا يعني وكافورا وقيل أراد به أبا جهل وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل
عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه وقيل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكافور الوليد بن المغيرة وذلك أنهما
قالا للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر وقال عتبة أنا أزوجك ابنتي
وأسوقها إليك بغير مهر وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الأمر فأنزل الله تعالى هذه الآية فإن قلت
هل من فرق بين الآثم والكافور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصي أي معصية كانت والكافور هو الجاحد
فكل كافور آثم ولا ينعكس لأن من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لأنه لما عبد غير الله
فقد عصاه وجحد نعمته عليه واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا قيل المراد بالذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني
صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له أي صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون
الآية جامعة لمواقيت الصلوات الخمس وسبحه ليلا طويلا يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل
وقيل المراد من الآية الذكر باللسان والمقصود أن يكون ذكر الله عز وجل في جميع الأوقات في الليل والنهار بقلبه

عونك يا كريم

وإحسانه قوله عز وجل إن هؤلاء يعني كفار مكة يحبون العاجلة يعني الدار العاجلة وهي الدنيا ويذرون وراءهم يعني أمامهم
يوما ثقيلا يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له نحن خلقناهم وشددنا
يعني قوينا وأحكمنا أسرهم أي خلقهم وقيل مفاصلهم شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب وقيل
مجرى البول والغائط وذلك أنه إذا خرج الأذى انقبضا وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا وإذا شئنا أهلكناهم وأتينا بـ
أشباههم فجعلناهم بدلا منهم إن هذه أي السورة تذكرة أي تذكير وعظة فمن شاء اتخذ أي لنفسه في الآ
نجاة إلى ربه سبيلا أي وسيلة بالطاعة والتقرب إليه وهذه مما يتمسك به القدرية ويقولون اتخاذ السبيل
هو عبارة عن التقرب إلى الله تعالى وهي اختيار العبد ومشيئته قال أهل العلم السنة ويرد عليهم قوله تعالى
في سياق الآية وهو قوله تعالى وما تشاءون إلا أن يشاء الله أي لستم تشاءون إلا بمشيئة الله تعالى لأن الأمر إليه
ومشيئة الله مستلزمة بفعل العبد فجميع ما يصدر عن العبد بمشيئة الله تعالى إن الله كان عليما أي بأحوال خلقه
وما يكون منهم حكيما أي حيث خلقهم مع علمه بهم يدخل من يشاء في رحمته أي في دينه وقيل في جنته فلا يسرف أن
جنته بل لا يدع ذلك من الله تعالى وإن يسرف بالجنة كان دخول الجنة بمشيئة الله تعالى وفضله وإحسانه لا بسبب
الاستحقاق والظالمين يعني المشركين أعد لهم عذابا أليما والله أعلم بمراده وأسرار كتابه تفسير سورة
والمرسلات مكية وهي خمسون آية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا
عذرا أو نذرا اعلم أن المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها الأول أن المراد بأسرها الرياح ومعنى الآية
المرسلات الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا أي كثيرا فالعاصفات عصفا يعني الرياح الشديدة الهبوب
والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة وقيل هي الرياح التي أرسلها نشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر
السحاب وتأتي بالمطر فالفارقات فرقا يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني الرياح إذا
أرسلت عاصفة شديدة قلعت الأشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصل بذلك خوف في قلوب العباد فيلجأوا إلى
الله تعالى ويذكرونه فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر والمعرفة في القلوب عند حدوث هبوبها الوجه الثاني
أن المراد بأسرها الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ومعنى والمرسلات عرفا الملائكة الذين أرسلوا بالعرف
من المعروف من أمر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعني الملائكة تعصف في طيرانها
ونزولها كعصف الرياح في السرعة والناشرات نشرا يعني أنهم إذا نزلوا إلى الأرض نشروا أجنحتهم وقيل هم الذين
ينشرون الكتب ودواوين الأعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعني الملائكة تأتي بما يفرق
بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء وقيل يجوز أن يكون المراد من الذكر هو القرآن
خاصة فعلى هذا يكون الملقي هو جبريل وحده وإنما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم الو
جه الثالث أن المراد بأسرها آيات القرآن ومعنى والمرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة في النزول على محمد
صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعني آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كا
لعصف وهو النبات المنكسر والناشرات نشرا يعني آيات القرآن تنشر أنوار الهداية والمعرفة في قلوب المؤ
منين فالفارقات فرقا يعني أن آية القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني آيات الذكر الحكيم التي
تلقي الإيمان والنور في قلوب المؤمنين الوجه الرابع أنه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيئا واحدا بل فيه
فعلى هذا يكون المراد بقوله والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد

بقوله

بقوله فالعاصفات عصفا والملقيات ذكرا الملائكة فإن قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما
في القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شبهوا بالرياح فحصلت المجانسة
بينهم من هذا الوجه فحسن الجمع بينهم في القسم قوله عز وجل عذرا أو نذرا أي للإعذار والإنذار وقيل
عذرا من الله ونذرا منه إلى خلقه وهذه كلها أقسام وجواب القسم قوله تعالى إنما توعدون أي من أمر الساعة
ومجيئها لواقع أي لكائن نازل لا محالة وقيل معناه إنما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى
يقع فقال تعالى فإذا النجوم طمست أي محي نورها وقيل محقت وإذا السماء فرجت أي شقت وقيل فتحت وإذا الجبال
نسفت أي قلعت من أماكنها وإذا الرسل أقتت وقرئ وقتت بالواو ومعناهما واحد أي جمعت لميقات يوم معلوم
وهو يوم القيامة ليشهدوا لأي يوم أجلت أي أخرت وضرب الأجل لجمعهم تعالى ليتعجب العباد من تعظيم ذلك
اليوم والمعنى جمعت الرسل في ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال
تعالى ليوم الفصل قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم أتبع تعظيمه تهويلا فقال تعالى وما
أدراك ما يوم الفصل أي وما علمك بيوم الفصل وهوله وشدته ويل يومئذ للمكذبين أي بالتوحيد والنبوة و
المعاد والبعث والحساب وقوله تعالى ألم نهلك الأولين يعني الأمم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم
ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين أي إنما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين ويل يومئذ للمكذبين ألم
نخلقكم من ماء مهين يعني النطفة فجعلناه في قرار مكين يعني الرحم إلى قدر معلوم يعني وقت الولادة وهو معلوم
لله تعالى لا يعلم ذلك غيره فقدرنا قرئ بالتشديد من التقدير أي قدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون أي المقدرون له و
قرئ بالتخفيف من القدرة أي قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه في أحسن صورة وهيئة
ويل يومئذ للمكذبين أي المنكرين للبعث لأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة ألم نجعل الأرض كفاتا يعني وعاء و
أصله الضم والجمع أحياء وأمواتا يعني تكفتهم على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا
في بطنها في قبورهم ولهذا تسمى الأرض أما لأنها تضم الناس كالأم تضم ولدها وجعلنا فيها أي في الأرض رو
اسي شامخات يعني جبالا عاليات وأسقيناكم ماء فراتا أي عذبا ويل يومئذ للمكذبين يعني أن هذا كله أعجب من
البعث فالقادر عليه قادر على البعث قوله عز وجل انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون يقال لهم يوم القيامة للمكذ
بين في الدنيا انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب يعني دخا
ن جهنم إذا سطع وارتفع وانشعب وافترق ثلاث فرق كذلك شأن الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه إلى أن
يفرغ من الحساب كما يكون أولياء الله تعالى في ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤوسهم
وعن أيمانهم وعن شمائلهم لا ظليل يعني ذلك الظل لا يظل من حر ولا يغني من اللهب أي لا يرد عنهم لهيب جهنم
والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لا يرفع عنهم حر اللهيب إنها يعني جهنم ترمي بشرر جمع شرارة وهي ما
تطاير من النار كالقصر أي كالبناء العظيم ونحوه وقيل هو أصول الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس
عن قوله تعالى ترمي بشرر كالقصر فقال هي الخشب العظام وكنا نعمد إلى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك
ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر كأنه يعني الشرر جمالات جمع الجمال قال ابن عباس هي حبال السفن
يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال صفر جمع أصفر يعني أنه لون تلك الشرار وأنشد بعضهم ∴ د
عتهم بأعلى صوتها ورمتهم ∴ بمثل الجمال الصفر نزاعة للشوى وقيل الصفر هنا معناه الأسود لأنه جاء
في الحديث أن شرار نار جهنم أسود كالقير والعرب تسمي سود الإبل صفرا لأنه يشوب سوادها شيء من الصفرة

عمونه باكريم

وقيل هو قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرار قد تتابع كانه شيء مجموع غليظ اصفر ويل يومئذ للمكذبين قوله
تعالى هذا يوم لا ينطقون يعني بحجة تنفعهم وقيل هذا في بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان في بعضها
يتكلمون وفي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على
يؤذن واختير ذلك لان رؤوس الاي بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الايات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما
تستحب وفاق القوافي والقرآن نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال
الجنيد اي عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر اياديه ونعمه فان قلت قد يوهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من
ذكره قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لانه قد تقدم الانذار والاعذار في الدنيا فلم يبق لهم عذر في الاخرة ولكن ربما
تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم في ذلك العذر الفاسد ويل يومئذ للمكذبين يعني انه لا ينبغي
انه لا عذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم قال في حقهم ويل
يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل يعني بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحاكما
ت جمعناكم والاولين يعني مكذبي هذه الامة والذين كذبوا انبياءهم من الامم الماضية فان كان لكم كيد فكيد
ون اي ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون ان الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع و
هذا في نهاية التوبيخ والتقريع ولهذا اعقبه بقوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل ان المتقين اي الذين
اتقوا الشرك في ظلال جمع ظل وهو ظل الاشجار وعيون اي في ظل عيون ماء وفواكه مما يشتهون
اي يتلذذون بها كلوا واشربوا اي ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى بلا
واسطة وما اعظمها من نعمة او ان يكون من الملائكة على سبيل الاكرام هنيئا اي خالص اللذة لا يشبه
لا يشوبه تنغيص بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الطاعات انا كذلك نجزي المحسنين قيل المقصود منه تذكير
الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم
فلما لم يفعلوا وقعوا في ذلك وقعوا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل كلوا وتمتعوا قليلا يقول لكفار
مكة كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا اي الى منتهى آجالكم وهذا وان كان في ظاهره الامر الا انه في المعنى
نهي بليغ وزجر عظيم انكم مجرمون اي مشركون بالله مستحقون للعذاب لا جرم اتبعه بقوله ويل يومئذ للمكذ
بين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا قيل لهم صلوا مع محمد واصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لا
نه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون
ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده اي بعد القرآن يؤمنون اي اذا لم يؤمنوا فباي شيء يؤمنون والله
اعلم تفسير سورة عم مكية وهي اربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة و
سبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عم اصله عن ما يتساءلون اي عن اي شيء يتسا
ءلون يعني المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقوله واي شيء تريد اذا عظمت شانه وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم
فيقول بعضهم لبعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر على ماذا تساءلوا فقال تعالى عن النبا العظيم
اي عن الخبر العظيم الشان قال الاكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما
جاء به الذي هم فيه مختلفون فمن فسر النبا العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه انه سحر او شعر او كهانة و
نحو ذلك مما قالوه في القرآن ومن فسر النبا العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون

ومن كذب به وهم الكافرون

عونك يا كامل
1424

فمن صدق به وهم المومنون ومن كذب به وهم الكافرون ومن قسر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقال
اختلافهم فيه كاختلافهم في القرءان كلا هو ردع وزجر وقيل هو نفي لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما
قالوا سيعلمون حتى ينكشف الامر يعني في القيامة ثم كلا سيعلمون وعيد على اثر وعيد وقيل معناه كلا
سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعني المومنين عاقبة تصديقهم وا
يمانهم ثم ذكر اشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بها على توحيده ويعلموا انه قادر على ايجاد العالم وابدا
به بعد ايجاده وايجاده مرة اخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى الم نجعل الارض مهادا اي فرا
شا وبساطا تستقرون عليها الافق ام والجبال اوتادا يعني للارض حتى لا تميل وخلقناكم ازواجا يعني اصنافا ذكورا
واناثا وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات الراحة بل المقصود منه النوم يقطع التعب
ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع الحركة والتصرف في الاعمال وجعلنا
الليل لباسا اي غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته ولهذا سمي الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة في ذ
لك هو ان الانسان يستتر بظلمات الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك وجعلنا النهار معاشا
اي سببا للمعاش والتصرف في المصالح وقال ابن عباس يبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه وبنينا
فوقكم سبعا شدادا يعني سبع سموات محكمة ليس بها فطور وعليها شقوق ولا فطور على ممر الزمان الى ان
ياتي امر الله تعالى وجعلنا سراجا وهاجا يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل في الشمس
حرارة ونورا والوهاج يجمع النور والحرارة وانزلنا من المعصرات يعني الرياح التي تعصر السحاب وهو رواية عن
ابن عباس وقيل هي الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء وانزلنا بالمعصرات وذلك ان
الريح تستدر المطر وقيل هي السحاب وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس قيل المعصرات السحاب التي تتحلب
بالمطر ولا تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو المغيث وقيل المعصرات السموات وذلك ان المطر ينزل
من السماء الى السحاب ماء ثجاجا اي صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج و
الثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي لنخرج به اي بذلك الماء حبا يعني ما ياكله الناس كالحنطة ونحوها ونحوها
ونباتا اي ما ينبت في الارض من الحشيش مما ياكل منه الانعام وجنات الفافا اي ملتفة بالشجر ليس بينها خلاء ثم دل على
البعث بذكر ابتداء الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى ~~وجنات الفافا~~ ان يوم الفصل اي الحساب كان ميقاتا اي لما وعد الله
من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجمع فيه الخلائق ليقضي بينهم يوم ينفخ في الصور يعني النفخة الاخيرة فتاتون
افواجا يعني زمرا زمرا من كل مكان للحساب وفتحت السماء فكانت ابوابا يعني فكانت ذات ابواب لنزول الملا
ئكة وقيل تفتح وتتناثر حتى يصير فيها ابوابا وطرقا وسيرت الجبال عن وجه الارض فكانت سرابا اي هباء منبثا كا
لسراب في عين الناظر ان جهنم كانت مرصادا اي طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروي عن
ابن عباس انه على جسر جهنم سبع محابس يسال العبد عند اولها عن شهادة لا اله الا الله فان جاء بها تامة
جاز الى الثانية فيسال عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالثة فيسال عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابعة
فيسال عن الصوم فان جاء به تامة جاز الى الخامسة فيسال عن الحج فان جاء به تامة جاز الى السادسة فيسال
عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابعة فيسال عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع
اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا معدة لهم وقيل هو من رصدت الشيء اذا
ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار اي تنتظرهم للطاغين اي للكافرين

عونا يا رحيم

مئابا أي مرجعا يرجعون إليها لابثين فيها أي في جهنم أحقابا جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا
كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة يروى ذلك عن علي بن أبي طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة. فإن قلت
الأحقاب وإن طالت فهي متناهية وعذاب الكافر في جهنم غير متناه فما معنى قوله أحقابا قلت ذكر العلماء فيه و
جوها أحدها ما روي عن الحسن قال إن الله تعالى لم يجعل لأهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ما هو
إلا أنه إذا مضى حقب دخل الآخر إلى الأبد وليس للأحقاب عدة إلا الخلود وروي عن ابن عباس عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون
في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا الوجه الثاني أن لفظ الأحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناه و
المعنى أنهم يلبثون فيها أحقابا لا يذوقون في تلك الأحقاب بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا فهذه توقيت لأنواع
العذاب الذي يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث أن الآية منسوخة بقوله تعالى فلن نزيدكم
إلا عذابا يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل لا يذوقون فيها بردا قال ابن عباس البرد النوم وقيل البرد الرو
ح والراحة وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم ولا شرابا يعني عطش إلا حميما وغساقا إلا حميما يشربون حميما قيل هو
الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو
صديد أهل النار جزاء وفاقا أي جزيناهم جزاء وافق أعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذ
اب أعظم من النار إنهم كانوا لا يرجون حسابا أي لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا
بأنهم يحاسبون وكذبوا بآياتنا أي التي جاءت بها الأنبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحسا
ب كذابا أي تكذيبا قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعالا وقد سألني أعرابي منهم يستفتيني الحلق يستفتيني
أحب إليك أم القصار يريد التقصير وكل شيء أي من الأعمال أحصيناه أي بيناه وأثبتناه كتابا أي في كتاب وهو اللوح المحفو
ظ وقيل معناه وكل شيء علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى أنه عالم بجميع ما فعلوه من خير أو شر و
أنا أجزيهم على قدر أفعالهم جزاء وفاقا فذوقوا أي يقال لهم ذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا قيل هذه الآية أشد آية
في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه قوله عز وجل إن للمتقين مفازا يعني فوزا
ونجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل أن يفسر الفوز بالأمرين جميعا لأنهم فازوا بمعنى نجوا من ا
لعذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال حدائق جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه نخل وأعنابا
يعني كروم أعناب فحذف ذلك الكروم وكواعب جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن أترابا يعني مستويات
في السن وكأسا دهاقا قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية لا يسمعون فيها أي في الجنة وقيل في حالة
شربهم لأن أهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شربهم لغوا يعني باطلا من الكلام ولا كذابا والمعنى أنه لا يكذب بعضهم
بعضا ولا ينطقون به جزاء من ربك عطاء حسابا أي جزاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أي كافيا وافيا وقيل حسا
با يعني كثيرا وقيل جزاء بقدر أعمالهم رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا أي لا يقدر الخلق أن يكلم
الرب إلا بإذنه وقيل لا يملكون شفاعة إلا بإذنه يوم أي في ذلك اليوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل هو جبريل عليه السلا
م وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملا
ئكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن عباس وابن مسعود الروح ملك أعظم من السموات والأرض
والجبال وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجيء يوم
القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند و

هؤلاء جند

وهو لا جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء الا معه واحد ومنه انهم هم بنو آ
دم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقومون سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة لا يتكلمون يعني
الخلق كلهم اجلالا لهيبة الله عز وجل ومن هول ذلك اليوم الا من اذن له الرحمن اي في الكلام وقال صوابا اي حقا في الدنيا
وعمل به وقيل قال لا اله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الآية لا يشفعون الا في شخص اذن الرحمن
في الشفاعة لهو ذلك الشخص ممن كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله ذلك اليوم الحق اي الكائن الواقع لا محالة
له وهو يوم القيامة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا اي سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله وما يتقرب به اليه انا انذرناكم اي
خوفناكم في الدنيا عذابا قريبا اي في الآخرة وكل ما هو آت قريب يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي من خير او شر
مثبتا في صحيفته ينظر اليه يوم القيامة ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا قال عبد الله بن عمر واذا كان يوم القيامة
مدت الارض مد الاديم الاكاظمي وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين البهائم ثم يقتص للشاة الجماء
من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل
يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص انما خلقتكم وسخرتكم لبني آدم وكنتم مطيعين ايام حياتكم فارجعوا
الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا راى الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت في الدنيا في صورة بعض هذه البهائم وكنت
الى الجنة اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وامر اهل الجنة واهل النار الى النار وقيل لسائر الامم ولمؤمني الجن عودوا
ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل ان الكافر اذا راى ما انعم الله على المومنين من
الخير والرحمة قال يا ليتني كنت ترابا يعني متواضعا في طاعة الله في الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر هنا هو
ابليس وذلك انه عاب آدم كونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيامة و
ما فيه آدم وبنيه المومنين من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال ابو
هريرة يقول التراب لا ولا كرامة من جعلك مثلي والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة والنازعات
مكية وهي ست واربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبع مائة وثلاث وخمسون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عز وجل والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات
سبقا اختلفت عبارات المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفة لشيء واحد ام لاشياء مختلفة على اوجه وا
تفقوا على ان المراد بقوله فالمدبرات امرا صفات لشيء واحد وهي الملائكة الوجه الاول في قوله تعالى والنازعات
غرقا يعني الملائكة تنزع ارواح الكافرين من اقصى اجسادهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد
الغرق من الاغراق في النزع اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع
السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتنشط نفس المومن كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع
بنفس الكافر والنشط بنفس المومن لان بينهما فرقا فالنزع جذب شديد والنشط جذب برفق ولين والسابحات
سبحا يعني الملائكة يقبضون ارواح المومنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها
كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد اذا
اسرع في جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعني الملائكة سبقت بني آدم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملائكة
تسبق بارواح المومنين الى الجنة الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد
وتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس يعني نفوس المومنين تنشط للخروج عند الموت
لما ترى من الملائكة وذلك انه يعرض عليه مقعده في الجنة قبل ان يموت وقال علي بن ابي طالب هي ارواح الكفار

عونك يا كريم

تنشط من بين الجلد والاظفار حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعني ارواح المومنين حين تسبح في الهواء الملكوت فالسابقات سبقا يعني استباقها الى الحضرة القدسية الوجه الثالث في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني النجوم تنزع من افق الى افق ثم تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم يسبق بعضها بعضا في السير الوجه الرابع في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع من اعنتها وتغرق في غرقها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهي السابحات سبحا في جريها وهي السابقات سبقا لاستباقها الى الغاية الوجه الخامس في قوله والنازعات يعني الغزاة حين تنزع في قسيها بالرمي فتبلغ غاية العدو وهو قوله غرقا والناشطات نشطا اي السهام في الرمي والسابحات سبحا والسابقات سبقا يعني الخيل والابل حين يخرجونها اصحابها الى الغزو الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيئا واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا يعني يبلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من القدمين يعني تجذب والسابحات سبحا يعني السفن والسابقات سبقا يعني سابقة نفوس المومنين الى الخيرات والطاعة فالمدبرات امرا فاجمعوا على انهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا اربعة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى وهذه اقسام اقسم الله بهذه الاشياء لشرفها ولله ان يقسم بما شاء من خلقه او يكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف على تقدير لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة يوم ترجف الراجفة يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق تتبعها الرادفة يعني النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة قال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شيء والاخرى تحيي كل شيء باذن الله عز وجل وقيل الراجفة التي تزلزل الارض والجبال والرادفة تنشق السماء وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قلوب يومئذ واجفة اي خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة وقيل زائلة عن اماكنها ابصارها خاشعة اي ابصار اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى يقولون يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون من بعد الموت ائنا لمردودون في الحافرة يعني نرد الى اول الحال وابتداء الامر فنصير احياء بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان في حافرته اي رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء واول الشيء وقيل محفورة في الحقيقة وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى ائنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقيل الحافرة النار اذا كنا عظاما نخرة اي بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى واحد وقيل الناخرة المجوفة التي يمر فيها الريح فتنخر اي تصوت قالوا يعني المنكرين للبعث اذا عاينوا احوال القيامة تلك اذا كرة خاسرة اي رجعة غابنة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت فانما هي يعني النفخة الاخرة زجرة واحدة اي صيحة واحدة يسمعونها جميعا فاذا هم بالساهرة يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطء عليها كانها سهرت والمعنى انهم كانوا في بطن الارض

فلما سمعوا

اللهم صل الله على سيدنا محمد وسلم

146

صار دا

فلما سمعوا الصوت علوا وجهها وقيل هي ارض الشام وقيل هي ارض القيامة وقيل ارض جهنم قوله عز وجل
هل اتيك حديث موسى يعني قد اتيك يا محمد حديث موسى وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه تكذيب قومه فذ
كر له قصة موسى عليه السلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه ليتاسى به اذ ناداه ربه بالواد المقدس اي المطهر طوى
هو اسم واد بالشام عند الطور اذهب الى فرعون انه طغى اي علا وتكبر وكفر بالله فقل هل لك الى ان تزكى اي تتطهر من
الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله واهديك الى ربك اي ادعوك
الى عبادة ربك وتوحيده فتخشى اي عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كان دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كا
ن اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه فاريه يعني فاري موسى فرعون الاية الكبرى يعني اليد البيضاء والعصا فكذب
يعني فرعون بانها من الله وعصى اي تمرد واظهر التجبر ثم ادبر اي اعرض عن الايمان يسعى اي يسعى ويعمل الفساد
في الارض فحشر اي جمع قومه وجنوده فنادى اي لما اجتمعوا فقال يعني فرعون لقومه انا ربكم الاعلى اي لا رب فوقي وقيل
اراد ان الاصنام ارباب وهو ربها وربهم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اي عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه في الدنيا
ويدخله النار في الاخرة وقيل اراد بالاخرة والاولى كلمتي فرعون وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله انا ربكم
الاعلى وكان بينهما اربعون سنة ان في ذلك اي الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى لعبرة اي عظة لمن يخشى اي
يخاف الله عز وجل ثم خاطب منكري البعث فقال تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام
خلق السموات والارض عندكم وفي تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لان خلقة الانسان على صغره
وضعفه اذا اضيف الى خلق السماء مع عظمتها وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السماء اعظم واذا كان
كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خلق السموات والارض ولا تنكرون
ذلك ثم انه تعالى وصف كيفية خلق السماء فقال تعالى رفع سمكها يعني علو سقفها وقيل رفعها بغير عمد فسويها
اي اتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور واغطش ليلها اي اظلم ليلها والغطش الظلمة واخرج اي واظهر وابرز
ضحيها اي نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه اكمل اجزاء النهار في النور والضوء والضوء وانما اضاف
الليل والنهار الى السماء لانهما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي في السماء ثم وصف كيفية خلق الارض
فقال تعالى والارض بعد ذلك دحيها اي بسطها اي بسطها ومدها قال امية بن ابي الصلت دحوت البلاد فسويتها وانت
على عرشها قادر فان قلت ظاهر هذه الاية يقتضي ان الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله بعد ذلك دحيها وقد قال الله
تعالى في حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الايتين وما معناهما قلت خلق الله الارض اولا مجتمعة ثم سمك السماء
ثانيا ثم دحى الارض بمعنى مدها وبسطها فلذا يحصل بهذا التفسير الجمع بين الايتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض
باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحى الارض بعد ذلك وقيل معناه
والارض مع ذلك دحيها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اي مع ذلك اخرج منها ماءها اي فجر من الارض عيونا ومرعيها اي رعيها
وهو ما ياكله الناس والانعام واستعير الرعي للناس على سبيل التجوز والجبال ارسيها اي اثبتها متاعا لكم ولانعامكم اي الذي اخرج
من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم قوله عز وجل فاذا جاءت الطامة الكبرى يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل
الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شيء فتعلوا عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع يوم يتذكر
الانسان ما سعى اي ما عمل في الدنيا من خير او شر وبرزت الجحيم لمن يرى ~~فان الجحيم هي الماوى~~ يعني انه يكشف عنها الغطاء
فينظر اليها الخلق فاما من طغى اي كفر واثر الحيوة الدنيا اي على الاخرة فان الجحيم هي الماوى اي لمن هذه صفته واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اي المحارم التي تشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يدي الله للحساب

فيبشرها لذلك فان الجنة هي الماوى ان من هذه صفته قوله عز وجل يسئلونك اي يا محمد عن الساعة ايان مرسيها اي متى
ظهورها وقيامها فيم انت من ذكريها اي لست في شيء من علمها وذكرها حتى تهتم لها وتذكر وقتها الى ربك منتهيها اي
منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قال يا محمد انت من ذكريها
اي من علاماتها لانك من آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها انما انت منذر
من يخشيها اي انما ينفع انذارك من يخافها كانهم يعني الكفار يوم يرونها اي يعاينون يوم القيمة لم يلبثوا اي في الدنيا
وقيل في قبورهم الا عشية او ضحيها فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحيها قلت قيل ان الهاء
والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى ... وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة الى يوم كانه قال الا عشية او ضحى يومها
والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة عبس مكية وهي اثنان واربعون اية ومائة وثلاثون كلمة
وخمسمائة وثلاثون حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عبس اي كلح وقطب وجهه وتولى اي اعرض
بوجهه ان جاءه الاعمى يعني ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة
بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشي بن لؤي واسم امه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد رضي
الله عنها اسلم قديما بمكة وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس
بن عبد المطلب وابي بن خلف واخاه امية بن خلف وهو يدعوهم الى الله تعالى ويرجوا اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يا رسول
الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدري انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وهو لا يدري انه مقبل على غيره وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتباعه العميان
والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الايات معاتبة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا راه ويقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويقول
له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة ثلاثة عشر مرة في غزواته وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا
بالقادسية قال انس بن مالك رايته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء عن عائشة رضي الله عنها قالت انزلت
عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الاخرين فيقول اترى بما
اقول باسا فيقول لا ففي هذا انزل اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وما يدريك اي شيء يجعلك داريا لعله يزكى
اي يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك او يذكر اي يتعظ فتنفعه الذكرى اي الموعظة اما من
استغنى قال ابن عباس عن الله تعالى وعن الايمان بما له من المال فانت له تصدى اي تتعرض له وتقبل عليه وتصغي الى
كلامه وما عليك الا يزكى اي لا يؤمن ولا يهتدي وانما عليك البلاغ واما من جاءك يسعى يعني يمشي يعني ابن ام مكتوم وهو
يخشى يعني الله عز وجل فانت عنه تلهى اي تتشاغل وتعرض عنه كلا اي لا تفعل بعدها مثلها انها يعني الموعظة وقيل ايات
القران تذكرة اي موعظة للخلق فمن شاء اي من عباد الله ذكره اي اتعظ به يعني بالقران ثم ذكر جلالة القران ومحله عند
الله عز وجل فقال تعالى في صحف مكرمة يعني القران في اللوح المحفوظ مرفوعة اي رفيعة عند الله وقيل مرفوعة في السماء السابعة
مطهرة يعني الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة بايدي سفرة قال ابن عباس يعني كتبة وهم الملائكة
الكرام الكاتبين واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة الى الانبياء واحدهم سفير ثم اثنى
عليهم بقوله تعالى كرام اي هم كرام على الله بررة مطيعين له جمع بار وقوله عز وجل قتل الانسان اي لعن الكافر وطرد ما اكفره اي
ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه وايادية عنده وهذا على سبيل التعجب اي اعجبوا من كفره وقيل معناه

عوند يا كريم

147

اي شي. حمله على الكفر نزلت هذه الاية في عتبة بن ابي لهب وقيل في امية بن خلف وقيل كان ذلك يوم بدر وقيل الاية عامة
في كل كافر ثم بين من امره ما كان ينبغي منه ان يعلم ان الله خالقه فقال تعالى من اي شي. خلقه لفظه استفهام
ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى من نطفة خلقه فقدره يعني خالقه اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى اخر
خلقه وقيل قدره يعني خلق راسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما اراده ثم السبيل يسره اي سهل له طريق خروجه
من بطن امه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل احد ما خلق له وقدر عليه ثم اماته فاقبره
اي جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور واقبره معناه صيره الله بحيث
يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبني ادم على سائر الحيوان ثم اذا شاء انشره اي احياه بعد موته للبعث
والحساب وانما قال ثم اذا شاء انشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد وهو من مشيئة الله عز وجل فمتى شاء
احيا جميع الخلق احياهم كلا ردع وزجر للانسان عن تكبره وتمرده وعن عجزه واصراره على انكار التوحيد وانكار
البعث والحساب لما يقض ما امره اي لم يفعل ما امره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن ادم ليعتبر به فانه
موضع الاعتبار فلينظر الانسان الى طعامه كيف قدره ربه ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مخرج طعامه و
مخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى انا صببنا الماء صبا يعني المطر ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها حبا اي في الارض حبا
يعني الحبوب التي يتغذى بها الانسان وعنبا يعني انه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلذلك اتبعه بالحب وقضبا
يعني القت وهو الرطب سمي بذلك لانه يقضب اي يقطع في كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذي يعلفه الدواب
وزيتونا وهو ما يعصر منه الزيت ونخلا وحدائق جمع حديقة غلبا يعني غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف
بعضه ببعض وقال ابن عباس طوالا وفاكهة يعني جميع الوان الفاكهة وابا يعني الكلا والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما
ياكله الدواب والانعام وقيل الفاكهة ما ياكله الناس والاب ما ياكله الدواب وقال ابن عباس ما انبتت الارض
مما ياكل الناس والانعام وروى ابراهيم التيمي ان ابا بكر سئل عن قوله وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني
اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم خ عن انس ان عمر قرا وفاكهة وابا قال فما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا
بهذا لفظ البخاري وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم يعني الفواكه والحب
والعشب منفعة لكم ولانعامكم ثم ذكر احوال القيمة فقال تعالى فاذا جاءت الصاخة يعني صيحة يوم القيامة سميت
صاخة لانها تصخ اسماع الخلق اي تبالغ في اسماعهم حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه اي انه لا يلتفت الواحد من هولاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب في ذلك الاحتراز عن المطالبة
بالحقوق فالاخ يقول ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفني حقي
والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر هابيل من اخيه قابيل وابراهيم عليه السلام من ابيه ولوط
من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المؤمن من موالاة هولاء ونصرتهم والمعنى ان هولاء الذين كان المرء يفر بهم
في الدنيا ويتعزز بهم ويتكثر بهم يفر منهم في الدار الاخرة وفائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه
لانهما اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلق القلب بهم اشد من تعلقه بالابوين لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه اي يشغله عن شان نفسه عن شان غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون
حفاة عراة غرلا فقالت له امراة ايبصر احدنا او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة واهوالها بين حال المكلفين
وانهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة

ق ف

منه

عونك يا كريم

اي مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضاء. وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من اثر الوضوء
وقيل من الغبار في سبيل الله ضاحكة اي عند الفراغ من الحساب مستبشرة اي من السرور فرحة لما نالت من
كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء بقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة اي سواد كآبة للهم الذي نزل بهم
ترهقها قترة اي يعلوها ويغشيها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس يغشيها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة
ان الغبرة ما كان اسفل من الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فيلحق بالسماء اولئك اي الذين صنع الله بهم هذا
اولئك هم الكفرة الفجرة جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة
التكوير مكية وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر
رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه راي العين فليقرا اذا
الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت اخرجه الترمذي بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
اذا الشمس كورت قال ابن عباس اظلمت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض الشيء
الى بعضه ومعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها قال ابن عباس يكور الشمس
والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا خ عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جمدان فالقاوهما في
لنا يعبدون سببا لا لزيادة العذاب في جهنم واذا النجوم انكدرت اي تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكلبي
وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الا وقع واذا الجبال سيرت اي عن وجه الارض فصارت هباء منثورا واذا
العشار عطلت يعني النوق الحوامل التي عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها
حتى تضع لتمام سنة وهي انفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع اهملها اهلها وقد كانوا
لا يزايلونها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيامة واذا الوحوش حشرت يعني دواب البر حشر
ت اي جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شيء موته غير
الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة واذا البحار سجرت قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر
بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياه جهنم لاهل النار وقيل اي يبست
سجرت وذهب ماؤها فلم يبق ماؤها قطرة وقال ابي بن كعب ست ايات قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم
اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطر
بت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله
اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجر
ت فحينئذ يقول الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فينطلقوا الى البحر فاذا هو نار تاجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت
الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاما
تتهم وعن ابن عباس قال هي اثنا عشر خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة وهي ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى
واذا النفوس زوجت روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الاية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع
الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقيل الحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصر
اني بالنصراني وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس باعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور
العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح للاجساد واذا الموءودة سئلت اي

الجارية التي

عوند يا كريم

148

أي الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيئودها أي يثقلها حتى تموت وكانت العرب
تفعل ذلك في الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروي عن ابن عباس قال كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت
وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفيرة فإن ولدت جارية رمت بها في الحفيرة وإن ولدت غلاما
حبسته وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد بقاءها ألبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى الإبل والغنم
في البادية وإذا أراد قتلها تركها حتى تشب فإذا بلغت قال لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر بيرا
في الصحراء فيبلغ بها البير فيقول لها انظري فيها فإذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل التراب عليها حتى يستوي بالأرض
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار أخرجه أبو داود وكان صعصعة
بن ناجية ممن منع الوأد ولم يدفنا فيفتخر به الفرزدق في شعره فقال ؛ ومنا الذي منع الوائدات ؛؛ وأحيى الوئيد فلم يوئد ؛؛
بأي ذنب قتلت معناه تسئل الموءودة فيقال لها بأي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول قتلت بغير
ذنب وإذا الصحف نشرت يعني صحائف الأعمال تنشر للحساب وإذا السماء كشطت أي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع
السقف وقيل كما يقلع كشطت وأزيلت عمن فيها وإذا الجحيم سعرت أي أوقدت لأعداء الله تعالى وإذا الجنة أزلفت أي قربت
لأولياء الله تعالى علمت نفس ما أحضرت يعني عند ذلك تعلم كل نفس ما أحضرت من خير أو شر وهذا جواب لقوله إذا الشمس
كورت إلى هنا قوله عز وجل فلا أقسم لا زائدة والمعنى أقسم وقد تقدم في ذلك في قوله لا أقسم بيوم القيامة بالخنس الجوار
الكنس يعني النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روي عن علي بن أبي طالب رضي
الله عنه وقيل هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس في مجاريها أي ترجع وراءها في الفلك و
تكنس أي تستتر وقت اختفائها وقيل إنما تخنس أي تتأخر عن مطالعها في كل عام تتأخر فتأخيرها عن تعجيل ذلك
الطلوع تخنس عنه والكنس معناه لا ترى بالنهار وقيل هي الظباء وهي رواية عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع
إلى وراء والكنوس هو أن تأوي إلى مكانها وهو الموضع الذي تأوي إليه الوحوش والليل إذا عسعس أي أقبل بظلامه
وقيل أدبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرفي الليل والصبح إذا تنفس أي أقبل وبدا أوله وقيل أسفر وفي
تنفسه قولان أحدهما أن في إقبال الصبح روح ونسيم فجعل ذلك تنفسا على المجاز والثاني أنه شبه الليل بالمكروب
المحزون فإذا جاء الصبح وجد راحة وكأنه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس وهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم
به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى إنه يعني القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل عليه السلام والمعنى أن جبريل نزل به عن الله
تعالى لأنه تكلم به ابتداء ذي قوة كان من قوته أنه اقتلع قريات لوط الأربع من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها إلى
السماء ثم قلبها وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه إلى
أقصى جبل بالهند وأنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ثم يصعد في أسرع من الطرف عند
ذي العرش مكين أي في المنزلة والجاه مطاع ثم أي في السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له أنهم فتحوا أبواب السماء
السموات ليلة المعراج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله أمين يعني على وحي الله تعالى إلى أنبيائه وما صاحبكم
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب لأهل مكة بمجنون وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل وأن
محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقوله أهل مكة وذلك أنهم قالوا إنه مجنون وأن ما يقوله ليس هو إلا من عند نفسه
فنفى الله تعالى عنه الجنون ولقد رآه يعني رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي خلق فيها بالأفق
المبين يعني بالأفق الأعلى من ناحية المشرق التي حيث تطلع الشمس وروي البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

عن ذلك قال هو قال فان شئت ان اتمثل لك قال بالابطح قال لا يسعني ذلك قال فبمنى قال لا يسعني ذلك قال فبعرفات قال ذلك بالحرى ان
ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملا ما
بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل على
صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش
على كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير كالعصفور يعني الصعو ما يحمل عرش ربك الا عظمته
وما هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على الغيب اي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من ا
لقصص والانباء بظنين في قراءة الظاء ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول
انه ياتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى ياخذ عليه حلوانا وهو ا
جر الكاهن وقراءة الظاء اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى تلك التهمة ولو اراد البخل لقال وما هو بالغيب وما
هو يعني القرآن بقول شيطان رجيم يعني القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا
يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه فاين تذهبون اي فاين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل
معناه اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ان هو يعني ما القرآن الا ذكر للعالمين اي موعظة
للخلق اجمعين لمن شاء منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشيئة العبد موقوفة بمشيئة
فقال تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين اعلمهم الله ان المشيئة في التوفيق والاستقامة اليه وانهم لا يقدرون
على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيئته
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الانفطار مكية وهي تسعة عشر اية
وثمانون كلمة وثلاث مائة وتسعة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا السماء انفطرت
اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت اي فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالمالح فصارت بحرا واحدا و
قيل معنى فجرت فاضت واذا القبور بعثرت اي بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احياء علمت نفس ما قدمت واخرت
يعني في ذلك الوقت ما قدمت من عمل صالح او سيء واخرت بعدها من سنة حسنة او سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات و
اخرت من التركات وهذه احوال يوم القيامة قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي ما خدعك وسول لك الباطل
حتى ضيعت وضيعت ما وجب عليك والمعنى ماذا امنك من عذابه قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في ابي الاشد واسمه ماضلك
اسيد بن كلدة وقيل كلدة بن خلف وكان كافرا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبه الله وانزل هذه الاية
وقيل الاية عامة في كل كافر وعاص يقول ما الذي غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله
عنه حين لم يعاجله بالعقوبة في اول مرة بربك الكريم اي المتجاوز عنك فهو لكرمه لم يعاجل بالعقوبة بل بسط لك
المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله تعالى به يوم القيامة فيقول يا ابن ادم ما غرك بربك الكريم
ما غرك بي يا ابن ادم ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله
يوم القيامة فقال لك يا ابن ادم ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ
لو اقامني الله بين يديه وقال ما غرك بي اقول غرني بك برك بي سالفا وانفا وقال ابو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم
لقلت غرني كرم الكريم وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه حجته في الاجابة حتى
يقول غرني كرم الكريم الذي خلقك اي جعلك سويا سالما تسمع وتبصر فسواك فعدلك اي عدل خلقك في مناسبة الاعضاء فلم
يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية في اي صورة ما شاء
ركبك

عونك يا كريم

149

في اي

ركبك اي شبه من اب او ام او خال او عم وجاء في الحديث اذا استقرت في الرحم النطفة احضر كل عرق بينه وبين آدم
ثم قرا في اي صورة ما شاء ركبك وقيل معناه ان شاء ركبك في صورة انسان وان شاء في صورة دابة او حيوان وقيل
في اي صورة ما شاء ركبك في الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي
هذا دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة
والتساوي الصنعة وان الفاعل المختار هو الله تعالى قوله عز وجل كلا بل تكذبون بالدين اي بيوم الحساب وا
لجزاء وان عليكم لحافظين يعني رقباء من الملائكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما اي على الله كاتبين اي يكتبون
اقوالكم واعمالكم يعلمون ما تفعلون يعني من خير او شر قوله عز وجل ان الابرار يعني الذين بروا وصدقوا
بايمانهم باداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه لفي نعيم يعني نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم روي ان سليما
ن بن عبد الملك قال لابي حازم المدني ليت شعري ما لنا عند الله فقال اعرض عملك على كتاب الله تعالى فانك تعلم
ما لك عند الله قال واين اجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان
قال رحمة الله قريب من المحسنين يصلونها يوم الدين يعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء وما هم عنها بغا
ئبين اي عن النار ثم عظم شان ذلك اليوم فقال تعالى وما ادراك ما يوم الدين قيل المخاطب بذلك هو الكا
فر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى اي شيء اعلمك به لو لم يعرف احواله
ثم ما ادراك ما يوم الدين في التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شانه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تملك
نفس لنفس كافرة شيئا من المنفعة والامر يومئذ لله يعني انه لم يملك الله تعالى في ذلك اليوم احدا شيئا كما
ملكهم في الدنيا والله تعالى اعلم بمراده

تفسير سورة التطفيف مكية وقيل فيها ثلاث آيات مكية
وهي قوله ان الذين اجرموا الى آخرها وقيل فيها آية مكية وهي قوله اذا تتلى عليهم
آياتنا قال اساطير الاولين

وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة في الهجرة وهي ستة وثلاثون آية و
مائة وتسع وستون كلمة وسبع مائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ويل اي قبح وهي
كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم للمطففين يعني الذين ينقصون
المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق في الكيل والوزن الا الشيء اليسير التطفيف قال ابن عباس لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين فاحسنوا
الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل
باحدهما ويكتال بالاخر فانزل الله هذه الآية وحصل الويل للمطففين ثم بينهم فقال تعالى الذين اذا اكتالوا
على الناس يستوفون يعني اذا اكتالوا على الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اي اشتروا
شيئا استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن واذا كالوهم او وزنوهم يعني اذا كالوا لهم او وزنوا لهم يعني
للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك يخسرون اي ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من ياخذ لنفسه
زائدا او يدفع الى غيره ناقصا قليلا او كثيرا والوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد
الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان
عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهي مبنية على امر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله
امر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق اوف الكيل والوزن فان المطففين الله
يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما

عوند باعزيم

كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيمة الا يظن (يستيقن) اولئك الذين يفعلون هذا
الفعل وهم المطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم يعني يوم القيمة يوم يقوم الناس يعني من قبورهم لرب العالمين
اي لامره وجزائه وحسابه وعن نافع ان ابن عمر تلا الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم ا
لناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وروي مرفوعا م مسلم عن المقداد قال سمعت رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنى الشمس يوم القيام من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذي او اثنين
قال سليم بن عامر والله ما ادري ما يعني بالميل مسافة الارض او الميل الذي يكحل به العين قال فيكون الناس على ا
عمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه و
منهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه قوله عز وجل كلا قيل انه ردع وتنبيه اي
ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتداء
كلام يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار اي كتبهم الذي كتب فيه اعمالهم لفي سجين قال ابن عمر هي الارض
السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروى البغوي باسناد الثعلبي عن البراء رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليين في السماء السابعة تحت العرش وقال شهر بن
حوشب جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول الله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان روح الفا
جر يصعد بها الى السماء فتابى السماء ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو
موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس بمعرفتها الهلاك لحساب
يوم القيامة وقيل صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها تقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال
وهب هي اخر سلطان ابليس وجاء في الحديث الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح وقيل
معناه لفي خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفي حبس وضيق شديد وما ادريك ما سجين ا
ي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين كتاب مرقوم ليس
في هذا تفسير للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم
اي مكتوب فيه اعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل
مرقوم رقم عليه بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اي مختوم وهو لغة حمير ويل يومئذ
للمكذبين قيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين والمعنى ويل لمن كذب بذلك اليوم وقيل
مرقوم معناه مرقوم على الشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك من ذلك الكتاب المرقوم عليهم
فيه الشقاوة الذين يكذبون بيوم الدين اي بيوم القيامة لانه يوم الجزاء وما يكذب به اي بيوم القيامة الا كل معتد
اي متجاوز عن نهج الحق اثيم هو مبالغة في الاثم والمعاصي اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
اي اكاذيب الاولين قوله عز وجل كلا اي لا يؤمنون ثم استانف فقال بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة فاذا هو نزع
واستغفر وتاب سقل قلبه وان عاد زاد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي قال الله كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واصل الرين الغلبة ومعنى الاية ان الذنوب وا
لمعاصي غلبت على قلوبهم واحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس ران
على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع الله على القلب وهو اشد
من الرين

من الرين والاقفال اشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب شيء كالصدى
فيغطيه فعند ذلك يموت القلب كلا قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الامر
كما يقولون ان لهم في الآخرة خيرا ثم استانف وقال تعالى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قيل عن
كرامته ورحمته ممنوعين وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف
اما حماله على منع الكرامة والرحمة ~~فهو عدول~~ حجة فهو عدل عن الظاهر بغير دليل وكذا الو
جه الثاني فانه من حجب عن الله تعالى فان الله لا ينظر اليه نظرة رحمة ولا يزكيه والذي ذهب
اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه من اثبت الرؤ
ية للمؤمنين قالوا ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب في معر
ض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا في الكفار لا يجوز حصوله في حق المؤ
منين فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعا
بدون انهم لا يرون ربهم في الميعاد لزهقت انفسهم في الدنيا وقال كما حجبهم في الدنيا عن
توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب فلم يروه تجلى لاو
ليائه حتى راوه وقال الشافعي في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله
يرون الله عنه كما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى ثم اخبر ان الكفار مع كونهم
محجوبين عن الله يدخلون النار فقال الله تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار ثم يقال اي
تقول لهم الخزنة هذا اي هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون اي في الدنيا كلا اي ليس الامر كما يتوهمه
الفجار من انكار البعث وقيل كلا اي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلاه ثم بين محل كتاب الابرار فقال
تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين جمع علي من العلو وقيل هو موضع على صيغة الجمع لا واحد له من
لفظه وتقدم في حديث البراء المرفوع ان عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح
من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن
عباس في رواية عنه هي الجنة وقيل سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف
وقيل مراتب عالية محفوفة بالجلالة قد عظمها الله واعلاها وما ادراك ما عليون تنبيها
له على اعظم شانه كتاب مرقوم ليس بتفسير لعليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم في
عليين وقيل لهم فيه خيروا وما اعد لهم من الكرامات وقيل مكتوب فيه اعمالهم وعليين محل
الملائكة وضده سجين وهو ابليس وجنوده يشهده المقربون يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهد
ون يعني يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين
المقربون من الملائكة الكرام المومن قوله تعالى ان الابرار يعني المطيعين لفي نعيم يعني نعيم الجنة على
على الارائك جمع اريكة وهي الاسرة في الحجال ينظرون يعني الى ما اعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون
الى اعدائهم كيف يعذبون في النار وقيل ينظرون الى ربهم تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم يعني انك
اذا رايتهم تعرف انهم من اهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض وقيل النضرة في
الوجه والسرور في القلب يسقون من رحيق يعني الخمر الصافية البيضاء اللطيفة مختوم يعني ختم على
ذلك الشراب ومنع ان تمسه الايدي الى ان يفض ختمه الابرار فان قلت قد قال في سورة محمد صلى الله

عونك يا كريم

عليه وسلم وانهار من خمر والخمر لا يختم عليه بختم فكيف طريق الجمع بين الايتين قلت
يحتمل ان تكون هذه المذكورة في هذه الاية في اواني مختوم عليها وهي غير تلك في الانهار وانما ختم
عليها لشرفها ونفاستها ختامه مسك اي طينه الذي يختم عليه بخلاف ومسك ختم ا
لدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم ام ممزوج ختامه اي اخر طعمه وعاقبته من
مسك وقيل يمتزج بالكافور ويختم لهم بالمسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبو
ن بالمبادرة الى طاعة الله ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل اصله من الشيء النفيس
الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يبخل ومزاجه من
تسنيم اي من شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهواء متسنما
فينصب في اواني اهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلات امسك واصل هذه الكلمة من العلو ومنه
سنام البعير لانه اعلاه وقيل شراب اسمه تسنيم وهو من اشرف شراب اهل الجنة قال ابن مسعود
وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة وسئل ابن عباس عن
قوله من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين عينا يشرب بها اي
منها وقيل يشرب بها المقربون صرفا قوله عز وجل ان الذين اجرموا اي اشركوا يعني كفار قريش ابا جهل
والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واصحابهم من مترفي اهل مكة كانوا من الذين امنوا يعني من عمار
وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقراء المومنين يضحكون اي منهم ويستهزءون بهم واذا مروا
بهم يعني المومنين بالفقراء بالكفار الاغنياء يتغامزون يعني يتغامز الكافر والغمز الاشارة بالجفن
والحاجب اي يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم واذا انقلبوا الى اهلهم يعني الكفار انقلبوا فكهين يعني
معجبين بما هم فيه وقيل يتفكهون بذكرهم كانهم يتفكهون بحديثهم واذا راوهم يعني راوا اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم ويرون انهم على شيء قال الله تعالى وما ارسلوا يعني المشركين عليهم يعني على المو
منين حافظين اي لاعمالهم والمعنى لم يوكلوا بحفظ اعمالهم قوله عز وجل فاليوم يعني في الاخرة الذين امنوا
من الكفار يضحكون وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون من المومنين لما هم فيه من
الشدة والبلاء فلما افضوا الى الاخرة انعكس الامر فصار المومنون في النعيم والسرور وصار الكفار في ا
لعذاب والبلاء فضحك المومنون على الكافرين لما راوا من حالهم وقال ابو صالح يفتح للكفار ابواب
النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا وصلوا وصلوا اليها غلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمو
منون ينظرون اليهم يضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المومن ان ينظر الى
عدو له من الكفار كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب ضحك منه فذلك قوله فاليوم الذين
امنوا من الكفار يضحكون على الارائك جمع اريكة وهي السرير يتخذ في الظل الحجلة وهي الكلة يز
ين بها البيت والارائك الجنة من الدر والياقوت ينظرون يعني اليهم وهم في النار يعذبون قال الله تعالى
هل ثوب اي جوزي الكفار ما كانوا يفعلون اي جزاء ما كانوا يفعلون بالمومنين من الاستهزاء
والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب واثاب واثيب بمعنى واحد قال اوس ساجي
بك عني مثوبة وحسبك ان يثنى عليك وتجملي والله سبحانه وتعالى ا او يجزيك
علم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الانشقاق

مكية

عوبدبا كريهم

مكية وهي خمس وعشرون اية ومائة وسبع كلمات وأربع
وأربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل إذا السماء انشقت يعني
عند قيام الساعة وهي من علاماتها وأذنت لربها أي سمعت أمر ربها بالانشقا
ق وطاعته من الأذن وهو الاستماع وحقت أي لها أن تطيع ربها وإذا الأرض مدت يعني من الأديم
العكاظي ويزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل وألقت ما فيها أي أخرجت ما في بطنها
من الموتى والكنوز وتخلت أي من ذلك الذي كان في بطنها وأذنت لربها وحقت واختلفوا في جوا
ب إذا فقيل جوابه محذوف تقديره إذا كانت هذه الأشياء يرى الإنسان الثواب والعقاب
وقيل جوابه يا أيها الإنسان إنك كادح والمعنى إذا انشقت السماء لقي كل كادح ما عمله و
قيل جوابه وأذنت فحينئذ تكون الواو زائدة يا أيها الإنسان إنك كادح أي ساع إلى ربك في
أعمالك سعيا والكدح عمل الإنسان وجهده في الأمور في الخير والشر وقيل معناه عامل
لربك وقيل معناه إنك كادح في لقاء ربك وهو الموت والمعنى أن هذا الكدح يستمر بك
إلى الموت وقيل معناه وقيل معناه إنك تكدح في دنياك كدحا تصير به إلى ربك كدحا فملاقيه
أي فملاق جزاء عملك خيرا كان أو شرا وقيل فملاق ربك فأما من أوتي كتابه بيمينه يعني ديوان
عمله فسوف يحاسب حسابا يسيرا أي سوف من الله واجب والحساب اليسير هو أن تعرض
عليه أعماله فيعرف الطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو
الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا
حجة عليه فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح وعن ابن أبي مليكة أن عائشة كا
نت لا تسمع شيئا إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب
عذب قالت فقلت أو ليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقا
ل إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وينقلب إلى أهله يعني في الجنة من الحور ا
لعين والآدميات مسرورا أي بما أوتي من الخير والكرامات وأما من أوتي كتابه وراء ظهره يعني
أنه تغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء
ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه فسوف يدعو ثبورا يعني
عند عطائه كتابه بشماله من وراء ظهره ويعلم أنه من أهل النار فيدعو بالويل والهلا
ك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه ويصلى سعيرا أي ويقاسي التهاب النار وحرها إنه كان في أهله
يعني في الدنيا مسرورا في اتباع هواه وركوب شهواته إنه ظن أن لن يحور أي لن يرجع إلينا ولن
يبعث والحور الرجوع بلى أي ليس الأمر كما ظن بل يحور إلينا ويبعث ويحاسب إن ر
ربع به كان به بصيرا أي من يوم خلقه إلى يوم أن يبعثه قوله عز وجل فلا أقسم با
لشفق تقدم الكلام في تفسير لا أقسم في سورة القيامة وأما الشفق فقال
مجاهد هو النهار كله وحجته في ذلك أنه عطف عليه الليل فيجب أن يكون المذكو
ر أولا هو النهار وعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش
العالم وسكونه وقيل هو ما بقي من النهار وقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التي

عونك يا كريم

التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء. وقيل هو البياض الذي يعقب
تلك الحمرة وهو مذهب ابي حنيفة والليل وما وسق اي جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق
من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شيء الى ماويه وقيل ما عمل فيه ويحتمل
ان يكون ذلك تهجد العباد ويجوز ان يقسم بهم والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم نوره وذلك في
الايام البيض وقيل استدار واستوى وتمادى المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى لتر
كبن قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد طبقا عن طبق يعني سماء عن
بعد سماء وقد جعل الله ذلك معه ليلة اسري به فاصعد في سماء بعد سماء وقيل درجة
بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القربة من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال
خ عن ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه
ومعنى هذا ان يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة ولا يحز
نك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطابا
لجميع والمعنى لتركبن ايها الناس حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك في موقف القيا
مة فتنقلب بهم الاحوال فيصيرون في الاخرة على غير الحال التي كانوا في الدنيا وقال عليها
ابن عباس يعني الشدائد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا
لا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن
من كان قبلكم واحوالهم ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع
ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى
قال فمن قيل في معنى الاية انه اراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالد
هان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى اخرى فما لهم لا يؤمنون يعني بالبعث والحسا
ب وهو استفهام انكار واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون يعني لا يصلون فعبر بالسجود
عن الصلاة لانه جزء منها وقيل اراد به سجود التلاوة وهذه السجدة احدى
سجدات القرآن عند الشافعي ومن وافقه ق عن ابي رافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة
فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت خلف ابي القاسم صلى الله عليه
وسلم فلا ازال اسجد بها حتى القاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه و
سلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت بل الذين كفروا يكذبون يعني بالقرآن والبعث
والله اعلم بما يوعون يعني بما يجمعون في صدورهم من التكذيب فبشرهم بعذاب
اليم يعني على تكذيبهم وكفرهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر
غير ممنون يعني مقطوع ولا منقوص في الآخرة والله اعلم بمراده تفسير سورة
البروج مكية وهي اثنان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات واربع مائة وخ
مسة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والسماء ذات البروج يعني ا
لبروج الاثني عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري

سبحانه

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

112

سبحانه وتعالى وهو يسير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف
وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها **واليوم الموعود** يعني يوم القيامة
وشاهد ومشهود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليو
م الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس
ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها أحد عبد مومن يدعو الله بخير
إلا استجاب الله له ولا يستعيذ من شيء إلا أعاذه الله منه أخرجه الترمذي وضعفه أحد رواته من قبل
حفظه وهو قول ابن عباس والأكثرين أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل إن الشا
هد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة أقام الله
القسم بهذه الأيام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى
والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الأنبياء والمشهود عليهم هم الأمم وقيل الشا
هد هو الملك والمشهود عليه هو ابن آدم **وقيل** الشاهد الأمة ونبيها صلى الله عليه وسلم و
المشهود عليهم هم الأمم المتقدمة وقيل الشاهد الأنبياء والمشهود له محمد صلى الله عليه
وسلم لأن الأنبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشا
هد ومشهود أقسام أقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قيل أصحاب الأخدو
د وقيل جوابه إن بطش ربك لشديد قوله تعالى **قتل أصحاب الأخدود** أي لعن والأخدود الشق المستطيل
في الأرض واختلفوا فيهم فروي عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن
قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر فبعث إ
ليه غلاما يعلمه وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه وكان
إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه وإذا رجع من الساحر قعد إلى الراهب وسمع
كلامه فإذا أتى أهله ضربوه فشكا إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أ
هلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم
الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه حتى
يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت اليوم
أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي
الناس من سائر الأدواء فسمع جليس الملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال له ما ها هنا لك أ
جمع إن أنت شفيتني قال إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله عز وجل فإن آمنت بالله دعوت الله عز وجل فيشفيك فآ
من بالله عز وجل فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي قال
أولك رب غيري قال الله ربي وربك فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك
أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ به الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله عز وجل فأ
خذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع
في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من
أصحابه فقال لهم اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه

عونك يا كريم

فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك
فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه
في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم
السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله تعالى فقال للملك
لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك به قال ما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع نخل ثم
تاخذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب هذه ثم ارم فانك ان
فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم
في كبد القوس ثم قال بسم الله رب هذا الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على
صدغه موضع السهم فمات فقال الناس امنا برب الغلام ثلاثا فاتي الملك فقيل له ارايت ما كنت
تحذر قد والله نزل بك حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود فخدت بافواه السكك واضرم النيران وقال من
لم يرجع عن دينه فاقحموه او قال فاقحموه او قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امراة معها صبي لها فتقاعست
ان تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبري ولا تقاعسي فانك على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم
وفي هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب لمصلحة ترجع الى الدين وفي انفراد التيسير من
الهلاك والاكمه الذي خلق اعمى والمنشار بالياء وتخفيف وتخفيف الهمزة وروي بالنون وذروة
الجبل بالضم والكسر اعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة في
وانكفأت اي انقلبت واقحموه اي ارموه فيها وتقاعست اي تاخرت وهو هنا الدخول في النار
قال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن حنش جبل بن شراحيل في
الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلده غلام يقال له عبد الله
بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف
الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب
وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقي على دين عيسى فاجابوه فصار اليه ذو نواس اليهودي
بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخاديد واحرق اثنا عشر الفا ثم غلب
ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحاق وعن عبد
الله بن ابي بكر ان حفرة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة في راسه
اذا اميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفي يده خاتم من حديد خاتم من حديد
فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا الذي وجدتم عليه وقال سعيد بن المسيب خبر وبن ابزى
لما انهزم اسفيدهار قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اي شيء نجري على المجوس من الاحكام فانهم
ليسوا باهل كتاب فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها اهل
ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما
هذا الذي اتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات
فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقر به ما جاء به من نبي ولا انزل علينا في كتاب

فبسط

عونك يا كريم

113

فيسقط فيقع السوط وابوا ان يقروا فجرد لهم السيف فابوا ان يقروا فخد لهم الاخدود واوقد لهم
النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه في النار ومن اجاب سيبه وروي عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة الى قومه ثم قرا علي ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك منهم من قصصنا عليك الاية فدعاهم فتابعه اناس فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه واخذوا من
انفلت منهم واوثقوه ثم خدوا لهم الاخدود وملؤها نارا فمن تبع ذلك النبي رمي به في النار ومن
تبعهم تركوه فجاءت امراة معها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا اماه مري ولا تقاعسي وقيل كانت
الاخدود ثلاثة فواحد بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التي بالشام فهو
انطيانوس الرومي واما التي بفارس فبختنصر ويزعمون انهم اصحاب دانيال واما التي باليمن فذو نواس يو
سف فاما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرانا وانزل التي في نجران اليمن وذلك ان هذه القصة
كانت مشهورة عند اهل مكة فذكر الله ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك
على الصبر وتحمل المكاره في الدين وقوله النار ذات الوقود هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن
انس نجا الله المومنين الذين القوا في النار بقبض ارواحهم وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار
فاحرقتهم اذ هم عليها قعود اي جلوس عند الاخدود وهم يعني الملك الذي خد الاخدود واصحابه على ما
يفعلون بالمومنين اي من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم شهود اي حضور وقيل
يشهدون ان المومنين ضالين حين تركوا عبادة الصنم وما نقموا منهم قال ابن عباس ما كرهوا منهم الا ان يومنوا
بالله وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله العزيز يعني ان الذي يستحق العبادة هو العزيز اي
الغالب القاهر الذي لا يغالب ولا يغلب هو بذاته الحميد اي الذي يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك وهو
الله جل جلاله الذي له ملك السموت والارض اي المستحق للعبادة والله على كل شيء من افعالهم بالمومنين شهيد
وفيه وعد عظيم للمومنين ووعيد عظيم للكافرين قوله عز وجل ان الذين فتنوا المومنين اي عذبوا واحرقوا
المومنين والمومنات بالنار ثم لم يتوبوا اي لم يرجعوا عما عليه من الكفر وفيه دليل على انهم لو تابوا و
امنوا لقبل منهم وخرجوا من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل وانهم ان لم يتو
بوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق يعني فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا
المومنين وقيل لهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان الله تعالى احرقهم بالنار التي احرقوا بها المومنين
ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الاخرة ثم ذكر ما اعد للمومنين
فقال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير قوله عز وجل
ان بطش ربك لشديد قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد انه هو يبدئ ويعيد
اي يخلقهم في الدنيا اولا ثم يعيدهم احياء بعد الموت ليجازيهم باعمالهم يوم القيامة وهو الغفور يعني
لذنوب المومنين الودود اي المحب لهم وقيل المحبوب اي يوده اولياؤه ويحبونه وقيل يعفو ويود ان يعفو
وقيل هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة ذو العرش اي خالقه ومالكه المجيد قرئ بالرفع على انه صفة لله
تعالى لان المجد من صفة الله تعالى والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة
للعرش اي الشديد العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل اراد حسنه فوصفه
بالمجيد وقد قيل ان العرش احسن الاجسام فعال لما يريد يعني انه لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه

عونك يا قيم

شئ طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة بر
حمته لا يمنعهم من ذلك مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منهم ناصر هل اتيك اي قد اتيك حديث الجنود
الجنود اي خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى فرعون يعني فرعون و
قومه وثمود وكانت قصتهم عند اهل مكة مشهورة بل الذين كفروا يعني من قومك يا محمد في تكذيب
يعني لك وللقران كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم والله من ورائهم
محيط اي عالم بهم لا يخفى عليه شئ من اعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن قبلهم بل هو قران مجيد
اي كريم شريف كثير النفع والخير ليس كما زعم المشركون انه شعر وكهانة في لوح محفوظ قرئ بالر
فع على انه نعت للقران محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ بالكسر على انه نعت
للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه ينتسخ الكتاب وسمي محفوظا
لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش روى البغوي بلا
سناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد
عبده ورسوله فمن امن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسوله ادخله الجنة قال واللوح
لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه
الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه مسرور ومعقود بالعرش وا
صله في حجر ملك والله سبحانه اعلم تفسير سورة والسماء والطارق مكية وهي ستة
عشر اية واحد وستون كلمة ومايتان وتسع وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والسماء والطارق نزلت في ابي طالب وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحفه
بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلا ماء ثم نارا ففزع ابو طالب وقال اي شيء
هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله تعالى فعجب ابو طالب
فانزل الله تعالى والسماء والطارق يعني النجم يطرق بالليل وكل ما اتيك بالليل فهو طارق ولا يسمى
ذلك بالنهار وسمي النجم طارقا لانه يظهر بالليل قالت هند نحن بنات طارق نمشي على النمارق
تريد ان اباها نجم في علوه وشرفه وما ادريك ما الطارق قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يعرفه حتى بينه له بقوله النجم الثاقب اي المضيء المنير وقيل هو المرتفع العالي وقيل هو
الذي يرمى به الشياطين فيثقبهم اي ينفذه والنجم قيل هو الثريا لان العرب تسميها النجم
وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه و
هذه اقسام اقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم
قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ يعني ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ
عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة من
من الملائكة وقيل حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها
حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلى عنها وقيل يحفظها
من المهالك والمعاطب الا ما قدرها قوله عز وجل

فلينظر الانسان

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

184

قوله عز وجل فلينظر الانسان يعني نظر تفكر واعتبار مم خلق اي من اي شيء خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى خلق من ماء
دافق اي مدفوق مصبوب في الرحم واراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما يخرج
يعني ذلك الماء وهو المني من بين الصلب والترائب يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس وهو موضع
القلادة من الصدر وعنه انه بين ثديي المرأة قيل ان المني يخرج من جميع اعضاء الانسان واكثره يخرج من الدماغ فينصب في عروق في
صلب الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهي الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر انه على
رجعه لقادر يعني ان الله تعالى قادر على رد النطفة في الاحليل وقيل قادر على رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الا
نسان ماء كما كان من قبل وقيل [illegible] ان يشيب ردة من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه
على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج قادر وقيل معناه ان الذي قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو اهون
عليه وهذا القول هو الصحيح والاولى بمعنى الاية لقوله تعالى بعده يوم تبلى السرائر وذلك هو يوم القيامة وقيل معناه تظهر الخفايا
ومعنى تبلى تختبر وقيل السرائر هي فرائض الاعمال كالصوم والصلوة والوضوء والغسل من الجنابة وكل هذه سرائر بين العبد
وبين ربه عز وجل وذلك ان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من اداها ومن ضيعها
قال عبد الله بن عمر يبدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من اداها كان وجهه
مشرقا ... يوم القيمة ومن ضيعها او انتقصها كان وجهه اغبر فما له اي لهذا الانسان المنكر للبعث من قوة اي يمتنع من
عذاب الله ولا ناصر اي ينصره من الله ثم ذكر قسما اخر فقال تعالى والسماء ذات الرجع اي ذات المطر سمي به لانه يجيء ويرجع ويتكرر
والارض ذات الصدع اي تتصدع وتنشق عن النبات والشجر وجواب القسم قوله تعالى انه يعني القرآن لقول فصل اي انه حق وجد يفصل
بين الحق والباطل وما هو بالهزل اي باللعب والباطل انهم يعني مشركي مكة يكيدون كيدا يعني يخالون في المكر بالنبي صلى الله عليه
وسلم حتى اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه واكيد كيدا يعني اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم
منهم في الدنيا بالسيف وفي الاخرة بالنار فمهل الكافرين اي لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم وقال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل
ثم لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال امهلهم رويدا يعني قليلا فاخذهم يوم بدر ونسخ الامهال باية السيف والله
سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة اية واثنان وسبعون
كلمة ومائتان واحدى وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح اسم ربك
الاعلى اي قل سبحان ربي الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم قرا سبح اسم ربك فقال سبحان ربي الاعلى ذكره البغوي باسناد الثعلبي وقال معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه
الملحدون وعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بان تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس اي
صل بامر ربك الاعلى عن عقبة بن عامر لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم
ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود الذي خلق فسوى اي خلق كل ذي روح فسوى يديه ورجليه
وعينيه وقيل الانسان مستويا معتدل القامة والذي قدر فهدى قيل قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شيء شكله
فهدى اي فعرف كيف ياتي الذكر والانثى وقيل قدر مدة الجنين في الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة لاقوام والشقاوة
لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ما قدر له عليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر اي اعطى
كل [illegible] حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وساير الحيوان لمراعيها والذي اخرج المرعى اي انبت العشب وما ترعاه الا
نعام من اخضر واحمر واصفر وابيض وغير ذلك فجعله يعني المرعى بعد الخضرة غثاء اي هشيما يابسا كالغثاء الذي تراه فوق السيل
احوى اي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا جف ويبس اسود قوله عز وجل سنقرئك اي نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليه

فلا تنسى يعني ما تقرؤه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة ان ينساها فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئا بعد ذلك الا ما شاء الله يعني ان ينساه وهو ما نسخ الله
تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل الا ما شاء الله ان ينساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة قالت
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله هذا ذكرني كذا وكذا آية كنت نسيتها من سورة كذا وكذا وفي
رواية كنت اسقطتهن من سورة كذا وكذا وكذا كنت نسيتها أخرجه في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله ان ينسى شيئا
انه يعلم الجهر يعني من القول والفعل وما يخفى يعني منهما والمعنى انه تعالى يعلم السر والعلانية ونيسرك لليسرى أي نهون عليك
لتعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة. وقيل هو متصل بالكلام الأول
والمعنى انه يعلم الجهر بما تقرؤه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى ما تقرؤه في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك
لليسرى أي نهون عليك الوحي حتى تحفظه ولا تنساه فذكر أي فعظ بالقرآن ان نفعت الذكرى أي نفعت الموعظة والتذكير
والمعنى عظ انت وذكر ان نفعت الذكرى او لم تنفع انما عليك البلاغ سيذكر من يخشى أي سيتعظ من يخشى الله تعالى ويتجنبها
الذكرى ويتباعد عنها الأشقى أي في علم الله تعالى الذي يصلى النار الكبرى أي النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى هي نار الآخرة
والنار الصغيرة هي نار الدنيا ثم لا يموت فيها أي في النار فيستريح فيها ولا يحيى أي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل قد افلح من تزكى
أي تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روي عن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه في قوله قد افلح من تزكى قال اعطى صدقة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال خرج الى المصلى وصلى العيد فصلى وكان
ابن مسعود يقول رحم الله امرا تصدق ثم صلى ثم قرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعني يوم العيد قال يا نافع
اخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانما نزلت هذه الآية في هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه
فصلى فان قلت ما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز ان يكون النزول
سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا البلد وظهر اثر الحل يوم الفتح وكما انزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر
وقال عمر بن الخطاب كنت لا ادري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر
ووجه آخر انه كان في علم الله تعالى سيكون ذلك فأخبر عنه وذكر اسم ربه فصلى أي ذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس وقيل
اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد قوله عز وجل بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى يعني ان الدنيا
فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني وانتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عرفجة الأشجعي كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال
لنا اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها وبهجتها ولذ
تها والآخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل انما اراد بذلك الكفار والمعنى انهم يؤثرون الدنيا على
الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وان اريد بذلك المسلمين فالمعنى انهم يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الآخرة
وهو خير وابقى ان هذا أي الذي ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا وهو اربع آيات لفي الصحف الأولى أي الكتب المتقدمة التي نزلت
قبل القرآن ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي وايثار الدنيا وان الآخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال صحف ابراهيم وموسى
يعني ان هذا الذي ذكر مذكور في صحف ابراهيم وموسى فان قيل انه مذكور في صحف جميع الأنبياء التي منها صحف ابراهيم وموسى
لان هذا الذي ذكر مذكور في هذه الآية لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت
يا رسول الله هل انزل الله شيئا مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا ابا ذر قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون
الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى
قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالنار ثم يضحك وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها

كيف يطمئن

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

كيف يكون اليها عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لا يعمل اخرجه الحديث رزين في كتابه وابن الاثير
في كتابه جامع الاصول ولم يحمل عليه شيء. عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الوتر بسبح اسم
ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة ركعة اخرجه الترمذي والنسائي. عن عبد العزيز بن جريج قال سالت عائشة
باي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل
هو الله احد والمعوذتين اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الغاشية وهي ست وعشرون اية واثنتان وتسعون كلمة وثلاث

مائة واحدى وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل هل اتيك اي قد اتيك يا محمد حديث
الغاشية يعني القيامة سميت غاشية لانها تغشى كل شيء باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه
الكفار وجوه يومئذ يعني يوم القيامة خاشعة يعني ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها وعبر بالجزء عن الكل لان الوجه اشرف
اعضاء الانسان فعبر به عنه عاملة ناصبة قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبادة الاوثان
وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة يدخلون النار يوم القيامة ومعنى
النصب التعب في العمل والنصب ق عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا
ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اما الرواية الاولى فانها تختص بمن احدث في دين الاسلام
شيئا ابتدعه من عنده فهو رد مردود عليه لا يقبل منه واما الرواية الثانية فانها تشتمل على كل عامل في غير الاسلام او غير
دين الاسلام فانه مردود عليه اذا لم يكن تابعا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في الاية عاملة في الدنيا بالمعاصي
ناصبة في الاخرة في النار وقيل عاملة ناصبة لانها لم تعمل في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهي روا
ية عن ابن عباس قال ابن عباس تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل
من حديد في النار وهو قوله تعالى تصلى نارا حامية قال ابن عباس قد حميت وهي تتلظى على اعداء الله تعالى تسقى من عين انية اي قد تناهت
في الحرارة قد اوقدت عليها جهنم منذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيعودون اليها وردا عطاشا
فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم ليس لهم طعام الا من ضريع قيل نبت ذو شوك لاصق بالارض تسميه قريش الشبرق
فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا تقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا
هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الاخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء من النار يشبه الشوك
امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال ابو الدرداء ان الله يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب
فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا
بالماء فيستغيثون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين انية شربة لا هنية ولا مرية فاذا ادنوه من وجوههم
سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم قال
المفسرون لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس
لا تاكله فانزل الله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الاية لا طعام لهم الا من غسلين وكيف الجمع بينهما قلت
ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه غسلين
ثم وصف اهل الجنة فقال تعالى وجوه يومئذ ناعمة اي متنعمة اي ذات حسن وبهجة في كل نعمة وكرامة لسعيها راضية اي لسعيها
في الدنيا راضية في الاخرة حين اعطيت الجنة بعملها في جنة عالية قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لان الجنة
درجات بعضها اعلى من بعض كما بين السماء والارض لا تسمع فيها لاغية اي ليس فيها لغو ولا باطل فيها عين جارية على وجه الارض

الا من ضريع وذكر في موضع اخر لا طعام لهم الا صح

في غير اخدود وقيل تجري حيث ارادوا من منازلهم وقصورهم فيها سرر مرفوعة قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد
والياقوت مرتفعة ما لم يجي اهلها اليها فاذا اراد اهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع الى موضعها
واكواب يعني الكيزان التي لا عرى لها موضوعة يعني عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافة العين الجارية كلما ارادوا الشراب
منها وجدوها مملوة ونمارق مصفوفة يعني مرافق ووسايد مصفوفة بعضها الى جانب بعض اينما اراد ان يجلس ولي الله جلس
على واحدة واستند الى الاخرى وزرابي يعني البسط العريضة قال ابن عباس يعني الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية مبثوثة
اي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس قوله عز وجل افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت قال اهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه
السورة مما في الجنة عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوا به فذكرهم الله صنعته فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدا بالابل لا
نها من انفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذه في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع
وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر من بين ساير الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها
ولم يشاهدوا الفيل الا الشاذ منهم وقال الكلبي انها تنهض بحملها وهي باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى سرر الجنة
وفرشها قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية وسيل الحسن عن هذه الاية وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما
الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يوكل لحمه ولا يحلب دره والابل اعز مال العرب وانفسها تاكل
كل النوى وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقايد الضعيف حتى ان الصبي الصغير ياخذ
زمامها فيذهب بها حيث يشاء ومنها انها فضلت على ساير الحيوانات باشياء وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة
او للركوب او للحمل او للدر او لحمه ولا يوجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة
وتحمل الثقيل وتحمل الكثير ويوكل لحمها بخلاف ساير الحيوان الكبير وتصبر على العطش عدة ايام ومنها انه يحمل عليها
وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف ساير الحيوان ومنها انها ترعى كل نبات البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوان وهي
سفن البر يحمل عليها الثقل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكنيسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان
قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينهم ولم بدا بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت
لما كان المراد ذكر الدلايل الدالة على توحيده وقدرته وانه الخالق لهذه الاشيا جميعها وكانت الابل من اعظم شيء عند العرب ينظرون
اليها الليل والنهار ويصاحبونها ظعنا واسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدا بها ولانها من اعجب الحيوانات عندهم
والى السماء كيف رفعت يعني فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شيء والى الجبال كيف نصبت على الارض نصبا ثابتا راسخا لا يزول والى
الارض كيف سطحت اي بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شيء قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السماء
او ينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شيء ولما ذكر الله تعالى دلايل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا
فيها خاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال تعالى فذكر انما انت مذكر اي فعظ انما انت واعظ لست عليهم
بمصيطر اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الايمان وهذه الاية منسوخة نسختها اية القتال الا من تولى وكفر استثناء
منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا
في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر وكانت اكبر من هذا كله ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت ثم
ان علينا حسابهم يعني جزاؤهم بعد الرجوع على الله تعالى والله اعلم تفسير سورة والفجر مكية وهي تسع
وعشرون اية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسماية وسبعة وتسعون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل والفجر اقسم الله بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوايد الدينية وهي انها دلايل باهرة
وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوايد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معنى هذه الالفاظ فروي عن ابن عباس
انه قال الفجر

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله

قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وساير الحيوان في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس ايضا انها صلوة الفجر والمعنى انه اقسم بصلوة الفجر لانها فاتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملايكة الليل وملايكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول يوم من المحرم لانه منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربان **وليال عشر** قيل انما نكرها لما فيها من الفضل الشريف الذي لا يحصل في غيرها وروي عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها ايام الاشتغال باعمال الحج اخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروي عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير شد المئزر وايقظ اهله يعني للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء **والشفع والوتر** الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن ابي سعيد الخدري وقيل الشفع الخلق كله كالابيض والاسود والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله منه شفع ومنه وتر وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الشفع والوتر فقال هي الصلوات بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلوة الغداة والوتر صلوة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروي ان رجلا ساله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال اما الشفع والوتر فقوله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر واما الليالي العشر الثامن وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحيوة والوتر صفة الله التي انفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحيوة بلا موت **والليل اذا يسر** اي اذا سار وذهب وقيل اذا جاء واقبل اراد به كل ليلة وقيل ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التي يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذي يسار فيه **هل في ذلك** اي فيما ذكرت **قسم** مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التاكيد **لذي حجر** اي لذي عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغي ولا يليق كما سمي عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبايح وسمي نهية لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغي واصل الحجر المنع ولا يقال الحجر الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها مما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما اقسم الله به عز وجل من هذه الاشياء فيه عجايب ودلايل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق ان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل **الم تر كيف فعل ربك بعاد** وقيل جواب القسم محذوف تقديره ورب هذه الاشيا ليعذبن الكافرين يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب قوله تعالى الم تر اي الم تعلم وانما اطلق لفظ الروية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم وقوله الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد كيف فعل ربك بعاد **ارم ذات العماد** يعني ان المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم وهم كانوا اطول اعمارا واشد قوة من هولاء واما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسم القبيلة لقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى ارم وهو جد عاد على ما ذكر في نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد يسمون بارم باسم جدهم وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة وقيل ارم اسم موضع باليمن وكان عاد اباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن سام بن نوح وقال الطيبي ارم هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وثمود

واهل السواد واهل الجزيرة وكانوا يقال عاد ارم وثمود ارم فاهلك عاد وثمود وابقى اهل السواد والجزيرة وقال سعيد بن
المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد
الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم
وكانوا اهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى التي لم يخلق مثلها في البلاد وسموا ذات العماد لانهم كانوا
اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عن ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم
يعني طولهم مثل العماد في الشبه قال مقاتل كان طول احدهم اثنا عشر ذراعا وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل
تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه
وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا
ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا
فروي وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له شردت فبينما هو يسير في صحاري عدن وقع على مدينة
في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها وظن ان فيها احدا يسئله عن ابله فلم ير خارجا
ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وجرد سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت
الاحمر فلما راى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور في كل قصر منها غرف
مبنية بالذهب والفضة واحجار اللولو والياقوت واذا ابواب تلك القصور مثل مصاريع ابواب تلك المدينة يقابل بعضها
بعضا وهي مفروشة كلها باللولو وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا اهاله ذلك ثم نظر في الازقة فاذا في تلك
الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انهار مطردة تجري ماوها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه وجمع معه من
من لولوها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث بما راى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم
عليه فساله عن ذلك فقص عليه ما راى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب
وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها قال لما اراد شداد عملها امر عليها مائة قهرمان
مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوه بما في بلادهم من الجواهر فخرج القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا ارضا
موافقة فوقعوا على صحراء نقية من التلال فاذا هي عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التي امر الملك ان يبنى فيها فوضعوا اساسها
من الجزع اليمانية واقاموا في بنائها ثلاث مائة سنة وكان عمر شداد تسع مائة سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا
فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند كل قصر الف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائه ففعلوا وامر الملك
وزراءه وهم الف وزير ان يتهيئوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك في جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كان منها
على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد ثم قال
كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم
ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل قوله عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد يعني ثمود مثل ما فعل بعاد الذين جابوا
بوادي القرى قطعوا الصخر بالواد يعني بوادي القرى وكانت ثمود اول من قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا وفرعون
ذي الاوتاد سمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه ذي الملك
كما قيل في ظل ملك راسخ الاوتاد وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن
عباس ان فرعون انما سمي ذي الاوتاد لانه كانت امراة وهي امراة خازنه حزقيل وكان مومنا كتم ايمانه مائة سنة
وكانت امراته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس
من كفر بالله

العماد

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

187

نفسي من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل من اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقا
مت ودخلت على ابيها وهي تبكي قالت الماشطة امرات خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا
شريك له فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك واقري بالهي قالت لا افعل
فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت
لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها فقال اكفري بالله والا ذبحت
فاضجعت الصغرى على فيك وكانت رضيعة فقالت لو ذبحت من في الارض على في ما كفرت ما كفرت بالله عز وجل فاتي بابنتها الصغرى
فلما وضعها على صدرها واراد ذبحها جزعت المراة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا
في المهد اطفالا صغارا وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله
وكرامته فذبحت فلم تلبث الام ان ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزبيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون
انه قد رئي كذا في جبل كذا وكذا فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون
فلما راوا ذلك انصرفوا فقال حزبيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر على احد فايما هذين الرجلين كتما علي
فاهده الى دينك واعطه من الدنيا سؤاله وايما هذين الرجلين اظهر علي فعجل عقوبته واجعل مصيره في الاخرة الى النار وانصرف
الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وامن واما الاخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤوس الاشهاد فقال له فرعون وهل معك
غيرك قال نعم فلان فدعا به فقال حق ما يقول هذا قال ما رايت مما قال شيئا فاعطاه فرعون فاجزل واما الاخر فقتله ثم صلبا
قال وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل نساء بني اسرائيل يقال لها اسية بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة وكيف فقالت
يسعني ان اصبر على ما ياتي فرعون وانا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا
منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثه عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها فقالت ما بي من جنون
وان الهها والهي والهك واله السموات والارض واحد لا شريك له فمزق عليها وضربها وارسل الى ابويها فدعاهما
وقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة اصابها فقالت اعوذ بالله من ذلك اني اشهد ان ربي وربك ورب السموات والارض واحد
لا شريك له فقال لها ابوها يا اسية الست من خير نساء العالمين وزوجك اله العالمين قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول
حقا فقولا له ان يتوجني تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني ثم مدها
بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها واسكنها الجنة **قوله عز وجل الذين طغوا في البلاد** يعني عادا وثمود
وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله **فاكثروا فيها الفساد** يعني ~~عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصي~~
~~وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله~~ يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام الاثم **فصب عليهم
ربك سوط عذاب** يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه عليهم بما يكون في الدنيا من العذاب في السوط وقيل
هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان اصل العذاب السوط خلط الشيء بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان
السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل هو جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرا هذه الاية
يقول ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فاخذهم فاخذهم بسوط منها **ان ربك لبالمرصاد قال** ابن عباس يعني من حيث يرى و
يسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته احد وقيل مرصد العباد لان الرصد والمراصد الطريق وقيل يرجع الخلق الى حكمه وامره
واليه مصيرهم وقيل انه يرصد اعمال بني ادم والمعنى انه لا يفوته شيء من اعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقيل يرصد الناس
على طريقهم حتى يهلكهم **قوله عز وجل فاما الانسان اذا ما ابتلاه** اي امتحنه **ربه** بالنعمة **فاكرمه** اي بالمال **ونعمه** اي بما وسع عليه

واما

فيقول ربي اكرمن اي بما اعطاني من المال والنعمة اذا ما ابتليه يعني بالفقر فقدر اي ضيق فقيل قتر عليه رزقه اي وفي اعطاه ما يكفيه فيقول عني ربي اهانن اي اذلني بالفقر وقيل في امية بن خلف الجمحي الكافر وهو الذي تكون الكرامة عنده والهوان كثرة المال والحظ في الدنيا وقلته فرد الله ذلك على من ظن ان سعة الرزق اكراما والفقر اهانة فقال تعالى كلا اي ليس الامر كذلك لم ابتليه بالغنى لكرامته ولم ابتليه بالفقر لهوانه فاخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المومن لا لاهانته لكن امر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المومن بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصناف المال ليختبره ايشكر ام يطغى ويضيق عليه ليختبره ايصبر ام يجزع ويقلق بل لا تكرمون اليتيم اي لا يطعمونه حقه الذي ثبت له من الميراث ولا تحضون على طعام المسكين اي لا يطعمون مسكينا ولا يامرون باطعامه وقرئ ولا تحاضون ومعناه لا يحض بعضكم بعضا على ذلك وتاكلون التراث اي الميراث اكلا لما اي شديدا والمعنى انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان وياكلون نصيبهم وقيل الاكل اللم الذي ياكل كل شي يجده ولا يسال عنه احلال ام حرام وياكل الذي له ولغيره وتحبون المال حبا جما اي كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به ويحبونه كلا اي ما ينبغي ان يكون الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما امروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم فقال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا اي دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شي عليها من جبال وبناء وغيره حتى لم يبق على ظهرها شيء. وجاء ربك اعلم ان هذه الاية من ايات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها واجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تاويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجروها على ظاهرها وتاولها بعض المتاخرين وعامة المتكلمين وقالوا ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله محال فلا بد من تاويل الاية فقيل في تاويلها وجاء امر ربك بالمحاسبة والمجازات وقيل وجاء امر ربك وقضاؤه وقيل دليل ايات ربك فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الاية والملك صفا صفا يعني يوم القيمة وجيء يومئذ بجهنم قال ابن مسعود في هذه الاية تقاد بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش يومئذ يعني يوم يجاء بجهنم يتذكر الانسان اي يتعظ الكافر ويتوب وانى له الذكرى يعني يظهر التوبة ومن اين له التوبة يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الاخرة التي لا موت فيها فيومئذ لا يعذب عذابه احد اي لا يعذب في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق وثاقه احد يعني لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله في عذاب الله والوثاق هو الاسار في السلاسل والاغلال وقرئ يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر احد ولا يوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف لشدة كفره وعتوه قوله عز وجل يا ايتها النفس المطمئنة اي الثابتة على الايمان وقيل المصدقة بما قال الله الموقنة التي قد ايقنت بالله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المومنة الموقنة وقيل هي الامنة الراضية بقضاء الله وقيل هي الامنة من عذاب الله وقيل هي المطمئنة بذكر الله قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل في حبيب بن عدي الانصاري وقيل في عثمان حين اشترى بير رومة وسبلها وقيل في ابي بكر الصديق والاصح ان الاية عامة في كل نفس مومنة مطمئنة لان هذه السورة مكية ارجعي الى ربك الى ما وعدك ربك من الخير والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمرو اذا توفي العبد المومن ارسل الله عز وجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجي ايتها النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك احد في انفه والملائكة على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يوتى بها الرحمان جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس واجعلها

وجهه

اي تنزل ملائكة كل سماء صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف وجيء يومئذ بجهنم

158

النفس فاجعلها مع انفس المومنين ثم يومر فيوسع فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه
الروح والريحان فان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نورا مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس فلا يوقظه
الا احب اهله اليه واذا توفي الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد ابلى من كل نتن ومن كل شيء واخشن
من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان قوله ارجعي الى ربك اي الى
صاحبك وهو الجسد وانما يقال عند البعث فيامر الله تعالى الارواح ان ترجع الى الاجساد وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك
ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعي الى ثواب ربك وكرامته راضية عن الله بما اعد لك مرضية اي قد رضي عنها ربها وقيل
يقال لها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيمة قيل لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل معنى في عبادي
اي في جملة عبادي المصطفين وادخلي جنتي قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطايف فشهدت جنازته
فجاء طاير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا يدرى من
تلاها يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال بعض اهل الاشارة في تفسير
هذه الاية يا ايتها النفس المطمينة في الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الاخرة والله اعلم
بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة البلد مكية وهي عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلاث مائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لا اقسم بهذا البلد
تقدم الكلام على قوله لا اقسم في اول سورة القيمة والبلد هو مكة في قول جميع المفسرين وانت حل اي حال بهذا نازل به
البلد اي مقيم به فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم يقيم بها وقيل حل اي حلال والمعنى حلال لك
تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها احل الله عز وجل يوم الفتح حتى قاتل
وقتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما فاحل الله فيها دماء قوم وحرم دماء
قوم اخرين فقال من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق بابه وهو امن ومن دخل المسجد فهو امن ثم قال
بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي سا
عة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيمة والمعنى ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل على عظم قدرها
وشرفها وحرمتها ومع ذلك فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على
يديه فهذا وعد من الله تعالى في الماضي وهو مقيم بمكة ان يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة وخروجه
منها فكان كما وعده وقيل في معنى قوله وانت حل بهذا البلد قال يحرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون
قتلك فيه واخراجك منه ووالد وما ولد يعني ادم وذريته اقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبادم
وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى لقد
خلقنا الانسان في كبد قال ابن عباس في نصب يكابد مصايب الدنيا وشدايد الاخرة وعن ابن عباس ايضا قال في شدة
خلقه وحمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته واصل الكبد الشدة وقيل
لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال الكبد الاستواء
والاستقامة وعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شيء من الحيوان يمشي منكبا وقيل
منتصب راسه في بطن امه فاذا اذن الله في خروجه انقلب راسه الى الاسفل وقيل في كبد اي في قوة نزلت في ابي الاشد ا
سيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق
ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى موضع الاديم بقدر موضع قدميه ايحسب يعني ابا الاشد الجمحي بقوته ان

ان لن يقدر عليه احد يعني ان يظن لشدته في نفسه ان لن يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي يقول
يعني في الكافر اهلكت اي انفقت مالا لبدا اي كثيرا من التلبيد الذي يكون بعضه فوق بعض يعني في عداوة محمد صلى
الله وسلم ايحسب ان لم يره احد يعني ايظن ان الله لم يره ولا يسئله عن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وقيل كان كا
ذبا في قوله انه انفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه ولم يعلم مقدار نفقته ثم ذكر
نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين يعني ان نعم الله على عبده متظاهرة يقرره بها كيما
يشكره وجاء في الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين
فاطبق وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك
فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وهديناه النجدين قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى و
والضلالة وقال ابن عباس الثديين قوله عز وجل فلا اقتحم العقبة يعني فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من
فك الرقاب واطعام المسغبات فيكون ذلك خيرا من انفاقه على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم
يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس
والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة
بعتق الرقبة ولا اطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة واطعم المسا
كين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروي عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم وهي عقبة شديدة في
النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هي الصراط يضرب على متن جهنم كحد
السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان لجنبيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان
فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العا
صف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا
ومنهم الزالون ومنهم المكردس في النار وقيل في معنى الآية فهلا سلك سبيل النجاة ثم ما هي فقال تعالى وما
ادراك ما العقبة اي وما ادراك ما اقتحام العقبة فك رقبة يعني عتق رقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق
والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه او يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن اعتق
رقبة كانت فداءه من النار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة
مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال
جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت اقصرت
الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليسا واحدا قال عتق النسمة ان تنفرد
بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق
ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من
خير وقيل في معنى الآية فك من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التي يوصل
بها الى رضوان الله والجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار او اطعام في يوم ذي مسغبة اي ذي مجاعة
والسغب الجوع يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة يريد تطعم يتيما بينك وبينه قرابة او مسكينا ذا متربة
يعني قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح في التراب لا يقيه شيء والمتربة الفقر ثم
بين ان هذه القرب لا تنفع الا بالايمان بقوله ثم كان من الذين آمنوا والمعنى انه كان مؤمنا تنفعه هذه القرب

وكان مقتحما

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

49

وكان مقتحما للعقبة وان يطعم مومنا الا تنجعه هذه القربة ولا يقتحم بها العقبة وتواصوا بالصبر يعني اوصى
بعضهم على بعض على الصبر على اداء الفرائض وجميع اوامر الله ونواهيه وتواصوا بالمرحمة اي برحمة الناس و
فيه اشارة الى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله اولئك يعني اهل هذه الخصال اصحاب الميمنة والذين
كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار موصدة يعني مطبقة عليهم ابوابها لا يدخل فيها روح
ولا يخرج منها غم والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة والشمس وضحاها
مكية وهي خمسة عشر اية واربع وخمسون كلمة ومايتان وسبعة
واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والشمس وضحاها اي وضوءها او
الضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل في النهار
كله وقيل الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوي حرها وهذه الاقوال والقمر اذا تليها
اي تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تليها القمر في الاضاءة وخلفها
في النور وقيل تليها في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستتبع بروذلك في الليالي البيض وقيل تليها
تبعها في الطلوع وذلك في اول ليلة من الشهر اذا غابت الشمس ظهر الهلال فكانه تبعها والنهار اذا
جليها يعني جلا الظلمة بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا والليل اذا
يغشيها اي يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الافاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس في
الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر والسماء وما بنيها
اي ومن بنيها وقيل والذي بناها وعلى هذا كانه اقسم به وباعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى
المصدر اي والسماء وبنائها والارض وما طحيها اي بسطها وسطحها على الماء ونفس وما سويها اي عدل خلقها
وصور اعضايها هذا ان اريد بالنفس الجسم وان اريد بها المعنى القائم بالجسم فيكون معنى سويها اي اعطاها
القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما
نكرها لانه اراد النفس الشريفة المطلقة التي تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من خلق من الانس والجن فالهمها
فجورها وتقويها قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تاتي وما
تتقي وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل جعل ذلك فيها بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور ويقال
لان الله تعالى خلق في المومن التقوى وفي الكافر الفجور م عن ابي الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين ارايت
ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون
به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى
عليهم قال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون فقال لي يرحمك الله اني لم ارد بما سالتك الا لاحزر عقلك ان رجلين من مزينة
اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي
عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت
الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما
سويها فالهمها فجورها وتقويها عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله
بين لنا ديننا كانا خلقنا الان فيما العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما نستقبل قال لا بل فيما

بما جفت به الاقلام وجرت به المقادير فقال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه الاقسام اقسم
الله بها بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العمل بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب
الشمس وما بعدها واورد على هذا القول انه قد دخل في جملة هذا القسم والسماء وما بناها وذلك
هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لا يجوز واجيب بان ما فسرت بالمصدر
فلا اشكال او فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى قد افلح المعنى لقد
افلح من زكيها اي فازت وسعدت نفس زكاها الله اي اصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة وقد خاب
من دسيها اي خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وافسدها واصله من دس الشيء اذا اخفاه فكانه سبحانه
وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله واضله حتى لا يظن احد انه يتولى
تطهير نفسه واهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق م عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم ات نفسي
تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن
قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها قوله عز وجل كذبت ثمود وهم قوم صالح عليه
السلام بطغويها اي بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا اذ انبعث
اشقيها اي قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن
سالف وقد كان رجلا اشقر ازرق العينين قصيرا قام بعقر الناقة ق عن عبد الله بن زمعة انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة لفظ البخاري قوله عارم اي شديد
ممتنع قوله عز وجل فقال لهم رسول الله يعني صالحا عليه السلام ناقة الله اي ذروا ناقة الله وانما قال
لهم ذلك لما عرفه منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما اضافها الى الله تعالى لشرفها كبيت الله
وسقيها اي وشربها اي ذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها فكذبوه يعني صالحا فعقر
وها يعني الناقة فدمدم عليهم ربهم اي فدمر عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة هلاك استيصال وقيل
دمدم اي اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت منهم احد بذنبهم اي فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم
وهو تكذيبهم صالحا عليه السلام وعقرهم الناقة فسويها اي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم
بها وقيل معناه فسوى بين الامة وانزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب ولا
يخاف عقبيها اي لا يخاف الله تبعة من احد في اهلاكهم قاله ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى
لا يخاف العاقر عقبى ما اقدم عليه من عقر الناقة وقيل هو صالح عليه السلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة
ما نزل بهم من العذاب ان يؤذيه احد بسبب والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والليل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والليل اذا يغشى اي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه
اقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق ياوي فيه كل حيوان الى ماويه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم
اقسم بالنهار بقوله والنهار اذا تجلى يعني بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق في طلب الرزق وما خلق
الذكر والانثى

ابكاك

وخلق الذكر والانثى اي ومن خلق وعلى هذا يكون اقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر
والانثى من ماء واحد وان اريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما آدم وحواء وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدع خلق آدم
من طين وخلق منه حواء من غير ام وجواب القسم قوله تعالى ان سعيكم لشتى اي ان عملكم مختلفة فساع
في افكاك نفسه وساع في عطبها وروى ابو مالك الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس
يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها فقوله موبقها اي مهلكها قوله تعالى فاما من اعطى اي انفق
ماله في سبيل الله عز وجل واتقى اي ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي وصدق بالحسنى قال
ابن عباس صدق بلا اله الا الله وعنه صدق بالخلف اي بان الله سيخلف عليه ما انفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة
وقيل بموعد الله عز وجل الذي وعده انه يثيبه فسنيسره اي فسنهيئه في الدنيا لليسرى اي للخلة والفعلة
اليسرى وهي العمل بما يرضيه الله عز وجل واما من بخل اي بالنفقة في الخير والطاعة واستغنى اي عن ثواب الله تعالى
فلم يرغب فيه وكذب بالحسنى اي بلا اله الا الله او كذب بما وعد الله من الجنة والثواب فسنيسره للعسرى اي
فسنهيئه للشر بان نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه ان يأتي خيرا
وفي الاية دليل لاهل السنة وصحة قولهم في القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى وو
جوب العمل بما سبق له في الازل فعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم
من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة زاد مسلم الا وقد كتب شقية او سعيدة فقالوا يا
رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة
فييسر لعمل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فييسر لعمل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة
بكسر الميم السوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده والنكت بالتاء المثناة من فوق
ضرب الارض بذلك او غير ذلك مما يؤثر فيه الضرب وهذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك انه
اشترى بلالا من امية بن خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه فانزل الله فيه والليل اذا يغشى يعني سعي ابي بكر وامية
بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا صعد نخلته
لياخذ منها الثمر فربما سقطت الثمرة فياخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل من نخلته حتى ياخذ الثمرة من ايد
يهم وان وجدها في فم احدهم ادخل اصبعه حتى يخرجها فشكى ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقي
النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل
ان لي نخلا وما فيه اعجب الي منها ثم ذهب فسمع بذلك ابو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك
ان تبيعنيها بحش يعني حائطا له فيه نخل فقال هي لك فاتى ابو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ر
سول الله اشتريها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
الرجل الفقير جار الانصاري صاحب النخلة فقال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الاية وهذا القول
فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت هذه القصة صحـ
ـيحة فتكون هذه السورة مكية قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح
انها نزلت في ابي بكر الصديق وامية بن خلف لان سببها والاية يقتضي ذلك قوله

اي قوله ان سعيكم لشتى اصل

قوله عز وجل وما يغني عنه ماله أي الذي بخل به إذا تردى أي إذا مات وقيل إذا هوى في جهنم إن علينا للهدى أي علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك أنه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسيء من العسرى أخبرهم أن بيده التيسير والتعسير الإرشاد والهداية وعليه تبيين طريقهما وقيل معناه إن علينا للهدى والإضلال فاكتفى بذكر أحدهما والمعنى أرشد أوليائي إلى طاعتي وأصرف أعدائي عن العمل بطاعتي وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله وإن لنا للآخرة والأولى أي لنا ما في الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق فأنذرتكم أي يا أهل مكة نارا تلظى أي تتوقد وتتوهج لا يصلاها إلا الأشقى يعني الشقي الذي كذب يعني الرسول وتولى عن الإيمان وسيجنبها الأتقى يعني التقي الذي يؤتي أي يعطي ماله يتزكى أي يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يطلب بما أنفقه رياء ولا سمعة وهو أبو بكر الصديق في قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة ويعتقهم فقال له أبوه أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهري أريد فأنزل الله فيه وسيجنبها الأتقى الذي إلى آخر السورة وذكر محمد بن إسحاق قال كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الإسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الشمس فيطرحه ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك أحد أحد قال ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبي بكر في بني جمح فقال لأمية ألا تتقي الله في هذا المسكين قال أنت أفسدته فأنقذه فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فأعتقه وكان قد أعتق ست رقاب على الإسلام قبل أن يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت لا يضر اللات والعزى ولا ينفعا فرد الله تعالى عليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار فمر بهما أبو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما قال بكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء وإعتاق أبي بكر إياهم وكان اسم أبي بكر عتيق فقال في ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه ... عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل
عشية هما في بلال بسوءة ... ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الأنام وقوله ... شهدت بأن الله ربي على مهل
فإن يقتلوني تقتلوني ولم أكن ... لأشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب إبراهيم والعبد يونس ... وموسى وعيسى نجني ثم لا تمل
لمن ظل يهوى الغي من آل غالب ... على غير حق كان منه ولا عدل

وقال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر في بلال حين قال له أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لأبي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية أتبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله عز وجل وما لأحد عنده أي عند أبي بكر من نعمة تجزى أي من يد يكافئه عليها إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى يعني لم يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد كانت

له عنده

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

161

له عنده الا كل فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب رضاه ولسوف يرضى اي بما يعطيه الله عز وجل في الاخرة من الجنة و
الخير والكرامة جزاء على ما فعل والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والضحى مكية وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة

ومائة واثنان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والضحى

الاول اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة اقوال القول الاول عن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امراة فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك
لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاثا فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى واخرج الترمذي
عن جندب قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل
انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قال فابطا عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد ربه
فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المراة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي ام جميل
امراة ابي لهب القول الثاني قال المفسرون سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن
ذي القرنين وعن اصحاب الكهف فقال ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عليه الوحي ~~القول الثا~~
القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحي عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل عاتبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس
الوحي عنه فقيل اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل اربعون يوما قالوا فلما نزل عليه
جبريل عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل اني
كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد مامور وقال وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله تعالى هذه السورة قوله
عز وجل والضحى قيل اراد به النهار كله يدل عليه انه قابله بالليل في قوله والليل اذا سجى وقيل يعني
~~وقت الضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك ربك منذ اختارك~~
وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء والليل اذا سجى قال
ابن عباس اقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شيء بظلامه وقيل معناه سكن واستقر بظلامه
فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم اقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى
اي ما تركك ربك منذ اختارك وما ابغضك منذ احبك وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤوس الاي
وقيل معناه ما قلى احدا من اصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة وللاخرة خير لك من الاولى اي الذي
اعطاك ربك في الاخرة خير لك من الاولى واعظم من الذي اعطاك في الدنيا وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل بيت اختار لنا الاخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ابن
عباس هي الشفاعة في امته حتى يرضى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله يا جبريل اهبط الى محمد وربك اعلم فاساله ما
يبكيك فاتاه فساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى
محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نائلة
ان شاء الله تعالى من مات من امتي لا يشرك بالله شيئا عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

أتاني آت من عند الله ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة إن شاء الله
تعالى من مات لا يشرك بالله شيئا أخرجه الترمذي. قال حرب بن شريح سمعت جعفر عن علي يقول إنكم معشر أهل
العراق تقولون إن أرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وإنا أهل البيت
نقول ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل
من النصر والتمكين وكثرة المومنين فترضى وقيل حمل الآية على ظاهرها خير من الدنيا والآخرة معا أولى وذلك أن
الله تعالى أعطاه في الدنيا النصر والظفر على الأعداء وكثرة الأتباع والفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة وأعلى دينه
وأن أمته خير الأمم وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما أعطاه في الدنيا والآخرة
ثم أخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقبل الوحي وذكر نعمه عليه وإحسانه إليه فقال عز وجل ألم يجدك يتيما
صغيرا فآوى أي ألم يعلمك الله يتيما من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمعنى ألم يجدك يتيما صغيرا حين
مات أبوك ولم يخلف لك مالا ولا مأوى تأوي إليه وضممتك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة
وذلك أن عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حمل أمه فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب
كفله عمه أبو طالب إلى أن قوي واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك
وحيدا في قريش عديم النظير فآواك إليه وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته ووجدك ضالا أي عما أنت
عليه اليوم فهدى أي فهداك إلى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة
فهداك إليها وقال ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير
فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده إلى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء إبليس فأخذ
بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة ورد
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القافلة فمن الله تعالى عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدري من أنت
فعرفك نفسك وحالك وقيل وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك إلى الإيمان وإلى إرشادهم
وقيل الضلال بمعنى الحيرة وذلك لأنه كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه حتى
هداه الله إلى دينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه
الآية ولا يلتفت إلى قول من قال أنه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله إلى الإسلام لأن
نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الأنبياء قبله منذ ولدوا نشأوا على التوحيد والإيمان قبل النبوة و
بعدها وأنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك أن قريشا
عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وأمر الجاهلية فإنهم لا يجدون عليه
سبيلا إذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه وعيروه به ويؤيد هذا ما روي
في قصة بحيراء الراهب حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر معه عمه أبو طالب إلى
الشام فرأى بحيراء علامات النبوة فيه وهو صبي فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني
بهما فوالله ما أبغضت شيئا بغضهما ويؤكد هذا أيضا شرح صدره صلى الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج
العلقة منه وقال جبريل هذا حظ الشيطان وملئه حكمة وإيمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال
الزمخشري ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وإن أراد أنه كان على دين قومه

فمعاذ الله

بمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكباير والصغاير الشاينة فما بال الكفر والجهل
بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء. والله اعلم قوله عز وجل ووجدك عايلا فاغنى يعني فقيرا فاغناك
بمال خديجة ثم بالغنايم وقيل ارضاك بما اعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين
والراء المال م عن عبد الملك بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح
من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت ربي عز وجل مسئلة وددت اني لم اكن سالته قلت يا رب اتيت
سليمان بن داود ملكا عظيما واتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فاويتك قلت
بلى يا رب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال الم اجدك عايلا فاغنيتك قلت بلى يا رب زاد في رواية
الم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يا رب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم
ان يمن بانعامه على عبده والمنة من صفة المخلوق فكيف بالخالق قلت انما حسن ذلك لانه تعالى تبارك وتعالى
قصد المخلوق وهو المنة مذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كانه قال لا تقطع رجاك عني السنة التي
ربيتك واويتك وانك يتيم صغير اتظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل اتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين
امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه باليتامى والمساكين والفقرا فقال تعالى فاما اليتيم فلا تقهر اي لا
تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في امر
اليتامى تاخذون اموالهم ويظلمون حقوقهم روى البغوي باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال
انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير بالسبابة والوسطى وفرج بينهما واما السايل فلا تنهر يعني السايل على الباب
يقول لا تزجره اذا سالك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق ولا تكرهه بوجهك في وجهه قال
ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم السايل يريد الاخرة يجي الى باب احدكم
فيقول هل توجهون الى اهليكم بشيء. وقيل السايل هو طالب العلم يجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس في
وجهه ولا ينهر ولا يلقى بمكروه واما بنعمة ربك فحدث قيل اراد بالنعمة النبوة اي بلغ ما ارسلت به وحدث
بالنبوة التي اتاك الله وقيل النعمة هي القران امره ان يقراه ويخبر به وقيل اشكر لما ذكر نعمه عليك في هذه السورة
من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والاغنا بعد العيلة والفقر امره ان يشكر على انعامه والتحدث بنعم الله تعالى
شكرها عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطي عطا فليجز به
ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي
زور اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر
الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراءة
اهل مكة ان يكبروا من اول سورة والضحى على راس كل سورة حتى يختم القران فيقول الله اكبر وسبب ذلك
ان الوحي لما احتبس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم

لك فلما نزل والضحى عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابطاء الوحي وانقطاعه مدة والله اعلم بمراده في تشطيبه به
واسرار كنده به تفسير سورة الم نشرح مكية وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة
ومائة وثلاثة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم نشرح لك صدرك استفهام
بمعنى التقرير اي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصد عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم
للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تضر عن ادراك الحق وقيل معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان وا
لنبوة والعلم والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره م عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه اعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا
ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى اثر المخيط في صدره وو ضعنا عنك وزرك اي
حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية وهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل الخطا
والسهو وقيل ذنوب امتك فاضافها اليه لاشتغاله قلبه بها وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهرك من اعباء الر
سالة حتى يبلغها لان الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لوكان
ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول في عصمة الانبياء قد تقدم مستوفى في سورة طه عند
قوله وعصى ادم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الذي انقض ظهرك اي اثقله واو
هنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل او الرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل
النبوة قال هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع فتم بها فلما
منّ عليه بعد النبوة عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما بعد
النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيئات المقربين ورفعنا لك ذكرك روى البغوي باسناد الثعلبي عن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عن هذه الاية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله
عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي وقال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبد الله
وصدقه في كل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافرا وقال قتادة
رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التاذين
وفيه يقول حسان بن ثابت :. اغر عليه للنبوة خاتم :. من الله مشهود يلوح ويشهد :. وضم الاله اسم النبي مع اسمه :.
اذا قال في الخمس المؤذن اشهد :. وشق له من اسمه ليجله :. فذو العرش محمود وهذا احمد :. وقيل رفع ذكره با
خذ ميثاقه على النبيين والزمهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه محمد رسول
الله ونبي الله وفرض طاعته على الامة بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله ونحو ذلك مما
جاء في القران وغيره من كتب الانبياء ثم وعده اليسر والرخا بعد الشدة والعلى وذلك انه كان في شدة بمكة فقال
تعالى فان مع العسر يسرا اي مع الشدة التي انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا
للحق الذي جئتهم به ان مع العسر يسرا انما كرره لتاكيد الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في جحر
لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين
ان الله تعالى

اي امه من الرضاع

اللهم صل على سيدنا محمد

163

ان الله تعالى كرر لفظ العسر وكرره بلفظ المعرفة وذكر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفة ثم
اعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم اعادته كان الثاني غير الاول كقوله كسبت درهما فانفقت
درهما فالثاني غير الاول فاذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الاية مكرر بلفظ
التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكررا بلفظ النكرة فكان قال ان مع العسر يسرين يسرين فكانه قال ان مع ال
العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا وزيف ابو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم
الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسرا واحدا ويسران وهذا القول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع
الفارس سيفا فهذا لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنان فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عز وجل
بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا
حتى تكون كايسر اهل مكة فاغتم لذلك النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله عليه
نعمه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا اي لا يحزنك
الذي يقولون فان مع العسر يسرا الذي في الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ما وعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده
حتى كان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدأ فضلا اخر من امر الاخرة فقال تعالى ان مع العسر
يسرا والدليل على ابتداء ايه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المومنين والمعنى ان مع العسر الذي في الدنيا للمومنين
يسرا في الاخرة وربما اجتمع له يسران يسر الدنيا وهو ما ذكر في الاية الاولى ويسر الاخرة وهو ما ذكر في الاية الثانية فقوله
لن يغلب عسر يسرين اي لن يغلب عسر الدنيا اليسرى الذي وعده الله للمومنين في الدنيا واليسرى الذي وعدهم
في الاخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فدائم ابدا غير زائل اي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله
صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقص قال القشيري كنت يوما بالبادية
بحالة من الغم فالقي في روعي بيت من شعر فقلت ⁘ ارى الموت لمن اصبح مغموما له اروح ⁘ فلما جن الليل
سمعت هاتفا يهتف في الهوى ⁘ الا يا ايها المرء الذي الهم به برح ⁘ وقد انشد بيتا
لم يزل في فكره يسبح ⁘ اذا اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح ⁘ فعسر بين يسرين اذا ابصرته فافرح ⁘ قال فحفظت
الابيات وفرج الله عني وقال اسحاق بن بهلول القاضي ⁘ فلا تياس اذا اعسرت يوما ⁘
فقد ايسرت في دهر طويل ⁘ ولا تظنن بربك ظن سوء ⁘ فان الله اولى بالجميل ⁘ فان العسر يتبعه يسار ⁘
وقول الله اصدق كل قيل ⁘ وقال محمد بن احمد الرضي في المعنى ⁘ توقع صنع ربك الحطو ⁘
سرورا بشخصها عنك فيسرا ⁘ ترى الله يخلف الله ميعاده ولم ⁘ فقال ان مع العسر يسرا ⁘ وقال غيره
وكل الحادثات اذا تناهت ⁘ يكون وراءها فرج قريب ⁘ قوله عز وجل فاذا فرغت فانصب
لما عدد الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر وعلى الاجتهاد في العبادة والنصب
والنصب فيها وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعه باخرى والنصب التعب قال ابن عباس
اذا فرغت من الصلوة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسالة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرا
ئض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الر
سالة فانصب في الاستغفار لك وللمومنين قال عمر بن الخطاب اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنياه
ولا في عمل اخرته السبهلل الذي لا شيء معه وقيل السبهلل الباطل والى ربك فارغب اي تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا
من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله في جميع احوالك لا الى احد سواه والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة والتين مكية وهي ثمان آيات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والتين والزيتون هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي
تعصرون منه الزيت قيل انما خص الله التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء وشبه
فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويخرج بطريق الرشح
ويلين الطبيعة ويقلل البلغم واما الزيتون فلانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته في اغلب البلاد
ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت في الجبال التي ليست فيها دهنية ويمكث في الارض الوفا من السنين فلما كان فيهما
من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقها لاجرم اقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الذي عليه دمشق والزيتون
الجبل الذي عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل
هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما
موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقيل التين مسجد نوح عليه
السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين يعني الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى
عليه السلام وسينين اسم للمكان الذي فيه الجبل سمي سينين وسيناء لحسنه ولكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار
مثمرة يسمى سينين وسيناء وهذا البلد الامين يعني الامن وهو مكة حرسها الله تعالى لانها الحرم الذي يامن فيه
الناس في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا يلتقط لقطته الا لمنشد وهذه اقسام اقسم الله
بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يعني في اعدل قامة
واحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه ياكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة
حسن الصورة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق ثم رددناه اسفل سافلين يعني
كما ان الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير اسفل
من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه
الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانهم يعني لا يردون الى النار ولا الى اسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل
سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له حسنات لكن الذين امنوا وعملوا الصالحات ولزموا عليها الى يوم
الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم [بعد الهرم] مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة وقال ابن عباس هم
نفر ردوا الى ارذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذي عملوا قبل ان
تذهب عقولهم وعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر الشيخ كبره اذا ختم الله له بحسن ما
كان يعمل وروي عن ابن عباس قال الا الذين قروا القران ومن قرا القران لم يرد الى ارذل العمر فلهم اجر غير ممنون يعني غير
مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ثم قال لزاما للحجة فما يكذبك يعني ايها الانسان وهو خطاب على طريق
الالتفات بعد يعني بعد هذه الحجة والبرهان بالدين اي بالحساب والجزاء والمعنى ما الذي يلجئك ايها الانسان الى هذا الكذب الا تتفكر في
صورتك وشبابك ومبدأ خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة
وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين اليس الله با
حكم الحاكمين اي باقضى القاضين يحكم بينك وبين اهل التكذيب يوم القيامة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا والتين والزيتون فقرا اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلكم من الشاهدين اخرجه الترمذي وعن البراء رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصلى العشاء الاخرة فقرا في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تم يوم السبت اول رجب

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

164

الرسالة فانصب في الاستغفار لذنبك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب اني لاكره ان ارى احدكم فارغا
سبهللا لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته السبهلل الذي لا شيء معه وقيل السبهلل الباطل والى
ربك فارغب اي تضرع اليه وارغب في الجنة واهرب من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله في جميع احوالك لا الى احد
سواه والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة والتين مكية وهي ثمان
آيات واربع وثلاثون كلمة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والتين والزيتون
هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وقيل انما خص الله التين بالقسم لانه فاكهة
مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام
لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقل البلغم واما الزيتون
فلانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يوكل ويستصبح به وشجرته في اغلب البلاد ولا يحتاج
الى خدمة وتربية وينبت في الجبال التي ليست فيها دهنية ويمكث في الارض الوفا من السنين فلما
كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقها لا جرم اقسم الله بهما وقيل هما جبلان
فالتين الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور
تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق وا
لزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين
مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجو
دي والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين يعني الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه
السلام وسينين اسم للمكان الذي فيه الجبل سمي سينين وسيناء لحسنه او لكونه مباركا وكل جبل
فيه اشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء وهذا البلد الامين يعني الامن وهو مكة حرسها
الله تعالى لانها الحرم الذي يامن فيه الناس في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا
تلتقط لقطته الا لمنشد وهذه اقسام اقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب
القسم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يعني في اعدل قامة واحسن صورة وذلك ان الله
تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه ياكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة
يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق ثم رددناه اسفل سافلين
يعني الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ
الكبير اسفل من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره
وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل بعض ثم استثنى فقال تعالى الا الذين امنوا من
وعملوا الصالحات يعني فانهم لا يردون الى النار ولا الى اسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء
منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له حسنة لكن
الذين امنوا وعملوا الصالحات ولزموا عليها الى يوم الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم
بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل

عوتك بلحوم

أرذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عذرهم وأخبرهم أن لهم أجرهم الذي
عملوا قبل أن تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا
الشيخ كبره إذا ختم الله له بأحسن ما كان يعمل وروي عن ابن عباس قال إلا الذين قرؤوا القرآن ومن
قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر فلهم أجر غير ممنون يعني غير مقطوع لأنه يكتب له صالح ما كا
ن يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة فما يكذبك يعني أيها الإنسان وهو خطا
ب على طريق الالتفات بعد أي هذه الحجة والبرهان بالدين أي بالحساب والجزاء والمعنى فما الذي
يلجئك أيها الإنسان إلى هذا الكذب ألا تتفكر في صورتك وشبابك ومبدإ خلقك وهرمك فتعتبر
وتقول إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد ظهور هذا الدليل والبراهين
أليس الله بأحكم الحاكمين أي بأقضى القاضين يحكم بينكم وبين أهل التكذيب يوم القيامة عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والتين والزيتون فقرأ أليس الله
بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذي وعن البراء رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصلى العشاء الآخرة فقرأ في إحدى الركعتين بالتين
والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا منه صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده أو قراءة
وأسرار كتابه تفسير سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية واثنان وتسعون كلمة
ومائتان وثمانون حرفا قال أكثر المفسرين هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن وأول
ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله ما لم يعلم فعن عائشة أم المومنين رضي الله عنها
أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في
النوم وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث
به وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى
خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وفي رواية حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ
فقال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ قال
فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ ~~باسم ربك الذي خلق~~ فقلت ما أنا
بقارئ قال فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق
الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ترجف بوادره فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع
فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك
الله أبدا إنك لتصل الرحم الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوا وتصدق
ئب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة
وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله
أن يكتب

ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عمي اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة
يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس
الذي انزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني
يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد الوحي فترة حتى حزن
النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال
فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن
فاذا لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى
بذروة الجبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك فصل في شرح هذا الحديث
دليل صحيح صريح على ان سورة اقرا باسم ربك اول ما نزل من القران وفيه رد على من قال
ان المدثر اول ما نزل وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في اول سورة المدثر وهذا
الحديث من مراسيل الصحابة فهي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحاق الا
سفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجاه الملك فياتيه بصريح النبوة بغتة
فلا تحملها القوى البشرية فبدئ باوائل خصال النبوة توطئة للوحي واما التحنث فقد
فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه جعل
فعلا يخرج به من الاثم وقولها فجاءه الحق اي جاءه الحق بغتة وقوله فغطني بالغين المعجمة و
الطاء المهملة اي عصرني وضمني ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ مني الجهد قال العلماء والحكمة
في الغط اشغاله عن الالتفات الى غيره والمبالغة في احضار قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله زملوني
زملوني كذا هو في الرواية مكررا مرتين ومعناه غطوني بالثياب وقوله حتى ذهب عنه الروع
اي الفزع قولها كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا روي بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزي اي لا
يفضحك الله ولا يهينك ولا يكسرك ولا يذلك وروي بفتح الياء وبالحاء المهملة و
النون لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح قولها وتحمل الكل اي الثقل والحوائج المهمة
وتكسب المعدوم اي تعطي المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انه لا يصيبك مكروه
لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وجميل الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع
السوء قولها وكان يكتب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية وفي رواية لمسلم كان يكتب الكتاب
العربي فيكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله ان يكتب ومعناهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين
النصرانية حيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب اي موضع شاء منه بالعبرانية ان اراد وبالعربية ان
اراد ذلك قوله هذا الناموس الذي انزل على موسى هو بالنون والسين المهملة يعني جبريل عليه
السلام ومعنى الناموس صاحب سر الخير وانما سمي جبريل بذلك لان الله خصه بالوحي الى الا
نبياء وقوله يا ليتني فيها اي في ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اي شابا قويا حتى ابالغ في

في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا اي قويا بالغا قوله ثم لم
ينشب ورقة ان توفي اي لم يلبث ان مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله حتى يتردى
الوقوع من علو وذروة الجبل اعلاه تبدا له اي ظهر له قوله فيسكن بذلك جاشه اي قلبه وقيل
الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجاش هو ما ثار من فزعه وهاج من خوفه
والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقرا باسم ربك قيل الباء زايدة ة مجازه اقرا اسم
ربك والمعنى اذكر اسم ربك امره ان يبتدي القراءة باسم ربه الله تاديبا وقيل الباء على اصلها والمعنى امرا
وقيل اقرا القران مفتتحا باسم ربك اي قل بسم الله ثم اقرا وعلى هذا يكون في الاية دلالة على استحبا
ب البداءة بالبسملة في اول القراءة وقيل معناه اقرا القران مستعينا باسم ربك على ما تتحمله من ا
لنبوءة واعباء الرسالة الذي خلق يعني جميع الخلايق وقيل هو الذي حصل منه الخلق فاستاثر به لا خالق
سواه وقيل الذي خلق كل شيء خلق الانسان يعني بني ادم وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر الحيوا
نات المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة من علق جمع علقة ولما كان الانسان اسم جمع في
جنس في معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤوس الاي ايضا اقرا كرره تاكيدا وقيل الاول اقرا لنفسك
والثاني اقرا للتبليغ وتعليم امتك ثم استانف فقال تعالى وربك الاكرم يعني هو الذي لا يوازنه كريم و
لا يعادله في الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم
اعطاؤه اعطاوه الشيء من غير طلب العوض فمن كان يطلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون
العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وتعالى يتعالى عن طلب العوض فيستحيل ذ
لك في وصفه لانه اكرم الاكرمين وقيل الاكرم هو الذي له الابتداء في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن
جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرا ور
بك الاكرم لانه يجزي بكل حرف عشر حسنات الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة التي بها تعرف
الامور الغايبة وفيه تنبيه وفيه تنبيه على الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة فصل
ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت اخبار الماضين واحوالهم ولولا الكتابة ما استقام
امر الدين والدنيا وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح
عيش وسمي بعضهم عن الكلام وقال بعضهم لا يبقى فيه له بما فيه فائدة قال الكتبة لان القلم ينوب عن
اللسان ولا ينوب اللسان عنه علم الانسان ما لم يعلم قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم
الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيا
ن ما لم يكن يعلم وقيل علم ادم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه
وسلم قوله عز وجل كلا اي حقا ان الانسان ليطغى اي ليتجاوز الحق ويستكبر على ربه ان اي لان راه
استغنى اي راى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلة الى منزلة اخرى في اللباس والطعام وغير ذلك
نزلت في ابي جهل وكان اذا اصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ان الى
ربك الرجعى اي المرجع في الاخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان عن عاقبة الطغيان ثم هو لكل

طاغ متكبر

166

تعالى متكبرا ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن الصلاة م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ابو جهل هل يعفر وجهه بين اظهركم فقيل
نعم فقال واللات والعزى لئن رايته يفعل ذلك لاطان على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب قال
فاتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطا على رقبته قال فما فجاهم منه الا وهو
ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك قال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله في حد
يث ابي هريرة او شيء بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه قال وامره بما امره به زاد
في رواية فليدع ناديه يعني قومه خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال ابو جهل لئن
رايت محمدا يصلي عند البيت لاطان عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله
لاخذته الملائكة زاد الترمذي عيانا ومعنى ارايت تعجب للمخاطب وهو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفائدة التنكير في قوله عبدا يدل على انه كامل العبودية والمعنى ارايت الذي ينهى عبدا
اشد الخلق عبودية في العبودية وهذا دابه وعبادته قيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى
عن الصلاة وعن طاعة الله ولا يلزم منه النهي من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكرو
هة لانه قد ورد النهي عن ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك منع المولى عبده و
الرجل زوجته من قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء مصلحة الا ان ياذن فيه
المولى والزوج ارايت ان كان على الهدى يعني العبد المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم
او امر بالتقوى يعني بالاخلاص والتوحيد ارايت ان كذب وتولى يعني ابا جهل وتولى اي عن الايمان
وتقدير نظم الاية ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب
متول عن الايمان فما اعجب من هذا ... قوله الم يعلم يعني ابا جهل بان الله يرى يعني يرى ذلك الفعل و
يجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم كلا اي لا يعلم ذلك ابو جهل لئن لم ينته يعني عن
ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه لنسفعا بالناصية اي لناخذن بناصيته فيجر
فه الى النار يقال سفعت الشيء اذا اخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الراس و
السفع الضرب اي لنضربن وجهه بالنار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل ناصية كاذبة خاطئة
اي صاحبها كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ابو جهل اتهددني والله لاملان عليك ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله
عليه وسلم فزبره فقال ابو جهل انك لتعلم ما بها نادي اكثر مني فانزل الله تعالى فليدع
ناديه قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه اي عشيرته وقومه فليستنصر بهم واصل النادي
المجلس الذي يجمع الناس ولا يسمى ناديا ما لم يكون فيه اهله سندع الزبانية يعني الملائكة الغلاظ

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

الغلاظ الشداد قال ابن عبد البر يريد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون اهل النار اليها
بشدة مأخوذة من الزبن وهو الدفع كلا اي ليس الامر على ما هو عليه ابو جهل لا تطعه اي في ترك
الصلوة واسجد اي صل لله واقترب اي من الله عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله عليه
صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء وهذه من
عزائم سجود التلاوة عند الشافعي فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتها يدل عليه
ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه في اقرأ باسم ربك واذا ا
لسماء انشقت اخرجه مسلم والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة القدر مدنية وقيل
انها مكية والقول الاول هو الاصح وهو قول الاكثرين وقيل انها اول ما نزل بالمدينة
وهي خمس ايات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
انا انزلناه يعني القرءان كناية عن غير مذكور في ليلة القدر وذلك ان الله عز وجل انزل القرءان جملة وا
حدة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة عشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحا
جة اليه وقيل انما انزله الى سماء الدنيا ليتشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين ا
لملائكة فهي لهم مسكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامو
ر والاحكام والارزاق والاجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة المقبلة من السنة
يقدر الله ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله تعالى يظهر هذه الملائكة ويامرهم بفعل
بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد
منه انه يحدثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض في الازل قيل
للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له
فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر
لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الامير اي منزلة وجاه وقيل سميت بذ
لك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق
بالملائكة فصل في فضل ما ورد فيها عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ليلة القدر
صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء
في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى
الله عليه وسلم حين تلاحى رجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت و
عسى ان يكون خيرا لكم وهذا غلط من قال بهذا القول بهذا القول لان اخر الحديث يرد عليه عليه لان اخر
فان النبي صلى الله عليه وسلم قال في اخره فالتمسوها في العشر الاواخر في التاسعة والسابعة والخا
مسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة العلماء فمن بعدهم على
انها باقية الى يوم القيامة وروي عن عبد الله بن محسن مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا
ان ليلة القدر

بلغ بالله الغني

167

ان ليلة القدر رفعت فقال كذب من قال ذلك قلت في كل شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال
ببقائها ووجودها اختلفوا في محلها فقيل هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة في اخرى ها
كذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في اوقاتها المختلفة وقال مالك والثوري واحمد
واسحاق وابو ثور انها انها تنتقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل
انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها ابدا في جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هي في ليلة من ا
لسنة كلها وهو قول ابن مسعود وابي حنيفة وصاحبيه وروي عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول
يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما علم انها في شهر ر
مضان واختلفوا في تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلي هي اول ليلة من شهر رمضان وقيل هي
ليلة سبع عشرين وهي كانت الليلة كانت صبيحتها وقعت بدر وهذا عن زيد بن ارقم
وابن مسعود والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون انها من عشر الاواخر من رمضان ذكر
الاحاديث الواردة في ذلك خ عن عائشة رضي الله عنها قالت رسول الله يجاور العشر الاواخر من
رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ر
سول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الا
واخر وذهب الشافعي الى انها ليلة احدى وعشرين خ عن بن مسعود قال اعتكفنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كان في صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فاتانا النبي
صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه واني رايت هذه الليلة ورايتني اسجد في ماء
وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت سحابة فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من اخر ذلك ا
ليوم وكان المسجد على عريش فلقد رايت على انفه وارنبته اثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا انه قال
حتى اذا كان ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي
فليعتكف العشر الاواخر وورد في ليلة القدر اثنان وعشرون بحديثنا عن عبد الله بن انس قال
كنت في مجلس بني سلمة وانا اصغرهم فقالوا من يسال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت له ارسلني رهط من بني سلمة يسالونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت اليك
اثنان وعشرون قال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاثا وعشرين اخرجه ابو داود
وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم الى انها ليلة ثلاث وعشرين وقال فيه الشافعي ايضا
خ عن الصنابحي انه سال بلالا هل سمعت في ليلة القدر شيئا قال اخبرني بلال موذن رسول الله
صلى الله عليه انها في اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصرا عن عبد الله بن ا
نيس قال قلت يا رسول الله ان لي بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة انزلها
الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك يصنع قال كان يدخل
المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على

اللهم صل على نبينا عليه السلام

مجلس

باب السجود عليها ونحو ما في بابه أخرجه أبو داود ولمسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني أسجد صبيحتها في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشر
ين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف وإن أثر الطين والماء على جبهته وأنفه
ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن أنها ليلة أربعة وعشرين خ عن ابن عباس قال التمسوها
في أربعة وعشرين وقيل هي ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر
في الوتر من العشر الأواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبعة وعشرين يحكى دليله عن جماعة
من الصحابة منهم أبي بن كعب وابن عباس وإليه ذهب أحمد م عن زر بن حبيش قال سمعت
أبي بن كعب يقول وقيل له إن عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر فقال
أبي والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان يحلف ولا يستثني ووالله إني لأعلم أي ليلة هي الليلة هي
الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وأمارتها
أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه
وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين أخرجه أبو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قو
له تحروا ليلة القدر وقيل هي ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ليلة القدر وأنا أسمع فقال هي في كل رمضان أخرجه أبو داود وقال روي موقوفا عليه وقيل في ليالي
مشتركة عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع
عشر من رمضان وليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت أخرجه أبو داود وعن
عيينة بن عبد الرحمن قال حدثني أبي قال ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال ما أنا ملتمسها لشيء
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في العشر الأواخر فإني سمعته يقول التمسوها
في تسع يبقين أو في سبع يبقين أو في خمس يبقين أو في ثلاث يبقين أو آخر الشهر قال وكان أبو بكرة يصلي في
العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة فإذا دخل العشر اجتهد أخرجه ا
لترمذي خ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة
القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني خرجت لأخبركم بليلة القدر
فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة وا
لخامسة قوله فتلاحى رجلان أي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها [illegible] م
وإنما أراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع عينها لم يأمر بالتماسها خ عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع يمضين أو في سبع يبقين
يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال أبو عيسى وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر أنها ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين و
خمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعي
كان هذا عندي والله أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسأل عنه

يقول التمسها

عونك يا كريم

168

يقول فالتمسوها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا قال الشافعي واقوى الروايات عندي ليلة احدى وعشرين قال البغوي وفي الجملة ابهم الله تعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في اسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها واخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعة حذرا من قيامها ومن علاماتها ما يروى عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها ق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر لمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره ق عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولي اللهم انك تحب العفو فاعف عني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه ايضا النسائي وابن ماجة قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر اي اي شيء يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى ليلة القدر خير من الف شهر قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر التي حمل الاسرائيلي السلاح لك ولامتك فيها الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الناس قبله او ما شاء الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر اخرجه مالك في الموطا قال المفسرون معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما يريد الله فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة الوجه الثاني من فضلها قوله تعالى تنزل الملائكة يعني الى الارض وسبب نزولهم انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر الامر خلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا مما قالوه ويستغفرون ويستغفرون لهم لا يرون ما يقع من تقصير ما يقع في بعضهم والروح يعني جبريل عليه السلام قاله اكثر المفسرين وفي حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره

كبكبة

البغوي وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

تلك الليلة فيها اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامر ربهم من كل امر اي بكل امر من الخير والبركة
وقيل بكل ما امر به وقضاه من كل امر الوجه الثالث من فضلها قوله عز وجل سلام اي سلام على
اولياء الله واهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملائكة في ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب
الشمس الى طلوع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مومنا او مومنة سلموا عليه من ربه
وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدا فقال تعالى هي يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها
شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطا
ن ان يعمل فيها سوءا ولا يحدث فيها اذى حتى مطلع الفجر اي ان ذلك السلام والسلامة تدوم الى
مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة البينة مدنية قاله
الجمهور في رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان ايات واربع وتسعو
ن كلمة وثلاث مائة وتسع وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لم
يكن الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى والمشركين اي ومن المشركين وهم
عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل كتاب وسبب كفرهم ما احدثوه في دينهم
اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصارى فقولهم المسيح ابن
الله وانه ثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون اهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر
الله تعالى الجنسين في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين اي منتهين
عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين حتى تاتيهم البينة لفظه مضارع ومعناه الماضي اي
البينة الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقران فبين لهم ضلالتهم وشركهم
فيما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان فامنوا وانقذهم الله به من الجهل والضلالة ولم
يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والاية في من امن من الفريقين قال الواحدي
في بسيطه وهذه الاية اصعب ما في القران نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء
قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وانا اقول ووجه الاشكال ان تقد
ير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم كلمة ان
حتى لانتهاء الغاية فهذه الاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم
قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذه تقتضي ان كفرهم قد ازداد
عند مجيء الرسول فحينئذ يحصل بين الاية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الا
شكال فيما اظن قال والجواب عنه من وجوه الاول واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف
وهو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبادة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه
وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي المكتوب الموعود الذي
هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا
يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق والاتفاق الحق
على الحق

عونك يا كريم

169

على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق الا قرارهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره
في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك عما انا عليه فيه حتى يرزقني الله الغنى
فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست
راسك في الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وهنا
وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد هو ان قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم
حتى تاتيهم البينة مذكور لحكاية حالهم وهو قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اخبارا عن الواقع
والمعنى ان الذي وقع على خلاف ما ادعوا وثانيها ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين
عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا ان تفسير لفظة حتى بهذا
ليس من اللغة في شيء وذكر وجوها اخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى رسول من
الله اي تلك البينة رسول من الله يتلو اي يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم صحفا اي كتبا يريد ما تضمنه
المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرا عن ظهر قلبه لا عن كتاب مطهرة
اي من الباطل والكذب والزور والمعنى انها مطهرة عن القبيح وقيل مطهرة مكرمة معظمة
وقيل مطهرة اي لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون فيها اي في الصحف كتب اي الايات المكتوبة بمعنى
الحكم قيمة اي عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قايمة مستقلة بالحجة من قولهم
قام بالامر اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يومن من اهل الكتاب فقال تعالى وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب يعني في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءتهم البينة يعني جاءهم البيان في كتبهم
انه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى
بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فيه فامن به بعضهم وكفر به اخرون ثم ذكر ما امروا به
في كتبهم فقال تعالى وما امروا يعني هولاء الكفار الا ليعبدوا الله قال ابن عباس ما امروا في التوراة وا
لانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له مخلصين له الدين الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجر
يدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه
والمخلص هو الذي ياتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة فقد
دلت الاية على ان كل مامور به فلابد ان يكون منويا فلابد من اعتبار النية في جميع المامورات قال
اصحاب الشافعي الوضوء مامور به ودلت هذه الاية على ان كل مامور به يجب ان يكون منويا فيجب
النية وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان ياتي بالفعل لوجه الله مخلصا له لا يريد بذلك رياء ولا سمعة
ولا غرضا اخر حتى قال الواسطي لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان لا بد
له من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافه لربه عز وجل بالربوبية وقيل معنى
مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضى الله م عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم و
لكن ينظر الى قلوبكم حنفاء اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متعبدين بملة

كانت النية معتبرة

عونه باعوم

ابراهيم عليه السلام وقيل حنفاء اي حجاجا وانما قدمه على الصلوة والزكوة لان فيه صلاتا وانفاق مال وقيل
حنفاء اي مختونين محرمين كالحاج المحرم وقيل الحنيف من امن بجميع الانبياء والرسل ولم يفرق
بين احد منهم فمن لم يومن بافضل الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف ويقيموا
الصلوة اي المكتوبة في اوقاتها ويوتوا الزكوة اي المفروضة عند محلها وذلك اي الذي امروا به دين
القيمة اي الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما اضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين
وانث القيمة رد الى الملة وقيل الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التي جرى ذكرها
اي ذلك دين اصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقايم واحد والمعنى وذلك دين القائمين
لله بالتوحيد واستدل بهذه الاية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد
اولا واتبعه بالعمل ثانيا قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله
تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر
مال الفريقين فقال تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتب والمشركين فان قلت لم قدم
اهل الكتب على المشركين قلت لان جنايتهم اعظم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عن
لانهم كانوا يستفتحون به قبل مبعثه ويقرون بنبوته فلما بعث انكروه وحسدوه وكذبوه مع
العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين اعظم وان
جناية من اهل الكتب لان المشركين الصانع انكروا والنبوة والقيمة واهل الكتب اعترفوا
بذلك غير انهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى بين
الفريقين في العذاب قلت لما اراد اهل الكتب الرفعة في الدنيا بانكارهم الحق نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم اذلهم الله في الدنيا وادخلهم اسفل سافلين في الاخرة ولا يمتنع من دخولهم
النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم في العذاب في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية
اي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل قال
بل تبقون خالدين فيها فكانهم قالوا فلم ذلك قال لانكم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصلحت اولئك
هم خير البرية يعني انهم بسبب اعمالهم الصالحات واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم جزاؤهم
عند ربهم جنت عدن تجري من تحتها الانهر خلدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه قيل الرضى
ينقسم الى قسمين رضى به ورضى عنه فالرضا به ان يكون ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضي ويقدر
وقال السدي اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسئله الرضى عنك وقيل رضي الله اعمالهم ورضوا عنه كنت
بما اعطاهم من الخير والكرامة ذلك اي هذا الجزاء والرضى عنهم لمن خشي ربه اي لمن خاف ربه في الدنيا و
تناهى عن المعاصي ق عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ان الله
عز وجل امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية للبخاري ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقريك القران قال الله سماني لك قال نعم
قال وقد ذكرت عند رب العلمين قال نعم فذرفت عيناه شرح الحديث ان بكاء ابي وانه بكا الا سرورا
واستصغارا

واستصغار النفس عن تأهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها
من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة اهـ وقيل انما بكى خوفا من تقصير
في شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لا
صول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار واما الحكمة في امر النبي صلى
الله عليه وسلم بالقراءة على ابي فهي ان يتعلم ابي القراءة من الفاظه صلى الله عليه وسلم و
صنعته اسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره
وكانت قراءته على ابي ليتعلم منه ابي لا ليتعلم هو من ابي وقيل انما قرا على ابي ليعلم غيره التوا
ضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب المرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دو
نه وفيه تنبيه على فضيلة ابي والحث على الاخذ عنه وتقدمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي
صلى الله عليه وسلم راسا واماما في القراءة وغيرها وكان احد علماء الصحابة رضي الله عنهم
اجمعين والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الزلزلة مكية
وقيل مدنية وهي ثمان آيات وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون حرفا
عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف ا
لقرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وله عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا
زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرا قل هو
الله احد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا زلزلت الارض
زلزالها اي تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تزلزلت في شد
ة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهر
ها من جبل وشجر وبناء وفي وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها في الدنيا
وهي من اشراط الساعة والثاني انها زلزلة يوم القيامة واخرجت الارض اثقالها فمن قال
ان الزلزلة تكون في الدنيا اثقالها كنوزها وما في بطنها من الدفائن والاموات فتلقيها على
ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلقي الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل
فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا
قطعت يدي ثم يدعونه فلا ياخذون منه شيئا اخرجه مسلم الافلاذ جمع فلذة وهي القطعة
المقطوعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور
في الجوف وانما خص الكبد لانها اطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القيء
للاخراج ومن قال ان الزلزلة تكون يوم القيامة قال اثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها وقيل

اللهم صلى على سيدنا محمد وسلم

قيل ان الميت اذا كان في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوق ظهرها فهو ثقل عليها ومنه
سمي الانس والجن بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء وامواتا وقال الانسان ما لها اي ما لها
زلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الانسان قولان احدهما انه اسم جنس يعم
المومن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت لم يعلم
الكل انها من اشراط الساعة فيسال بعضهم بعضا عن ذلك والثاني انه اسم الكافر خاصة وهذا
قول من جعلها زلزلة القيامة لان المومن عالم بها فلا يسال عنها والكافر جاحد لها فاذا
وقعت سال عنها وقيل مجاز الاية يومئذ تحدث اخبارها فيقول الانسان ما لها والمعنى ان الارض
تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير او شر فتشكو العاصي وتشهد عليه وتشكر الطائع و
وتشهد له عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يو
مئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على
كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا وكذا فهذه اخبارها اخرجه التر
مذي وقال حديث حسن صحيح بان ربك اوحى لها اي امرها بالكلام واذن لها ان تخبر بما عمل عليها قال
بن عباس اوحى اليها وقيل ان الله تعالى يخلق في الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما امرها الله به وهذا مذ
هب اهل السنة قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اي عن موقف الحساب بعد العرض اشتاتا اي متفرقين
فتاخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وتاخذ بهم ذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم قال ابن عباس ليروا جزاء اعما
لهم وقيل معناه ليروا صحايف اعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة اي وزن نملة
صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابن عباس ليس من
مومن ولا كافر عمل خيرا او شرا في الدنيا الا اراه الله اياه يوم القيامة فاما المومن فيرى حسناته وسيئاته و
سيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيب حسناته واما الكافر فيرد عليه حسناته واما الكافر و
يعذب بسيئاته قال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه في
الدنيا في نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره من مومن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الد
نيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الاية في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه
كان احدهما ياتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا
ليس بشيء انما نوجر على ما نعطي ونحن نحبه وكان الاخر يتهاون بالذنب الصغير
مثل الكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكبائر وليس في هذا اثم فا
نزل الله هذه الاية يرغبهم في القليل من الخير فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من ا
لذنب فانه يوشك ان يكثر الاثم الصغير في عين صاحبه فانه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قا
ل ابن عباس مسعود احكم اية في القران فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكوة

الحمير

الجبير وقال ما انزل علي فيها شيء الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعايشة كل واحد منهما بحبة عنب
وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة
رضي الله عنهم قال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ اخرها قال
حسبي الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة
والعاديات مكية في قول ابن مسعود وغيره ومدنية في قول ابن عباس وهي عشر
ايات واربعون كلمة وماية وثلاثة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والعاديات ضبحا فيه قولان احدهما انها الابل في الحج قاله علي وابن مسعود وقال علي تعدوا من عرفة
الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وعنه انه قال اول غزاة في الاسلام بدر وما كان معنا الا
فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى
فجا ضبحا وهو مد عنقها في السير واصله من حركة النار في العود في النار فالموريات قدحا يعني
ان اخفاف الابل ترمي بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا اخر فيوري النار وقيل هي ايدي
ن تجمع فالمغيرات صبحا يعني الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا يد
فع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير فاثرن به نقعا اي هيجن
بما كان سيرها غبارا فوسطن به جمعا اي وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم
على ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب فيه وفيه
تعريض بمن لم يحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف
بذلك القول الثاني في تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هم الخيل العادية في سبيل الله
والضبح صوت اجوافها اذا عدت قال ابن عباس وليس شيء من الحيوانات يضبح سوى الفرس
الكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من تعب او فزع ومن قول العرب
ضبحته النار اذا تغيرت لونه فالموريات قدحا يعني انها توري النار بحوافرها اذا سارت في
الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغدو في سبيل
الله ثم تاوي بالليل فيوري اصحابها نارهم ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في
الحرب والعرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغير
ات صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس في غفلة في ذلك الوقت
عن الاستعداد فاثرن به اي بالمكان نقعا اي غبارا فوسطن به جمعا اي دخلن به اي بذ
لك النقع وهو الغبار وقيل جرى بعني وهذا وسط العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه
الاية اولى بالصحة واشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ابداء النار بحوافرها واثا
رة الغبار ايضا وانما اقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والا
جر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله عز وجل لما تعلى الله

عوبك باكميم

الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى ان الانسان لربه لكنود وهذا جواب القسم قال ابن
عباس الكنود الكفور الجحود لنعم الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصائب و
ينسى النعم وقيل هو البخيل لغير ماخوذ من الارض الكنود وهي التي لا تنبت شيئا وقال الفضيل بن عيا
ض الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور و
هو الذي انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة وانه على ذلك لشهيد
قال اكثر المفسرين ان الله على كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شا الى
هد على نفسه بما صنع وانه يعني الانسان لحب الخير اي المال لشديد اي بخيل والمعنى انه من اجل ربع
حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوي شديد افلا يعلم يعني هذا الانسان اذا
بعثر اي اثير واخرج ما في القبور يعني من الموتى وحصل ما في الصدور اي ميز وابرز ما فيها من خير او شر ان
ربهم بهم انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس يومئذ لخبير اي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم
وفي غيره ولكن والمعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب بالذكر في
قوله وحصل ما في الصدور لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادة في القلوب
لما حصلت اعمال الجوارح والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة القارعة
مكية وهي ثمان آيات وستة وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل القارعة اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اي شدائده و — و
القارعة من اسماء يوم القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع الشديد وقيل سميت يعني بنعم وشرح
قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته ما القارعة فهو
بل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع لا يبلغها فهم احد وكيف ما قدرت امرها فهي اعظم من ذلك
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سميت بذلك لفرشها
وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لانها اذا ثارت لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب
الى غير جهة الاخرى وفي هذا التشبيه على ان الخلق في البعث يفزعون فيذهب كل واحد الى
جهة غير الاخرى والمبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كانهم جراد منتشر وانما
شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا كذلك الناس عند البعث
يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول وتكون الجبال كالعهن المنفوذ
المنفوش اي كالصوف المنفوش ذكروا انما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على ان ~~الماكتا~~
تاثير تلك القارعة تاثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالصوف المنفو
ش فكيف حال الانسان الضعيف عند صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين سماع
فقال تعالى فاما من ثقلت موازينه يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي
له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعما
ل فيؤتى بحسنات المؤمن في احسن صورة فيوضع في كفة الميزان فاذا رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات

الكافر

الكافر في اقبح صورة فيخف ميزانه فيدخل النار وقيل انها توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت حسنا
ته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج
منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه فيدخل الجنة بفضل رحمته واما الكافر فقد قال في حقهم فلا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال وانما ثقلت موازين من ثقلت
موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق
ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في
الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله تعالى فهو في عيشة
راضية اي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضى يرضاها صاحبها واما من خفت موازينه اي رجحت
سيئاته على حسناته فامه هاوية اي فمسكنه النار وسمي المسكن اما لان الاصل في السكون الى
الامهات وقيل ام راسه هاوية في النار والهاوية اسم من اسماء النار وهي المهواة التي لا ي
درك قعرها فيهوون فيها على رؤوسهم وقيل كان الرجل في امر شديد يقول هوت امه اي هلك حتى قا
وثقلا وما ادريك ماهيه يعني الهاوية ثم فسرها فقال نار حامية اي حارة قد انتهى حرها نعوذ
بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة ا
لهيكم مكية وهي ثمان ايات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا بسم الله الر
حمن الرحيم قوله عز وجل الهيكم التكاثر اي اشغلكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة
المال والعدد والمنافسة عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشيء اعرض
عن غيره فينبغي للمومن العاقل ان يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم وهو الاشتغال بربه
عز وجل لا التفاخر والتكاثر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء فتفاخر باحسن المراتب والا
شتغال بما ينتفع به في الانس من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة الابد
بل على ان التكاثر والمفاخرة بالمال مذمومة وروي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير
عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية الهيكم التكا
ثر قال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت
او لبست فابليت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله
وعمله فيرجع ماله واهله ويبقى عمله حتى زرتم المقابر اي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات
قد زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الاية الهيكم التكاثر حرصكم على تكثير اموالكم عن
طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك قيل نزلت هذه الاية في اليهود قالوا نحن ا
كثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا ثم رد الله عليهم
فقال كلا اي ليس الامر كما توهمها ولا بالتكاثر والتفاخر وقيل معناه حقا سوف تعلمون
وعيد لهم ثم كلا سوف تعلمون كرره تاكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم

وهل لك

ب التكا

عونكما شيم

اذا نزل بهم الموت فهو وعيد بعد وعيد كلا لو تعلمون علم اليقين اي علما يقينا وجواب لو محذوف
والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا
نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت لترون الجحيم اللام يدل على
انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما وعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم
لترون الجحيم بابصاركم بعد الموت على بعد ثم لترونها يعني مشاهدة عين اليقين وقيل انما
كرر الرؤية لتاكيد الوعيد ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني كفار مكة في الدنيا في الخير والنعمة
فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم
يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما الهاهم التكاثر والتفاخر بلذاتها عن طا بالدنيا
عة الله والاشتغال عن شكره فيسئلهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمومن
وهو الاولى لكن سؤال الكافر سؤال توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما انعم الله به عليه والمومن
يسئل سؤال تشريف لانه شكر ما انعم به عليه واطاع ربه فيكون السؤال في حقه تذكير النعم الله تشريف
عليه يدل على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسو
ل الله اي نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسئل العبد عنه فروي عن ابن مسعود رفعه قال لتسئلن يو
مئذ عن النعيم قال الامن والصحة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه اول ما يسئل عنه
العبد يوم القيمة من النعيم فيقال له الم نصح لك جسدك ونروك من الماء البارد اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او
ليلة فاذا بابي بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا
الجوع يا رسول الله قال انا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما قوموا فقاموا معه فاتى رجلا من الا
نصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وصاحبيه ثم قال الحمد
لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ
المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن
ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي
بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم جوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا
النعيم واخرجه الترمذي باطول من هذا وقيل ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروي عن ابن عبا
س قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسئل الله العبد يوم القيامة فيما استعملوها وهو
اعلم بذلك منهم وقيل يسئل عن الصحة والفراغ والمال خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذي يسئل العبد
عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لا بد لكل احد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن

وقيل عن يسئل

يسئل

وتيسير عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسئل
عما انعم به عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي انقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وا
متن به عليكم والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة والعصر مكية قاله ابن عباس
والجمهور وقيل هي مدنية وهي ثلاث آيات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون
وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والعصر قال ابن عباس هو الدهر وذلك ا
نهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الله تعالى هو المو
ثر فيه بما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل اراد
بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران وقيل اراد بالعصر آخر طرفي النهار وقيل اراد صلوة ا
لعصر اقسم بها لشرفها ولانها صلاة الوسطى في قول وجواب القسم قوله تعالى ان الانسان لفي خسر
اي لفي خسران ونقص فقيل اراد بالانسان جنس الانسان بدليل قوله كثر الدرهم في ايدي الناس اي الدراهم
وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر
الانسان فان تكون تلك الساعة في طاعة او في معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين
الظاهر وان كانت في طاعة فلعل غيرها افضل منها وهو قادر على الاتيان بها فكان الكافر فعل غير
الافضل تضييع وخسران فبان بذلك انه لا ينفك احد من خسران وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه
استثنى المومن فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان
كل ما كان من عمل الانسان في طاعة الله فهو في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد
وهلاك وتواصوا اي اوصى بعض المومنين بعضا بالحق يعني بالقرآن والعمل بما فيه وقيل الايمان
التوحيد وتواصوا بالصبر على اداء الفرائض واقامة امر الله وحدوده وقيل اراد ان الانسان اذا
عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانه تكتب اجورهم ومحا
سن اعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا فلهم اجر غير ممنون والله
اعلم بمراده تفسير سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات وثلاثون كلمة
ومائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ويل اي قبح وقيل اسم واد
في جهنم لكل همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون
للبراء العيب وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس ويغضهم قال الشاعر:
اذا لقيتك عن كره تكاشرني :. وان تغيبت كنت الهامز اللمزة :. وقيل يختلف معناهما فقيل ا
لهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي ياكل
لحوم الناس ويغتابهم واللمزة الطعان عليهم وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم
واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي يلمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل الهمز الذي يو يهمز
ذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يومض بعينه ويشير براسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة الطعان
جليسه

عونك يا كريم

على الناس واللمزة الطعان في انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى الاصل الواحد وهو الطعن و
اظهار العيب واصل الهمز الكسر والقبض على الشيء بالعنف والمراد منه هنا الكسر من اعراض
الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس في اقوالهم وافعالهم واصواتهم
ليضحكوا منهم وهما نعتان للفاعل نحو سخرة وضحكة كالذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن
نزلت هذه الاية فقيل نزلت في الاخنس بن شريق بن وهب كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحاق
ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب
النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي
وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم
اللفظ والحكم ومن قال انها في اناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا
معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى ان يحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى
الذي جمع مالا وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو به
عجبا بما جمع من المال يستصغر الناس ويستحقر منهم وعدده اي احصاه من العدد وقيل هو من ا
لعدة اي استعده وجعله ذخيرة وعتاده يحسب ان ماله اخلده اي يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت مع يساره وغناه
كلا ردا عليه اي لا يخلده ماله بل يخلده ذكره العلم والعمل الصالح ومنه قول علي مات خزان المال و
هم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر وقيل معناه حقا لينبذن اللام في لينبذن جواب القسم ويدل ذلك على
حصول القسم ومعنى لينبذن ليطرحن في الحطمة اي في النار وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل
هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا ايها الهمزة
اللمزة الذي ياكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة التي تاكل اللحوم وتكسر العظام
وما ادراك ما الحطمة اي نار لا كسائر النيران نار الله انما اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لامر
ها الموقدة اي لا تخمد ابدا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد
على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى
اسودت فهي سوداء مظلمة اخرجه الترمذي وقال ويروى عن ابي هريرة موقوفا وهو الاصح التي تطلع على
الافئدة اي يبلغ المها ووجعها القلوب والمعنى انها تاكل كل شيء حتى تنتهي الى الفؤاد وانما خص
الفؤاد بالذكر لانه الطف كل شيء في بدن الانسي وانه يتالم بادنى شيء فكيف اذا اطلعت عليه
واستولت عليه ثم انه مع لطافته اذا احترق مات صاحبه وليس في النار موت انها عليهم موصدة اي
مطبقة مغلقة في عمد ممددة قال ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي اعناقهم السلا
سل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار وقيل هي اوتاد الاطباق
التي تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة نعوذ بالله من
النار وحرها والله اعلم تفسير سورة الفيل مكية وهي خمس ايات وعشرون كلمة و
ستة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل

وكافر

التشفع

مجمل

عوند باكريم

174

وكانت قصة اصحاب الفيل على ما ذكر محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة
عن ابن عباس وذكر الواقدي ان النجاشي ملك الحبشة كان بعث ارياط الى اليمن فغلب عليها فقام ر
جل من الحبشة يقال له ابرهة ابرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط ارياط في امر الحبشة حتى انصدعوا صد
عين فكانت طايفة مع ارياط وطايفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارياط واجتمعت الحبشة لابرهة
وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة راى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة ليحج
بيت الله عز وجل فبنا كنيسة بصنعا وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعا بيتا كنيسة لم تبن
لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج
اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ بذلك ابرهة فقال من اجتري علي فقيل
صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت فسمع بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسير الى
الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وساله ان يبعث اليه بفيله وكان فيلا يقال له له
محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سايرا الى مكة
وخرج معه بالفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه وراوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك
اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه ابرهة واخذ ذو نفر فقال يا ايها الملك ا
لا تقتلني فان بقايي خير لك من قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى
اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبايل اليمن فقاتلوه
فهزمهم واخذ نفيلا فقال له نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع
والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطايف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف
فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه
فبعثوا معه ابا رغال من يدلهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره و
بعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمة خيله وامره بالغارة على
نعم الناس فجمع اليه الاسود اموال اهل الحرم واصاب لعبد المطلب مايتي بعير ثم ان ابرهة بعث
حناطة الحميري الى اهل مكة فقال له سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك به اليه اخبره اني لم اات
لقتال انما جيت لاهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال ولا لنا به
يد انا سنخلي بينه وبين ما جا له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه السلام فان
يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخلي ولي بينه وبينك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك
قال فزعم بعض العلما انه ركبه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم على العسكر
وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال
وما غناء رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة او عشيا ولكن سابعث الى انيس سايس الفيل
فانه لي صديق فاساله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك
عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في
السهل والوحوش في رووس الجبال وقد اصاب الملك له مايتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده

فانكشفوا حتى دخلوا مكة فلقي
عبد المطلب ... هاشم فقال ان
الفتك والسلطنة ... كبيرا ان
لم يأذن لقتال الا ان تقاتلوا ...
بهدم هذا البيت ثم الحصار ...

عونه بادي

فاتبعه فانه صديق لي احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا
سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال يستأذن
عليك وانا احب ان تأذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب
رجلا جسيما وسيما فلما راه ابرهة عظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته
فهبط الى البساط وجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك عند الملك
فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتي عند الملك ان يرد الي مائتي بعير اصابها لي فقال ابرهة
لترجمانه قل له قد كنت اعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت الان فيك فقال لم فقال جئت لبيت هو دينك و
دين ابائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير اصبتها لك فقال عبد
المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمتنع مني قال فانت وذلك فامر
بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج واخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب
ويتحرزوا في رؤوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة واخذ حلقة
الباب وجعل يقول شعرا ۝ يا رب لا ارجو لهم سواكا ۝ يا رب فامنع منهم حماكا ۝ ان عدو البيت من عاداكا
۝ امنعهم ان يخربوا قراكا ۝ وقال ايضا لاهم ان العبد يمنع رحله ۝ وحلاله فامنع حلالك ۝ لا يغلبن
صليبهم ۝ ومحالهم عدوا محالك ۝ جروا جموع بلادهم ۝ والفيل كي يسبوا عيالك ۝
عمدوا حماك بكيدهم ۝ جهلا وما رقبوا جلالك ۝ ان كنت تاركهم ۝ وكعبتنا فامر ما بدا لك ثم ترك عبد
المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وعبى
جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة وقال كانت معه اثنا عشر فيلا فا
قبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال له ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك ببلد الله الحرام
فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول في راسه فابى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه
ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى قدامه ففعل مثل ذلك ووجهوه الى
المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد وارسل
الجبل وارسل الله تعالى طيرا امثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة احجار حجران في رجليه
وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشي القوم ارسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا
اهلكته وليس كل القوم اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذي جاؤوا منه ويتساءلون عن
نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وفي ذلك يقول نفيل
شعر ۝ الا ردي تركابينا ردينا ۝ نعمناكم عن الهجران عينا : فانك ان رأيت ولن تراه : لدى جنب المحصب
جنب المحصب ما رأينا : حمدت الله اذ ابصرت طيرا : وخفت حجارة تلقى علينا وكل يسأل عن نفيل
كان علي للحبشان دينا : وصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على
كل منهل وبعث الله على ابرهة داء في جسده فجعل يتساقط انامل[illegible] كلما سقطت انملة اتبعتها مدة من
قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره
عن قلبه ثم هلك قال الواقدي واما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل

الاخر

عونك يا كريم 178

شجعوا

والاخرين فشغلهم واستحيوا اي رموا بالحصباء وقال بعضهم انفلت ابو يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير
فلحقه فوق راسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما انهاها وقع عليه حجر من ذلك
الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي وفي ذلك يقول امية بن ابي الصلت ان ابن ربنا بينة ثابيات
فبيوا الاكفور حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبوا كانه معقور وروي عن عايشة رضي الله
عنها قالت رايت قايد الفيل وسايسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان
ان السبب الذي جر اصحاب الفيل ان فتية من قريش خرجوا تجارا الى ارض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى
تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا نارا واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل
نارا فانطلق الصريخ الى النجاشي فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وقال فيه انه كان بمكة يومئذ ابو مسعود الثقفي وكان

نشات من شاطي البحر ارمقها ببصري ابي قوادها قال اراها قد جازت على ووسنا قال هل
تعرفها قال والله ما اعرفها ما هي بنجدية ولا بتهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال اشباه
اليعاسيب في مناقرها حصا كانها حصا الخذف قد اقبلت كالليل يكسع بعضه بعضا امام كل رفقة
طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق
رؤوسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت الطير ما في مناقرها على من تحتها مكتوب على كل حجر
اسم صاحبه ثم انها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا
حتى صعدا ربوة فلم يونسا احدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم ساهدين فاصبحوا نياما
فلما دنيا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم
فيخرقها حتى تقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب
فاخذ فاسا من فؤوسهم فحفر حتى اعمقه في الارض فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه
مثله فملاه ثم قال لابي مسعود هات فاختر ان شيت حفرتي وان شيت حفرتك وان شيت فهما
لك معا فقال ابو مسعود فاختر على نفسك فقال عبد المطلب اني لم ارد ان اجعل اجود المتاع في
حفرتي فهو لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب بذلك قريشا واعطاهم
الغداة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود في اهلهما في غناء من ذلك المال ودفع الله عز وجل
عن كعبته واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم باربعين سنة وقيل ثلاث وعشرين سنة والاصح الذي عليه الاكثرون من علماء السير و
التواريخ والتفسير انه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقو
لون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه واما التفسير فقوله عز وجل الم تر
اي الم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده
لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فانه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده
يقينا فلهذا قال تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا
ثمانية وقيل اثنا عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي يقال له محمود وفي قصة
اصحاب الفيل دلالة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته وعلى شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة
اذ يستحيل في العقل ان طيرا ياتي من قبل البحر تحمل حجارة
تقتل بها ناسا مخصوصين فيها دلالة على ...

الاعظم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد

كما هو له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لينصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعي الى
توحيده واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصر قريش فانهم كانوا كفارا اصحاب اوثان لهم والحبشة
لهم كتاب ولا يخفى على عاقل ان المراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم وكانه تعالى قال انا الذي فعلت
ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لمقدمك واذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف اتركك بعد
ظهورك وقوله تعالى الم يجعل كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة في تضليل اي تضييع
وخسار وابطال لما ارادوا واضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم
بخروجه كنيستهم واحترقت واهلكوا وهو قوله تعالى وارسلنا عليهم طيرا ابابيل يعني طيرا
كثيرا متفرقة يتبع بعضهم بعضا وقيل ابابيل اقاطيع كالابل المؤبلة وقيل الابابيل جماعات في تفرق
فات لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت
طير لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب قوله عز وجل ترميهم بحجارة قال
ابن مسعود الطيور رمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع
حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الاخر وان وقع على راسه خرج من دبره من سجيل والمعنى ترميهم
مبعثهم بحجارة من جملة العذاب المدون ما كتب الله في ذلك الكتب وقيل معناه من طين مطبوخ
كما يطبخ الاجور وقيل سجيل حجر وطين مختلط واصله سنك وكل فارسي معرب وقيل السجيل
الشديد فجعلهم كعصف ماكول يعني كزرع وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاؤه
شبه تفطع اوصالهم وتفرقها بتفرق اجزاء الروث والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار
كتابه تفسير سورة قريش مكية وقيل مدنية والاول اصح واكثر وهي اربع
ايات وسبع عشر كلمة وثلاث وسبعون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل لايلاف قريش اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها
وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف
ماكول لايلاف قريش اي اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا
جعل ابي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله
الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل
وانه لا تعلق بينهما واجيب عن مذهب ابي في جعل هذه السورة والتي قبلها سورة واحدة بان القران
القراءة كالسورة الواحدة وبعضه يعلق بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض
ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا
في العلة الجالبة للام في قوله لايلاف قريش فقيل هي لام التعجب اي عجبوا لايلاف قريش رحلة
الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته وقريش ولد النضر بن كنا
نة فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي وقال ابن ريحانة سال
معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر البحر من اعظم

النضر نضر

وقيل لها اولاد من السباع ... كما تعرف ... الاثار ... جاء في الخبر ... الطير ... وبعضها على صاحبي ... هذه الصفات كلها ... عن ابن عباس ... والله تعالى اعلم ... ترميهم صح

بفضل الله محمود الاعظم الارزقاني

صلى الله على سيدنا محمد

176

بغاله
الذي محمود وقيل انما وجه كونها الاية وفي قصة اصحاب دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه ووحدانيته
اذ يستحيل في العقل ان طيرا ابابيل من قبل البحر تحمل حجارة وترمي بها اناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة على
شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك ليبين من ارتضاه وهو محمد
صلى الله عليه وسلم الداعي الى توحيده واهلاك من سعى عليه وليس ذلك لنصر قريش فانهم كانوا عباد الانصاب
لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك النصر نصر محمد صلى الله عليه وسلم وكانه تعالى قال
انا الذي فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لمقدمك وانا الذي نصرتك قبل قدومك فكيف اتركك
بعد ظهورك وقوله تعالى الم يجعل كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة في تضليل اي تضييع وخسا
ر وابطال ما ارادوا واضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم
واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى وارسلنا عليهم طيرا ابابيل يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا
وقيل ابابيل اقاطيع كالابل المؤبلة وقيل ابابيل جماعات في تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها
ابالة وقيل ابيل وابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كالطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها
رؤوس كرؤوس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من
قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا يصيب شيئا الا هشمه ووجه ا
لجمع بين هذه الاقاويل في اختلاف اجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس
وبعضها على ما حكاه غيره واخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله تعالى اعلم وقوله تعالى ترميهم بحجارة قال ابن مسعود
صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله تعالى ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من
الجانب الاخر وان وقع على راسه خرج من دبره من سجيل قيل السجيل اسم علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار
واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون مما كتب الله في ذلك الكتاب
وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الاجر وقيل سجيل حجر وطين مختلطة واصله من سنك وكل فارسي معرب و
قيل السجيل الشديد فجعلهم كعصف ماكول يعني كزرع وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع
اوصالهم وتفرق اجزائهم بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا اكل وصار اجوف وقال ابن عبا
س هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى اعلم بمراده

تفسير سورة قريش مكية وقيل
مدنية والاول اصح وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
لايلاف قريش اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة بعظيم نعمته فيما صنع
بالحبشة فقال فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش اي اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتاء والصيف
ولهذا جعل ابي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه
الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما
واجيب عن مذهب ابي في جعل هذه السورة والتي قبلها سورة واحدة بان القران كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا
ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول
اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله لايلاف قريش وقيل هي لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتر
كهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته وهو كقولك على وجه التعجب لزيد واكرامنا اياه اي اعجبوا لذلك وقيل هي
متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه

خراطيم

هذا البيت ~~لنعمه~~ لهذه النعمة ولإيلاف من ألفت الشيء إلافا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لإيلاف قريش هاتين عونه يا عليم
الرحلتين فيتصلا ولا ينقطعا وقيل هو من ألفت كذا أي لزمته وألفنيه الله أي ألزمنيه الله وقريش هم ولد النضر
بن كنانة فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي م عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم وا
صطفاني من بني هاشم م عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر ق عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم عن
سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد هوان قريش أهانه الله أخرجه الترمذي وقال حديث غر
يب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش
والتقرش وهو الجمع والتكسب يقال تقرش لعياله ويقترش لهم أي يكتسب وذلك لأن قريشا كانوا قوما تجارا وعلى
جمع المال والإفضال حراصا وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في
البحر هي من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو
ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم وأنشد قول الجمحي ٭ وقريش هي التي تسكن البحر بها
سميت قريش قريشا ٭ سلطت بالعلو في لجة البحر ٭ على سائر البحور جيوشا ٭ تأكل الغث والسمين ولا ٭ تترك
فيه لذي الجناحين ريشا ٭ هكذا في الكتاب حي قريش ٭ يأكلون البلاد أكلا كميشا ٭ ولهم آخر الزمان نبي ٭ يكثر
القتل فيهم والخموشا ٭ يملأ الأرض خيلة ورجالا ٭ يحشرون المطي حشرا كميشا ٭ وقيل إن قريشا كانوا متفر
قين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وأنزلهم الحرم واتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقريش التجمع يقال تقر
ش القوم إذا اجتمعوا وسمي مجمعا لذلك قال الشاعر ٭ أبوكم قصي كان يدعى مجمعا ٭ به جمع الله القبائل من فهر ٭ وقو
له تعالى إيلافهم هو بدل من الأول تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه رحلة الشتاء والصيف قال ابن عباس كانوا
يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الأكثرون كانت
لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفى ورحلة في الصيف إلى الشام وكان الحرم واديا جدبا
لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وو تعيش
لاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الأمن بجوار البيت
لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام وأخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام إلى مكة
أهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن إلى أهل مكة وأهل البر حملوا على الإبل والحمير فألقى أهل الساحل بجدة وألقى
أهل البر بالمحصب وأخصب الشام فحملوا الطعام إلى مكة وألقوا بالأبطح فامتار أهل مكة من قريب وكفاهم الله
تعالى مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم
بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي كان أول من حمل السمراء يعني القمح من الشام ورحل إليها الإبل
هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر ٭ قل للذي طلب السماحة والندى ٭ هلا مررت بآل عبد مناف ٭ هلا مررت
بهم تريد قراهم ٭ منعوك من ضر ومن إكفاف ٭ الرائشين وليس يوجد رائش ٭ والقائلين هلم للأضياف ٭ والخالطين
غنيهم بفقيرهم ٭ حتى يكون فقيرهم كالكافي ٭ والقائمين بكل وعد صادق ٭ والراحلين برحلة الإيلاف ٭ عمرو العلا
هشم الثريد لقومه ٭ ورجال مكة مسنتون عجاف ٭ سفرين سنهما له ولقومه ٭ سفر الشتاء ورحلة الأصياف ٭ قوله

تعالى

عوند باعويم

147

تعالى فليعبدوا رب هذا البيت يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين احدهما دفع الضر وهو ما ذكر في سورة الفيل
والثاني جلب نفع وهو ما ذكر في هذه السورة ولما دفع الله تعالى عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان
امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو
الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ومعنى الذي اطعمهم من جوع اي بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر
وقيل هي في الاية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم وقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فاشتد عليهم القحط واصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع وامنهم
من خوف اي بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم يتعرض لهم احد في رحلتهم وقيل امنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم
الجذام وقيل امنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله اعلم

تفسير سورة الماعون مكية

وقيل نزل نصفها
بمكة في العاصي بن وائل والنصف الاخر الثاني بالمدينة في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وهي سبع ايات وخمس و
عشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين
قيل نزلت في العاصي بن وائل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس
انها في رجل من المنافقين ومعنى الاية هل رايت عرفت الذي يكذب بيوم الدين والحساب فان لم تعرفه فذلك الذي يدع
اليتيم ولفظ ارايت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارايت يا ايها الانسان او يا ايها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد
ظهور دلايله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم اي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع
بعنف وجفو والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة
وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدع بالتخفيف اي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة ولا يحض على طعام
المسكين اي لا يطعمه ولا يامر باطعامه لانه يكذب بيوم الجزاء وهذا غاية البخل لان البخيل يبخل بماله وبمال غيره ولا
يامر غيره بالاطعام قوله عز وجل فويل للمصلين يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون
روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال
اضاعة الوقت قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا معهم
لقوله تعالى الذين هم يراءون وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس وقيل ساهون
عنها لا يبالي اصلاها ام لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها
ويتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها
ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال الله تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمؤمن
قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن
اذا سهى في صلاته تدارك في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر
الله في جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة واما المؤمن الذي يعتقد فائدة
صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو
في الصلاة بمعنى انه يصير ساهيا في بعض اجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان وهذا قل
ان يخلو منه ثم ذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من افعال المنافق والسهو

بين السهوين

في

في الصلاة من افعال المومن الذين هم يراءون يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق عونك يا كريم
والمرائي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه
انه من اهل الدين والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتدى به ويامن على نفسه من الريا فلا باس بذلك وليس بمراء ثم و
صفهم بالبخل فقال تعالى ويمنعون الماعون روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر
والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلوة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكوة قال ابن
مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روي عنه قال كنا
نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الدلو والقدر اخرجه الترمذي وابو داود وقال مجاهد الما
عون العارية وقال عكرمة الماعون اعلاه الزكوة المفروضة وادناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظي الماعو
ن المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل اصل الماعون من القلة فسميت الزكوة والصدقة والمعروف ماعو خ
نا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الما والملح والنار ويلتحق بذلك البير والتنور في البيت فلا يمنع جير ما لا يحل منعه
انه من الانتفاع بهما ومعنى الاية الزجر عن البخل بهذه الاشيا القليلة الحقيرة فان البخل بها من نهاية غاية البخل
قال العلما ويستحب ان يكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تفسير سورة
الكوثر مكية قال ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث ايات
وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا اعطيناك الكوثر الكوثر نهر
في الجنة اعطاه الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القران العظيم وقيل هو النبوة والكتاب
والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه امته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس خ عن ابي بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله تعالى اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون
انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة
والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد او كثير في القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضل
بها على جميع الخلق فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم اعطي النبوة وا
لكتاب والحكمة والعلم والشجاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على
الاديان كلها والنصر على الاعدا وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة واولى الاقاويل في الكوثر والذي عليه
جمهور العلما انه نهر في الجنة كما جاء مبينا في الحديث م عن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة
فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله
ورسوله اعلم قال فانه نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد
نجوم السما فيختلج العبد منهم فاقول يا رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدثوا بعدك لفظ مسلم والبخاري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السما اتيت على نهر حافتاه قباب اللولو المجوف فقلت ما هذا يا
جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه او طينته مسك اذفر شك الراوي عن انس قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر اعطانيه الله عز وجل يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
فيه طير اعناقها كاعناق الجزور قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها اخرجه الترمذي

وقال حجز

178

وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من
ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح خ عن عاصم بن عبد الله بن مسعود قال سألت عائشة رضي الله عنها عن
قوله انا اعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه مجوف انيته
كعدد نجوم السماء. و عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة
شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كعدد نجوم السماء من شرب منه لا يظمأ
ابدا زاد في رواية وزواياه سواء. و عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امامكم
حوض ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة ايام
وفي رواية فيه اباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا. و عن انس ان رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتي وفي رواية ما بين حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفي رواية مثل
ما بين المدينة وعمان وفي رواية قال ان قدر حوضي كما بين ايلة وصنعاء اليمن وان فيه من الاباريق كعدد
نجوم السماء. م عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم
السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ. آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان
من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل م عن ثوبان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني بعقر حوضي اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاي حتى يرفض عليهم
فسئل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسئل عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من ورق و عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا
دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك و عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رأيتهم ورفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن رب اصحابي فيقالن انك
لا تدري ما احدثوا بعدك وفي رواية ليردن علي ناس من امتي الحديث وفي آخره فاقول سحقا لمن بدل بعدي
و عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من
اصحابي او قال من امتي فيحلؤون عن الحوض فاقول يا رب اصحابي فيقال انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا
على ادبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه قال ترد امتي على الحوض وانا اذود الناس عنه كما
يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون علي
غرا محجلين من اثر الوضوء. وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فاقول يا رب هؤلاء من اصحابي فيجيبني ملك
فيقول وهل تدري ما احدثوا بعدك و عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاذودن رجالا عن
حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض م عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي
لابعد من ايلة الى عدن والذي نفسي بيده لاذودن عنه الرجال كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا
يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء. ليست لاحد غيركم عن زيد بن ارقم قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم الا جزء من مائة الف جزء ممن يرد علي
الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبع مائة او ثمان مائة اخرجه ابو داود فصل في شرح هذه الاحاديث

وذكر ما يتعلق بالحوض قال الشيخ محيي الدين النواوي قال القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان بها فرض وا
لتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لا يتاول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه
خلايق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وابي سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله بن عمرو وابي
سعيد وعايشة وام سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وابي ذر وثوبان وا
نس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية ابي بكر الصديق وزيد بن ارقم وابي امامة وعبد الله بن زيد
وسويد بن غفلة وعبد الله الصنابحي والبراء بن عازب واسماء بنت ابي بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم
قال الشيخ محيي الدين النواوي ورواه البخاري ومسلم ايضا من رواية ابي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطا
ب وعايذ بن عمرو واخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور باسا
نيده وطرقه المتكاثرات قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة
عن ما سبق ذكره في الحديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما واخرجا ايضا حديث الحوض عن
اسماء بنت ابي بكر الصديق وذكرها القاضي عياض فيمن خرجه في غير الصحيحين قال القاضي عياض وفي بعض هذا
ما يقتضي كون الحديث متواترا واما صفة الحوض ومقداره فقد قال في رواية حوضي مسيرة
شهر وفي رواية ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعاء اليمن وفي رواية عرضه
مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفي رواية ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف في هذه الر
وايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يات في حديث واحد بل في احاديث مختلفة الرواة عن جما
عة من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربها النبي صلى الله عليه
وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذ
كورة لا على التقدير الممنوع للتحديد بل للاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر
القليل من هذه المسافات منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحة الرواية به والقليل داخل
فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول في انية الحوض ان العدد المذكور في الاحاديث على [illegible]
ظاهره وانها اكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة
بذلك وذلك القول في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما انتم الا جزء من
وانما ضربه مثلا لاكثر العدد العدد المعين وقرب للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد
شرب وهذا صريح فان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يزادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبد
يلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعد
ك وفي رواية وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك
لا تدري ما احدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء
في معناه والمراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم
اذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي عليهم فيناديهم فيقال ليس هؤلاء ممن وعدت
بهم انهم قد بدلوا بعدك اي لم يموتوا على ما ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من اسلم في زمان النبي صلى
الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمان ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهم الذين قاتلهم على الردة وتبعهم
اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من ايمانهم في حياته فيقال له قد
ارتدوا

من طاف البحر . من يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور صح

قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم اصحاب البدع الذين لم يبدع عنهم يخرجوا عن الاسلام واصحاب المعاصي
الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكبائر وعلى هذا القول لا يقطع لهولاء
المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال
ابو عمر بن عبد البر كل من احدث في الدين كالخوارج والروافض وسائر اصحاب الاهواء فهو من المطرودين عن
الحوض قال وكذا الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر فكل هولاء يخاف ان يكونوا ممن
عني بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظما ابدا قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه
يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب
فيها بالظما بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل
ان جميع المومنين ياخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل انما ياخذ بيمينه
الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله شرح غريب الفاظ الاحاديث قوله فيختلج العبد منهم اي
ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح واما جربا فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم الف
مقصورة ووقع عند رواية البخاري رحمه الله تعالى فيها المد والقصر اولى وهي قرية من الشام واما اذرح
فبالهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهي مدينة في طرف الشام قريبة من الشوبك واما عمان فبفتح العين و
تشديد الميم بليدة بالبلقاء ارض الشام واما ايلة فبفتح الهمزة واسكان الياء المثناة تحت وفتح اللام
مدينة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر وبينها وبين المدينة نحو خمسة وبينها
عشر مرحلة وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنا عشر مرحلة وهي اخر الحجاز واول الشام واما
صنعاء فهي قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيده باليمن في الحديث لان بدمشق موضع يعرف بصنعاء دمشق
وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب منه ميزابان بفتح الياء ا
لمثناة تحت وبالشين المعجمة اي يسيل منه وفي الحديث الاخر يغت منه بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها
وتشديد المثناة الفوقية اي يدفق منه ميزابان دفقا شديدا متتابعا قوله اني لبعقر بضم العين المهملة
المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو موخر الحوض قوله اذودا
لناس اي اطرد الناس لاهل اليمن بعصاي حتى يرفض عليهم معناه اطرد الناس عنه غير اهل اليمن ومعنى يرفض يسيل
عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله انا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذي
يتقدم على الوارد ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من امور الاستقاء والمعنى انه سابقكم الى الحوض كالمهيئ له
وفي قوله سحقا اي بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذ لا يقال للمومن سحقا بل يشفع له قلت في حديث انس الا
وان الدليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا
اذ اغفى اغفاءة يعني نام نومة ثم رفع راسه متبسما والله اعلم قوله تعالى فصل لربك وانحر معناه ان ناسا
كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فامر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي له وينحر له
متقربا اليه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة
بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر ضع يدك اليمنى على الشمال في الصلاة عند النحر
وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزي ومعنى الاية قد اعطيناك ما لا نهاية لكثرته من
خير الدارين وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك فاعبد ربك الذي اعطاك هذا العطا الجزيل والخير الكثير

وعزتك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك بوفقهم بحالها واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه ان شانئك يعني عدوك ومبغضك هو الابتر يعني هو الاذل الاقل المنقطع دابره نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد وهو يخرج فالتقيا عند باب المسجد بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الابتر الذي يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وائل السهمي كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه ابتر رجل لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المبتر من قومه فقال انتم خير منه فانزل الله ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الاية ونزل في الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر اي المنقطع من كل خير فقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المنفردة يدق اسفلها ويسمى الصنبور وقيل هي النخلة التي تخرج من اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من جذع النخلة تضر بها ودواها ان تقطع تلك الصنابر منها فاراد كبار قريش بمكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة صنبور نبت من جذع نخلة فاذا قلع استوت النخلة وكذا محمد صلى الله عليه وسلم اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فاخذ بعهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم اشنع رد فقال ان شانئك هو يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت الاعز الاشرف الافضل والله تعالى اعلم

تفسير سورة قل يا ايها الكافرون مكية وهي ست ايات وستة وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القران ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القران ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له ثلث القران اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القران ان القران مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من اعمال القلوب فكانت هذه السورة ربع القران على هذا التقسيم والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل يا ايها الكافرون الى اخر هذه السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم واتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فقال حتى انظر ما ياتي من ربي فانزل الله عز وجل قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه اولئك الملأ

من قريش

عوضك باثوبهم

مخرج

كنا

من قريش فقام على رؤوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك فآذوه وآذوا أصحابه وقيل إنهم لقوا العباس فقالوا يا أبا الفضل لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بإلاهه فأتاه العباس فأخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل في أبي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى قل أي للنبي صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بتبليغ جميع ما أوحي إليه فلما قال الله تعالى قل يا أيها الكافرون أداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكأنه صلى الله عليه وسلم قال أمرت بتبليغ ما أنزل علي وكان فيما نزل عليه السلام قل يا أيها الكافرون وقيل إن النفوس تأبى سماع الكلام القبيح الشنيع من التطريف ولا أشنع ولا أغلظ من المخاطبة من الكفر فكأنه صلى الله عليه وسلم قال هذا ليس من عندي إنما هو من عند الله تعالى وقال نزل علي قل يا أيها الكافرون والمخاطبون بقوله قل يا أيها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون لا أعبد ما تعبدون في معنى الآية قولان أحدهما أنه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون أي لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم عابدون ما أعبد أي ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ثم قال ولا أنا عابد ما عبدتم أي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا أنتم عابدون ما أعبد أي ولا أنتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل أن يكون الأول للحال والثاني للاستقبال وقيل لا يصلح أن يكون كل واحد منهما للحال والاستقبال ولكن يخص أحدهما با~~حدهما~~لحال والثاني بالاستقبال لأنه أخبر أولا عن الحال ثم أخبر ~~أولا~~ ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون في الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في الحال ولا أنا عابد ما عبدتم في الاستقبال ولا أنتم عابدون ما أعبد في الاستقبال وما بمعنى من أي من تعبدون ويحتمل أن يكون بمعنى الذي أي الذي تعبدون والقول الثاني حصول التكرار في الآية فعلى هذا القول أن التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة في التأكيد أشد كان التكرار أحسن ولا موضع أحوج إلى التوكيد من هذا الموضع لأن الكفار راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا فحسن التأكيد والتكرار في هذا الموضع لأن القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الموقف وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن سرك أن ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم عن قولهم لكم دينكم ولي دين أي لكم كفركم ولي إخلاصي وتوحيدي والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الآية منسوخة بآية القتال والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة النصر مكية وهي ثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبع وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل إذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكر محمد بن إسحاق وأصحاب الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم إن بني بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل من بني بكر حتى بيت خزاعة على الوتير فأصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى إذا حاوزوا خزاعة إلى الحرم وكان ممن أعان بني

عونك يا كريم

بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم متنكرين صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن
عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة انه
لا اله له اليوم يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم افلا تصيبون ثاركم فيه فلما
تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس
بين ظهراني الناس فقال: يا رب اني ناشد محمدا ۞ حلف ابينا وابيه الاتلدا ۞ قد كنتم ولدا وكنا والدا ۞ ثمت اسلمنا
فلم ننزع يدا ۞ فانصر هداك الله نصرا اعتدا ۞ وادع عباد الله ياتوا مددا ۞ فيهم رسول الله قد تجردا ۞ ان سيم خسفا
وجهه تربدا ۞ في فيلق كالبحر يجري مزبدا ۞ ان قريشا اخلفوك الموعدا ۞ ونقضوا ميثاقك المؤكدا ۞ وجعلوا
لي في كداء رصدا ۞ وزعموا ان لست ادعو احدا ۞ وهم اذل واقل عددا ۞ هم بيتونا بالوتير هجدا ۞ و
قتلونا ركعا وسجدا ۞ يا نصر هداك الله نصرا ابدا ۞ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم
ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وخرج
بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فا
خبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال للناس كانكم بابي سفيان قد جاء ليشدد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء واصحا
به حتى لقوا ابا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشدد العقد ويزيد في
المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي ابو سفيان بديل قال من اين اقبلت يا بديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال او ما اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة
قال ابو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فراى فيه
النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
فدخل على ابنته ام حبيبة بنت ابي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته
عنه فقال يا بنية ما ادري ارغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت
رجل مشرك نجس ولم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يا بنية بعدي
شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى ابي بكر فكلمه ان يكلم له ر
سول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أانا اشفع لكم الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن ابي طالب وعنده احد
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك امس
القوم بي رحما واقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا ارجعن كما جئت خائبا اشفع لنا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ويحك يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه
فالتفت الى فاطمة فقال يا بنت محمد هل لك ان تامري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى اخر
الدهر قالت والله ما بلغ بنيي ذاك ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني فقال والله ما اعلم شيئا يغني عنك ولكنك

سيد بني

ذلك
سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال اوترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما اظنه ولكني لا اجد لك غير
ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال يا ايها الناس اني قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش
قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب
فوجدته اعدى العدو ثم اتيت علي بن ابي طالب فوجدته الين القوم وقد اشار علي بشيء صنعته فوالله ما ادري هل يغني
ذلك شيئا ام لا قالوا وبم امرك قال امرني ان اجير بين الناس ففعلت فقالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ان
زاد علي ان لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز
وامر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر رضي الله عنه على ابنته عائشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اي بنية امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه فقالت نعم فتجهز قال فاين ترينه يريد فقالت لا والله ما ادري ثم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن
قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف
على المدينة ابا رهم كلثوم بن حصين ابن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى
مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كا
ن بالكديد بين عسفان وامج افطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة الاف من المسلمين ولم يتخلف من المها
احد
جرين والانصار عنه فلما نزل مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا ياتيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون
ما هو فاعل وخرج في تلك الليالي ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الاخبار وينظرون هل يجدون
خبرا او يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه
بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ابتلد واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة عنوة قبل ان ياتوه فيستامنوه انه لهلاك قريش الى اخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله
عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك فقلت لعلي اجد حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة ياتي مكة فيخبرهم بمكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستامنوه قبل ان يدخلها عليهم عنوة قال العباس فوالله اني لاسير عليها و
التمس ما خرجت له اذ سمعت كلام ابي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وابو سفيان يقول ما رايت كالليلة قط كا
اذل لليلة نيرانا قط قال يقول بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال ابو سفيان خزاعة واقل من ان تكون هذه نيرانها قال
فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال ابو الفضل فقلت نعم فقال ما لك فداك ابي وامي فقلت ويحك يا ابا
سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة الاف من المسلمين فقال وما الحيلة قلت والله
لئن ظفر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى اتي بك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستامنه لك فردفني ورجع صاحباه فجئت اركض به بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من
نيران المسلمين نظروا الي قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن
الحمد لله الخطاب فقال من هذا وقام الي فلما راى ابا سفيان على عجز البغلة قال ابو سفيان عدو الله الذي امكن منك بغير عقد ولا
عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة
الرجل البطيء قال فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول

عونك يا عظيم

هذا ابو سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله اني قد اجرته ثم جلست
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت براسه فقلت والله لا يناجيه الليلة احد دوني فلما اكثر عمر في شانه قلت مهلا
يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس
فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الي من اسلام الخطاب لو اسلم وما ذلك الا اني اعلم ان اسلامك كان احب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس الى رحلك
فاذا اصبحت فاتني به قال فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما راه قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال بابي انت وامي ما
احلمك واكرمك واوصلك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد اغنى شيئا بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يان
لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه فان في النفس منها حتى الان شيئا فقال له
العباس فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فشهد
شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل
دار ابا سفيان فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن فلما ذهب لينصرف قال
رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الخيل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت
به حيث امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من
هؤلاء يا عباس فاقول سليم فيقول ما لي ولسليم ثم القبيلة فيقول من هؤلاء فاقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى
نفدت القبائل لا تمر قبيلة الا سالني عنها فاذا اخبرته عنها فاذا اخبرته فيقول ما لي ولبني فلان حتى مر رسول الله و الحشر
سلم في كتيبته الخضراء وقيل انما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق
من الحديد فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار قلت
فقال ما لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة
قال فنعم اذا قلت النجا الى قومك الان فخرج حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش
هذا محمد قد جاء بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار ابا سفيان فهو امن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك قال
ومن دخل المسجد فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قالوا وجاء حكيم
بن حزام وبديل بن ورقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوهم الى الاسلام ولما خرج حكيم وبديل بن ورقا بن حزام من عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث في اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره ان
يركز رايته على مكة بالحجون وقال لا تبرح حيث امرتك ان تركز رايتي حتى اتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
انتهى الى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه ليضع راسه
تواضعا لله عز وجل حين راى ما اكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه لتكاد تمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلى مكة وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبني
سليم ان يدخل من اسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الا
حابيش امرتهم قريش ان يكونوا باسفل مكة وان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو
كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا
الا من قاتلكما

عوبد بال بم

184

قال سعد بن

الأمن فقاتلهما وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدا معهم حيث توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم
تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة
وما يكون له في قريش صولة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب أدركه فخذ الراية منه كن أنت الذي تدخل
بها فلم تكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال إلا ما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والأحابيش بأسفل مكة فقاتلو
هم فهزمهم الله تعالى ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل
من المسلمين إلا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس
بن خالد بن الوليد فشذا عنه وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه قد عهد إلى أمرائه من
المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا نفرا سماهم أمر بقتلهم وإن وجد
وا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وإنما أمر بقتله لأنه كان قد أسلم فارتد مشركا
ففر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن أهل مكة
فاستأمن له وعبد الله بن خطل رجل من تيم بن غالب وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلما فبعثه رسول الله عليه بني
وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فا
ستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأمر بقتلهما معه والحويرث بن نقيذ بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن صبابة وإنما
أمر بقتله لقتله الأنصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مرتدا وسارة مولاة لبني عبد المطلب وكانت
ممن تؤذيه بمكة وعكرمة بن أبي جهل فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن
هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه وأما مقيس بن صبا
بة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الأخرى
الله صلى الله عليه وسلم فأمنها فعاشت حتى وطئها رجل من الناس فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها
وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب قالت أم هانئ بنت أبي طالب لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأعلى مكة فر إلي رجلان من أحمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي قالت فدخل
علي علي بن أبي طالب أخي فقال والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما
اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إلي فقال مرحبا وأهلا بأم هانئ ما جاء بك فأخبر
ته خبر الرجلين وخبر علي بن أبي طالب فقال قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا يقتلهما ثم إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج لما اطمأن بالناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده
فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان
فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فقال لا إله إلا الله وحده
لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا
سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الا
بل أربعون منها في بطونها أولادها يا معشر قريش إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها

وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها فعا

وتعظيمها بالاباء الناس من ادم وادم من تراب ثم تلا هذه الاية يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الاية ثم قال يا معشر
قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد كان الله امكنه منهم عنوة فبذلك سموا اهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المسجد فقام اليه علي بن ابي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله صلى الله اجمع لنا بين
الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليو
م يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا و
عمر بن الخطاب اسفل منه ياخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال
بايع النساء. قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن امية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي
يا رسول الله ان صفوان بن امية سيد قومي قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه في البحر فامنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال هو امن قال يا رسول الله اعطني شيئا يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال يا صفوان فداك ابي وامي
ذكرك الله في نفسك ان تهلكها فهذا امان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به فقال ويحك قد جئتك به فقال
ويلك اغرب عني ولا تكلمني قال اي صفوان فداك ابي وامي افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمك
عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف
به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك امنتني قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال
انت فيه بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على
الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم اترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه ارضه وبلده
يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ
الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة الاف وكان
فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمسة عشر ليلة يقصر بعد فتحها
الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا وعن ابي هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم
في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله قد حبس عن مكة الفيل
وسلط عليها رسوله والمومنين الا وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الا وانما احلت لي ساعة من نهار
الا وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير
النظرين اما ان يفتدي واما ان يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا الاذخر فقام ابو شاه رجل من اهل اليمن فقال اكتب لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكـ
ـتبوا لابي شاه قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه واما التفسير فقوله اذا جاء نصر الله
والفتح يعني اذا جاءك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجيء النصر ان جميع الامور مرتبطة باوقا
تها يستحيل تقدمها عن وقتها او تاخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى
قال اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المومنين وفتح بلاد الشرك
عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كا
لسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف عليه بالفتح وقيل ان النصر هو كمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الا

نيا و

الانبياء وعلى الذي هو تمام النعمة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا يعني زمرا وارسالا القبيلة باسرها والقوم با
جمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض
اذا ظفر الله عز وجل محمدا باهل الحرم وكان قد اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله
افواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل اراد بالناس اهل اليمن عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله
هو الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا يعني فانك
حينئذ لاحق به خ عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله
فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال وما اريته دعاني يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون
في قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح
علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي اكذلك تقول يا ابن عباس قلت لا قال فما تقول قلت هو اجل رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال
عمر ما اعلم منها الا ما تعلم ق عن عايشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه اذا
جاء نصر الله والفتح الا يقول سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول
في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكثر يقول من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال اخبرني ربي اني سارى علامة في امتي
فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة
ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السو
رة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه قال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة علم
ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى الاية
السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد والاستغفار
فالاشتغال بهذه الطاعات يصير سببا للمزيد في درجات الدنيا والاخرة وفي معنى التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لا
يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من اجزاء الصلاة ثم قيل عنى به صلاة الشكر وهو ما صلاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثماني ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الاية دليل على فضيلة التسبيح
والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في اداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قلت ان تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يامن كل واحد من تقصير يقع في عبا
دته واجتهاده وفيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده كان يستغفر على الا
ستغفار فكيف من دونه وقيل هو ترك الافضل والاولى عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغا
ير على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى ان يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب
امته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة تبت يدا ابي لهب مكية وهي خمس ايات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبت يدا ابي لهب ق عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد
النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل

عونا باعويم

الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان
تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو
لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان
النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش الحديث وذكر نحوه
ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليدين صاحبهما وجملة
بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجملته وقيل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فا
دمى عقبه فلهذا ذكرت اليدان وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال
الى اليد وابو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بابي لهب لحسنه
واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه احدها انه كان مشتهرا بالكنية
دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك
الثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافق حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها
وتب قيل الاول اخرج مخرج الدعاء عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما قال اهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا ابي
لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه اي وقد اهلك نفسه ما اغنى عنه
ماله وما كسب قال ابن عباس لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرباءه الى الله تعالى قال ابو لهب ان كان ما
يقول ابن اخي حقا فانا افتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله عز وجل ما اغنى عنه ماله اي اي شيء يغني عنه ماله اي ما يد
فع عنه عذاب الله ما جمع من المال وكان صاحب مواشي وما كسب اي ربح بعد راس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لان
ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي ثم
اوعده بالنار فقال تعالى سيصلى نارا ذات لهب اي نارا تلتهب عليه وامرأته يعني ام جميلة بنت حرب بن امية اخت ابي
سفيان بن حرب عمة معاوية بن ابي سفيان وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمالة الحطب
قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لتعقرهم بذلك
وهي رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل
انها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل
انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين في ذلك باحد بل تفعله هي
بنفسها وقيل كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار
الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به وقيل حمالة الخطايا والاثام التي حملتها في عداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانها كالحطب في مصيرها الى النار في جيدها حبل من اي في عنقها حبل من مسد قال ابن عباس سلسلة من
حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما
وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذي كانت تحتطب به فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة اعيت فقعدت على
حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل
قلادة من ودع وقيل كانت خرزات في عنقها وقيل كانت قلادة فاخرة فاقسمت لتنفقنها في عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله تعالى اعلم بمراده تفسير سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي اربع ايات
وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا فصل في فضل سورة الاخلاص خ عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله

رجلا سمع

رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن وفي رواية قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله أحد الله الصمد ثلث القرآن م عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من القرآن م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها قال العلماء في كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن أقوال متقاربة فقيل إن القرآن العزيز لا يعدو ثلاثة أقسام وهي الإرشاد إلى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الإخلاص على هذه الأقسام الثلاثة وهي التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لأن منتهى التقديس في أن يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون في درجته وإن لم يكن أصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع ذلك كله قل هو الله أحد وجملته وتفصيله هو قولك لا إله إلا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تتناهى أسراره ولا تنقضي عجائبه وقال الإمام فخر الدين الرازي لعل الغرض منه أن يكون المقصود الأشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله تعالى ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاه وشأنه فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه قيل معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله أحد متمحضة للصفات فهي ثلث القرآن وجزء من ثلاثة أجزاء وقيل معناه أن ثواب قراءتها تتضاعف بقدر الثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقالها يقال استقللت الشيء وتقاللته وتقاللته إذا عددته قليلا في بابه ونظرت إليه القلة قيل سميت قل هو الله أحد سورة الإخلاص إما لأنها خالصة لله تعالى في صفته أو لأن قارئها قد أخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة أن الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله تعالى وملازمته الإعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل ما لا يليق به لأنها مع قصرها جامعة لصفات الأحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محا الله ذنوبه عنه خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول الرب تبارك وتعالى يا عبدي ادخل على يمينك الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه أن رجلا قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة قل هو الله أحد الله الصمد قال حبها إياك أدخلك الجنة أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قل هو الله أحد عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل قل هو الله أحد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبيه

عونك يا كريم

ولا عديل وليس كمثله شيء. أخرجه الترمذي وقد روي عن أبي العالية أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا
انسب لنا ربك قال فأتاه جبريل عليه السلام بهذه السورة قل هو الله أحد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب
وهذا أصح وقال ابن عباس إن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر إلى ما تدعونا يا
محمد قال إلى الله تعالى قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من نحاس أم من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك
الله أربد بالصاعقة وعامر بالطاعون وقد تقدم ذكر ذلك في سورة الرعد وقيل جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فإن الله تعالى أنزل نعته في التوراة فأخبرنا من أي شيء هو وهل يأكل
ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فأنزل الله عز وجل السورة قل هو الله أحد يعني الذي سألتموني عنه هو الله
الواحد في الإلهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف أحد
بالأحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل أحد ودرهم أحد بل أحدية من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها أحد و
الفرق بين الواحد والأحد أن الواحد يدخل في الأحد ولا ينعكس وقيل إن الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي تقول في
الإثبات رأيت رجلا واحدا وفي النفي ما رأيت أحدا فيفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه ~~والأحد ولا~~
أحد والأحد هو المنفرد بالمعنى يشاركه فيه أحد الله الصمد قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة
من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة أن الصمد الشيء المصمد الصلب الذي ليس فيه جوف ولا رخاوة ومنه قال
لسداد القارورة الصماد فإن فسر الصمد بهذا كان من صفات الأجسام وتعالى الله عن صفات الجسمية وقيل
وجه هذا القول أن الصمد الذي ليس بأجوف معناه هو الذي لا يأكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شيء فعلى هذا الاعتبار
هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على أنه تعالى بخلاف من أثبتوا له الإلهية وإليه الإشارة بقوله
تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس بأ
جوف شيئان أحدهما دون الإنسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني أشرف من الإنسان وأعلى منه وهو
الباري جل وعلا وقال أبي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأن من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في
أفراده عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سؤدده وهو رواية عن ابن عباس أيضا قال
هو السيد الذي كمل فيه جميع أنواع السؤدد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب إليه في الرغائب ا
لمستغاث به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأقواله ولا له على أنه المتقي
في السؤدد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والإحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل
الصمد الذي ليس فوقه أحد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تغيره الآفات ولا تغيره الأوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل
الصمد هو الأول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال والأولى أن يحمل لفظة الصمد على كل ما قيل فيه لأنه
محتمل له فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله العظيم القادر على كل شيء تعالى وأنه اسم خاص لله تعالى انفرد
به له الأسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شيء وهو السميع قوله تعالى لم يلد ولم يولد وذلك أن مشركي العرب
قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فأكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه
ما قالوا بقوله لم يلد كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه أن من ولد كان له والد فنفى عنه إحاطة النسب من
جميع الجهات فهو الأول الذي لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك
فهو الذي لم يكن له كفوا أحد أي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله ولم يكن له كفوا أحد
للأشياء النظير والصاحبة والولد خ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له
ذلك

له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الفلق مدنية وقيل مكية والاول اصح وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة

واربعة وسبعون حرفا م عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر ايات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان البسملة من القرآن وانها من اول السورتين غير البسملة وقد اجمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه خ عن زر بن حبيش قال سالت ابي بن كعب عن المعوذتين فقلت ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله بن خبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي بنا فخرج فقال قل فقلت ما اقول قال قل هو الله احد الله الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شيء وفي رواية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ما اقول قال قل اعوذ برب الفلق حتى ختمها ثم قال قل قلت ما اقول قال قل اعوذ برب الناس حتى ختمها ثم قال ما تعوذ الناس بافضل منهما اخرجه النسائي عن جابر بن عتيك ومعناه

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **قل اعوذ برب الفلق** قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ من مشاطة راس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه ق وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشيء ولم يصنعه وفي رواية انه ليخيل اليه فعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال اشعرت يا عائشة ان الله عز وجل قد افتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس احدهما عند راسي والآخر عند رجلي ثم قال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في بئر ذروان قال فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس من اصحابه الى البئر فنظر اليها وعليها نخل قال ثم رجع الى عائشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين قلت يا رسول الله فاخرجته قال اما انا فقد عافاني الله وشفاني وقد خشيت ان اثور على الناس منه شرا وفي رواية للبخاري انه كان يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذا عن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى

عونك يا كريم

صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما فأتاه جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بير كذا فأرسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط حتى مات. ويروى أنه كان تحت صخرة في البير فرفعوا
الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فإذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم وأسنان مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه
إحدى عشرة عقدة وقيل كانت مغروزة بالإبر وأنزل الله عز وجل هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية سورة الفلق خمس
آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه و
سلم كأنما نشط من عقال وروي أنه لبث ستة أشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان ثم
عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك من
كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك. **فصل** وقبل الشروع في
التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر وجواز الرقيا فقوله في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم
سحر حتى كان يخيل له أنه يصنع الشيء ولم يصنعه قال الإمام المازري مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على
إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى
خيالات باطلة لا حقيقة لها وقد ذكره الله في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به وأنه يفرق
بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن أن يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث صحيح مصرح بإثباته ولا يستنكر في العقل أن الله تعالى
يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى لا يعرفها إلا الساحر وأنه لا فاعل إلا الله تعالى
وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده. فإن قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله
تعالى وقدرته أم لا فإن كان بقضاء الله وقدره فكيف يأمر بالاستعاذة مع أن ما قدر لا بد واقع وإن لم يكن بقضاء الله و
قدره فهو قدح في القدرة. قلت كل ما وقع في الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ
والرقيا من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن أبي خزامة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت رقيا نسترقي بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال
هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وقوله هي من قضاء الله أي قضاء الله. **فصل** وقد أنكر
بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم أنه يحط منصب النبوة صلى الله عليه وسلم ويشكك فيها و
أن تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بأن الذي ادعاه باطل لأن الدلائل القطعية والعقلية
والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز
ما قام الدليل بخلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه
من أمور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل إنه كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل ما يتخيله الإنسان
في المنام فلا يبعد أن يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة
ما يخيله فيكون اعتقاده على السداد وقال القاضي عياض وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث تبيين أن السحر أي
إنما سلط على بدنه وظاهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا
طعنا لأهل الزيغ والضلالة وقوله مطبوب أي مسحور وقوله في جف طلعة ذكر يروى بالفاء ويروى
بالباء وهو وعاء طلع النخل وأما الرقيا والتعويذ فقد اتفقوا الإجماع على جواز ذلك إذا كان بآيات من
القرآن أو أذكار وردت في الحديث ويدل على صحة ذلك الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك منها حديث أبي سعيد

المتقدم

عونك يا كريم

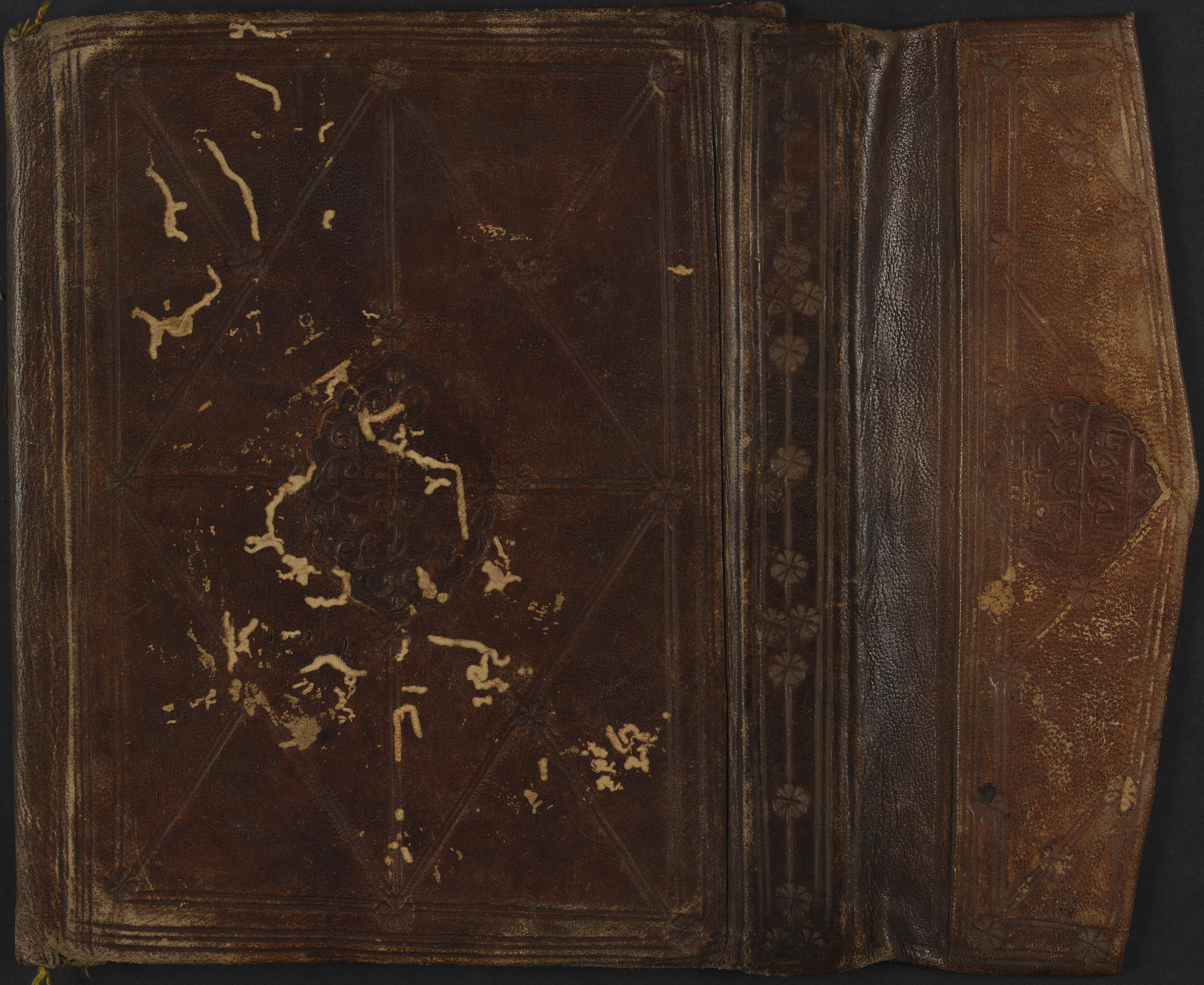
186

المعوذتين ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي ان اسماء بنت
عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي لهم قال نعم فانه لو كان شيء سابق القدر لسبقته
العين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ و
يقول اعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما اخرجه الترمذي و
قال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر او شرك او ما لا
يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز ان يكون فيه كفر والله اعلم واما التفسير فقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد به
فلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان
القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح
كالمثال لمجيء الفرج فكما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح كذلك الخائف يترقب مجيء النجاح وقيل ان تخصيص
الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكانه يقول قل اعوذ برب الوقت الذي
يفرج فيه عن المهمومين والمغمومين وروي عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم اذا فتح
استغاث اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروي ووصفه
عن ابن عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التاويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق
بكلمة ثم قال اعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات من شر ما خلق قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله
خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس
ومن شر غاسق اذا وقب عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي من
شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح فعلى هذا المعنى الحديث المراد
به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف او اخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب
ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو اخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب
لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اي اقبل بظلامه من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا
لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الافات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل
الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها ولهذا امر بالتعوذ
من الثريا عند سقوطها ومن شر النفاثات في العقد يعني السواحر اللاتي تنفث في عقد الخيط حين يرقين عليها و
قيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن اعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل هو
النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن
بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات
الحديث وانكر جماعة النفث والتفل في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد
وقيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان
وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه ومن شر حاسد اذا حسد الحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة الغير
وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها فلذلك امر الله تعالى بالتعوذ منه واراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي
صلى الله عليه وسلم او لبيد بن اعصم وحده والله سبحانه وتعالى اعلم تفسير سورة الناس مدنية وقيل مكية
والاول اصح وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

عونك يا كريم

قل أعوذ برب الناس إنما خص الناس بالذكر وإن كان رب جميع الحوادث لأنه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس فكأنه قال
أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم وهو إلههم ومعبودهم بأنه هو الذي يعيذهم من شرهم وقيل إن
أشرف المخلوقات هم الناس فلذا خصهم بالذكر ملك الناس إله الناس إنما وصف نفسه أولا بأنه رب الناس لأن الرب قد يكون
ملكا وقد يكون ملكا فنبه بذلك أنه ربهم وملكهم ثم الملك لا يكون إلها فنبه بقوله إله الناس بأن الإلهية خاصة
له سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد والسبب في تكرير لفظة الناس يقتضي مزية شرفهم على غيرهم من شر الوسواس
يعني الشيطان ذي الوسواس والوسوسة الهمس والصوت الخفي الخناس يعني الرجاع الذي من عادته أن يخنس أي يتأخر
أن الشيطان جاثم على قلب الإنسان فإذا غفل وسها وسوس وإذا ذكر الله خنس الشيطان وتأخر وقال قتادة الخناس
له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس ويقال إن رأسه كرأس الحية
واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه فإذا ذكر الله عز وجل خنس وإذا لم يذكر الله رجع ووضع رأسه على
القلب فذلك قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير
سماع والمراد بالصدر القلب من الجنة يعني الجن والناس في معنى الآية وجهان أحدهما أن الناس لفظ مشترك
بين الجن والإنس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من أنتم قالوا أناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا
في قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية أن الوسواس الخناس يوسوس الجن كما يوسوس
الإنس والوجه الثاني أن الوسواس الخناس الذي يوسوس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الناس فكما أن شيطان الجن
قد يوسوس تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الإنس فقد يوسوس الإنسان كالناصح له فإن قبل زاد في الوسوسة وإن كره
السامع ذلك خنس وانقبض وكأنه تعالى أمره أن يستعيذ به من شر الجن والإنس جميعا وعن عائشة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ
برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن
عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فإذا اشتد
وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتهما أخرجه مالك في الموطأ ولهما بمعناه وعن ابن عمر رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء
النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رجل يا رسول الله
أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من أول القرآن إلى
آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تم كتاب التأويل في معنى معالم التنزيل والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا أن هدانا الله كمل على يد [illegible] ناسخيه غفر ربهما [illegible] النهاية
والشريف مجتمعان في نسخه على التناصف في شهر الله المعظم رجب يوم
الاثنين خلت منه سبعة عشر يوما من قبل الله خيره وخير ما بعده
ووقانا شره وشر ما بعده والحمد لله رب العالمين عام ١٠٤٤



الحمد لله الرحمن

الحمد لله وحده

وصلى يا رب وسلم

على النبي المصطفى

وآله وصحبه

الحمد محمد

وفوك وذو مال واما الالف فتكون علامة للرفع
في تثنية الاسماء خاصة واما النون فتكون علامة
للرفع في الفعل المضارع إذا اتصل به ضمير تثنية
او ضمير جمع او ضمير المؤنثة المخاطبة وللنصب
خمس علامات الفتحة والالف والكسرة والياء
وحذف النون واما الفتحة فتكون علامة للنصب في
ثلاثة مواضع في الاسم المفرد وجمع التكسير والفعل
المضارع اذا دخل عليه ناصب ولم يتصل بآخره شيء
واما الالف فتكون علامة للنصب في الاسماء الخمس
الخمسة نحو رايت اخاك واباك وما اشبه ذلك واما
الكسرة فتكون علامة للنصب في جمع المؤنث ا
لسالم واما الياء فتكون علامة للنصب في التثنية
والجمع واما حذف النون فتكون علامة للنصب

في الافعال

في الافعال التي رفعها بثبات النون وللخفض
ثلاث علامات الكسرة والياء والفتحة فاما
الكسرة فيكون علامة للخفض في ثلاثة مواضع في الا
سم المفرد المنصرف وجمع التكسير المنصرف
وجمع المؤنث السالم واما الياء فتكون علامة
للخفض في ثلاثة مواضع في الاسماء الخمسة و
في التثنية والجمع واما الفتحة فتكون علامة
للخفض في الاسم الذي لا ينصرف وللجزم علامتان
السكون والحذف فاما السكون فيكون علامة للجزم
في الفعل المضارع الصحيح الاخر واما الحذف
فيكون علامة للجزم في الفعل المضارع المعتل الا
خر وفي الافعال التي رفعها بثبات النون
فصل المعربات

...رحيم

مـل

سـل

رته فلا يغرك التسويف والامل

لمن عليه جميع الخلق يتكل

عن العباد يجاوزهم بما فعل

فبادروا للصلاة الليل وابتهل

جنح الظلام وقد جد في الاجل

قل للنفس ان العمر مرتحل

يغره كواكب الليل مشتغل

كانما ظفر بما الامل

اهل التقى بالصوم قد شغل

مع العشا بين لا يلعب الكسل

فيا ندامة من فاته العمل

ما دامت الشمس في الابراج

عونك يا كريم

قل أعوذ برب الناس إنما خص الناس بالذكر وإن كان رب جميع الحوادث لأنه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس فكأنه قال
أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم وهو إلههم ومعبودهم وأنه هو الذي يعيذ من شرهم وقيل إن
أشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر ملك الناس إله الناس إنما وصف نفسه أولاً بأنه رب الناس لأن الرب قد يكون
ملكاً وقد لا يكون ملكاً فنبه بذلك أنه ربهم وملكهم ثم الملك قد لا يكون إلهاً فنبه بقوله إله الناس بأن الإلهية خاصة
له سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد والسبب في تكرير لفظة الناس يقتضي مزية شرفهم على غيرهم من شر الوسواس
يعني الشيطان ذي الوسواس والوسوسة الهمس والصوت الخفي الخناس يعني الرجاع الذي من عادته أن يخنس أي يتأخر
أن الشيطان جاثم على قلب الإنسان فإذا غفل وسها وسوس وإذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان وتأخر وقال قتادة الخناس
له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس ويقال إن رأسه كرأس الحية
واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه فإذا ذكر الله عز وجل خنس وإذا لم يذكر الله رجع ووضع رأسه على ثمرة
القلب فذلك قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير
سماع والمراد بالصدر القلب من الجنة يعني الجن والناس في معنى الآية وجهان أحدهما أن الناس لفظ مشترك
بين الجن والإنس يدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من أنتم قالوا أناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالاً
في قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية أن الوسواس الخناس يوسوس الجن كما يوسوس
الإنس والوجه الثاني أن الوسواس الخناس الذي يوسوس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الناس فكما أن شيطان الجن
قد يوسوس تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الإنس فيوسوس الإنسان كالناصح له فإن قبل زاد في الوسوسة وإن كره
السامع ذلك انخنس وانقبض فكأنه تعالى أمره أن يستعيذ به من شر الجن والإنس جميعاً وعن عائشة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ
برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وعن
عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فإذا اشتد
وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتهما أخرجه مالك في الموطأ وكلاهما بمعناه وعن ابن عمر رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء
النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رجل يا رسول الله
أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من أول القرآن إلى
آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تم كتاب التأويل في معالم التنزيل والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا أن هدانا الله كمل على يد ناسخيه بغفران ربهما أسيرا ذنبيهما
والشريف محمد ... في نسخه على التناصف في شهر الله المعظم رجب يوم
الاثنين خلت منه سبعة عشر يوماً تمم الله خيره وختم ما بعده
وفاز بأنس شره وشر ما بعده والحمد لله رب العالمين عام ١٢٤٩